سلسلة نصوص تراثية للباحثين (591)

قول القلب

من مصنفات العقيدة والفرق

د/ يوسف بن حمود الحوشان

1444هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد
فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من
برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة
معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص
للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها
وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان
yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

"ولم يثبته (1) فيرجع (2) إلية، فنقول (3): إن الله سبحانه قال: {ثم يعودون لما قالوا} [المجادلة: 3] وأنت لم يتعين لك بعد قولهم الذي يرتبط به الحكم، فترى (4) أن يكون العود إليه، هل **هو قول القلب أم** قول اللسان؟ وما صفة ذلك القول؟ أو رأيت إن قاله ثم نسيه وأنت قد عينته؟ وإن قلت (5): أخذ بالعموم فيه. فكل قول يكون ذلك فيه (6)، أقول به مهما كان فيه ذكر الظهر. قلنا له: ويكون فيه ذكر الظهر (7) فيهما جميعا أو (8) في الزوجة وحدها، أو في الأم (9) وحدها.

منزلة أخرى:
يقال له: أرأيت إن لم يعد لما (10) قال، ولا كلم الزوجة؟ فليس له ما يقول مما فيه أثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم -. وانظروا رحمكم الله إلى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للذي وقع على امرأته (11) المظاهر منها قبل أن يكفر: "لا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله به" وقال للآخر الذي وقع على امرأته قبل أن يكفر: "أعتق رقبة أو أطعم" ولم يقل له: عد لما قلت، لأنه قد رآه عاد لما قال، ومعنى الآية قد بيناه في "الأحكام" (12) وتحقيقه: أنه لما قال: {ثم يعودون لما قالوا} أنهم لا يعودون إليه لأنه لما قال لها: أنت (13) علي كظهر أمي، قد قال: أنه لا يطأها، فلما عاد إلى الوطء لزمته الكفارة، أو إلى التمسك بالزوجية، أو إلى العزم (14) على ما بيناه هنالك والله أعلم. [و 95 أ] أي (15)، وهكذا فخذ مسائلهم تجدها كما قلناه بتوفيق الله، وتنخل (16) من ذلك كله، المعنى المطلوب وهو تنزيل الشريعة منازلها، وتوفيتها مقاديرها، وعصمها بعواصم من

---

(1) د: يبينه. ج: يتثبته.
(2) د: فرجع.
(3) ب، ج، ز: فيقول.
(4) د: فنرى. وكتب على هامش ز: فترى يكون.
(5) ز: في نسخة: قال.
(6) د: يكون فيه ذلك فيه.
(7) د: الظهار.
(8) ج: الأيام.
(9) ب: بما.
(10) د: المرأة.
(11) هوكتابه: أحكام القرآن.
(12) ب، ج، ز: لأنه لو قال أنت.
(13) ج، ز: الغرم.

(14) د: - أي.
(15) ب، ز: ينحـــــــــــــــــــل، ج: ينجـــــــــــــــــــل.
(16) ب، ج، ز: - في.." [1]
"وَمَا أَعْجَبَ مَـا أَجَـابَ بِـهِ أَبُـو الْمُعِينِ النَّسَـفِيُّ وَغَيْـرُهُ، عَنِ اسْـتِدْلَالِهِمْ بِحَدِيثِ شُعَبِ الْإِيمَانِ الْمَذْكُورِ، وَهُوَ: أَنَّ الرَّاوِيَ قَالَ: بِضْـعٌ وَسِـتُّونَ أو بضـع وسبعون، فقد شهد الراوي بفعله بِنَفْسِهِ حَيْثُ شَـكَّ فَقَـالَ: بِضْـعٌ وَسِـتُّونَ أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، وَلَا يُظَنُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّكُّ فِي ذَلِـكَ! وَأَنَّ هَـــــــــــــذَا الْحَـــــــــــــدِيثَ مُخَـــــــــــــالِفٌ لِلْكِتَـــــــــــــابِ. فَطَعَنَ فِيـهِ بِغَفْلَـةِ الـرَّاوِي وَمُخَالَفَتِهِ الْكِتَـابَ, فَـانْظُرْ إِلَى هَـذَا الطَّعْنِ مَـا أَعْجَبَهُ! فَإِنَّ تَرَدُّدَ الرَّاوِي بَيْنَ السِّتِّينَ وَالسَّبْعِينَ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ عَدَمُ ضَبْطِهِ، مَـعَ أَنَّ الْبُخَارِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِنَّمَا رَوَاهُ: بِضْعٌ وَسِـتُّونَ مِنْ غَيْـرِ شَـكٍّ1. وَأَمَّا الطَّعْنُ بِمُخَالَفَةِ الْكِتَابِ، فَأَيْنَ فِي الْكِتَابِ مَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِـهِ؟! وَإِنَّمَـا فِيـهِ مَـا يَـدُلُّ عَلَى وِفَاقِــهِ، وَإِنَّمَـــا هَـــذَا الطَّعْنُ مِنْ ثَمَــرَةِ شُــؤْمِ التَّقْلِيــدِ وَالتَّعَصُّــبِ. وَقَالُوا أَيْضًا: وَهُنَا أَصْلٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ الْقَوْلَ **قِسْمَانِ: قَـوْلُ الْقَلْبِ وَهُـوَ** الِاعْتِقَادُ، وقون اللِّسَانِ وَهُوَ التَّكَلُّمُ بِكَلِمَةِ الْإِسْلَام, وَالْعَمَـلُ قِسْـمَانِ: عَمَـلُ الْقَلْبِ، وَهُـوَ نِيَّتُهُ وَإِخْلَاصُـهُ، وَعَمَـلُ الْجَـوَارِحِ. فَـإِذَا زَالَتْ هَـذِهِ الْأَرْبَعَـةُ زَالَ الْإِيمَانُ بِكَمَالِهِ، وَإِذَا زَالَ تَصْـدِيقُ الْقَلْبِ لَمْ يَنْفَـعْ بَقِيَّةُ الأخر2، فَـإِنَّ تَصْـدِيقَ الْقَلْبِ شَـرْطٌ فِي اعْتِبَارِهَـا وَكَوْنِهَـا نَافِعَـةً، وَإِذَا بَقِيَ تَصْـدِيقُ الْقَلْبِ وَزَالَ الْبَـــــــــــاقِي فَهَـــــــــــذَا مَوْضِـــــــــــعُ الْمَعْرَكَـــــــــــةِ!! وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ طَاعَـةِ الْجَـوَارِحِ عَـدَمُ طَاعَـةِ الْقَلْبِ، إِذْ لَـوْ أَطَـاعَ الْقَلْبُ وَانْقَـادَ، لَأَطَـاعَتِ الْجَـوَارِحُ وَانْقَـادَتْ، وَيَلْـزَمُ مِنْ عَـدَمِ طَاعَـةِ الْقَلْب وَانْقِيَادِهِ عَدَمُ التَّصْدِيقِ الْمُسْتَلْزِمِ لِلطَّاعَةِ, قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: "إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِذَا فَسَـدَتْ فَسَـدَ لَهَـا سَائِرُ الْجَسَدِ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" 3. فَمَنْ صَلَحَ قَلْبُهُ صَلَحَ جَسَدُهُ قَطْعًا، بِخِلَافِ الْعَكْسِ, وَأَمَّا كَوْنُـــــــــــــهُ يَلْـــــــــــــزَمُ مِنْ زَوَالِ جُزْئِهِ

---

1 قلت: ورواه مسلم بلفظ: "بضع وسبعون" كما تقـدم "بـرقم 406"، وهـو الأرجح عنـدي كمـا هـو مـبين في المجلـد المشـار إليـه من "الصـحيحة".
2 في الأصـــــــــــــــــــل: الأجـــــــــــــــــــزاء.
3 هو طرف من حديث متفق عليه عن النعمـان بن بشـير، وهـو مخـرج في "غاية المرام في تخريج الحلال والحرام" برقم "20".." [2]

"وَأَمَّا الطَّعْنُ بِمُخَالَفَةِ الْكِتَابِ، فَأَيْنَ فِي الْكِتَـابِ مَـا يَـدُلُّ عَلَى خِلَافِـه؟! وَإِنَّمَا فِيـهِ مَـا يَـدُلُّ عَلَى وِفَاقِـه، وَإِنَّمَـا هَـذَا الطَّعْنُ مِنْ ثَمَـرَة شُـؤْمِ التَّقْلِيـدِ وَالتَّعَصُّـــبِ.
وَقَالُوا أَيْضًا: وَهُنَا أَصْلٌ آخَرُ، وَهُوَ: أَنَّ الْقَوْلَ **قِسْمَانِ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَهُـوَ**

---

[1] () النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، ابن العربي ص/274
[2] () شرح الطحاوية - ط دار السلام، ابن أبي العز ص/341

الاِعْتِقَادُ، وَقَوْلُ اللِّسَانِ وَهُوَ التَّكَلُّمُ بِكَلِمَةِ الْإِسْلَامِ. وَالْعَمَلُ قِسْمَانِ: عَمَلُ الْقَلْبِ، وَهُوَ نِيَّتُه وَإِخْلَاصُه، وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ. فَإِذَا زَالَتْ هَذِهِ الْأَرْبَعَة زَالَ الْإِيمَانُ بِكَمَالِه، وَإِذَا زَالَ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ لَمْ يَنْفَعْ بَقِيَّة الْآخر، فَإِنَّ تَصْدِيقَ الْقَلْبِ شَرْطٌ فِي اعْتِبَارِهَا وَكَوْنِهَا نَافِعَة، وَإِذَا بَقِي تَصْدِيقُ الْقَلْبِ وَزَالَ الْبَاقِي فَهَذَا مَوْضِعُ الْمَعْرَكَةِ!!

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ طَاعَةِ الْجَوَارِحِ عَدَمُ طَاعَةِ الْقَلْبِ، إِذْ لَوْ أَطَاعَ الْقَلْبُ وَانْقَادَ، لَأَطَاعَتِ الْجَوَارِحُ وَانْقَادَتْ، وَيَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ طَاعَةِ الْقَلْبِ وَانْقِيَادِه عَدَمُ التَّصْدِيقِ الْمُسْتَلْزِمِ لِلطَّاعَة. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَة إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». فَمَنْ صَلَحَ قَلْبُه صَلَحَ جَسَدُه قَطْعًا، بِخِلَافِ الْعَكْسِ. وَأَمَّا كَوْنُه يَلْزَمُ مِنْ زَوَالِ جُزْئِه زَوَالُ كُلِّهِ، فَإِنْ أُرِيدَ أَنَّ الْهَيْئَة الاِجْتِمَاعِيَّة لَمْ تَبْقَ مُجْتَمِعَة كَمَا كَانَتْ، فَمُسَلَّمٌ، وَلَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ زَوَالِ بَعْضِهَا زَوَالُ سَائِرِ الْأَجْزَاءِ، فَيَزُولُ عَنْهُ الْكَمَالُ فَقَطْ.

وَالْأَدِلَّة عَلَى زِيَادَة الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِه مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ السَّلَفِيَّة كَثِيرَةٌ جِدًّا: مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} (1). {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} (2). {وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا} (3). {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} (4). {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا}

---

(1) سورة الْأَنْفَال آية 2

(2) سورة مَرْيَمَ آية 76

(3) سورة الْمُدَّثِّرِ آية 31

(4) سورة الْفَتْحِ آية 4." [1]

"وكذلك القدرية قالوا: أن للحوادث خالقين، فالحوادث التي من فعل العبد يخلقها العبد، والحوادث التي من فعل الله يخلقها الله. الجبرية يخرجون عن أحكام الله حكمها ومصالحها فما وجه ذلك؟ وجه ذلك أن الجبرية لا يفرقون بين فعل العبد اختياراً وفعله بدون اختيار، كلاهما عندهم مجبر عليه كما سبق، وإذا كان كذلك صار ثوابه على الطاعة وعقابه على المعصية لا حكمة له، إذ الفعل جاء بدون اختياره، وما كان كذلك فإن صاحبه لا يمدح عليه فيستحق الثواب، ولا يذم عليه فيستحق العقاب.

الإيمان:

الإيمان لغةً: التصديق، **واصطلاحا: قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح. فقول القلب تصديقه وإقراره، وعمل القلب إرادته وتوكله ونحو

---

[1] () شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية، ابن أبي العز ص/325

ذلك من حركاته؛ وقول اللسان نطقه، وعمل الجوارح الفعل والترك.
والدليل على أن الإيمان يشمل ذلك كله قوله صلى الله عليه وسلم:." [1]
"(الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته .. الخ) (1)ـ **وهذا قول القلب**
وقوله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) (2). فقول لا اله إلا الله قول اللسان، وإماطة الأذى عن الطريق عمل الجوارح، والحياء عمل القلب.

زيادة الإيمان ونقصانه:
الإيمان يزيد وينقص لقوله تعالى: (لِيَزْدَادُوا إيمَاناً مَعَ إيمَانهِمْ (الفتح: 4).
وقول النبي صلى الله عليه وسلم في النساء: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن) (3).

(1) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام ... رقم (8) عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
(2) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب شعب الإيمان رقم (35) عن أبى هريرة رضي الله عنه.
(3) أخرجه البخاري كتاب الحيض باب ترك الحائض الصوم رقم (304) ومسلم كتاب الإيمان باب نقصان الإيمان بنقص الطاعات رقم (79) عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.." [2]
"عمل القلب : وهو الإخلاص ، والحب ، والخوف ، والرجاء ، والذل ، والانقياد ، والتوكل والشكر ، والصبر ، والشوق ، ونحو ذلك .
عمل اللسان والجوارح : من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج ، وجهاد ، وبر ، وصلة ، وإحسان إلى الخلق ، وأمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر .
وزيادة قول القلب بالكمية : كلما علم الإنسان شيئاً من الشرع فصدق بما لم يكن يعلمه ولا يصدق به .
وزيادة قول القلب بالكيفية : بزيادة اليقين بتظاهر الأدلة ، قال تعالى : (أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) (1).
وزيادة قول اللسان : في الشهادتين في حق من بلغه خبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فشهد له بالرسالة بلسانه ، فهو أكمل إيماناً ممن لم يبلغه خبره ؛ فنطق بلا إله إلا الله فقط .
وكذا في كل تفصيل يبلغ العبد من الشرع فيقر به بلسانه يزداد به إيماناً ، قال تعالى :
(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا

[1] مذكرة على العقيدة الواسطية، ابن عثيمين ص/72
[2] مذكرة على العقيدة الواسطية، ابن عثيمين ص/73

نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(2) (3) ....

أما المسألة الثانية :-
وهي الوعد ، والوعيد ، وأحوال الناس في الآخرة.
فنقول : أجملها أهل السنة في أصول ، أهمها كالتالي :-
من مات على التوحيد دخل الجنة - يوماً من الدهر ، أصابه قبل ذلك اليوم ما أصابه .
من مات على الشرك بعد بلوغ الرسالة فهو مخلد في النار أبداً .

---

(1) - البقرة 260
(2) - البقرة 136
(3) - منة الرحمن في نصيحة الإخوان فضيلة الشيخ الدكتور / ياسر برهامي 72-73 بتصرف يسير .." [1]

"س : ما هو الإيمان ؟

جـ : الإيمان قول وعمل **: قول القلب واللسان** ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ويتفاضل أهله فيه .." [2]

"س : ما هو ضد الإيمان ؟

جـ : ضد الإيمان الكفر ، وهو أصل له شعب ، كما أن الإيمان أصل له شعب ، وقد عرفت مما تقدم أن أصل الإيمان هو التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد بالطاعة ، فالكفر أصله الجحود والعناد المستلزم للاستكبار والعصيان ، فالطاعات كلها من شعب الإيمان وقد سمى في النصوص كثير منها إيمانا كما قدمنا ، والمعاصي كلها من شعب الكفر وقد سمى في النصوص كثير منها كفرا كما سيأتي ، فإذا عرفت هذا عرفت أن الكفر كفران ، كفر أكبر يخرج من الإيمان بالكلية وهو الكفر الاعتقادي المنافي لقول القلب وعمله أو لأحدهما ، وكفر أصغر ينافي كمال الإيمان ولا ينافي مطلقه وهو الكفر العملي ، الذي لا **يناقض قول القلب ولا** عمله ولا يستلزم ذلك .." [3]

"س : بين كيفية منافاة الكفر الاعتقادي للإيمان بالكلية وفصل لي ما أجملته في إزالته إياه ؟
.

---

[1] () إعتقاد أهل السنة .. للإمام أبي بكر بن قاسم الرحبي، ص/15
[2] () أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص/39
[3] () أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص/225

جـ : قـد قـدمنا لـك أن الإيمـان قـول وعمـل **: قول القلب واللسان** ، وعمـل القلب واللسـان والجـوارح ، فقـول القلب هـو : التصـديق ، وقـول اللسان هـو : التكلم بكلمـة الإسـلام ، وعمـل القلب هـو : النيـة والإخلاص ، وعمل الجوارح هو الانقياد بجميع الطاعات ، فإذا زالت جميع هـذه **الأربعـة قول القلب وعمله** وقول اللسان وعمل الجـوارح زال الإيمـان بالكليـة ، وإذا زال تصـديق القلب لم تنفـع البقيـة ، فـإن تصـديق القلب شـرط في اعتقادها وكونها نافعة ، وذلك كمن كذب بأسماء الله وصفاته أو بـأي شـيء مما أرسل الله به رسله وأنـزل بـه كتبـه ، وإنـزال عمـل القلب مـع اعتقـاد الصدق ، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان كلـه بزوالـه وأنـه لا ينفـع التصديق مع انتفاء عمل القلب ، وهـو محبتـه وانقيـاده كمـا لم ينفـع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون : ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به .." [1]

"س : إذا قيـل لنـا : هـل السـجود للصـنم والاسـتهانة بالكتـاب وسـب الرسول والهزل بالدين ونحو ذلك هذا كلـه من الكفـر العملي فيمـا يظهـر ، فلم كــان مخرجــا من الــدين وقــد عــرفتم الكفــر الأصــغر بــالعملي ؟

جـ : اعلم أن هـذه الأربعـة ومـا شـاكلها ليس هي من الكفـر العملي إلا من جهة كونها واقعة بعمل الجوارح فيما يظهر للناس ولكنها لا تقع إلا مع ذهاب عمل القلب من نيته وإخلاصه ومحبته وانقياده ، لا يبقى معها شيء من ذلك ، فهي وإن كانت عملية في الظاهر فإنها مستلزمة للكفر الاعتقادي ولا بد ، ولم تكن هذه لتقع إلا من منافق مارق أو معاند مارد ، وهل حمل المنافقين في غزوة تبوك على أن { قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَـا لَمْ يَنَالُوا } إلا ذلك مع قولهم لما سئلوا : { إِنَّمَا كُنَّا نَخُـوضُ وَنَلْعَبُ } . قـال الله تعالى : { قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُـولِهِ كُنْتُمْ تَسْـتَهْزِئُونَ }{ لَا تَعْتَـذِرُوا قَـدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } . ونحن لم نعرف الكفر الأصغر بـالعملي مطلقـا ، بـل بالعملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم **ينـاقض قـول القلب ولا** عمله .." [2]

"فإذا لا أثر في الخلاف في مسألة زيادته أو نقصانه على كونـه مرجئـا. فإذا قال أحد (الإيمان مـا يزيـد ولا ينقص) فـإن هـذا لا يـدل على كونـه مثلا مرجئــــا؛ لكنــــه يــــدل على أنــــه ليس من أهــــل الســــنة. إذا قال (الإيمان نقول بزيادته ونقصانه) فهذا لا يدل على أنه من أهل السنة والجماعـــــــة، بـــــــل قـــــــد يكـــــــون مرجئـــــــا. فلا ارتباط بين مسألة الزيادة والنقصان ومسائل التعريف السالفة للإيمـان. (المســـــــــــــــــــــــألة الثامنـــــــــــــــــــــــــــة:

[1] () أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص/226
[2] () أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص/234

عرف الإيمان بقوله إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وقلنا في التعريف اعتقاد بالجنان.
والفرق ما بين التصديق والاعتقاد:
أن التصديق شيء واحد؛ بمعنى أنه أمر واحد، عبادة واحدة.
وأما الاعتقاد فإنه يشمل أشياء كثيرة من أعمال القلوب.
لهذا قالت طائفة من السلف في تعريف الإيمان (الإيمان قول وعمل) وهذا دقيق لأنه **يشمل قول القلب وقول** اللسان.
(قول القلب) هو تصديقه وإخلاصه في الله ?.
(وقول اللسان) هو إعلانه الشهادة.
وعمل: يشمل عمل القلب وعمل الجوارح.
(وعمل القلب) من محبة الله ? والتوكل عليه والخوف منه ? ورجاؤه والإنابة إليه وخشية الرب ? ونحو ذلك من أعمال القلوب.
فإذا ما يتصل بالقلب من أمور الإيمان ليست شيئا واحدا، ليس هو التصديق فقط، بل ثم أشياء كثيرة في القلب، والتصديق هو أحدها.
ولهذا فإن التفاضل -الزيادة والنقصان- زيادة ونقصان باعتبار العمل الظاهر، وزيادة ونقصان باعتبار عمل القلب الباطن.
فالناس يتفاوتون في الإيمان من جهة:
1 - زيادته ونقصانه في أعمالهم الظاهرة وهي أمور الإسلام: من الصلاة والزكاة والصيام والحج والاستسلام لله ? في الأوامر والانقياد ونحو ذلك والانتهاء من المحرمات.
2 - وكذلك أعمال القلوب.
وأعمال القلوب نوعان:
* أعمال واجبة الفعل.
* وأعمال محرمة العمل أو واجبة الترك.." [1]
"فالقلب يتقلب سريعا وأكثر شيء يتقلب فيه **القلب قول القلب وعمل** القلب واعتقاد القلب؛ لأن هذه مبناها على العلم، والعلم ينفع ويذهب، فكلما ترك شيئا من العلم كلما أثر ذلك على القلب، فإذا ترك مسائل العقيدة أثر ذلك على عقيدة القلب إما أثر بنقص العلم وهذا له أثر في اليقين والاعتقاد الحق، أو أثر بوجود الشبهة مع عدم العلم أو ضعف العلم.
والشيطان أفرح ما يكون من الإنسان أن يتغير قلبه، لأنه إذا تغير قلبه فإن الجوارح تتغير كما قال ? "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"6، ففساد القلب يكون بالشبهات وبالشهوات، فإذا عرضت الشبهات وتمكنت، وسبب تمكنها نقص العلم فإن القلب يفسد، وأعظم ما تعرض الشبهات في مسائل العقيدة.
لهذا ما زال الأئمة وأهل العلم والنصحة للأمة حق النصيحة لأئمة المسلمين

[1] () إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، 30/7

ولعامتهم مازالوا يوصون بالاهتمام بالتوحيد والعقيدة؛ لأنه أقرب ما يكون تغير القلب في العقيدة لأنها تنسى، وقد تبقى المجملات لكن التفصيلات تنسى، ثم تأتي ذنوب القلب شيئا فشيئا وتقع الشبهة وتقع المرية ويقع الريب في القلب، ثم يضر الإنسان بنفسه شيئا فشيئا.
لهذا من أعظم الأدعية التي علمنا إياها ربنا ? الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم في الصلاة: ?اهدنا الصراط المستقيم?[الفاتحة:5]، والهداية للصراط طلب بأن يهدى إلى الصراط، والصراط هو الإسلام والقرآن والسنة، والإسلام والإيمان والقرآن والسنة له تفاصيل، تفاصيل مختلفة، الإسلام شيء يتعلق بالقلب وشيء يتعلق بالجوارح والعمل، والإيمان يتعلق بالقلب، والقرآن ثم أشياء كثيرة فيه آيات التوحيد وفي الغيبيات، هذه كلها عقائد والسنة كذلك.." [1]

"السؤال الثاني :
هناك من يقول : (الإيمان قول وعمل واعتقاد لكن العمل شرط كمال فيه)، ويقول أيضا : (لا كفر إلا باعتقاد) ، فهل هذا القول من أقوال أهل السنة أم لا ؟

الجواب :
ليست هذه الأقوال من أقوال أهل السنة ، أهل السنة يقولون : الإيمان هو قول باللسان وقول بالقلب وعمل بالجوارح وعمل بالقلب ، ومن أقوالهم : الإيمان قول وعمل ؛ ومن أقوالهم : الإيمان قول وعمل ونية ، فالإيمان لا بد أن يكون بهذه الأمور الأربعة :
1- قول اللسان وهو النطق باللسان .
2- قول القلب وهو الإقرار والتصديق .
3- عمل القلب وهو النية والإخلاص .
4- عمل الجوارح .
فالعمل جزء من أجزاء الإيمان الأربعة ، فلا يقال : العمل شرط كمال أو أنه لازم له فإن هذه أقوال المرجئة ، ولا نعلم لأهل السنة قولا بأن العمل شرط كمال .." [2]

"وَتَصْدِيقٌ بِالْجَنَانِ (1)

(1) - ما ذهب إليه المصنف من أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان هو مذهب عامة السلف، وهو من شعائر أهل السنة بل قد وضع الإجماع عليه كما حكاه غير واحد. فقد قال الإمام الشافعى في "الأم" وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركنا يقولون: "الإيمان قول وعمل ونية ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر" الإيمان لابن

[1] () إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، 52/8
[2] () أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر، ص/7

تيمية ص 123 وقال الإمام البخاري: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص" فتح الباري 1/47. وقد أورد اللالكائي في "شرح أصول السنة" فصلا بعنوان: سياق ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في أن الإيمان تلفظ باللسان واعتقاد في القلب وعمل بالجوارح ثم أورد عشرات الأدلة على ذلك من الآيات والأحاديث (ق 198/1). وذكر ابن جرير في عقيدته بسنده إلى الوليد بن مسلم قال: سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبد العزيز رحمهم الله ينكرون قول من يقول إن الإيمان إقرار بلا عمل ويقولون: "لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان" ص 10...المجموعة العلمية. وقال البغوي: "اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان" ثم قال أيضا: وقالوا: "إن الإيمان قول وعمل وعقيدة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية على ما نطق به القرآن في الزيادة وجاء الحديث في النقصان في وصف النساء" شرح السنة 1/38-39. وقال شارح الطحاوية: "ذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق وسائر أهل الحديث وأهل المدينة وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان" ص 274. وقال ابن تيمية: "ومن أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول **وعمل قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح" "الواسطية" المجموعة العلمية ص 62. ذهب المصنف إلى القول بزيادة الإيمان ونقصه تبعا لائمة السلف، وهذا أمر طبيعى ما داموا يقولون بدخول العمل في مفهوم الإيمان ولهذا فالإيمان يزيد بأعمال الطاعة والقول الحسن وينقصه العصيان لأن الاشتغال بالمعصية يؤدي إلى نقص الطاعة التي كان خليقا أن يفعلها مكان تلك المعصية. أما الذين يقولون بأن الإيمان تصديق قلبي فقط فإنهم يذهبون إلى أن التصديق له حقيقة واحدة وهي التصديق التام المطابق للواقع الناشيء عن دليل. وإذا نقص الإيمان عن هذه الحقيقة كان شكا أو ظنا أو وهما ومن ثم لا يذهبون إلى القول بزيادة الإيمان أو نقصه. أما ما ذكره المصنف من أن الإيمان له بداية فهو أقل ما يتحقق به من التصديق والقول والعمل وليس للإيمان كما قال نهاية ما دام باب الإحسان مفتوحا أمام الإنسان يزداد منه ويرتقي فيه قولا وعملا وقد استشهد المصنف على ما ذكره من زيادة الإيمان ونقصه بما أورده من الآيات القرآنية، والواقع أن القول بهذا هو المعروف عن السلف لدى عامة أهل العلم وبه تشهد النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة ومن ثم كان الإيمان يقبل التبعيض والتجزئة كما جاء في الحديث الصحيح (الإيمان بضع وسبعون شعبة. .) رواه البخاري 1/51 ومسلم 1/3. وسبق أن ذكرنا قول الإمام البخاري وأنه لقى أكثر من ألف عالم لا يختلفون في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. وقال الطبرى: والصواب في الإيمان قول من قال هو قول وعمل يزيد وينقص ويه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم وعليه مضى أهل الدين والفضل ص 10 المجموعة العلمية. وساق الآجري في "الشريعة" بسنده إلى أبي هريرة وابن عباس أنهما قالا: "الإيمان يزادا وينقص" وبسنده إلى عمرو بن حبيب قال: الإيمان يزيد وينقص، قيل له ما زيادته ونقصانه قال: "إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وخشيناه فذلك زيادته وإذا غفلنا وضيعنا فذلك نقصانه" ص 111.." [1]

"وقوله : (قول) **أي قول القلب واللسان** ، فقول القلب هو الاعتقاد ، وأما قول اللسان فهو التكلم بكلمتي الإسلام والإيمان .

قوله : (وعمل) العمل قسمان : عمل القلب وهو الإخلاص والنية ، وعمل الجوارح وهي الأعضاء .

وقوله : (لا يقولون) وهذه المقالة من البدع التي أحدثها أهل الكلام ، وأصلها يرجع إلى القول باللفظ بالقرآن ، فقد تقدم أن الإمام أحمد نهى أن يقال لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق ، ونهى كذلك أن يقال الإيمان مخلوق أو غير مخلوق ، فقد نقل ابن حامد أن أبا طالب نقل عن الإمام أحمد أنه يقول في الإيمان : (إن من قال مخلوق فهو جهمي ، ومن قال إنه غير مخلوق فقد ابتدع وأنه يهجر حتى يرجع) . [طبقات الحنابلة (2 / 176)] .

وقال القاضي أبو يعلى في مختصر المعتمد [ص (191)] : (واعلم أنه لا يجوز إطلاق القول في الإيمان أنه مخلوق أو غير مخلوق لأن من قال مطلقا إنه مخلوق أوهم أن كلام الله وأسماءه وصفاته مخلوقة ، ومن قال إنه غير مخلوق أوهم أن أفعال العباد قديمة غير مخلوقة) .

الخلاصة :

يؤمن أهل السنة أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق أو غير مخلوق .

المناقشة :." [2]

"الفرق بين الإسلام والإيمان

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله تعالى في بيان اعتقاد أهل السنة في بحثه في مسائل الإيمان: [وقال كثير منهم: إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموما إلى الآخر فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعا.

أو مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد بالآخر، وإن ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم.

وكثير منهم قالوا: الإسلام والإيمان واحد، فقال الله عز وجل: { ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه } [آل عمران:85]، فلو أن الإيمان غيره

[1] متن كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة، ص/176

[2] اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، ص/106

لم يقبل، وقال: { فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين } [الذاريات:35-36].

ومنهم من ذهب إلى أن الإسلام مختص بالاستسلام لله والخضوع له والانقياد لحكمه فيما هو مؤمن به، كما قال: { قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم } [الحجرات: 14]، وقال: { يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان } [الحجرات:17]، وهذا أيضا دليل لمن قال: هما واحد.

ويقولون: إن الله يخرج من النار قوما من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين برحمته، وإن الشفاعة حق، وإن الحوض حق، والميزان حق.

والحساب حق، ولا يقطعون على أحد من أهل الملة أنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار؛ لأن علم ذلك مغيب عنهم لا يدرون على ماذا يموت: أعلى الإسلام أم على الكفر؟ ولكن يقولون: إن من مات على الإسلام مجتنبا للكبائر والأهواء والآثام فهو من أهل الجنة؛ لقوله تعالى: { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية } [البينة:7]، ولم يذكر عنهم ذنبا، { جزاؤهم عند ربهم جنات عدن } [البينة:8].

ومن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بعينه بأنه من أهل الجنة وصح له ذلك عنه فإنهم يشهدون له بذلك اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصديقا لقوله].

تكلم هنا على الفرق بين الإسلام والإيمان، وقد تقدم قول أهل السنة أن الإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، وعلى هذا اتفق سلف الأمة، ولما ابتدأ البخاري كتابه بعد المقدمة بالإيمان قال: وهو قول وفعل.

ويريد بالفعل فعل القلب وفعل الجوارح، جاء بهذه العبارة من نفسه، ونقل عنه أنه لما ذكر مشايخه الذين ذكرهم في صحيحه قال: إني خرجت هذه الأحاديث عن أكثر من ثلاثمائة شيخ كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل.

ولكن اختلفوا هل الإسلام والإيمان بمعنى واحد أو بينهما فرق.

على أقوال.

فذهب كثير من العلماء إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، وأن من أطلق عليه مسلم فإنه يصدق عليه أنه مؤمن وبالعكس، ويميل إلى هذا ابن رجب في شرح الأربعين النووية في شرح حديث جبريل الذي فيه تفسير الإسلام والإيمان، أن أحدهما يفسر بما يفسر به الآخر، سواء اجتمعا أو افترقا.

وذهب آخرون إلى أنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، ومعنى ذلك أنهما إذا ذكرا جميعا فلكل واحد منهما تفسير، وإذا ذكر أحدهما أغنى عن الآخر، فيفسر الإيمان بأنه الأعمال الباطنة والإسلام بأنه الأعمال الظاهرة، وذلك بناء على الأصل، فإن أصل الإيمان هو التصديق بالقلب

الذي هو يقينه وتصديقه، وأصل الإسلام هو الإذعان والانقياد، يقال: استسلم فلان للأمير وبمعنى: انقاد له وأذعن ولم يعص ولم يتخلف ولم يتبرم.

فلذلك يقال: المسلم هو الذي استسلم لأمر الله وانقاد له، وأذعن وخضع له وتواضع، وأطاعه طوعا وكرها، أطاع الله تعالى مختارا دون أن يتردد في أمر من أمور الدين، إذا أمر بأمر بادر إليه، وإذا نهي عن شيء في الإسلام تركه وابتعد عنه، يعتقد أن ما أمر الله به فإنه عين المصلحة، وما نهى عنه فإنه عين المفسدة، متى سمع بأن لله طاعة في كذا سارع إليها وأتى إليها محبا لها مندفعا إليها اندفاعا قويا كأنه يقاد باختياره دون أن يكون مكرها، فمثل هذا يسمى مسلما، ويقال مثلا في الإبل: استسلم البعير لقائده.

أي: أذعن وانقاد له.

فمثلا: إذا رأيت اثنان يقودان جملين، أحد الجملين مطاوع لمن يقوده، عندما يقوده يتبع قائده ولا يتردد ولا يستعصي ولا يعاند، بل هو مذعن منقاد لا يلتوي ولا يمتنع، فيسمى هذا مستسلما، بينما الجمل الثاني دائما ينفر ممن يقوده ويستعصي عليه ويجر رأسه إذا قاده بخطامه، وربما تفلت من الذي يقوده وشرد وهرب منه، فيقال: هذا الجمل غير مستسلم.

وورد في ذلك حديث ولو كان ضعيفا لكنه يستشهد به: (مثل المؤمن كمثل الجمل الأنف إن قيد انقاد، وإن أنيخ ولو على صخرة استناخ)، هكذا مثل المسلم بأنه كالجمل الأنف، أي: الجمل المذلل الذي يكون بيد من يقوده، إن قاده إلى مرتفع، وإن قاده إلى منخفض، وإن قاده إلى مكان مظلم، وإن قاده إلى مكان فيه حجارة أو نحو ذلك فإنه ينقاد مع من يقوده ويستسلم ولا يستعصي أبدا، هذا حقا هو الذي يصير مثل المؤمن، إن قيد انقاد، وإن أنيخ ولو على صخرة ولو على رأس جبل استناخ، هذا تعريف الإسلام.

وفسره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بأنه الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

فالاستسلام هو ما ذكرنا، يقول الله تعالى: { وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها } [آل عمران:83] يعني: له أسلموا واستسلموا، وأنابوا وأذعنوا، فجميع المخلوقات مستسلمة له تحت تصرفه وتقديره.

فهذه حقيقة الإسلام، فعرفنا أن كلا من الإسلام والإيمان له معنى في اللغة وله معنى في الشرع، ولكن يظهر أن الشرع يستعمل الإسلام فيما يستعمل فيه الإيمان، ففي حديث جبريل المشهور فرق بينهما، قال: (فأخبرني عن الإيمان.

قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)، ففسر الإيمان بالأعمال الباطنة، وذلك دليل على أنه

هو في الأصل اليقين أو عمل القلب، وفي تعريف الإسلام (وقال: أخبرني عن الإسلام.

قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا)، ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، فالشهادتان ولو كانتا قولا لكنها ظاهرتان، فيظهر أثرهما بأن يعبد الله وحده ويطيعه، والصلاة أمر ظاهر مشاهد، والصوم كذلك أيضا أمر ظاهر مشاهد، والزكاة إيتاؤها أيضا أمر ظاهر، والحج أمر ظاهر، فهذه هي الأعمال الظاهرة، لكن جاء في حديث ابن عباس في وفد عبد القيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (آمركم بأربع: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتؤدوا الخمس من المغنم)، فجعل هذا هو الإيمان، فذكر فيه الشهادتين والصلاة والزكاة، فدل على أنه قد يفسر الإسلام بما يفسر به الإيمان، وبالعكس فإن كلا منهما يدخل في الآخر، فإذا ذكرا جميعا فالإسلام هو الأعمال الظاهرة والإيمان هو أعمال القلب، وإذا اقتصر على الإسلام فإنه يستلزم دخول أعمال القلب فيه، وإن اقتصر على الإيمان كذلك دخلت فيه الأعمال الظاهرة لأنها من تعريفه، وقد كتب فيه شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية رحمه الله، وهو أوسع من كتب فيه، فكتب فيه كتاب الإيمان الكبير، وكتاب الإيمان الأوسط، وكتاب الإيمان الصغير، ولكن كتاب الإيمان الصغير يظهر أنه ليس من كتابته، وإنما هو من كتابة بعض أصحابه اختصره من كتبه، وإذا تأملنا كتاب الإيمان الكبير ظهر لنا أنه رحمه الله كأنه لا يوافق على أن الإسلام يدخل فيه الإيمان، بل يرى أن الإسلام يختص بالأعمال الظاهرة، وأن من وصف بأنه مسلم لا يوصف بالإيمان، فهذا هو الذي يميل إليه، وقد سبقه إلى الكتابة في الإيمان علماء كثر، فمنهم: ابن أبي شيبة صاحب المصنف له رسالة في الإيمان مطبوعة، ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام ، وإن كان من علماء اللغة لكنه أيضا من علماء الشرع، له رسالة أيضا مطبوعة في الإيمان، ومنهم الإمام ابن منده واسمه: محمد بن إسحاق ، عالم مشهور، له كتاب مطبوع في ثلاثة أجزاء اسمه أيضا (الإيمان)، مما يدل على أن السلف رحمهم الله اهتموا بهذه المسألة، فكتبوا فيها وتوسعوا، فالحاصل أن الإسلام يفسر عند الإطلاق بالأعمال الظاهرة، وهي الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وتدخل فيه بقية الأعمال الظاهرة، وتكون الأركان الخمسة بمنزلة الدعائم التي يقوم عليها ولا يتم إلا بها، كما إذا فرضنا مثلا أن بيتا قائما على أربعة أركان فإننا نسمي كل ركن دعيمة، وجمعها دعائم، أي: أسس يقوم عليها ولا يتم إلا بها، فلو انهد جانب من جوانبه أصبح مفتوحا تدخله السباع والدواب، ويدخله اللصوص، ولا يصلح أن يسكن، سواء انهد الجانب الأيمن

أو الأيسر أو الأمامي أو الخلفي فلا يصلح للسكنى، فيقولون: كذلك الإسلام إذا ترك ركن من أركانه فإنه لا يتم ولا ينتفع به صاحبه، وجعلوا الركن الأساسي عمديته اللتين يعتمد عليهما، فقالوا: الشهادتان بمنزلة الأساس أو بمنزلة الأرض التي يعتمد عليها والسقف الذي يظله، فإذا عدمت الشهادتان أو إحداهما فإنه لا ينتفع به، ولا يمكن أن يكون، فالإنسان لا يبني بيتا في الهواء، لابد أن يكون البيت على قرار، ثم لو بناه ولم يسقفه بل تركه مفتوح السقف لم ينتفع به، فلابد أن يكون له أساس وهو الأرض وسقف وهو أعلاه، فجعل الشهادتين بمنزلة الأساس والسقف، وجعلت." [1]

"وسائط بينهم وبين الله ويزعمون أنها تشفع لهم فقط، ولم يكونوا يعتقدون أن الأصنام والمعبودات التي جعلوها معبودات لهم وسموها آلهة لم يكونوا يعتقدون أنها تتصرف مع الله، وإنما كانوا يقولون: إنها تشفع لنا عند الله، فهذه الشفاعة التي يزعمونها هي الشرك بعينه. و المقصود أن معنى الإسلام هو ما اقتضته شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأن قول الإنسان: أشهد أن لا إله إلا الله معناه: أن لا أعبد إلا الله. والأفعال التي يفعلها تكون تبعا للعبادة، سواء في المعاملات التي تكون في البيع والشراء، أو المعاملات التي تكون مع الناس، أو غير ذلك، أي أنه لا يجوز أن يحل حراما أو يحرم حلالا ويقول: إنني حر أتصرف كيف أشاء فإنه ليس حرا، بل هو عبد لله، يجب أن يمتثل لأمر الله جل وعلا وينقاد مطيعا خاضعا له، فإذا خرج عن ذلك فإنه يخرج عن عبادة الله إلى عبادة هواه أو الشيطان. ......

القلب أصل الإيمان والأعمال

قال الشارح رحمه الله: [وقال رحمه الله: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب، والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وفي الأصل هو من باب العمل عمل القلب والجوارح، وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب . **انتهى].**

قول القلب وعمل القلب: هو عبارة عن الأمور التي تكون في القلب من العلم والخشوع والخشية والخوف الرجاء والإنابة والاستسلام والانقياد . فهذه هي أعمال القلب، ثم تنبعث هذه على الجوارح، ويأتي العمل تبعا للقلب؛ فلهذا قال: (الأصل في القلب) يعني: أصل الإيمان في القلب. بل أصل الأعمال كلها في القلب؛ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما الأعمال بالنيات) والنية هي: عمل القلب. ......

وجوب تخيير الكفار قبل قتالهم إذا لم تكن الدعوة قد بلغتهم." [2]

"الواضحة. قال الشارح رحمه الله: [وقال مجاهد : الإيمان يزيد وينقص وهو قول وعمل. رواه ابن أبي حاتم]. يدخل في القول: قول اللسان وقول

[1] () شرح كتاب اعتقاد أهل السنة لابن جبرين، 10/2

[2] () شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان، 2/22

القلب مثل الخوف والخشية والوجل والإنابة والمحبة والرضا هذا كله من قول القلب؛ لأن القول ينقسم إلى قسمين عند أهل السنة: قول يكون باللسان، وقول يكون بالقلب وهو: عقيدته وعمله. قال الشارح رحمه الله: [وحكى الإجماع على ذلك الشافعي و أحمد و أبو عبيد وغيرهم رحمهم الله تعالى. وقوله: وعلى ربهم يتوكلون [الأنفال:2]، أي: يعتمدون عليه بقلوبهم، مفوضين إليه أمورهم فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده والمعبود وحده لا شريك له. وفي الآية وصف المؤمنين حقا بثلاثة مقامات من مقامات الإحسان وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده]. بل خمس مقامات؛ لأن تمام الآية: الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون [الأنفال:3]، فهي خمس مقامات واضحة. قال الشارح رحمه الله: وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان وحصول أعماله الباطنة والظاهرة، مثال ذلك: الصلاة، فمن أقام الصلاة وحافظ عليها وأدى الزكاة كما أمره الله استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات، وترك جميع المحرمات كما قال تعالى: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر [العنكبوت:45]]....... معنى قوله تعالى: (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)." [1]

"يفسر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى للعبادة في أول رسالته العبودية حيث قال: إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وهذا التعريف مناسب؛ لأنه أيسر في الفهم أولا, والثاني أنه قريب المأخذ من النصوص، فقال: إن العبادة اسم جامع؛ يجمع أشياء كثيرة, جامع لأي شيء ؟ لكل ما يحبه الله ويرضاه، كيف نصل إلى أن هذا العمل أو القول يحبه الله ويرضاه؟ لابد أن يكون مأمورا به، أو مخبرا عنه بأن الله جل وعلا يحبه ويرضاه. أنواعها، قال: من الأقوال والأعمال؛ فهناك قول وعمل. فإذن العبادات تنقسم إلى:

· عبادات قولية.
· وعبادات عملية.

ليس ثم قسم ثالث، إما أن تكون قولية، وإما أن تكون عملية. قال: الظاهرة والباطنة؛ قد يكون القول ظاهرا، وقد يكون باطنا، وقد يكون العمل ظاهرا، وقد يكون باطنا.

فتحصل أن أنواع العبادات هي الأقوال والأعمال التي يحبها الله ويرضاها: والقول: قد يكون باللسان، وقد يكون بالجنان.

قول اللسان أعمال كثيرة مما أمر الله جل وعلا به مثل الذكر والتلاوة، كلمة المعروف ونحو ذلك، هذه كلها من أنواع العبادات اللسانية.

قول القلب هو نيته, قصده، التبست النية على قوم فكانوا يتلفظون بها، نعم النية قول، لكنها قول القلب، إذا قصد القلب وتوجه إلى شيء كان قائلا

---

[1] () شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان، 4/308

به، ليس متكلما، لأن الكلام من صفات اللسان؛ كلام ظاهر، أما القول قد يكون ظاهرا وقد يكون باطنا.
العمل: عمل القلب وعمل الجوارح.
وهذه الأنواع التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى ممثلا بعضها من الأقوال والأعمال، بعضها ظاهر، وبعضها باطن، بعضها لساني، وبعضها قلبي، وبعضها عملي قلبي، وبعضها من عمل الجوارح.." [1]

"فأما معناه في اللغة فهو التصديق أو التصديق الجازم ، كما قال تعالى مخبرا عن قول إخوة يوسف لأبيهم ?وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين? يعني ما أنت بمصدقنا ولو كنا صادقين .
فالإيمان في اللغة هو التصديق ، آمن بفلان يعني صدقه ، آمنت لكلامك يعني صدقت لكلامك بحيث إنه لا ريب عندي فيما أقول.
أما معناه في الشرع فإن الإيمان قول وعمل : قول القلب وعمل القلب ، وكذلك قول اللسان ، وقول القلب ، وعمل الجوارح والأركان .
فإذن الإيمان في اللغة له معنى أما في الشرع فزيادة على معناه اللغوي أنه له موارد القلب والجوارح قول وعمل .
حصل هذا أهل العلم بقولهم إن الإيمان في الشرع هو القول باللسان ـ يعني بشهادة التوحيد ـ والاعتقاد بالجنان ـ الاعتقاد المفصل الذي سيأتي هنا ـ والعمل بالجوارح والأركان .
فهذا هو معنى الإيمان في النصوص وهو المراد بالايمان عند أهل السنة والجماعة .
قول القلب هو اعتقاد القلب ، الإيمان قول وعمل **، قول القلب وقول** اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح والأركان ، هذه أربعة أشياء تحتاج إلى تفصيلها .
- قول القلب هو اعتقاده ، لا بد من أن يكون ثم قول وهو اعتقاد القلب :
اعتقادات القلب هي أقواله لأنه يحدث بها نفسه قلبا فهو يقولها بقلبه ، فأقوال القلب هي الاعتقادات وهي التي ستأتي مفصلة في هذا الكتاب .
- قول اللسان بالشهادة لله بالتوحيد ، بقوله لا إله إلا الله محمد رسول الله .
- ثم عمل القلب ، عمل القلب أوله نيته وإخلاصه ، أنواع أعمال القلوب من التوكل والرجاء والرغب والرهبة والخوف والمحبة والإنابة والخشية ونحو ذلك من أنواع أعمال القلوب .
- عمل الجوارح بأنواع الأعمال مثل الصلاة والزكاة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك من الأعمال .
هذا هو الإيمان

[1] () شرح عدة متون في العقيدة، 1/47

بعضه ـ بعض هذا الإيمان ـ **هو قول القلب الذي** هو اعتقاداته وهذا هو الذي سيأتي تفصيله في هذه الأركان .." [1]

"لأنه سأل ، وهكذا من خاض في القدر فإنه يحرم العلم ومن لم يسلم فيه يحرم العلم ، قال :

ـمكلم إذ ألم به لماما كذا الخضر المكرم والوجيه الـ
فعجل صاحب السر الصراما تكدر صفو جمعهما مرارا
وقد ثنى على الخضر الملاما ففارقه الكليم كليم قلب
ـعلوم هناك بعضا أو تماما وما سبب الخلاف سوى اختلاف ال
إله مخالفا فيها الأناما فكان من اللوازم أن يكون الـ
فلا تجهل لها قدرا
يعني هذه الحكمة البليغة وهذا البيان
شكورا للذي يحيي الأناما فلا تجهل لها قدرا وخذها

فهذا باب هدى الله جل وعلا فيه أهل السنة كما هداهم في غيره ونحمد الله جل وعلا أن جعلنا منهم ونسأله لنا ولكم الثبات على القول الصالح والعمل الصالح وأن يميتنا ثابتين غير خزايا ولا مفتونين وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

حقيقة الإيمان
وحكم
مرتكب الكبيرة

ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح. وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.." [2]

"قال من أصولهم (أن الدين والإيمان قول وعمل) الدين يشمل مراتب الدين الثلاثة : الإسلام والإيمان والإحسان ، وعطف الإيمان عليه من باب عطف الخاص على العام وذلك للاهتمام به ولأن الكلام كان في الإيمان .

فالإيمان إذن قول وعمل ، فصل ذلك فقال :

(قول القلب واللسان)

القول يرجع إلى القلب وإلى اللسان ، والقلب له قول واللسان له قول :

- أما القلب فقوله اعتقاده ، لأنه باستحضار أنه ينطق في قلبه بهذه المعتقدات أو يقولها قلبا.

- واللسان بتكلمه بالشهادتين .

- وعمل القلب هو النية .

- وعمل اللسان هو ما يجب أن يتكلم به المرء في عباداته بلسانه من مثل الفاتحة والأذكار الواجبة إلى غير ذلك مما يجب .

[1] () شرح عدة متون في العقيدة، 12/30

[2] () شرح عدة متون في العقيدة، 13/119

- والجوارح عملها بما يتصل بعمل اليدين والرجلين وسائر جوارح ابن آدم أو سـائر جـوارح المكلفين .
هـذا من حيث الجملـة في صـلة هـذه الكلمـات .
فـإذن رجـع أن (القـول والعمـل والنيـة) هـو القـول والعمـل .
فإذا قلت إن الإيمان (قول وعمل) عند أهل السنة فالعمل هـو عمـل القلب واللسـان والجـوارح وعمـل القلب هـو نيتـه .
فإذن من قال هو (قول وعمل ونية) فصل العمل فأخرج عمـل القلب فنص عليـه وقـال هـو النيـة .
ومعلوم أن عمل القلب أوسع من النية يدخل فيه أنواع عبـادات كثـيرة كمـا سيأتي بيانه ، إنما أردت بذلك أن تنـوع العبـارات في هـذا راجـع إلى شـيء واحد وإنما هو تفصـيل لبعض المجملات ، فمنهم من فصـل ومنهم من قـال قـول وعمـل واكتفى بـذلك والكـل صـحيح موافـق للأدلـة .
هـذه مقدمـة لبيـان تنـوع العبـارات في الإيمـان .
والإيمان من الألفاظ التي لها استعمال في اللغة ولها استعمال في الشرع .
لهـا اسـتعمال في الكتـاب والسـنة ولهـا اسـتعمال في اللغـة .
فالإيمـان لغـة مشـتق من الأمن (أمن يـأمن أمانـا) واشـتق منـه (إيمـان) .
فالإيمـان من حيث الاشـتقاق راجـع إلى الأمن .
ومعنى الإيمان في اللغة : التصديق والاستجابة .." [1]
"إذا تبين ذلك فإن الإيمان الشرعي له صلة كما ذكرنا بالإيمان اللغوي ، والإيمان اللغوي منه العمـل ، منـه الاسـتجابة ، حـتى التصـديق لا يقـال إنـه صـدق الأمـر حـتى يمتثـل في اللغـة .
يعـني التصـديق الجـازم مـتى ؟
إذا امتثل ، ?وناديناه أن يا إبراهيم (104) قد صدقت الرؤيا? متى صار مصـدقا ؟ لمـا ?أسـلما وتلـه للجـبين? .
الإيمان عند أهل السـنة والجماعـة أخـذوا أركانـه بمـا دلت عليـه النصـوص فقالوا إن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص ، وهذه هي الجملة الـتي ذكرهـا شـيخ الإسـلام هنـا فقـال :
(من أصول أهل السـنة والجماعـة أن الـدين والإيمـان قـول **وعمل قـول القلب واللسـان**، وعمـل القلب واللسـان والجـوارح. وأن الإيمـان يزيـد بالطاعـة، وينقص بالمعصـية)
قـول وعمـل (قـول القلب واللسـان) هـذا ركن القـول .
" **قـول القلب واللسـان** :
§ **أمـا قـول القلب فهو** جملـة الاعتقـادات الـتي تكـون في القلب :
- الاعتقـاد باللـه وملائكتـه وكتبـه ورسـله
- الاعتقاد بجميع الأخبار الاعتقاد بالتزام جميع الأوامر والتزام جميع النـواهي ونعني بكلمة (التزام) أنه يعتقد أنه مخاطب بذلك غـير اعتقـاد الوجـوب ،لا ،

[1] () شرح عدة متون في العقيدة، 13/123

اعتقاد الالتزام، **قول القلب جملة** الاعتقادات .
§ قول اللسان الذي يدخله في الإسلام وهو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.
" ثم عمل القلب :
أعمال القلب كثيرة متنوعة فأول الأعمال وأعظمها النية والإخلاص .
النية والإخلاص مترادفان تارة وأحدهما يفارق الآخر تارة أخرى .
النية تارة تستعمل لتمييز العبادة عن غيرها ، وتارة تستعمل النية في إخلاص القصد ، إخلاص العمل لله .
فإذا قلنا إن عمل القلب يدخل فيه النية والإخلاص فنعني :
- بالنية تمييز العبادة عن غيرها حتى يكون يتعبد وقد ميز هذا العمل من غيره .." [1]

"ولهذا قال (ولكثرة الغلط فيها) يعني في زمانه وفي كل زمان يشبه زمانه (فنقول: لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما)، قوله (لا خلاف) يعني عند أهل السنة والجماعة لأن أهل السنة والجماعة عندهم الإيمان ثلاثة أشياء مسماه يقع على ثلاثة أشياء الاعتقاد الباطل والقول باللسان والعمل بالأركان، فالإيمان عندنا هو:
· اعتقاد بالجنان وهذه هي النون الأولى.
· والقول باللسان وهذه هي النون الثانية.
· والعمل بالأركان.
والإيمان أركانه ستة وأعظمها وأولها الإيمان بالله.
والإيمان بالله منقسم إلى ثلاثة أقسام:
· إيمان بتوحيد الله في ربوبيته.
· وإيمان بتوحيد الله في إليهته.
· وإيمان بتوحيد الله في أسمائه وصفاته.
فإن أقر بقلبه بتوحيد الربوبية والألوهية ونطق بلسانه بتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات؛ لكنه لم يعمل بتوحيد الألوهية فلا خلاف أنه فقد ركنا من أركان الإيمان، لم يعمل بالإيمان بالله؛ لأن الإيمان بالله فيه توحيد الله بالعبادة فإذا أشرك مع الله جل وعلا إلها آخر فإنه لا خلاف كما ذكر الإمام رحمه الله أنه لم يصر مسلما بإيمانه بكل الأركان إذا فقد العمل بتوحيد الإلهية، ولهذا قال فإن اختل شيء من هذا؛ يعني من هذه الثلاثة مجتمعة، أن يكون بالقلب والمقصود **به قول القلب وهو** اعتقاده.." [2]

"**وقولنا قول القلب هذا** مسماها بعض السلف سمى الإخلاص والاعتقاد قول القلب، وهذه تسمية اصطلاحية وإلا فإن القول لا ينسب للقلب لفظا، وإنما **قيل قول القلب للتقسيم** ما بين العمل والقول،

[1] () شرح عدة متون في العقيدة، 13/126
[2] () شرح عدة متون في العقيدة، 17/446

فالقول قسيم العمل، ولما كان للقلب عمل بالاتفاق سموا ما ليس من عمل القلب قول القلب، لاكتمال التقسيم، ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول في مواضع عن الإخلاص والاعتقاد يقول هو الذي يسميه بعضهم قول القلب، وهذا ظاهر المقصود أن قول الشيخ رحمه الله (لابد أن يكون بالقلب) يعني الإيمان يكون بالقلب الذي هو الإقرار بتوحيد الله جل وعلا والعلم بذلك وإخلاص الدين لله جل وعلا إخلاص الإقرار يعني أن لا يكون مقرا كحال المنافقين؛ بل أن يكون في اعتقاده مخلصا، أو كحال المستكبرين وما أشبه ذلك، واللسان يعني أن يشهد فيما دل عليه الإيمان، والشهادة عند السلف فيما فسروا به موالد الشهادة في القرآن كقوله شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولي العزم قائما بالقسط وكقوله إلا من شهد بالحق وهم يعلمون وأشباه ذلك، ففسروا الشهادة بأنها اعتقاد ونطق وإعلام وإخبار، فالشهادة ليست هي القول وحده وليست هي الاعتقاد وحده؛ بل لابد أن يعتقد وأن يقول وأن يعلم غيره بذلك إلا إذا كان ثم ما يرخص به في كتمان الإيمان في مواضع، فالشهادة تضم هذا، ولهذا صار قول اللسان هذا جزء من الإيمان، هناك اعتقاد بالجنان وقول باللسان والعمل بالأركان يعني بما دل عليه.." [1]

"الذين يقولون الإيمان اعتقاد وقول فقط، وهم مرجئة الفقهاء هؤلاء يقولون لا يخرج إلا بالاعتقاد؛ لأن العمل أصلا عندهم ليس داخل في مسمى الإيمان، فلا يخرجونه من ذلك، هذا من حيث التنظير تنظير المذهب؛ لكن من حيث الواقع فإن أشد المذاهب في التكفير بالعمليات الحنفية الذين هم مرجئة الفقهاء، فهم أشد الناس في التكفير، حتى إنهم نصوا في كتبهم و قال هذا مصيحف ارتد، ولو قال هذ مسيجد ارتد، يعني حتى في تصغير ما أوجب الله جل وعلا تعظيمه.

فالمسألة نقول أن الكفر يكون بالقول والعمل والاعتقاد هذا بالاتفاق بين أتباع الأئمة الأربعة، حتى المرجئة عندهم يخرج بذلك، وهذا ما حدا طائفة من أهل العلم أن يقولوا الخلاف مع المرجئة خلاف لفظي أو يؤول إلى أن يكون الخلاف لفظيا؛ لأنهم يجعلون العمل شرط صحة ويجعلونه يكفر إذا لم يعمل أو عمل عملا مخالفا.

هذه المسألة تكلمنا عنها مرارا لأنه ثم بعض الكتب التي شككت في هذه المسألة.

س7/ هل هناك فرق **بين قول القلب والتكلم** الذي عليه المعتزلة نرجو البيان؟

ج/ لا، الكلام الذي عليه –قصده- الأشاعرة الكلام النفسي الذي هو في **الداخل، قول القلب ذكرنا** أنه الإخلاص والاعتقاد فقط، هذا تسمية، سماها بعض السلف القرن الثاني والثالث **سموها قول القلب تقسيما** كما ذكرت لأن عمل القول معروف قالوا الأشياء التي لا تدخل في عمل

[1] () شرح عدة متون في العقيدة، 17/447

القلب أنها قول القلب، لكن الكلام الذي هو الكلام النفسي هو كل ما يجري في النفس من حديث ولم ينطق به هذا يسمونه كلام نفسي، ليس هو الإخلاص والاعتقاد كل ما يجري في النفس، إذا دوت في نفسك كلاما فيقولون هذا يسمى كلاما نفسيا قبل خروجه، فهو كلام قبل أن يخرج.
س8/ هل يجوز الجمع أكثر من نية في العمل الواحد كأن يصوم يوم الخميس الموافق للرابع عشر من الشهر بنية صيام أيام البيض صيام يوم الخميس؟." [1]

"2. والقسم الثاني: الذين يقولون إن الإيمان قول واعتقاد، ويخرجون العمل من مسمى الإيمان، فيجعلونه تابعا للإيمان، وليس منه، وليس من مسماه، يعني أن العمل ليس ركنا في الإيمان لا يقوم الإيمان إلا به، وهؤلاء يسمون مرجئة الفقهاء، كثر هذا في الحنفية لأنه قد قال به الإمام أبو حنيفة.

وطائفة أخرى خالفت، وقالت: إن الإيمان إما أن يبقى جميعه، وإما أن يذهب جميعه، فليس متفاضلا، فإذا عمل العبد بالمعصية الكبيرة فإنه يذهب جميع إيمانه. فالإيمان على حالين إما أن يبقى، وإما أن يذهب، وليس الإيمان متبعضا يزيد وينقص وقد يذهب بعضه ولا يذهب أصله، وهذا هو المعروف من قول الخوارج ومن نحى نحوهم من التكفير بالذنوب والمعاصي.

ومعتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان أنهم يقولون: إن الإيمان هو ما جمع خمسة أمور؛ يعني معتقدهم في الإيمان ما جمع خمسة أمور:
?الأول: اعتقاد القلب.
?الثاني: قول اللسان.
?الثالث: العمل؛ عمل بالأركان.
?الرابع: أن الإيمان يزيد بطاعة الرحمان.
?الخامس: أن الإيمان ينقص بمعصية الرحمان وبطاعة الشيطان.

فهذه خمسة أمور تميز بكل واحد منها أهل السنة والجماعة عمن خالفهم في هذا الأصل، وأدلة ذلك ظاهرة بينة، فهو قول وعمل. فالإيمان قول **وعمل؛ قول القلب وعمل** القلب، وقول الجوارح وعمل الجوارح:

½ وقول القلب: هو نيته وإخلاصه.
½ وعمل القلب: هو ما يقوم به من الاعتقاد.
½ وقول الجوارح: هو قول اللسان.
½ وعمل الجوارح: هو جنس الأعمال التي تعمل بها الجوارح من طاعة الله جل وعلا.

فهو قول وعمل، فمن قال من السلف إن الإيمان قول وعمل فيعني به هذه الأمور الخمسة؛ لأن قوله: قول وعمل. يشمل ذلك.

[1] () شرح عدة متون في العقيدة، 17/460

أما زيادته و نقصانه فقد دلت عليها الأدلة الكثيرة، فإذن صار عندنا مسمى للإيمان غير ما تدل عليه اللغة في الإيمان، وذلك أن الإيمان:." [1]

"فالسلف من الصحابة والتابعين والأئمة ومن بعدهم، بينوا هذا الأمر العظيم، بينوا حقيقة الإيمان، وأنه إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح.

هذه حقيقة الإيمان التي دلت عليها النصوص من كتاب الله -تعالى-، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وبينها أهل العلم من الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم: أن حقيقة **الإيمان قول القلب وإقراره** وتصديقه، وقول اللسان وهو النطق، وعمل القلب، والنية والإخلاص، وأعمال الجوارح.

حقيقة الإيمان تشمل هذه الأمور الأربعة: قول اللسان وهو النطق، لا بد أن يتلفظ المسلم بالشهادتين، لا بد أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ولا بد من قول القلب، وهو الإقرار والاعتراف والتصديق، ولا بد من عمل القلب: النية والإخلاص والصدق والمحبة والانقياد، ولا بد من عمل الجوارح: الصلاة والصيام والزكاة والحج، وبر الوالدين وصلة الرحم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والإحسان إلى الجيران، وكف المسلم نفسه عن المحرمات التي أعظمها وأغلظها وهو الشرك بالله - عز وجل- والعدوان على النفس في الدماء، والعدوان على النفس في الأموال، والعدوان على النفس في الأعراض.

يبتعد عن المحرمات تدينا وإيمانا بالله، وبما جاء عن الله، وبما جاء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ترك المحرمات، هذه هي حقيقة الإيمان التي دلت عليها النصوص، من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، كما قال كثير من السلف الإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان -أي: القلب- وعمل بالأركان وهي الجوارح.." [2]

"نعم، كتاب الإيمان لابن أبي شيبة نصوص وآثار، كتاب الإيمان لأبي عبيد أنه أوسع، وفيه تفصيل، وأما شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بين في هذا، ونقل نقولا عن علماء بأن مرجئة الفقهاء وإن كان خلافهم لفظيا، في كون مرتكب الكبيرة لا ينفى عنه الإيمان، وأن مرتكب الكبيرة عليه الوعيد، نقل نقولا في أن فتنتهم، قال عن بعض العلماء عن العلماء إن فتنتهم أشد من فتنة الأزارقة والخوارج نظرا لما يترتب عليه من الآثار التي سبق الكلام عليها. نعم.

يقول: ما الفرق **بين قول القلب وعمله** وقول اللسان وعمله؟

نعم، قول القلب: التصديق والإقرار. وعمل القلب: النية والإخلاص والصدق والمحبة. قول اللسان النطق، وقد يسمى قول اللسان عملا. نعم

[1] شرح عدة متون في العقيدة، 19/65

[2] شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/6

يقول المؤلف: -رحمه الله- لما قال: إن أهل العلم افترقوا فرقتين. يلاحظ أنه لم يذكر في مذهب السلف مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، حتى يكتمل مذهب السلف
سيأتي، سيأتي مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، سيأتي فيما بعد، نعم.
يقول: هل هناك فرق بين هاتين الكلمتين: يكمل، ويستقيم؟ يعني: الإيمان. أيش؟
يكمل ويستقيم، هل هناك فرق بين هاتين الكلمتين؟.
يكمل ويستقيم.
يستقيم، قد يقال: يستقيم الإنسان على طاعة الله. هنا يكمل إيمانه، من كمل إيمانه هو مستقيم، يعني كأن الاستقامة نتيجة لكمال الإيمان، من كمل إيمانه قد استقام على طاعة الله واستقام دينه. فمن كمل إيمانه استقام دينه، ومن استقام دينه فقد كمل إيمانه، يعني قد يقال: إن إحداهما نتيجة للأخرى. نعم.
السؤال الأخير: هذا سائل يقول: بعض المؤلفين في علوم القرآن يذكرون أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت دعوته للتوحيد فقط في مكة أما الشرائع فكانت في المدينة ما صحة هذه المقولة؟.
أيش؟ أعد.
بعض المؤلفين في علوم القرآن يذكرون أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت دعوته للتوحيد فقط في مكة أما الشرائع فكانت في المدينة ما صحة هذه المقولة؟." [1]
"والذي يزعمه أنه بالقول خاصة، يعني مرجئ المرجئ الواحد من المرجئة يزعم أن الإيمان بالقول خاصة والذي يزعم أن الإيمان بالقول خاصة يجعله مؤمنا حقا كامل الإيمان بمجرد القول، **بمجرد قول القلب وإقراره** تصديق، وإن لم يكن هناك عمل.
ويقول إن هذا معاند للكتاب، كتاب الله وسنة رسوله؛ لأن النصوص كما سمعتم واضحة، هذا الكتاب - القرآن - { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } (1) والحديث الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان .
فالذي يقول إن الإيمان هو القول خاصة، ويكون مؤمنا كامل الإيمان بمجرد القول، عاند الكتاب وعاند السنة، عاند كتاب الله وعاند السنة، وهم المرجئة -نعم- والمؤلف -رحمه الله- اشتد عليهم؛ لأن النصوص واضحة فيها، نعم.
قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات"
ومما يبين لك تفاضله في القلب قوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ } (2) ألست ترى أن هاهنا منزلا دون منزل، { اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ } (3).

[1] () شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/31

يعني يقول أن هذا مما يدل على أن الإيمان يتفاضل في القلب خلافا للمرجئة الذين يقولون: الإيمان في القلب واحد، شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، ومما يدل عليه آية الممتحنة { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ } (4) دل على أن الإيمان يتفاضل في قلوبهن.

---

(1) - سورة الأنفال آية: 2.
(2) - سورة الممتحنة آية: 10.
(3) - سورة الممتحنة آية: 10.
(4) - سورة الممتحنة آية: 10.." [1]

"" فالأمر الذي عليه أهل السنة عندنا ما مضى عليه علماؤنا، مما اقتصصنا في كتابنا هذا"، يعني مما ذكرنا في كتابنا هذا من الأدلة والنصوص. " أن الإيمان بالنية والقول والعمل " يكون كم جزءا ؟ ثلاثة أجزاء: النية والقول والعمل.
النية، يعني لا بد من النية، النية ما يكون منها الإنسان ينوي في الصلاة في الزكاة في الصوم في الحج، العبادات لا بد لها من نية إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى ولا تصح الأعمال إلا بالنية، فالنية من الإيمان، النية.
والقول، والقول يشمل قول اللسان وهو النطق، وقول القلب وهو التصديق والإقرار. والعمل يشمل عمل القلب وعمل الجوارح.
فصار الإيمان مكونا من أي شيء ؟ من النية والقول -يشمل **أمرين: قول القلب وقول** اللسان- والعمل يشمل أمرين: عمل القلب وعمل الجوارح.
يقول الإمام أبو عبيدة -رحمه الله-:
الأمر الذي عليه السنة عندنا ما مضى عليه علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا: أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا وأنه درجات بعضها فوق بعض.
خلاف المرجئة الذين يقولون شيئا واحدا المرجئة يقولون: الإيمان شيء واحد، ما فيه درجات، ولا فيه نية ولا عمل ما فيه إلا التصديق بالقلب فقط، وأنه درجات بعضها فوق بعض، إلا أن أولها وأعلاها، أول الدرجات وأعلاها ما هي ؟ كلمة التوحيد، كلمة التوحيد؛ لأنها أصل الدين وأساسها الشهادة لله، الشهادة لله تعالى بالوحدانية و لنبيه - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة.
هذا أصل الدين وأساسه، هذا أول الإيمان، أول درجات الإيمان، وأصلها وأسسها الذي تنبني عليه الأعمال، والشهادة لله تعالى بالوحدانية ولنبيه بالرسالة -أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله- هذا أولاها وأعلاها، الشهادة باللسان.." [2]

"أما الذين رأوا الإيمان قولا، يعني: **هو قول القلب وتصديقه** وإقراره بدون عمل، فإنهم ذهبوا في هذه الآيات إلى أربعة أوجه، يعني

---

[1] () شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/92
[2] () شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/98

تأولوا هذه الآيات الخمس الصريحة في أن الإيمان يزيد، تأولوها بأربعة تأويلات:
التأويل الأول: قالوا: أصل الإيمان الإقرار بجمل الفرائض، مثل: الصلاة والزكاة وغيرها، قالوا: أصل الإيمان معناه: هو أن يقر المسلم في جمل هذه الفرائض. يعني: يؤمن بها إيمانا إجمالا، يؤمن بأن الله فرض الصلاة، ويؤمن بأن الله فرض الزكاة، بأن الله قد فرض الصوم، فرض الحج. ثم بعد ذلك جاءت النصوص بتفصيل هذه النصوص المجملة ففصلت الصلاة، جاء تفصيل الصلاة بأن الصلاة المفروضة خمس صلوات في اليوم والليلة، وبأن صلاة الظهر أربع ركعات، وصلاة العصر أربع ركعات، وصلاة المغرب ثلاث ركعات.. إلى آخره، وكذلك أيضا الزكاة جاء تفصيلها ببيان نصب الزكاة واشتراط الحول للأموال، لما يشترط له الحول وهكذا. وهكذا الصوم جاء تفصيله بأنه صوم شهر رمضان، وبأنه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهكذا الحج جاء تفصيله بأنه لا يجب إلا في العمر مرة، فتأولوا الزيادة على أنها على الزيادة في الإيمان، على أن المراد تفصيل النصوص المجملة، قالوا: فالنصوص المجملة النصوص جاءت بوجوب الصوم والصلاة والزكاة والحج، فآمن بها المسلمون ثم جاء تفصيلها بعد ذلك. فالتفصيل هو الزيادة، تأولوا الزيادة على أنها تفصيل، هذا التأويل الأول.." [1]

"وأصله: تصديق القلب وإقراره وإيمانه، ثم النطق بالشهادتين شاهد على ما في القلب وينبع عما في القلب، ثم الأعمال تصدق هذا الإيمان، فالإيمان أصله التصديق والإقرار والاعتراف، الإيمان بالقلب بالتصديق والإقرار والاعتراف، وهذا أصل الإيمان، التصديق بالقلب وإقراره، ثم النطق بالشهادتين شاهد لهذا الإقرار، ثم أعمال الجوارح تصدق هذا الإيمان.
ثم قال المؤلف -رحمه الله-: "وإنما أعطى الله كل جارحةٍ عملا لم يعطه الأخرى" كل جارحة من الجوارح لها عمل تعبده الله بها: فعمل القلب الاعتقاد، وعمل اللسان القول والنطق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله وتلاوة القرآن والذكر.. إلى غير ذلك. وعمل اليد التناول، يتناول بها ويأخذ ويعطي، وعمل الرجل المشي، وكلها يجمعها اسم العمل؛ فالإيمان على هذا التناول إنما هو كله مبني على العمل، فالإيمان مبني على العمل من أوله إلى آخره، إلا أنه يتفاضل في الدرجات على ما وصفناه، فعمل القلب الاعتقاد والتصديق والإقرار، وعمل اللسان النطق، والجوارح أيضا تعمل. نعم.
تناقض قول المرجئة الإيمان قول دون عمل
وزعم من خالفنا أن القول دون العمل، فهذا عندنا متناقض؛ لأنه إذا جعله قولا فقد أقر أنه عمل، وهو لا يدري بما أعلمتك من العلة الموهومة عند

---
[1] () شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/142

العـــــــرب في تســـــــــمية أفعـــــــال الجـــــــــوارح عملا.
نعم، "وزعم من يخالفنا" وهم المرجئـة أن الإيمـان هـو القـول دون العمـل، القــول **يعــني: قــول القلب وإقــراره** وتصــديقه، زعمت المرجئــة أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره، وأن العمل لا يـدخل في مسـماه. يقـول المؤلف: -رحمه الله- هذا متناقض. متناقض لماذا؟ لأنه إذا جعلـه قـولا فقـد أقـر أنـه عمـل؛ **لأن قول القلب وإقـراره** وتصـديقه عمـل، هـذا عمـل القلب؛ وذلك أن العرب تسمي أفعال الجوارح عملا.." [1]

"نعم، يقول المؤلف -رحمه اللـه-: إنـا وجـدنا النصـوص من كتـاب اللـه وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم- وإجماع العلماء والنظر الصحيح كلهـا تدل لمذهب أهل السنة والجماعة من أن الإيمان: قـول باللسـان، وتصـديق بـالقلب، وعمـل بـالجوارح وأن أقـوال الإنسـان تسمى عملا، وكـذلك أيضـا النظر الصحيح واللغة؛ فصـارت الأدلـة الـتي تـدل على مـذهب أهـل السـنة والجماعة من أن الأعمـال داخلـة في مسـمى الإيمـان، وأن أقـوال اللسـان وأعمال القلوب وتصديق القلب، كلهـا داخلـة في مسـمى الإيمـان. دلَّ على هذا القرآن الكريم، النصوص من كتاب الله -تعالى-، والآثار من سُنَّة النبي - صلى الله عليه وسلم- وإجماع العلمـاء، والنظـر الصـحيح كلهـا تصـدِّق أهـل الســـــــــــــــــــــنة في الإيمـــــــــــــــــــــان.

" فيبقى القول الآخر -يعني قول المرجئة الذي يقـول: "الإيمـان **هو قـول القلب وتصديقه**- فأيُّ شيء يتبع بعد هـذه الحجج الأربـع؟" الحجج الأربـع التي استدل بها على أن قول اللسان يسـمى عملا: { يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ } (1) الحجج الأربعـة الأدلـة الـتي اسـتدل بها المؤلف على أن قول اللسان داخل في العمل، يقـول: فـأي شـيء يتبـع بعـــــــــــــد هـــــــــــــذه الحجج الأربـــــــــــــع؟ نعم.
مناقشـــة المؤلـــف للمرجئـــة وإلـــزامهم بإثبـــات الإيمـــان لإبليس اليـــوم

---

(1) - سورة النساء آية: 108.." [2]

"فهذا الباب عقده المؤلف -رحمه الله- لبيان الآثار الواردة عن السـلف والصـحابة والتـابعين فمن بعـدهم، في عيب المرجئـة وذمهم، والنهي عن مجالسـتهم، وهم الـذين يقولـون: إن الإيمـان قـول بلا عمـل **-أي: قـول القلب وتصديقه** وإقراره بلا عمل- وأن أعمال الجوارح وأعمـال القلـوب لا تدخل في مسمى الإيمان. ثم ذكر أثر حذيفة - رضي الله عنـه- قـال: إني أعرف أهل دينين، أو أهل ذلك الدينين في النار: قوم يقولون الإيمـان قـول، وإن زنى وإن سـرق. يعـني يقولـون: الإيمـان كامـل في القلب، ولا تضـره المعاصـــــــي، وإن زنى وإن ســـــــرق، مـــــــا يضـــــــر إيمانـــــــه.
هذا قول المرجئة يقولون: إيمان العاصي كامل مثل إيمان المطيـع، فإيمـان

---

[1] () شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/157
[2] () شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/167

الزاني والسارق مثل إيمان المطيع سواء بسواء، الإيمان قول -يعني: الإيمان كامل، قول يعني تصديق وإقرار القلب- وهو كامل في القلب وإن زنى وإن سرق.

والدين الثاني قوم يقولون: ما بال الصلوات الخمس، وإنما هما صلاتان. قال: فذكر صلاة المغرب أو العشاء، وصلاة الفجر. قال: وقال زمرة بن ربيعة يحدِّثه عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن حميد المقرائي عن حذيفة يقول: قارن حديث حذيفة هذا فإنه، قد قرن الإرجاء بمن يقول: إن الصلاة الواجبة صلاتان لا خمس صلوات.

الأثر كان فيه بعض السقط، لكن كأنه يقول إن حذيفة - رضي الله عنه- عقد مقارنة بين المرجئة -الذين يقولون: إن الإيمان قول بالقلب وتصديق بالقلب، ولا يضره، ولا ينقص الإيمان، ولو زنى و لو سرق- وبين من يقول: الصلاة الواجبة صلاتان في اليوم والليلة، لا خمس صلوات، وهي صلاة المغرب وصلاة الفجر، أو صلاة العشاء وصلاة الفجر فقط. فكونه قرن المرجئة بمن يقول إن الصلاة الواجبة صلاتان، دليل على ذم المرجئة وعيبهم، وأن مذهبهم مذهب مذموم.." [1]

"يفسر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى للعبادة في أول رسالته العبودية حيث قال: إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وهذا التعريف مناسب؛ لأنه أيسر في الفهم أولا, والثاني أنه قريب المأخذ من النصوص، فقال: إن العبادة اسم جامع؛ يجمع أشياء كثيرة, جامع لأي شيء ؟ لكل ما يحبه الله ويرضاه، كيف نصل إلى أن هذا العمل أو القول يحبه الله ويرضاه؟ لابد أن يكون مأمورا به، أو مخبَرا عنه بأن الله جل وعلا يحبه ويرضاه. أنواعها، قال: من الأقوال والأعمال؛ فهناك قول وعمل. فإذن العبادات تنقسم إلى:

* عبادات قولية.
* وعبادات عملية.

ليس ثمَّ قسم ثالث، إما أن تكون قولية، وإما أن تكون عملية. قال: الظاهرة والباطنة؛ قد يكون القول ظاهرا، وقد يكون باطنا، وقد يكون العمل ظاهرا، وقد يكون باطنا.

فتحصل أن أنواع العبادات هي الأقوال والأعمال التي يحبها الله ويرضاها: والقول: قد يكون باللسان، وقد يكون بالجنان.

قول اللسان أعمال كثيرة مما أمر الله جل وعلا به مثل الذكر والتلاوة، كلمة المعروف ونحو ذلك، هذه كلها من أنواع العبادات اللسانية.

قول القلب هو نيته, قصده، التبست النية على قوم فكانوا يتلفظون بها، نعم النية قول، لكنها قول القلب، إذا قصد القلب وتوجه إلى شيء كان قائلا به، ليس متكلما، لأن الكلام من صفات اللسان؛ كلام ظاهر، أما القول قد يكون ظاهرا وقد يكون باطنا.

1() شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/197

العمـــــــــــــل: عمـــــــــــــل القلب وعمــــــــــــل الجــــــــــــوارح.
وهذه الأنواع التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى ممثلا بعضها من الأقوال والأعمال، بعضها ظاهر، وبعضها باطن، بعضها لساني، وبعضها قلبي، وبعضها عملي قلبي، وبعضها من عمل الجوارح.." [1]

"ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح . وأن الإيمان بزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي . كما قال سبحانه في آية القصاص : { فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ } [الآية (178) من سورة البقرة] . وقال : { وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ } الآيتان (9، 10) من سورة الحجرات . ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية . ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة . بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى : { فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ } الآية (92) من سورة النساء . وقد لا دخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) الآية (2) من سورة الأنفال . وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) [رواه البخاري (2475) ومسلم (57) عن أبي هريرة] . ونقول هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم .
الشرح :." [2]

"قوله : (ومن أصول أهل السنة والجماعة) أي : القواعد التي بنيت عليها عقيدتهم (أن الدين) هو لغة : الذل والانقياد . وشرعًا : هو ما أمر الله به (والإيمان) لغة : التصديق (1) ، وشرعًا : هو ما ذكره الشيخ بقوله : (قول وعمل **: قول القلب واللسان** . وعمل القلب واللسان والجوارح) هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة : أنه قول وعمل . فالقول قسمان **: قول القلب وهو** الاعتقاد، وقول اللسان هو التكلم بكلمة الإسلام . والعمل قسان : عمل القلب وهو نية وإخلاص . وعمل الجوارح ــ أي : الأعضاء ــ كالصلاة والحج والجهاد . والفرق بين أقوال القلب وأعماله : أن أقواله هي العقائد التي يعتبر فها

[1] شرح ثلاثة الأصول - آل الشيخ، ص/47
[2] شرح العقيدة الواسطية للفوزان، ص/134

ويعتقدها، وأما أعمال القلب فهي حركته التي يحبها الله ورسوله، وهي محبة الخير وإرادته الجازمة وكراهية الشر والعزم على تركه . وأعمال القلب تنشأ عنها أعمال الجوارح وأقوال اللسان . ومن ثم صارت أقوال اللسان وأعمال الجوارح من الإيمان .
أقوال الناس في تعريف الإيمان :
1 ـ عند أهل السنة والجماعة : أنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان .
2 ـ عند المرجئة : أنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان فقط .
3 ـ عند الكرامية : أنه نطق باللسان فقط .
4 ـ عند الجبرية : أنه الاعتراف بالقلب أو مجرد المعرفة في القلب .
5 ـ عند المعتزلة : أنه اعتقاد القلب ونطق اللسان وعمل الجوارح .
والفرق بينهم، أي : المعتزلة وبين أهل السنة أن مرتكب الكبيرة يسلب اسم الإيمان بالكلية ويخلد في النار عندهم، وعند أهل السنة لا يسلب الإيمان بالكلية بل هو مؤمن ناقص الإيمان ولا يخلد في النار إذا دخلها .
والحق ما قاله أهل السنة والجماعة لأدلة كثيرة .." [1]

"وفيه من الفوائد: دخول أعمال القلب في الإيمان، ولهذا أحد تعاريف الإيمان أنه قول وعمل... إلخ، فهذا **من قول القلب** ؛ علمه وإقراره أن الله معك حيثما كنت ؛ ثم ما دل عليه من كونه أفضل الإيمان لكونه يكسب مقام الإحسان، فإن الدين مراتب ثلاث أعلاه الإحسان، كما في حديث جبريل، والإحسان كما وضحه النبي - صلى الله عليه وسلم - : «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك» (1)ـ .

....

وفائدة أخرى: أن التقسيم الذي في حديث جبريل يفيد أن الإحسان ليس خارجًا من الإيمان بل منه، كما أنه من الإسلام، فإذا أفرد دخل فيه الآخر، وإذا اقترنا فكلٌّ له مرتبة.

وَقَوْلُهُ - صلى الله عليه وسلم - : (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ؛ فَلاَ يَبْصُقَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَقَوْلُهُ - صلى الله عليه وسلم - : (اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ

[إثبات صفة القرب لله لا ينافي علوه وفوقيته]:

[1] () شرح العقيدة الواسطية للفوزان، ص/135

(1) رواه البخاري 1/27 رقم 50، ومسلم 1/36 رقم 8.." [1]

"وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ **وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ**، وَعَمَلُ الْقَلْبِ.

(فصل)

[ومعتقد أهل السنة والجماعة في حد الإيمان أنه قول واعتقاد وعمل يزيد وينقص]:

(ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان) الدين هو الإيمان، من عطف الصفة على الصفة، وفي ذلك مزية وهو أنه يسمى الدين ويسمى الإيمان.

ولنعرف مسألة، وهي أدلة جاءت في القرآن: { لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ } ، { فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ } هذا المعدى باللام: التصديق، وما تعدى بالباء فهو الشرعي، وبعضٌ عرفه بأنه تصديق خاص وهو ناقص.

وأهل السنة لهم عبارات في حد الإيمان نحو خمس عبارات منها: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان. وكلها ترجع إلى شيء واحد، ومن أحسنها وأجمعها وأشملها ما عرفه به شيخ الإسلام هنا.

(قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح).

[معنى قول القلب وعمله]:

(قول القلب) علمه وتصديقه وإقراره.

(وعمل القلب) عمل القلب انقياده بمقتضى ما أقر به من الأعمال القلبية، كالخشية والخضوع والرغبة والرهبة، والتوكل عليه

وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ .

ورجائه ومحبته، وأشياء غير ذلك من أعمال القلوب، فإنه أولاً يصدق ثم ينقاد لما صدق به، وكونه يصدق ولا ينقاد من الحجة عليه كما قال: { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } فلا بد من أن ينقاد ويعمل.

[الفرق بين قول اللسان وعمله]:

(و) قول (اللسان) نطقه بما يدخله في الإسلام.

(و) أما (عمله) فهو نطقه بالشيء الزائد على كلمة الإسلام من أنواع العبادة كالذكر ونحو ذلك (1) .

فدخل في ذلك فعل الواجبات والمندوبات، وترك المحرمات و المكروهات.

فقول اللسان وعمله قسمان:

[1] () شرح العقيدة الواسطية - ابن إبراهيم، ص/83

(1) (عبارة أخرى): «وعمله: انقياده».." [2]

(2) شرح العقيدة الواسطية - ابن إبراهيم، ص/136

6
من أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم للصحابة رضي الله عنهم: ... 6
مذهب الرافضة في أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ... 6
كفر الرافضة: ... 6
أهل السنة والجماعة يمتثلون ما وصفهم الله به من سلامة قلوبهم للصحابة: ... 6
أهل السنة والجماعة أشد الناس طاعة للنبي - صلى الله عليه وسلم - في محبة الصحابة: ... 6." [1]
"الأسئلة:

س: ما رأيكم في كتاب قوت القلوب لأبى طالب المكي ؟
ج: ما قرأته ولا أحكم عليه بشيء .
س: ما رأيكم في كتاب شرح العقيدة الطحاوية لمؤلف يدعى عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي الدمشقي المتوفى سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف، علما بأنه يباع في الرياض؟.
ج: ما قرأته. لكن علي بن أبي العز شارح الطحاوية هذه ذكر أن الطحاوية شرحت بشروح متعددة، وأن شراحها شرحوها على ما يتمشى مع معتقد أهل الكلام وأهل البدع، فأراد أن يشرحها على معتقد أهل السنة والجماعة. فأنسب الشروح هو هذا الشرح "شرح الطحاوية" لابن أبي العز المنتشر بين أيدي طلبة العلم، هذا الذي أنصح بقراءته وما عداه فلا ينبغي؛ فلعله من الشروح التي ذكر الشارح أنها تتمشى مع معتقد أهل البدع. وأما ما قرأت هذا الشرح الذي ذكرت. نعم.
س: باب الأفعال أوسع من باب الصفات، فهل معنى هذا أن نقف على ورود اللفظ في النص إن كان فعلا فنطلقه فعلا دون الوصفية ؟ .
ج: نعم. الأفعال لها صفة الأفعال يطلق على لفظ الفعل الخَلْق مثلا يثبت لله على ما ورد الخَلْق والتصوير والقبض والبسط والخفض والرفع كل هذه صفات أفعال على ما وردت.
{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54)} ما يشتق منها الماكر بل يقال: يمكر الله المكر اللائق به. يخادعون الله وهو خادعهم يقال: إن الله يخدع من خدعه، وهو خادع من خدعه جاء على لفظ الفعل، وعلى لفظ اسم الفاعل بالإضافة لكن ما يشتق منه اسم الخادع. وكذلك {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا (16)} وإن الله يكيد من كاد، ولا يشتق منها اسم فيقال: من أسماء الله الكائد إن فعل يأتي على لفظ الفعل . نعم.
س: بعض أهل العلم يجعل شروط لا إله الله شرطين فقط هما: العلم

---

[1] () شرح العقيدة الواسطية - ابن إبراهيم، ص/199

والإخلاص ويقـــول: مـــرد الشـــروط الســـبعة إلى هـــذين الشـــرطين.
ج: نعم هذا من باب الاختصاص؛ لأن الصدق المانع من النفـاق من الإخلاص؛ ولأن اليقين كـــــذلك ولكن عنـــــد التفصـــــيل تفصـــــيلها أولى . نعم.

س: يقرر بعض أهل العلم أن شـروط لا إلـه اللـه ثمانيـة، فمـا هـو الشـرط الثـــامن ؟ .

ج: الكفران -كما قالوا-: الكفر بما يعبد من دون الله، وهو معـروف، مـأخوذ من الشـــــــــــــــروط الأخـــــــــــــــــــــرى . نعم.

س: كيف الإجابة عن هذه الشبهة، وهى قول بعضهم: أنتم تقولون: الإيمـان قول وعمل واعتقاد، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمـه اللـه- في الأصول الثلاثـة يقـول في العلم: هـو معرفـة اللـه، فـاكتفى بالمعرفـة وهـذا مـــــــذهب باطـــــــــل، وجـــــــزاكم اللـــــــــه خـــــــيرا ؟.

ج: هذا تفسير العلم ما قال الإيمان، تفسـير العلم والمعرفـة. الإيمـان قـول وعمل واعتقاد، هذا قول أهل السنة قاطبـة، وبعضـهم يقـول: قـول وعمـل، **فالقول: قول القلب وهو** الإقرار والتصـديق، وقـول اللسـان، والعمـل عمل القلب والجوارح، أما تفسير العلم فهـذا غـير تفسـير العلم والمعرفـة، والشيخ محمد فسر العلم بالمعرفة، فتفسير العلم ما فيـه تفسـير الإيمـان، فـــــــــــالعلم غـــــــــــــــــير الإيمـــــــــــــــــان، نعم.

الســـــؤال في غـــــير محلـــــه، مـــــا فيـــــه وجـــــه مقارنـــــة. نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول السائل: إن من القواعد في الصـفات أن بـاب الأخبار أوسع من باب الصفات يعنى ذلك أنه يجـوز الإخبـار عن اللـه بشـيء لم يرد في الكتـاب والسـنة، لكن قيـده بعضـهم بقولـه ممـا ورد جنسـه في الكتاب والسنة، فهل هـذا القيـد صـحيح، وإن كـان صـحيحا فـنرجو إيضـاحه، ومن ذكـــــــــــــــــــــــــــره من أهـــــــــــــــــــــــــــل العلم ؟.

ج: هذا سبق قوله البارحة هذا من باب الخبر أوسع من بـاب الصـفات يخـبر عن الله بأنه شيء بأنه ذات وبأنه موجود . هذا من باب الخبر، ولا يقـال من أســـــــماء اللـــــــــه الـــــــــذات، من أســـــــمائه الموجـــــــــود.

وشيخ الإسلام كذلك في باب الرد على البدع، يخبر شيخ الإسـلام علـل بأنـه الصـــــــــــــــــــانع والـــــــــــــــــــذات لهـــــــــــــــــــا أصل

وذلك في ذات الإله وإن يشأ *** ....

والصانع {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} لها أصل.

والوجود كذلك له أصل. نعم.." [1]

"والإيمـــــان هـــــو الإقـــــرار باللســـــان والتصـــــديق بالجنـــــان

هذا قول الطحاوي، يقرر مذهب المرجئة، المرجئة يقولون: الإيمان لا يكـون إلا بالتصـديق بالجنـان، يعـني القلب، والإقـرار باللسـان فقـط شـيئان، أمـا أعمـال القلـوب أعمـال الجـوارح مـا تـدخل ليسـت من الإيمـان، هـذا هـو

[1] () شرح العقيدة الطحاوية - عبدالعزيز الراجحي، ص/26

المشهور عن الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- وأول من قال بالإرجاء شيخ أبي حنيفة حماد بن أبي سليمان من أهل الكوفة، هذا يسمى قول مرجئة الفقهاء.

والرواية الثانية عن الإمام أبي حنيفة أن الإيمان شيء واحد، وهو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان ركن زائد لا يستلزمه مسمى الإيمان، هذا تقرير لمذهب المرجئة، والناس اختلفوا في مسمى الإيمان اختلافا كثيرا، اختلفوا فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافا كثيرا.

وخلاصة الأقوال في هذه المسألة أنه ذهب الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد وجمهور أهل السنة والأوزاعي وإسحاق ابن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين، وهو قول الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء إلى أن الإيمان تصديق بالقلب بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، فالإيمان تصديق بالقلب ونطق باللسان وعمل بالقلب وعمل بالجوارح، أربعة أشياء.

وأحيانا يقولون: الإيمان قول وعمل الإيمان قول وعمل والقول قسمان، والعمل قسمان، الإيمان قول وعمل قول القلب، وهو النطق والإقرار قول اللسان، وهو النطق والإقرار وقول القلب، وهو التصديق قول اللسان، وهو النطق، يشهد أن لا إله إلا الله وقول القلب وهو التصديق والإقرار وعمل القلب، وهو النية والإخلاص وعمل الجوارح، لا بد منهما قول مع عمل، فهو قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ولهذا يقول العلماء: تصديق بالجنان، يعني القلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، يعني الجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، هذا هو الحق الذي تدل عليه النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي أجمع عليه الصحابة والتابعون والأئمة.

المذهب الثاني: مذهب الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- وكثير من أصحابه وحماد ابن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة ذهبوا إلى ما ذكره الطحاوي من أن الإيمان شيئان الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، كما قال المؤلف: يكون الإيمان مكون من شيئين: إقرار باللسان وتصديق بالقلب، وهذه الرواية عليها جمهور أصحاب الإمام أبي حنيفة المذهب.

الثالث: ذهب بعض أصحاب أبي حنيفة، وهي رواية عن الإمام أبي حنيفة أيضا، وإليها ذهب أبو منصور الماتريدي: أن الإيمان تصديق بالقلب فقط، تصديق بالجنان، والإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلى، بل هو شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا، ولو لم يقر بلسانه، فهو مؤمن عند الله، هكذا يقولون هذا مذهب من؟ رواية عن الإمام أبي حنيفة ومذهب أبي حنيفة ومذهب الماتريدية، يقولون: الإيمان شيء واحد، التصديق بالقلب، والإقرار باللسان هو مطلوب، لكن ليس من الإيمان شرط لإجراء أحكام الإسلام ، فإذا لم يقر بلسانه قتل، لكن إذا كان مصدق بقلبه، فهو مؤمن عند الله، ولو قتل؛ لأن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار هذا أيضا من

الإيمان مطلوب لإجراء أحكام الإسلام، ولو لم ينطق يعني بالشهادتين، وهذا باطل .
المذهب الثالث أو المذهب الرابع: ذهب الكرامية اتباع محمد بن كرام إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، مذهب الكرامية الإيمان هو النطق باللسان فقط، قالوا ولو لم يصدق بقلبه، فهو مؤمن يكفي أن يقر بلسانه، لكن إذا لم يصدق بقلبه، فإنه يكون منافقا ، فالمنافقون عند الكرامية مؤمنون كاملو الإيمان، لكن يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله، فعلى مذهب الكرامية إذا نطق بالشهادتين، وهو مكذب في الباطن يكون مؤمنا، ويخلد في النار، فيكون مخلدا في النار، وهو مؤمن على مذهب الكرامية، وهذا من أبطل الباطل، وهو ظاهر الفساد لأنه يلزم تخليد المؤمن الكامل الإيمان في النار .." [1]
"والراجح والصواب في هذه المسألة أن مسمى الإسلام ومسمى الإيمان يختلف مسماهما عند الأفراد وعند الاقتران ، فإذا قرن أحدهما بالآخر، فإنه فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة كما في حديث جبريل، وإذا أطلق أحدهما دخل فيه الآخر كما في حديث وفد عبد القيس إذا أطلق الإيمان وحده دخل فيه الأعمال الظاهرة والباطنة، وإذا أطلق الإسلام وحده شمل الأعمال الظاهرة والباطنة، وإذا اجتمعا فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة، كما حديث جبريل .
هذا هو الصواب وهو الراجح، وهذا هو التحقيق في هذه المسألة أن الدلالة تختلف بالتجريد والاقتران، ومن فهم هذا انجلت عنه إشكالات كثيرة في كثير من المواضع التي حاد عنها كثير من الطوائف، فإن الإسلام أصله هو الانقياد والطاعة والإيمان، أصله هو ما في القلب من الاعتقاد وحقيقة الفرق أن الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين دينا، إذا خضع وذل .
ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه، والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له، هكذا قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم فالإسلام في الأصل من باب العمل عمل القلب وعمل الجوارح، وأما الإيمان فأصله التصديق والإقرار، أصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب .
والأصل فيه التصديق والعمل تابع له، فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بإيمان القلب وخضوعه وفسر الإسلام بالأعمال. نعم .." [2]
"[المسألة الثامنة]:
عرَّف الإيمان بقوله إقْرارٌ باللِّسانِ، وتصديقٌ بالجَنَانِ، وقلنا في التعريف اعتقاد بالجنان.
والفرق ما بين التصديق والاعتقاد:

[1] () شرح العقيدة الطحاوية - عبدالعزيز الراجحي، ص/236
[2] () شرح العقيدة الطحاوية - عبدالعزيز الراجحي، ص/248

أنَّ التصديق شيء واحد؛ بمعنى أنَّهُ أمْرٌ واحد، عِبَادَةٌ واحدة.
وأما الاعتقاد فإنه يشمل أشياء كثيرة من أعمال القلوب.
لهذا قالت طائفة من السّلف في تعريف الإيمان (الإيمان قول وعمل) وهذا دقيق لأنه **يشمل قول القلب وقول** اللّسان.
(قول القلب) هو تصديقه وإخلاصه في الله - عز وجل -.
(وقول اللّسان) هو إعلانه الشّهادة.
وعَمَلْ: يشمل عمل القلب وعمل الجوارح.
(وعَمَلُ القلب) من محبة الله - عز وجل - والتوكل عليه والخوف منه - جل جلاله - ورجاؤه والإنابة إليه وخشية الرّب - جل جلاله - ونحو ذلك من أعمال القلوب.
فإذاً ما يتّصِلُ بالقلب من أمور الإيمان ليست شيئاً واحداً، ليس هو التصديق فقط، بل ثَمَّ أشياء كثيرة في القلب، والتصديق هو أحدها.
ولهذا فإنَّ التفاضل -الزيادة والنقصان- زيادةٌ ونقصان باعتبار العمل الظاهر، وزيادةٌ ونقصان باعتبار عمل القلب الباطن.
فالناس يتفاوتون في الإيمان من جهة:
1 - زيادته ونقصانه في أعمالهم الظاهرة وهي أمور الإسلام: من الصلاة والزكاة والصيام والحج والاستسلام لله - عز وجل - في الأوامر والانقياد ونحو ذلك والانتهاء من المحرمات.
2 - وكذلك أعمال القلوب.
وأعمال القلوب نوعان:
- أعمالٌ واجِبَةُ الفعل.
- وأعمالٌ مُحَرَّمَةُ العمل أو واجبة الترك.
@ أما واجبة الفعل مثل: محبة الله - عز وجل -، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وخشيته، والخوف منه، والطمأنينة له، ونحو ذلك من أعمال القلوب.
@ وما يجب تركه من أعمال القلوب المحرمات، محرمات أعمال القلوب التي هي الكِبْرْ والبَطَر وتزكية النفس وسوء الظن بالله - عز وجل - ونحو ذلك، هذه كلها يجب تركها.
فإذاً أعمال القلوب مشتملة على:
1 - تصديق.
2 - ومشتملة على أمور واجبٌ أن يعملها القلب، وأمور واجب أن ينتهي عنها القلب.
* وهذه كلها في الحقيقة متصلة؛ فالتصديق مُتَأَثِرٌ زيادَةً ونُقْصَاناً بأعمال القلوب.
فأعمال القلوب تؤثر على تصديقه، فأعمال القلوب الواجبة إذا زادت محبته لله - عز وجل - زاد تصديقه، إذا زادت إنابته إلى الله وزاد خشوعه وخضوعه بين يدي الله وزاد توكله على الله سبحانه وتعالى زاد تصديقه وزاد يقينه.

وكذلك إذا انتهى عن المحرمات، خضع لله - عز وجل -، لم يكن مُتَكبرا، ذليلاً لله - عز وجل -، غير مترفع على الخلق، مُحِبَاً لسلامته -سلامة قلبه-، مُبْتَعِداً عما يفسد القلب، هذه كلها مؤثرة في تصديقه.
فإذاً رجع الأمر في زيادة الإيمان وفي نقصانه إلى زيادة الإيمان في أركانه الثلاثة ونقصان الإيمان في أركانه الثلاثة.
فإذاً زيادة الإيمان (يزيد بطاعة الرحمن) يعني:
- يزيد التصديق أو الاعتقاد بطاعة الرحمن.
- يزيد الإقرار باللسان بطاعة الرحمن.
- يزيد العمل بالأركان أيضا بطاعة الرحمن.
فزيادة الإيمان راجِعَةٌ للثلاثة جميعاً.
لأنَّ الزيادة: تارةً تكون بالعمل الظاهرمثل زيادة صلاة، زيادة صدقة، زيادة بر، زيادة جهاد في سبيل الله، طلب علم ونحو ذلك، فيَرْجِعُ هذا إلى التصديِقِ وإلى الإقرار بزيادة.
فيكون تصديقه واعتقاده أكثر وأعظم وأمتن وأثبت وكذلك إقراره.
وهذا يُحِسُّهُ الإنسان من نفسه فإنه إذا زاد إيمانه زاد لَهَجُهُ بذكر به - عز وجل - تهليلاً وتسبيحاً وتحميداً وتكبيراً وتمجيداً.
المسائل كثيرة نرجئ البقية إلى موضع آتٍ إن شاء الله.." [1]
"وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ الْمُشَبِّهَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

هذه هي الجملة الأخيرة من هذه العقيدة المباركة، عقيدة أبي جعفر الطحاوي رحمه الله حيث بَيَّنَ فيها أصول الاعتقاد في الله - عز وجل - وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه، وبيَّنَ فيها تفاصيل الكلام على مسائل كثيرة تدخل تحت أركان الإيمان الستة، وذَكَرَ فيها كعادة من ألَّف في عقائد السلف ما يتصل بذلك من الكلام في الصحابة وما وقع من الفتن والكلام في من الأحق بالخلافة، والكلام في العشرة المبشرين بالجنّة، وما أشبه ذلك من المسائل المتصلة بمسائل الإيمان، وكذلك ذكر عِدَّةَ مسائل تتعلق بالقول في أهل العلم، وأننا لا نذكر أهل العلم سواءٌ أكانوا من أهل الحديث والأثر أو من أهل الفقه والنظر إلا بالخير ومن ذَكَرَهُم بغير الخير فهو على غير السبيل، وما شابه ذلك من المسائل.
وهذه المسائل التي ذَكَرَهَا حقّ، ويُقِرُّها عامَّة الأئمة إلا فيما استُثْنِي مما وافق فيه أبا حنيفة رحمه الله في بعض مسائل الإيمان ونحوه، مما لاحظنا عليه ولاحظ عليه العلماء من قبل وبعض الألفاظ التي تجنُّبُهَا أولى، كما مرّ

[1] () شرح العقيدة الطحاوية - صالح آل الشيخ، ص/408

معنـــا في مواضـــعه.
فلما ذَكَرَ ذلك كله قال (فَهَذَا دينُناً واعْتِقَادُناً ظَـاهِراً وَبَاطِنـاً. وَنَحْنُ بُـرَآءُ إلى اللـــــــــــه مِنْ كُــــــــــــلِّ مَنْ خَـــــــــــالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَـــــــــــاهُ وبَيَّنَّاهُ).
ولا شك أَنَّ أبواب الاعتقاد متعلقة بالقلب، فالقلب أشد ما يكون في التغير، وأشد ما يكون في التقلُّب، ولهذا كان من دعائه صلى اللـه عليـه وسـلم أنَّهُ كان يقـول «يـا مقلّب القلـوب صـرِّف قلوبنـا إلى طاعتـك»(1)، «يـا مقلب القلــوب ثبِّت قلــبي على دينــك»(2)، ونحـــو ذلـــك ممـــا ورد في الآثـــار.
فالقلب يَتَقَلَّبْ سريعاً وأكثر شيء يتقلَّبُ فيه **القلب قول القلب وعمل** القلب واعتقــاد القلب؛ لأنَّ هــذه مبناهــا على العلم، والعلم ينفـع ويـذهب، فكلمـا تـرك شـيئاً من العلم كلمـا أَثَّرَ ذلـك على القلب، فـإذا تـرك مسـائل العقيـدة أَثَّرَ ذلـك على عقيـدة القلب إمـا أَثَّرَ بنقص العلم وهـذا لـه أثـر في اليقين والاعتقاد الحق، أو أَثَّرَ بوجود الشبهة مع عـدم العلم أو ضـعف العلم.
والشيطان أفرح ما يكون من الإنسان أن يَتَغَيَّرَ قلبه، لأنه إذا تغير قلبـه فـإنَّ الجوارح تتغير كما قال صلى الله عليه وسلم «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كلـه ألا وهي القلب»(3)، ففساد القلب يكون بالشبهات وبالشهوات، فإذا عَرَضَت الشُـبُهَاتْ وتَمَكَّنَتْ، وسبب تمكنها نقص العلم فإنَّ القلب يفسد، وأعظم ما تعرض الشبهات في مســـــــــــــــــــــــــــــــــائل العقيـــــــــــــــــــــــــــــــــدة.
لهذا ما زال الأئمة وأهل العلم والنَّصَحَة للأمة حق النصيحة لأئمة المسـلمين ولعامّتِهِم مازالوا يوصون بالاهتمام بالتوحيد والعقيـدة؛ لأَنَّهُ أقـرب مـا يكـون تغَيُّرْ القَلب في العقيدة لأنها تُنْسَـى، وقـد تبقى المُجْمَلَات لكن التفصـيلات تُنْسَى، ثُمَّ تأتي ذنوب القلب شـيئاً فشـيئاً وتقـع الشُّـبْهَة وتقـع المِريَـة ويقـع الـــــرَّيْبْ في القلب، ثمّ يُضِـــــرُّ الإنســـــان بنفســـــه شـــــيئاً فشـــــيئا.
لهذا من أعظم الأدعية التي علمنا إياها ربنا - عز وجل - الدعاء بالهداية إلى الصراط المسـتقيم في الصـلاة: {اهْـدِنَا الصِّـرَاطَ الْمُسْـتَقِيمَ}[الفاتحـة:5]، والهدايـة للصـراط طلب بـأنْ يُهْـدَى إلى الصـراط، والصـراط هـو الإسـلام والقرآن والسنة، والإسلام والإيمان والقـرآن والسـنة لـه تفاصـيل، تفاصـيل مختلفـة، الإسـلام شـيء يتعلـق بـالقلب وشـيء يتعلّـق بـالجوارح والعمـل، والإيمان يتعلَّقْ بـالقلب، والقـرآن ثَمَّ أشـياء كثـيرة فيـه آيـات التوحيـد وفي الغيبيــــــــات، هــــــــذه كلهــــــــا عقائــــــــد والســــــــنة كــــــــذلك.

(1) مســـلم (6921)
(2) الترمـــذي (2140)
(3) سبق ذكره (345)." [1]

"قول السلف الذي حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمـة أن الإيمـان قول وعمل، وألفاظ السلف في هذا المقام مختلفة، ولكن اختلافها من باب

[1] () شرح العقيدة الطحاوية - صالح آل الشيخ، ص/744

اختلاف الألفاظ، فالذي عبر به الجماهير من أئمة السنة والحديث هو أن الإيمان قول وعمل، وعبر طائفة منهم بأن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وعبر طائفة منهم البخاري في صحيحه بأن الإيمان: (قول وفعل)، وعبر بعضهم بأن الإيمان: (قول وعمل ونية واتباع للسنة)، إلى أمثال ذلك من الجمل المأثورة عن بعض أعيان السلف. وهذه الجمل ليس بينها اختلاف عند التحقيق، بل هي جمل متفقة من حيث المعنى، وإن كان المأثور عن جماهير من السلف هو أجود التعبيرات، وهو قولهم: الإيمان قول وعمل، ومرادهم بالقول **هنا: قول القلب وقول** اللسان، ومرادهم بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح، فأما قول اللسان فبين، وأما عمل الجوارح فبين، وهي الشرائع الظاهرة كالصلاة والصوم والحج وأمثال ذلك، **وأما قول القلب** -وهو أصل الإيمان عند السلف ومبناه- فمرادهم به: تصديق القلب. وأما عمل القلب فهو: حركته بهذا التصديق في أعماله المناسبة له، كالمحبة والرضا والخوف والاستعانة إلى غير ذلك من أعمال القلوب، وعليه فأصول الإيمان على هذا الاعتبار تكون أربعة: تصديق القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح. وأما ذكره الشافعي وأمثاله -وهو الشائع في كلام أكثر المتأخرين من أهل السنة- من أنه قول وعمل واعتقاد، فإنهم يريدون بالقول: قول اللسان، ويريدون بالعمل: الأعمال الظاهرة والباطنة، ويريدون بالاعتقاد: التصديق. فالقصد أن هذه الجمل المأثورة عن السلف لا خلاف بينها في نفس الأمر.." [1]

" قوله : (والإيمان : هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم من الشرع والبيان كله حق والإيمان واحد وأهله في أصله سواء والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى)

ش : اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافا كثيرا : فذهب مالك و الشافعي و أحمد و الأوزاعي و إسحق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة رحمهم الله وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين : إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي رحمه الله : أنه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان ومنهم من يقول : إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رحمه الله ويروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط ! فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به ! وقولهم ظاهر الفساد وذهب الجهم بن صفوان وأبو الحسن الصالحي أحد رؤساء القدرية - إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب ! وهذا القول أظهر فسادا مما قبله ! فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ولم

[1] () شرح العقيدة الطحاوية، ص/174

يؤمنوا بهما ولهذا قال موسى لفرعون : { لقد علمت ما أنزل هـؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر } وقال تعالى : { وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين } وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه و سلم كما يعرفون أبناءهم ولم يكونوا مؤمنين به بـل كافرين به معادين له وكذلك أبو طالب عنده يكون مؤمنا فإنه قال :

(ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا)

(لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا)

بل إبليس يكون عند الجهم مؤمنا كامل الإيمان ! فإنه لم يجهل ربه بل هـو عـارف بـه { قـال رب فـأنظرني إلى يـوم يبعثـون } { قـال : رب بمـا أغويتـني } { قـال : فبعزتـك لأغـوينهم أجمعين } والكفـر عنـد الجهم هـو الجهل بالرب تعالى ولا أحد أجهل منـه بربـه ! فإنـه جعلـه الوجـود المطلـق وسلب عنه جميع صفاته ولا جهل أكبر من هذا فيكـون كـافرا بشـهادته على نفسه ! وبين هذه المذاهب مذاهب أخر بتفاصيل وقيود أعرضت عن ذكرهـا اختصارا ذكر هذه المذاهب أبو المعين النسفي في تبصرة الأدلة وغيره

وحاصل الكل [يرجع] إلى أن الإيمان : إما أن يكون ما يقـوم بـالقلب واللسان وسائر الجوارح كمـا ذهب إليـه جمهـور السـلف من الأئمـة الثلاثـة وغيرهم رحمهم الله كما تقدم أو بالقلب واللسان دون الجـوارح كمـا ذكـره الطحاوي عن أبي حنيفه وأصحابه رحمهم الله أو باللسان وحـده كمـا تقـدم ذكره عن الكرامية أو بـالقلب وحـده وهـو إمـا المعرفـة كمـا قالـه الجهم أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي رحمـه اللـه وفسـاد قـول الكراميـة والجهم بن صفوان ظاهر

والاختلاف الـذي بين أبي حنيفـة والأئمـة البـاقين من أهـل السـنة - اختلاف صوري فإن كون أعمال الجـوارح لازمـة لإيمـان القلب أو جـزءا من الإيمان مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمـان بـل هـو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنـه - : نـزاع لفظي لا يـترتب عليـه فساد اعتقاد والقائلون بتكفير تارك الصلاة ضموا إلى هذا الأصل أدلة أخرى وإلا فقد نفى النبي صـلى اللـه عليـه و سـلم الإيمـان عن الـزاني والسـارق وشارب الخمر والمنتهب ولم يوجب ذلـك زوال اسـم الإيمـان عنهم بالكليـة اتفاقا ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمـل وأعني بالقول : التصديق بالقلب والإقرار باللسان وهذا الذي يعـنى بـه عنـد إطلاق قـولهم : الإيمـان قـول وعمـل لكن هـذا المطلـوب من العبـاد : هـل يشمله اسم الإيمان ؟ أم الإيمان أحدهما وهو القول وحده والعمل مغاير لـه لا يشمله اسم الإيمان عند إفراده بالـذكر وإن أطلـق عليهمـا كـان مجـازا ؟ هذا محل النزاع

وقد أجمعوا على أنه لو صـدق بقلبـه وأقـر بلسـانه وامتنـع عن العمـل بجوارحه - : [أنه] عاص لله ورسوله مستحق للوعيد لكن فيمن يقول : إن الأعمال غير داخلـة في مسـمى الإيمـان من قـال : لمـا كـان الإيمـان شـيئا

واحدا فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق و عمر رضي الله عنهما ! بل قــال : كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبرائيل وميكائيـل عليهم السـلام ! ! وهـذا غلـو منه فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر ولا شـك أن البصـراء يختلفـون في قــوة البصــر وضـعفه فمنهم الأخفش والأعشــى و [من] يــرى الخــط الثخين دون الدقيق إلا بزجاجة ونحوها ومن يرى عن قرب زائد على العـادة وآخر بضده

ولهذا - والله أعلم - قال الشـيخ رحمـه اللـه : وأهلـه في أصـله سـواء يشير إلى أن التساوي إنما هو في أصله ولا يلزم منه التساوي من كل وجـه بل تفاوت [درجات] نور لا إله إلا اللـه في قلـوب أهلهـا لا يحصـيها إلا اللـه تعالى : فمن الناس من نور [لا إله إلا الله] في قلبه كالشـمس ومنهم من نورها في قلبـه كـالكوكب الـدري وآخـر كالمشـعل العظيم وآخـر كالسـراج المضيىء وآخر كالسراج الضعيف ولهذا تظهر الأنوار يـوم القيامـة بأيمـانهم وبين أيـديهم على هـذا المقـدار بحسـب مـا في قلـوبهم من نـور الإيمـان والتوحيد علما وعملا وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته بحيث إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شـهوة ولا شبهة ولا ذنبا إلا أحرقه وهذه حـال الصـادق في توحيـده فسـماء إيمانـه قـد حرس بالرجوم من كل سـارق ومن عـرف هـذا عـرف معـنى [قـول النـبي صلى الله عليه و سـلم : إن اللـه حـرم على النـار من قـال : لا إلـه إلا اللـه يبتغي بذلك وجه الله] [وقوله : لا يدخل النار من قال لا إله إلا اللـه] ومـا جاء من هذا النوع من الأحـاديث الـتي أشـكلت على كثـير من النـاس حـتى ظنها بعضهم منسوخة وظنهـا بعضـهم قبـل ورود الأوامـر والنـواهي وحملهـا بعضهم على نار المشركين والكفار وأول بعضهم الدخول بالخلود ونحو ذلك والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقـط فـإن هـذا من المعلـوم بالاضـطرار من دين الإسـلام فـإن المنـافقين يقولونها بألسـنتهم وهم تحت الجاحـدين في الـدرك الأسـفل من النـار فـإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنمـا تتفاضـل بتفاضـل مـا في القلـوب وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلا كـل سجل منها مد البصر فتثقل البطاقـة وتطيش السـجلات فلا يعـذب صـاحبها ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار وتأمل مـا قام بقلب قاتل المائة من حقائق الإيمان الـتي لم تشـغله عنـد السـياق عن السير إلى القرية وحملته وهـو في تلـك الحـال أن جعـل ينـوء بصـدره وهـو يعالج سكرات الموت وتأمـل مـا قـام بقلب البغي من الإيمـان حيث نـزعت موقها وسقت الكلب من الركيـة فغفـر لهـا وهكـذا العقـل أيضـا فإنـه يقبـل التفاضـل وأهلـه في أصـله سـواء مسـتوون في أنهم عقلاء غـير مجـانين وبعضـهم أعقـل من بعض وكـذلك الإيجـاب والتحـريم فيكـون إيجـاب دون إيجاب وتحريم دون تحريم هذا هو الصحيح وإن كان بعضـهم قـد طـرد ذلـك في العقل والوجوب

وأما زيادة الإيمان من جهة الإجمال والتفصيل - : فمعلـوم أنـه لا يجب في أول الأمر مـا وجب بعـد نـزول القـرآن كلـه ولا يجب على كـل أحـد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خـبره كمـا في حق النجاشي وأمثاله وأما الزيادة بالعمل والتصديق المستلزم لعمـل القلب والجـوارح - : [فهـو] أكمـل من التصـديق الـذي لا يسـتلزمه فـالعلم الـذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل بـه فـإذا لم يحصـل اللازم دل على ضعف الملزوم ولهذا [قال النبي صلي الله عليه و سلم : ليس المخبر كالمعاين] وموسى عليه السلام لما أخـبر أن قومـه عبـدوا العجـل لم يلـق الألواح فلما رآهم قد عبدوه ألقاها وليس ذلـك لشـك موسـى في خـبر اللـه لكن المخبر وإن جزم بصدق المخبر فقد لا يتصور [المخـبر بـه نفسـه كمـا يتصوره] إذا عاينه كما قال إبراهيم الخليـل صـلوات اللـه على نبينـا محمـد وعليه : { رب أرني كيف تحيي الموتى قـال : أولم تـؤمن قـال : بلى ولكن ليطمئن قلبي } وأيضا : فمن وجب عليه الحج والزكاة مثلا يجب عليه [من] الإيمان أن يعلم ما أمر بـه ويـؤمن بـأن اللـه أوجب عليـه مـا لا يجب على غيره [الإيمان به] إلا مجملا وهذا يجب عليه فيه الإيمـان المفصـل وكـذلك الرجل أول ما يسلم إنما يجب عليه الإقرار المجمل ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبهـا ويؤديهـا فلم يتسـاو النـاس فيمـا أمـروا بـه من الإيمـان ولا شـك أن من قـال بقلبـه التصـديق الجـازم الـذي لا يقـوى على معارضته شـهوة ولا شـبهة - : لا تقـع معـه معصـية ولـولا مـا حصـل لـه من الشهوة والشبهة أو إحداهما لمـا عصـى بـل يشـتغل قلبـه ذلـك الـوقت بمـا يواقعه من المعصـية فيغيب عنـه التصـديق والوعيـد فيعصـي ولهـذا - واللـه أعلم - [قـال صـلى اللـه عليـه و سـلم : لا يـزني الـزاني حين يـزني وهـو مؤمن] الحديث فهو حين يـزني يغيب عنـه تصـديقه بحرمـة الزنـا وإن بقي أصل التصديق في قلبه ثم يعـاوده فـإن المتقين كمـا وصـفهم اللـه بقولـه : { إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون } قال ليث عن مجاهد : هو الرجل يهم بالـذنب فيـذكر اللـه فيدعـه والشـهوة والغضـب مبـدأ السـيئات [فـإذا أبصـر رجـع ثم قـال تعـالى : { وإخـوانهم يمـــدونهم في الغي ثم لا يقصـــرون } أي : وإخـــوان الشـــياطين تمـــدهم الشـياطين في الغي ثم لا يقصـرون قـال ابن عبـاس : لا الإنس تقصـر عن السـيئات] ولا الشـياطين تمسـك عنهم فـإذا لم يبصـر بقي قلبـه في عمى والشيطان يمده في غيه وإن كان التصديق في قلبه لم يكـذب فـذلك النـور والإبصار وتلك الخشية والخوف تخرج من قلبه وهذا كما أن الإنسـان يغمض عينه فلا يرى وإن لم يكن أعمى فكذلك القلب بما يغشـاه من رين الـذنوب لا يبصر الحق وإن لم يكن أعمى كعمى الكافر [وجاء هذا المعـنى مرفوعـا إلى النبي صلى الله عليه و سلم : أنه قال : إذا زنا العبـد نـزع منـه الإيمـان فإذا تاب أعيد إليه]

إذا كان النزاع في هذه المسألة بين أهل السنة نزاعا لفظيا فلا محذور فيه سوى ما يحصل من عدوان إحدى الطائفتين على الأخرى والإفتراق بسبب ذلك وأن يصير ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام المذموم من أهل الإرجاء ونحوهم وإلى ظهور الفسق والمعاصي بأن يقول : أنا مؤمن مسلم حقا كامل الإيمان والإسلام ولي من أولياء الله ! فلا يبالي بما يكون منه من المعاصي وبهذا المعنى قالت المرجئة : لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله ! وهذا باطل قطعا فالإمام أبو حنيفة رضي الله عنه نظر إلى حقيقة الإيمان لغة مع أدلة من كلام الشارع وبقية الأئمة رحمهم الله نظروا إلى حقيقته في عرف الشارع فإن الشارع ضم إلى التصديق أوصافا وشرائط كما في الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك

فمن أدلة الأصحاب لأبي حنيفة رحمه الله : أن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق قال تعالى خبرا عن إخوة يوسف : { وما أنت بمؤمن لنا } أي بمصدق لنا ومنهم من ادعى إجماع أهل اللغة على ذلك ثم هذا المعنى اللغوي وهو التصديق بالقلب هو الواجب على العبد حقا لله وهو أن يصدق الرسول صلى الله عليه و سلم فيما جاء به من عند الله فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى والإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا هذا على أحد القولين كما تقدم ولأنه ضد الكفر وهو التكذيب والجحود وهما يكونان بالقلب فكذا ما يضادهما وقوله : { إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان } يدل على أن القلب هو موضع الإيمان لا اللسان ولأنه لو كان مركبا من قول وعمل لزال كله بزوال جزئه ولأن العمل قد عطف على الإيمان والعطف يقتضي المغايرة قال تعالى : { آمنوا وعملوا الصالحات } وغيرها في مواضع من القرآن

وقد اعترض على استدلالهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق - بمنع الترادف بين التصديق والإيمان وهب أن الأمر يصح في موضع فلم قلتم إنه يوجب الترادف مطلقا ؟ وكذلك اعترض على دعوى الترادف بين الإسلام والإيمان ومما يدل على عدم الترادف : أنه يقال للمخبر إذا صدق : صدقه ولا يقال آمنه ولا آمن به بل يقال : آمن له كما قال تعالى : { فآمن له لوط } { فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف } وقال تعالى : { يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين } ففرق بين المعدى بالباء والمعدى باللام فالأول يقال للمخبر به والثاني للمخبر ولا يرد كونه يجوز أن يقال : ما أنت بمصدق لنا لأن دخول اللام لتقوية العامل [كما إذا تقدم المعمول أو كان العامل] إسم فاعل أو مصدرا على ما عرف في موضعه فالحاصل أنه لا يقال : قد آمنته ولا صدقت له إنما يقال آمنت له كما يقال : أقررت له فكان تفسيره بأقررت - أقرب من تفسيره بصدقت مع الفرق بينهما لأن الفرق بينهما ثابت في المعنى فإن كل مخبر عن مشاهد أو غيب يقال له في اللغة : صدقت كما يقال له : كذبت فمن قال : السماء فوقنا قيل له :

صدقت وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن الغـائب فيقـال لمن قال : طلعت الشمس - : صدقناه ولا يقال : آمنا لـه فـإن فيـه أصـل معـنى الأمن و الإئتمان إنما يكون في الخـبر عن الغـائب فـالأمر الغـائب هـو الـذي يؤتمن عليه المخبر ولهذا لم يأت في القـرآن وغـيره لفـظ آمن لـه - إلا في هـذا النـوع ولأنـه لم يقابـل لفـظ الإيمـان قـط بالتكـذيب كمـا يقابـل لفـظ التصديق وإنما يقابل بالكفر والكفر لا يختص بالتكذيب بل لو قال : أنـا أعلم أنك صادق ولكن لا أتبعك بل أعاديك وأبغضك وأخالفك - : لكان كفرا أعظم فعلم أن الايمان ليس التصديق فقط ولا الكفـر التكـذيب فقـط بـل إذا كـان الكفر يكون تكذيبا ويكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب فكـذلك الإيمـان يكـون تصـديقا وموافقـة وانقيـادا ولا يكفي مجـرد التصـديق فيكـون الإسـلام جـزء مسمى الإيمان ولو سلم الترادف فالتصديق يكـون بالأفعـال أيضـا كمـا ثبت في الصحيح [عن النبي صلى الله عليـه و سـلم أنـه قـال : العينـان تزنيـان وزناهما النظر والأذن تزني وزناها السمع] إلى أن قـال : [والفـرج يصـدق ذلك ويكذبه] وقال الحسن البصري رحمه اللـه : ليس الإيمـان بـالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في الصدور وصدقته الأعمـال ولـو كـان تصـديقا فهـو تصديق مخصوص كما في الصلاة ونحوها كما قد تقدم وليس هذا نقلا للفـظ ولا تغييرا له فإن الله لم يأمرنا بإيمان مطلق بل بإيمان خاص وصـفه وبينـه فالتصديق الذي هو الإيمان أدنى أحواله أن يكـون نوعـا من التصـديق العـام فلا يكون مطابقا له في العموم والخصوص من غـير تغـير اللسـان ولا قلبـه بـل يكـون الإيمـان في كلام الشـارع مؤلفـا من العـام والخـاص كالإنسـان الموصوف بأنه حيوان ناطق ولأن التصديق التام القائم بالقلب مستلزم لمـا وجب من أعمال القلب والجوارح فإن هذه من لوازم الإيمـان التـام وانتفـاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم ونقول : إن هـذه لـوازم تـدخل في مسـمى اللفظ تارة وتخرج عنه أخرى أو إن اللفـظ بـاق على معنـاه في اللغـة ولئن الشارع زاد فيه أحكامـا أو أن يكـون الشـارع اسـتعمله في معنـاه المجـازي فهو حقيقة شرعية مجاز لغوي أو أن يكون قد نقلـه الشـارع وهـذه الأقـوال لمن سلك هذا الطريق

وقالوا : إن الرسول قد وافقنا على معاني الإيمـان وعلمنـا من مـراده علما ضروريا أن من قيل إنـه صـدق ولم يتكلم بلسـانه بالإيمـان مـع قدرتـه على ذلك ولا صلى ولا صام ولا أحب اللـه ورسـوله ولا خـاف اللـه بـل كـان مبغضا للرسول معاديا له يقاتله - : أن هذا ليس بمؤمن كما علمنـا أنـه رتب الفوز والفلاح على التكلم بالشهادتين مع الإخلاص والعمل بمقتضاهما فقد [قال صلى الله عليه و سلم : الإيمان بضع وسـبعون شـعبة أعلاهـا قـول : لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق] [وقال أيضا صلى الله عليه و سلم : الحياء شـعبة من الإيمـان] [وقـال ايضـا صـلى اللـه عليـه و سـلم : أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا]

[وقال أيضا صلى الله عليه و سلم : البذاذة من الايمان] فإذا كان الإيمان أصلا له شعب متعددة وكل شعبة منها تسمى : إيمانا فالصلاة من الإيمان وكذلك الزكاة والصوم والحج والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من اللة والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق فإنه من شعب الايمان وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها [إجماعا] كشعبة الشهادتين ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعا كترك إماطة الأذى على الطريق وبينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيما منها ما يقرب من شعبة الشهادة ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى وكما أن شعب الإيمان إيمان فكذا شعب الكفر كفر فالحكم بما أنزل الله - مثلا من شعب الإيمان والحكم بغير ما أنزل الله كفر وقد [قال صلى الله عليه و سلم : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان] رواه مسلم وفي لفظ : [ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل] [وروى الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله - : فقد استكمل الإيمان] ومعناه - والله أعلم - أن الحب والبغض أصل حركة القلب وبذل المال ومنعه هو كمال ذلك فإن المال آخر المتعلقات بالنفس والبدن متوسط بين القلب والمال فمن كان أول أمره وآخره كله لله كان الله إلهه في كل شيء فلم يكن فيه شيء من الشرك وهو إرادة غير الله وقصده ورجاؤه فيكون مستكملا الإيمان إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل

وسيأتي في كلام الشيخ رحمه الله في شأن الصحابة رضي الله عنهم : وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان فسمى حب الصحابة إيمانا وبغضهم كفرا

وما أعجب ما أجاب به أبو المعين النسفي وغيره عن استدلالتهم بحديث شعب الإيمان المذكور وهو : أن الراوي قال : بضع وستون أو بضع وسبعون فقد شهد الراوي بفعله نفسه حيث شك فقال : بضع وستون أو بضع وسبعون ولا يظن برسول الله صلى الله عليه و سلم الشك في ذلك ! وأن هذا الحديث مخالف للكتاب

فطعن فيه بغفلة الراوي ومخالفته الكتاب فانظر إلى هذا الطعن ما أعجبه ! فإن تردد الراوي بين الستين والسبعين لا يلزم منه عدم ضبطه مع أن البخاري رحمه الله إنما رواه : بضع وستون من غير شك وأما الطعن بمخالفة الكتاب فأين في الكتاب ما يدل على خلافه ؟ ! وإنما فيه ما يدل على وفاقه وإنما هذا الطعن من ثمرة شؤم التقليد والتعصب

وقالوا أيضا : وهنا أصل آخر وهو : أن القول قسمان **: قول القلب وهو** الإعتقاد وقون اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام والعمل قسمان : عمل القلب وهو نيته وإخلاصه وعمل الجوارح فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله وإذا زال تصديق القلب لم ينفع بقية الأخر فإن تصديق

القلب شرط في اعتبارها وكونها نافعة وإذا بقي تصديق القلب وزال الباقي فهذا موضع المعركة ! !

ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب إذا لو أطاع القلب وانقاد لأطاعت الجوارح وانقادت ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة [قال صلى الله عليه و سلم : إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب] فمن صلح قلبه صلح جسده قطعا بخلاف العكس وأما كونه يلزم من زوال جزئه زوال كله فإن أريد أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت فمسلم ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء فيزول عنه الكمال فقط ." [1]

"والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان بلقاء الله ـ تعالى ـ يشير إلى الإيمان بالبعث وما بعد البعث؛ كلُّ ذلك من قول القلب؛ أن يعتقد الإنسان بقلبه صحّة ما أخبر الله عن نفسه أو أخبره عنه رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله، واعتقاد أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ فعّال لما يريد، والحكمة؛ والإيمان بالملائكة وما بعد الملائكة ـ كما تعلمون ــ، والإيمان بالبعث وما يترتّب على ذلك . هذا **يسمى قول القلب** .

((وقول اللسان)) . وأما قول اللسان : ((الإخبار عنه بذلك)) أن تتحدّث وتُخبِر بأن الله له الأسماء الحسنى والصفات العلى وأنه فعّال لِمَا يريد، أن تتكلّم وتتحدّث بذلك وتُخبر الناس .

((والدعاء إليه)) والدعاء إلى ذلك : الدعاء **إلى قول القلب على** التفصيل الذي تقدّم .

((والذَبُّ عنه)) أي : رد الشبه عن أسماء الله ــ تعالى ــ وصفاته وأفعاله والإيمان بالملائكة والإيمان بلقائه .

((وتبيين بُطلان البدع المخالفة له)) . الدعوة والدفاع وتبيين البدع المخالفة له . هذا قولُ اللسان ــ أو وظيفة اللسان ــ .

((والقيام بذكره ـ تعالى ـ)) . ذكر اللسان كتلاوة القرآن والأذكار المأثورة .

((وتبليغ أمره)) الأمر والنهي والنصح والإرشاد . هذه وظائف اللسان؛ ويسمى في اصطلاحه (قول اللسان)؛ هذه قاعدة من القواعد ــ أو قسم من أقسام العبادة، وإنْ شئت قسم من أقسام الإيمان ــ .

((."[2]

"وعمل القلب)) الجوارح ((كالمحبة له، والتوكُّل عليه ...)) إلى آخره؛ فرِّق بين عمل القلب وقول القلب؛ إذًا **: قول القلب** : الاعتقاد ـ على هذا الاصطلاح ـ اعتقاد ما تقدّم شرحه، وعمل القلب : عملٌ اعتقاديٌّ يقوم بالقلب؛ هو عمل؛ التفريق **بين قول القلب وبين** عمل القلب مجرّد

[1] () شرح العقيدة الطحاوية، ص/331

[2] () شرح تجريد التوحيد، ص/189

اصطلاح؛ لذلك بعضهم يجعله شيئًا واحدًا، يتبيّن لكم هـذا من بحث الإيمـان؛ الإيمان : قولٌ وعمل، عند تفصيل (قـول وعمـل) يختلفـون هـذا الاختلاف منهم من يفصِّل هـذا التفصـيل، ومنهم من يجعـل ثلاثـة .
((وعمل القلب كالمحبة)) محبة الله ـ تعالى ـ، ((والتوكُّل عليه، والإنابة إليه، والخوف)) منه، ((والرجاء، والإخلاص، والصبر على أوامره ونواهيـه))، كـذلك الصبر على طاعته، والصبر عن معصيته، والصبر على المكاره ((وإقراره)) ـ تعـالى ـ، أي : الإيمـان بوجـوده وجـودًا حقيقيًّا، ((والرضـا بـه)) ربًّا، ((و)) الرضى ((له)) أي : لأجله، ((و)) الرضى ((عنه)) { رضي اللـه عنهم ورضـوا عنه } ، ((والموالاة فيه)) في اللـه، ((والمعـادات فيـه)) . هـذا هـو العنـوان الذي كنا نتحدّث عنه يُعتبر قاعدة من قواعد الإيمان ــ أو قاعـدة من قواعـد العبادة، أو قسمًا من أقسـام العبـادة ــ : المـوالاة في اللـه والمعـادات في اللـه؛ أن تحب الشـخص وتواليـه، لا تحبـه إلا للـه وفي اللـه، وأن تعاديـه لا تعاديـه إلا في اللـه، لا لهـوىً في النفس أو لأيِّ غـرض آخـر .
((والإخبـات إليـه)) الخضـوع والتـذلّل للـه ـــ سـبحانه وتعـالى ـــ .
((والطمأنينة)) عدم الشك في هذه المعاني كلها : في وجود الرب ـ سبحانه وتعالى ـ بأسمائه وصفاته وجميع ما يجب الإيمان به؛ الطمأنينة المـراد بهـا : اليقين، أن يصل إيمانـك إلى درجـة اليقين، من فقـد اليقين في إيمانـه فهـو مضطّرب، تجده يتقلّب، لكن من رزقـه اليقين والطمأنينـة في إيمانـه مهمـا تقلّبت الدنيا وتقلّبت الأحوال واختلفت النـاس ومهمـا أوذيَ لا يبـالي؛ اليقين والطمأنينـة النهايـة في الإيمـان . ((."[1]

"ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلـق ونحـو ذلـك)) . الإحسـان إلى الخلق قـد يكـون إحسـانًا ماديًّا كـأن تحسـن إليهم بمالـك، أو إحسـانًا معنويًّا تحسن إليهم بعلمك وحسن المعاملة، ولو تَبُشُّ في وجه أخيك المسلم، كـلُّ هـذا من الإحسـان؛ الإحسـان كثـير، أنـواع .
قال المؤلِّف ــ رحمـه اللـه تعـالى ــ : ((فقـول العبـد في صـلواته : { إيـاك نعبـد } الـتزام أحكـام هـذه الأربعـة وإقـرارٌ بهـا)) . **التزام قـول القلب وعمل** القلب وقول اللسـان وعمـل الجـوارح؛ { إيـاك } وحـدك { نعبـد } بهـذه العبـادات الـتي تقـدّم شـرحها، الـتزامٌ بـذلك .
((وقوله : { وإياك نستعين } طلب الإعانة عليها)) على هذه القواعـد وعلى هذه العبادات، ((و)) طلب ((التوفيق لها)) اعترافًا من العبد بأنه لا يسـتطيع أن يعمـل ويعبـد اللـه لا بلسـانه ولا بقلبـه ولا بجوارحـه إلا بتوفيـق من اللـه وإعانـة .
هذا الكلام الذي تقدّم كله في تحقيق : { إياك نعبـد وإيـاك نسـتعين } ؛ من فهم مقـام { إياك نعبد وإياك نستعين } وتدبّر ونظر في كلام أهل العلم الذين يحلّلـون

[1] () شرح تجريد التوحيد، ص/190

هذا المعنى يُدرك أنّ العبادات كلها راجعة إلى هاتين الجملتين : { إياك نعبد وإيـاك نسـتعين } : إخلاص العبـادة للـه ــ تعـالى ــ في { إيـاك نعبـد } ، والاعتراف بالعجز وعدم الحوْل والقوة وطلب الاستعانة من الله في عبادته وفي كـل شـيء .
((وقوله : { اهدنا الصراط المستقيم } متضمِّنٌ للأمرين)) متضـمِّنٌ لالـتزام أحكام تلك العبادة والإقرار بها، ومتضمِّنٌ لطلب العون والاستعانة من الله .
((على التفصـيل الـذي تقـدم)) على الـتزام العبـادة، على طلب العـون .
((وإلهام القيام بهما)) إلهام القيام بالتزام العبادة وبـالتزام طلب العـون من اللـه تعـالى .
((."[1]

"و في " الصحيحين " عن أبي هريرة أن رسول الله صلى اللـه عليـه و سلم سُئل : أي العمل أفضل ؟ فقال (إيمـان باللـه و رسـوله) ، قيـل : ثم ماذا ؟ قال (الجهاد في سبيل الله) قيـل : ثم مـاذا ؟ قـال (حج مـبرور) .

و في " صحيح مسلم " عن أبي سعيد الخـدري قـال : سـمعت رسـول اللـه صلى الله عليه و سلم يقول : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يسـتطع فبلسـانه ، فـإن لم يسـتطع فبقلبـه ، و ذلـك أضـعف الإيمـان) .
و قد استفاض عن أهئمة أهل السنة – مثـل : مالـك بن أنس ، و الأوزاعي ، و ابن جريج ، و سفيان الثوري ، وسفيان بن عيينـة ، و وكيـع بن الجـراح ، و غـيرهم الكثـير – قـولهم (الإيمـان قـول و عمـل) .
و أرادوا بـالقول **: قـول القلب و** اللسـان ، و بالعمـل : عمـل القلب و الجـوارح .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " العقيـدة الواسـطية " (ومن أصـول أهـل السنة و الجماعة أن الدين والإيمان قول و عمل **، قول القلب واللسان** ، و عمـل القلب ، واللسـان ، والجـوارح)
فظهر أن اسم الإيمان يشمل كل ما أمر الله به و رسـوله من : الاعتقـادات و الإرادات ، و أعمال القلوب ، وأقوال اللسان ، و أعمال الجـوارح أفعـالاً و تروكاً ، فيدخل في ذلك فعل الواجبات و المسـتحبات ، وتـرك المحرمـات ، والمكروهـات ، وإحلال الحلال ، و تحـريم الحـرام .
و هذه الواجبات والمحرمات ، بل و المستحبات والمكروهات ، على درجات متفاوتـة تفاوتـاً كبـيراً .
وبهذا يتبين أنه لا يصح إطلاق القول بأن العمل شرط صحة أو شـرط كمـال بـل يحتـاج إلى تفصـيل ؛ فـإن اسـم العمـل يشـمل عمـل القلب وعمـل الجوارح ، و يشـمل الفعـل و الـترك ، و يشـمل الواجبـات الـتي هي أصـول الدين الخمسة ، وما دونها ، و يشمل ترك الشرك و الكفر و مـا دونهمـا من الـذنوب .

[1] () شرح تجريد التوحيد، ص/192

فأما ترك الشرك و أنواع الكفر والبراءة منها فهو شرط صحة لا يتحقق الإيمان إلا به .
و أما ترك سائر الذنوب فهو شرط لكمال الإيمان الواجب .." [1]
"القلب أصل الإيمان والأعمال
قال الشارح رحمه الله: [وقال رحمه الله: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب، والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وفي الأصل هو من باب العمل عمل القلب والجوارح، وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب .
انتهى].
قول القلب وعمل القلب: هو عبارة عن الأمور التي تكون في القلب من العلم والخشوع والخشية والخوف الرجاء والإنابة والاستسلام والانقياد .
فهذه هي أعمال القلب، ثم تنبعث هذه على الجوارح، ويأتي العمل تبعا للقلب؛ فلهذا قال: (الأصل في القلب) يعني: أصل الإيمان في القلب.
بل أصل الأعمال كلها في القلب؛ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما الأعمال بالنيات) والنية هي: عمل القلب.." [2]
"إجماع أهل السنة على أن الإيمان يزيد وينقص
قال الشارح رحمه الله: [قوله: { وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا } [الأنفال:2]: استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه.
قال عمير بن حبيب الصحابي: إن الإيمان يزيد وينقص، فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه.
رواه ابن سعد].
يعني: أن الإيمان يزيد بالعمل، ولهذا قال أهل السنة في تعريف الإيمان: هو قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فجعلوا الزيادة والنقص من تمام التعريف؛ لأن أهل البدع، -مثل المعتزلة والخوارج- وإن وافقوا أهل السنة أول التعريف، إلا أنهم خالفوهم فيما يتعلق بالزيادة والنقصان، فالإيمان عند الخوارج والمعتزلة هو فعل الطاعات وعقيدة القلب -يعني: تصديقه- وكذلك عمل الأركان: القول والعمل، فلو كان يأتي بجميع الواجبات مصدقا عاملا بها ثم ترك واجبا فإنه يكون خارجا من الإيمان عند الخوارج وعند المعتزلة، إلا أنه عند الخوارج يصير كافرا وعند المعتزلة يبقى في منزلة بين الكفر والإيمان، فلا يكون كافرا ولا مؤمنا، وإنما يكون

[1] () جواب في الإيمان ونواقضه، ص/3
[2] () شرح كتاب التوحيد / الغنيمان، 26/7

قد خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفـر! وهـذه من بـدعهم الـتي انفـردوا بها، ولم يقل بها أحد غيرهم.

ثم إنهم وافقوا الخوارج في حكم الآخرة وقالوا: إذا مات على ذلك صار في النار، أما أهل السنة فزادوا في تعريفهم للإيمان: قول واعتقـاد وعمـل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقـولهم: يزيـد بالطاعـة وينقص بالمعصـية، من تمـام التعريـف وهـو لمخالفـة المبتدعـة، أمـا غـيرهم من أهـل البـدع فيجعلونه: قولا، وبعضهم يجعله تصديقا، وجعله قولا هذا من أغرب ما يكون؛ لأنه يلزم منه أن الإنسان إذا قال بلسانه فهو مؤمن وإن كان كافرا بقلبه.

وعلى كل حـال فكـل من خـالف مـا جـاء في كتـاب اللـه ومـا جـاء عن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فلابـد أن يقـع في الأخطـاء الفضـيعة الواضحة.

قال الشارح رحمه الله: [وقال مجاهد : الإيمان يزيد وينقص وهـو قـول وعمل.

رواه ابن أبي حاتم].

يـدخل في القـول: قـول اللسـان وقـول القلب مثـل الخـوف والخشـية والوجل والإنابة والمحبة والرضا هذا كله من قول القلب؛ لأن القول ينقسـم إلى قسمين عند أهل السنة: قول يكون باللسان، وقول يكون بالقلب وهـو: عقيدته وعمله.

قال الشارح رحمه الله: [وحكى الإجماع على ذلك الشـافعي و أحمـد و أبو عبيد وغيرهم رحمهم الله تعالى.

وقولــه: { وعلى ربهم يتوكلــون } [الأنفــال:2]، أي: يعتمــدون عليــه بقلوبهم، مفوضين إليه أمورهم فلا يرجـون سـواه، ولا يقصـدون إلا إيـاه ولا يرغبـون إلا إليـه، ويعلمـون أن مـا شـاء كـان ومـا لم يشـأ لم يكن، وأنـه المتصرف في الملك وحده والمعبود وحده لا شريك له.

وفي الآية وصف المؤمـنين حقـا بثلاثـة مقامـات من مقامـات الإحسـان وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده].

بـل خمس مقامـات؛ لأن تمـام الآيـة: { الـذين يقيمـون الصـلاة وممـا رزقناهم ينفقون } [الأنفال:3]، فهي خمس مقامات واضحة.

قال الشارح رحمه الله: وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان وحصـول أعماله الباطنة والظـاهرة، مثـال ذلـك: الصـلاة، فمن أقـام الصـلاة وحافـظ عليها وأدى الزكاة كما أمره اللـه اسـتلزم ذلـك العمـل بمـا يقـدر عليـه من الواجبات، وترك جميع المحرمـات كمـا قـال تعـالى: { إن الصـلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر } [العنكبوت:45]] .." [1]

"ونتيجة هذا المبحث، أن الإيمان في اللغـة - عنـد المحققين من أمثـال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - ليس مرادفا للتصديق، وأنه على فــرض الـترادف بينهمـا فليس المقصـودُ بالتصـديق مجـردَ الحكمِ الـذهني بنسـبةِ

[1] () شرح كتاب التوحيد / الغنيمان، 90/11

المحمولِ للموضوع، كما هـو الأمـر في اصـطلاح أهـل المنطـق والكلام(1)، ولكنه التصديقُ في عُرف السـلف، الشـاملُ للالـتزام العملي الـذي يقتضـيه تمـــــــــــــــــــــــامُ الإذعــــــــــــــــــــــــان.
وعليه، فإن أصلحَ تعريـف للإيمـان من جهـة اللغـة هـو الإقـرارُ لا التصديق، والإقرار يتضـمن أمـرين اثـنين **هما: قول القلب وهو** التصـديق وعمـل القلب وهو الانقياد، أي تصديق الرسول فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر(2).
قال شيخ الإسلام عليه رحمة الله: » ... فكان تفسيره بلفظ الإقـرارِ أقـربَ من تفســــيره بلفــــظ التصــــديق، مــــع أن بينهمــــا فرقــــا « (3)

الفصـل الثـاني: تعريـف الإيمـان شـرعا عنـد أهـل السـنة والجماعـة:
قلت في النظم:

في الاصــــــــــطلاح عنــــــــــد من قــــــــــد ســــــــــلفا
بــــــــــــالقول والفعــــــــــــل لــــــــــــديهم عُرفا
والبعضُ بالســــــــــــنة زاد اعتصــــــــــــما
وزاد الاعتقــــــــــــــــــــــــادَ بعضُ العلما
وبعضُــــــــــــهم بنيــــــــــــة قــــــــــــد عَــــــــــــبروا
وأول المُعرفــــــــــــــــــــــــــــــات أظهر

الشــرح:
(في الاصطلاح) أي في الشرع، متعلقٌ بعُرف (عنـد مَن قـد سـلفا) أي عنـد السلف الصالح، رضوان اللـه عليهم، والألـفُ لإطلاق القافيـة (بـالقول) **أي: قولِ القلب وقول** اللسـان (والفعـل) أي: عمـل القلب وعمـل الجـوارح (لديهم) أي لـدى السـلفِ (عرِّفـا) بتشـديد الـراء والبنـاء للمجهـول، والألـفُ للإطلاق. والمعنى أن السلف عَرَّفوا الإيمـان في الشـرع بأنـه قـول وعمـل، وســــــــــــــتأتي النقــــــــــــــول بــــــــــــــذلك عنهم.

(1) - أي أغلبهم، وقد جعل بعضهم التصديق شاملا للإذعـان والقبـول، مثـل السـعد في شـرح العقائـد النسـفية: 423 كمـا في الجـامع في طلب العلم الشــــريف:2/536، والــــبيجوري في شــــرح الجــــوهرة: 67.
(2) -.مجمــــــــــــــــــــــــــــوع الفتــــــــــــــــــــــــــاوى: 7/638.
(3) - مجموع الفتاوى: 7/291.." [1]
"أن الشارع لم ينقلها ولم يغيِّرها، ولكن استعملها مقيدة لا مطلقـة(1).
وهذا القول الثـالث هـو الـذي رجحـه شـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمـه اللـه، واســــتدل عليــــه بأدلــــة متعــــددة وطويلــــة(2).
والمسـألة تبحث في علم أصـول الفقـه، فلتنظـر تفاصـيلها هنـاك(3).

[1] شرح منظومة الإيمان، ص/27

وإذا علم هذا، فإن الألفاظ الموجودة في الكتاب أو السنة يُنظر في بيان المراد بها إلى مقصود الشارع لا إلى اللغة أو العُرف الحادث. ألا ترى أننا إذا قرأنا في الكتاب أو السنة أمرا بإقامة الصلاة فإن أذهاننا تنصرف إلى وجوب إقامة تلك العبادة المخصوصة التي تبدأ بالتكبير وتختم بالتسليم؟ ونفس الشيء يقال بالنسبة لألفاظ أخرى كالزكاة والصوم والحج وغيرها. ولفظ الإيمان - ومثله ألفاظ الإسلام والنفاق والكفر والفسق وغيرها - من هذا النوع، فلا ينبغي أن يؤخذ تعريفُها إلا من بيان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. يقول شيخ الإسلام رحمه الله: » فالنبي - صلى الله عليه وسلم - قد بيَّنَ المراد بهذه الألفاظ بيانا لا يُحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله، فإنه شافٍ كاف «(4). وسأذكر- بحول الله عز وجل - أدلةَ كون الإيمان قولا وعملا من الكتاب والسنة وأقوال السلف، عند تفصيل الكلام على أركان الإيمان فيما سيأتي والله أعلم.

الكلام على قول القلب:

قلت في النظم:

فالقول قول القلب أي تصديقُه
بما عن الرسول جا توثيقه
والجزم فيه أعظم المطلوب
فنقضُه بالشك والتكذيب

الشرح:

---

(1) - حاشية ابن الحاج على شرح ميارة: 289.
(2) - مجموع الفتاوى: 7/298.
(3) - إرشاد الفحول: 49 وشرح المحلي على جمع الجوامع: 1/302.
(4) - مجموع الفتاوى: 7/287.." [1]

"(فالقول) الذي هو ركن في الإيمان الشرعي - كما سبق بيانه – نوعان، الأول منهما هو (قول القلب أي تصديقه) وإيقانه الجازم (بـ)كل (ما عن الرسول) محمد - صلى الله عليه وسلم - (جا)ءَ، مقصور للوزن (توثيقه) بنصوص الكتاب الجلية، والأحاديث النبوية السَّنِيَّة. (والجزم) أي: القطعُ والتيقن بأي طريق حصل (فيه أعظم المطلوب) أي أول ما يطلب. لذلك (فنقضه) يكون (بالشك) وهو التردد بين أمرين دون ترجيح أحدهما (والتكذيب) وهو نقيض التصديق.

---

[1] () شرح منظومة الإيمان، ص/31

واعلم بأن هذا الـركن العظيم – أعـني تصـديقَ القلب – قـد تظـافرت أدلـة الكتاب والسنة على اعتباره وبيـان خطورتـه، كمـا أجمـع النـاس – باسـتثناء الكراميـــــــــة – على كونـــــــــه ركنـــــــا في الإيمـــــــــان.

قال تعالى: { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّـدْقِ وَصَـدَّقَ بِـهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُـونَ * لَهُمْ مَـا يَشَـاءُونَ عِنْـدَ رَبِّهِمْ ذَلِـكَ جَـزَاءُ الْمُحْسِـنِينَ } . قـال مجاهـد: { وَالَّذِي جَـاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ } أصحابُ القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتمونا فعمِلنا فيه بمـا أمرتمونـا. قـال ابنُ كثـير في تفسـيره: » وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين، فـإن المؤمـنين يقولـون الحـق ويعملون به والرسولُ - صلى الله عليـه وسـلم - أَوْلى النـاس بالـدخول في هذه الآية على هذا التفسير فإنه جاء بالصـدق وصـدق المرسـلين وآمن بمـا أُنزل إليه من ربه والمؤمنـون كـلٌّ آمن باللـه وملائكتـه وكتبـه ورسـله«(1).

---

(1) - تفسير ابن كثير: 4/50.." [1]

"وبالجملة، فإن المُتتبِّعَ للآثار عن السلف رضوان الله عليهم، يجزِم بأن هذه العقيدة كانتْ مستقرةً عندهم، لا يدور حولها خلاف. فمن أراد السـلامة في دينه ودنياه، فلينهَجْ سبيلَهم، ولينسُـجْ على مِنْـوالهم، وأمـا من تَنكَّبَ عن طريقهم، وربأَ بفهمـه عن فهـومهم فلا يلـومَنَّ إلا نفسـه واللـه تعـالى أعلم.

الفصـــــــــل الثـــــــاني: أوجـــــــه الزيـــــــادة والنقصـــــــان.

قلت في النظم:

تفاضـــــــــــــــل الإيمـــــــــــــــان ذو أســـــــــــــــباب
قـــــــــــد ظهـــــــــــرت لـــــــــــدى أولي الألبـــــــــــاب
من بينهـــــــــــا تفاضـــــــــــل التصـــــــــــديق
وذاك ظـــــــــــــــــاهر لـــــــــــــــــدى التحقيق
ومنـــــــــــه مـــــــــــا يكـــــــــــون بالأعمـــــــــــال
بين مقصـــــــــــــــر وذي كمـــــــــــــــال

الشـــــــــــــــــــــــــــــــــــــرح:

(تفاضل الإيمان) زيادة ونقصا (ذو أسـباب) كثـيرةٍ سـيأتي ذكـرُ بعضِـها (قـد ظهـرت لـدى أولي الألبـاب) من أهـل العلم، (مِن بينِهـا) أي مِن بينِ أوجُـه تفاضـلِ الإيمـان (تفاضـل التصـديق) أي حصـول الزيـادة والنقص في نفس قول القلب، وهذا أمر ممكن وحاصل خلافا لمن أنكره، لذلك قلت: (وذلـك) التفاضـل (ظـاهر) لكـثرة أدلتـه العقليـة والنقليـة (لـدى التحقيـق) في هـذه المسألة بعيدا عن التعصب والجُمود. (ومنه) أي: أن من التفاضل (ما يكون بـ)سـببِ (الأعمـال) الظـاهرة، مـا (بين مُقَصِّـرٍ) في الإتيـان بهـذه الأعمـال، فإيمانـه نـاقص تبعـا لتقصـيره، وبين آخـرَ (ذي كمـال) في التزامِـه العملي

[1] () شرح منظومة الإيمان، ص/32

بالشريعة، أي في إتيانه بالطاعات واجتنابه للمعاصي، فإيمانه زائد تبعا لأعماله الصالحة.
واعلم بأن هذه الوجه الثاني، هو أشهر أوجه زيادة الإيمان ونقصانه، حتى إن بعض أهل العلم قد يقتصر عليه فلا يُعَرِّج على غيره. كما أن الوجه الأول فيه من الخفاء ما جعل العلماء يختلفون حوله فينكره بعضهم. ولأجل هذا ذكرت هذين الوجهين في النظم ولم أذكر غيرهما، مع أن أوجه زيادة الإيمان ونقصانه أكثر من ذلك، فقد حصرها شيخ الإسلام ابن تيمية في تسعة أوجه(1):
الوجه الأول:

(1) - انظر مجموع الفتاوى: 7/232-237 و 7/562-574 وكتاب "زيادة الإيمان ونقصانه: 136 وما بعدها.." [1]

"- باعتبارها مصدرا يعني التعبد هي : "التذلل لله محبة وتعظيما بفعل أوامره واجتناب نواهيه وفق شريعته".
- وباعتبارها اسما يعني المتعبد به، هي كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة"(1).
فتبين من هذا التعريف أن العبادة لا تقوم إلا على أركان التذلل والمحبة والتعظيم، وأنها تجمع أقوالا وأعمالا كثيرة يمكن تقسيمها على المراتب الأربع التي سبق تفصيلها في حقيقة الإيمان، وأقصد **بها قول القلب وقول** اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح.
فهذه الأقوال والأعمال كلها لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل، لأنها حق خالص له سبحانه وتعالى: يقول ابن القيم رحمه الله: " فالسجود والعبادة والتوكل والإنابة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار، وحلق الرأس خضوعا وتعبدا، والطواف بالبيت، والدعاء، كل ذلك محض حق الله، لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب، ولا نبي مرسل"(2). ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "توحيد الألوهية هو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد كالدعاء والرجاء والخوف والخشية والاستعانة والاستعاذة والمحبة والإنابة والنذر والذبح والرغبة والرهبة والخشوع والتذلل والتعظيم"(3).
واعلم أن توحيد الألوهية هو أصل هذا الدين، وركنه الركين، وهو أساس دعوة المرسلين، ولب الكتب المنزلة على النبيين.

(1) قاعدة جليلة في العبادة (ضمن مجموعة التوحيد): 267.

[1] () شرح منظومة الإيمان، ص/73

(2) الجـــــــــــــــــــــــــــــــــــــواب الكـــافي: 1/93.

(3) الدرر السنية: 2/35.." [1]

"السميع، البصير، العزيز، الحكيم... فتجد أن كل اسم يختص بمعنى لم يذكر في الآخر بنفس الدرجة، وإن كان قد يكـون لازمـاً في الاسـم الآخـر.. وهلم جـراً. إذاً.. تعـابير السـلف في مسـمى الإيمـان الاختلاف بينهـا لفظي محض. فـإذا قيـل: أي هـذه التعـابير أجمـع وأحكم من جهـة التعبـير؟ قيـل: أحكمها ما عبر به جمهورهم، وهو قولهم: الإيمان قول وعمل؛ وهذه الجملـة أحكم من التعبير الـذي ذكـره الموفـق رحمـه اللـه. لأن فيهـا إبانـة لتضـمن العمل للظاهر والباطن، والقول الظاهر والبـاطن، كمـا أن فيهـا إشـارةً إلى التلازم بين الظــاهر والبــاطن، فــإن العبــارة الــتي ذكرهــا المصــنف هي الصحيحة، لكن حين يقال: الإيمان قول باللسـان، وعمـل بالأركـان، واعتقـاد بالجنـان. فـإن هـذا يُفهم منـه أن الجنـان -الـذي هـو القلب- ليس فيـه إلا الاعتقاد، وأن الأعمال هي أعمال الجوارح، مع أنك تعلم أن الأعمـال القلبيـة في الجملة أجل وأعظم من أعمال الجوارح الظاهرة الـتي أعمـال الأركـان. والمتكلمون من السلف يقصدون دخول أعمال القلب في الإيمان، لكن هذا التعبير فيه اختصار، ولذلك نقول: إن التعبير الذي يقول: الإيمان قول وعمل أتم وأحسن، وهو الذي عبر به جمهور السلف. لكن قد يقول قائـل: إن هـذا التعبير ليس فيه ذكر للاعتقاد. نقول: لما قال السلف: الإيمان قـول وعمـل. أرادوا **بالقول: قول القلب وقول** اللسان، وأرادوا بالعمل: عمل القلب وعمـل الجـوارح. أمـا قـول القلب: فهـو كـل تصـديق شـرعي أخـبر اللـه أو رسوله صلى الله عليه وسلم به. وقول اللسان: النطق بالشـهادتين وغيرهـا مما يكون باللسان. وعمل القلب: هو حركته بهذا التصديق بأعماله المناسبة له، مثل: المحبة، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل... وغـير ذلـك. وعمـل الجـوارح: كالصـلاة والطـواف بـالبيت، والحج... إلى غـير ذلـك من الأعمـال الظــاهرة. والأعمــال القلبيــة ثبوتهــا في النفس من جنس ثبــوت الأعمــال الظاهرة، فإن كل عاقل يدرك ما في قلبه من المحبة أو الخـوف أو الرجـاء أو التعظيم أو." [2]

"يقول شارح العقيدة الطحاويـة الإمـام ابن أبي العـز "وهنـا أصـل آخـر وهو أن القـول قسـمان **: قول القلب وهو** الإعتقـاد (1) وقـول اللسـان وهو التكلم بكلم الإسلام : والعمل قسمان عمل القلب وهـو نيتـه وإخلاصـه وعمـــــــــــــــــــــــــــــــــــل الجـــــــــــــــــــــــــــــــــــوارح"(2).

ويقــول صــاحب "معــارج القبــول" : "(اعلم) يــا أخي وفقــني اللــه وإيــاك والمسلمين (بأن الدين) الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ورضيه لأهل سماواته وأرضه . وأمر أن لا يعبد إلا به ولا يقبـل من أحـد سـواه ولا يـرغب عنه إلا من سفه نفسـه ولا أحسـن دينـا ممن التزمـه واتبعـه هـو (قـول) أي

---

[1] () شرح منظومة الإيمان، ص/174

[2] () شرح لمعة الاعتقاد للشيخ الغفيص، ص/124

بالقلب واللسان (وعمل) أي بالقلب واللسان والجوارح"(3).
ويقول الإمام ابن القيم : "وهاهنا أصل آخر ، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل . والقول قسمان **: قول القلب وهو** الاعتقاد ، وقول اللسان وهو التكلم بكلم الإسلام . والعمل قسمان : عمل القلب وهو نيته وإخلاصه وعمل الجوارح"(4).

---

(1) وإن الاصطلاح على **تسمية قول القلب هنا** "الاعتقاد" وقصره على ذلك يجب أن يفهم منه شمول الاعتقاد لمعنى الالتزام كما سيأتي بعد ، وليس "الاعتقاد" **أو قول القلب هو** مجرد التصديق بمعنى نسبة الصدق إلى الخبر أو المخبر وإنما إن قيل هو التصديق فيعنى به التصديق المخصوص المتضمن للإقرار والالتزام والانقياد ، فإنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن من "صدق" بشريعة من شرائع الإسلام دون "الالتزام بها" التزام الطاعة بالقبول – وليس التنفيذ كما سيأتي في التفريق بينهما – كان ولا ينجيه الاعتقاد بمعنى التصديق فقط بهذا إلا تضمن الالتزام بطاعة الله فيها فيكون مسلماً ، حتى وإن ترك أعمال الطاعات كسلاً أو هوى ، وهذا ما سنفصله بعد في الفصل الثالث من هذا الباب إن شاء الله تعالى .
(2) شرح العقيدة الطحاوية ص 245.
(3) معارج القبول ج2ص17.
(4) كتاب الصلاة لابن القيم ص24.." [1]

"وبيان هذه الأقسام(1) هو أن :
قول القلب : تصديقه وانقياده(2).
قال تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون)(3). وقال تعالى : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) (4). وفي حديث الشفاعة : "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة ..." (5).
قول اللسان : وهو النطق بالشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بلوازمهما(6)

---

(1) راجع في بيان معاني هذه الأقسام إلى كل من شرح الطحاوية ص245 ومعارج القبول ج2ص17 وغيرها.
(2) وهو المعنى الذي نبهنا عليه سابقاً من أنه إذا اعتبر "الاعتقاد" **هو قول القلب لزم** أن يكون "قول القلب" يشمل التصديق والانقياد.
(3) الزمر 23.
(4) الحجرات 15.
(5) رواه البخاري ومسلم.
(6) وننبه هنا إلى أمرين : أولهما: أن النطق بالشهادتين المعتبر شرعاً هو

---

[1] حقيقة الإيمان، ص/15

المستلزم لمعرفة معناهما وتحقيق لوازمهما مع ترك ما يناقضهما ، وليس هو مجرد النطق اللفظي فقط كما سنبين في الفصل الثاني من الباب الثالث ، وإلا فإن الجهل بمعناهما يتنافى كلية مع **معنى قول القلب السابق** لقول اللسان ، والذي أجمع العلماء على اعتباره ركن الإيمان ، إذ كيف يجتمع الجهل بالشئ مع تصديقه والإقرار به؟! ويرجع في هذا تفصيلا لكتابنا عن عارض الجهل في الشريعة المسمى "الجواب المفيد".

ثانياً : أن المراد بالنطق بالشهادتين هو ظهور دلالة الإسلام ، فإن إسلام الفارسي الذي لا يتكلم العربية يتحقق بمجرد إعلانه الإستسلام بلفظ "ميتراس" أي أسلمت ، وأي دلالة على الإسلام تكون معتبرة طالما أنها تكفي للتدليل على الإنخلاع من الشرك والتبري من دين الكفر ، فإن قول الشهادة يكون معتبراً في بعض الحالات كحالة عباد الأوثان فإنه يكتفي منهم بقول لا إله إلا الله لأنهم لم يكونوا عليها قبل الإسلام ، وأما أهل الكتاب المعتقدين لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى العرب فلا يكتفى بنطقه الشهادتين منهم بل لابد من أن ينضم إليهما قول "إلى العرب العالم كافة" يقول الإمام النووي في شرحه على مسلم: "ذكر القاضي عياض معنى هذا وأوضحه ، فقال اختصاص عصمة المال بالنفس بمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان. وأن المراد بهذا مشركو العرب وأهل الأوثان ومن لا يوحد وهم كانوا أول من دعى إلى الإسلام وقوتل عليه فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده ، ولذلك جاء في الحديث الآخر وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة"اهـ.
كلام القاضي شرح النووي على مسلم جـ1 ص 207.
كما نص على هذا المعنى ابن قدامة المقدسي في المغني ، قال: "والثانية" أنه إن كان مقراً بالتوحيد كاليهود حكم بإسلامه لأن توحيد الله ثابت في حقه وقد ضم إليه الإقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فكمل إسلامه ، وإن كان غير موحد كالنصارى والمجوس والوثنيين لم يحكم بإسلامه حتى يشهد أن لا إله إلا الله وبهذا جاءت أكثر الأخبار وهو الصحيح لأن من جحد شيئين لا يزول جحدهما إلا بإقراره بهما جميعاً ، وإن قال أشهد أن النبي رسول الله لم يحكم بإسلامه لأنه يحتمل أن يريد غير نبينا ... وعن عمران بن حصين قال: أصاب المسلمون رجلاً من بني عقيل فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إني مسلم فقال صلى الله عليه وسلم "لو كنت قلت وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح" رواه مسلم ويحتمل أن هذا في الكافر الأصلي أو من جحد الوحدانية ، أما من كفر بجحد نبي أو كتاب أو فريضة ونحوها فلا يصير مسلماً بذلك – أي بقوله إني مسلم أو نطقه بالشهادتين – لأنه ربما اعتقد أن الإسلام ماهو عليه ، فإن أهل البدع كلهم يعتقدون أنهم هم المسلمون ومنهم من هو كافر"اهـ .

المغــــــــــــــــــــــــــــــــــــني جــــــــــــــــــــــــــــــــــــ8ص143.
ويراجــع في نفس المعــنى بــدائع الصــنائع للكاســاني جــ9ص4312 ، فهــذا المعنى متواتر في كتب الفقه والعقائد بأجمعها على اختلاف مذاهبها – فابن قدامة حنبلي والنووي شافعي والقاضي عيـاض مـالكي والكاسـاني حنفي – والشاهد فيه أن نطق الشهادتين باللسـان إنمـا هـو معتـبر في حالـة دلالتـه على الإسـلام ، وليس في كـل حالـة على الإطلاق ، والحـديث مبسـوط في هذا الأمر في كتابنا عن "التوحيد" وغيره فارجع إليه.." [1]
"ثم يفسر بعـدها مـا أردنـاه فيقـول : "والمقصـود هنـا أن من قـال من السلف الإيمان قول وعمـل ، **أراد قول القلب واللسـان** وعمـل القلب والجـوارح ، ومن أراد الاعتقـاد رأى أن لفـظ القـول لا يفهم منـه إلا القـول الظاهر ، أو خاف ذلك فزاد الإعتقاد بالقلب ، ومن قال قـول وعمـل ونيـة ، قال : "القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان ، وأمـا العمـل فقـد لا يفهم منـه النية فزاد ذلك ، ومن زاد اتباع السُّنَّة فلأن ذلك لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السُّنَّة ، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل ، إنما أرادوا ما كـان مشـروعاً من الأقوال والأعمال ، ولكن كان مقصـودهم الـرد على المرجئـة الـذين جعلـوه قولاً فقط ، فقالوا بل هو قول وعمل ، والذين جعلوه أربعة فسروا مـرادهم كما سئل سهل بن عبدالله التستري عن الإيمان ما هو ، فقال : قول وعمل ونية وسُنة ، الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر ، وإذا كان قـولاً وعملاً بلا نيــة فهــو نفــاق ، وإذا كــان قــولاً وعملاً ونيــة بلا سُــنة فهــو بدعــة"(1).
ثم إن الشـبهة قـد دخلت على من دخلت عليـه - قـديماً وحـديثاً - في هـذا البــــــــــــاب من أمــــــــــــــرين رئيســــــــــــيين :
أولهمــــــــــا : الخطــــــــــأ في فهم معــــــــــنى الكفــــــــــر العملي .
الثاني : الخلط فيما هو لازم لإجراء الحكم في الظـاهر ومـا هـو من أحكـام الآخــرة .
فنقــــــــــــــول وباللــــــــــــــه تعــــــــــــــالى التوفيــــــــــــــق :
أولاً : الخطــــــــــــــأ في فهم معــــــــــــــنى الكفــــــــــــــر العملي :
فقد جـرى هـؤلاء في فهم الكفـر العملي على أنـه كفـر لا يخـرج من الملـة مطلقاً ، واعتقدوا أن كل عمل مكفر بالجوارح هـو كفـر عملي لا يخـرج من الملة لوقوعه بالجوارح وعدم دخول الاعتقاد فيه - ولا ندري كيـف ظنـوا أن ارتكاب أي عمل مكفِّر لا يلازمه سقوط الاعتقـاد؟! فيكـون كـل كفـر عملي عنـــــــــدهم كفـــــــــراً أصـــــــــغر لا ينقـــــــــل عن الملـــــــــة !!.
والمقصود بالكفر العملي أنه المعاصي التي أطلق عليها الشارع اسم الكفر ، ولكن لم يمكن اطلاق الكفر الأكبر عليها لوجود أدلـة أخـرى من الشـريعة تــــــــــــدل على أنهــــــــــــا ليســــــــــــت منــــــــــــه .

---
[1] () حقيقة الإيمان، ص/16

(1) "الإيمان" لابن تيمية ص146 وبعدها.." [1]

"، فلن يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، وإنما أراد بذلك نقص الإيمان ونفي كماله"(1) إلا أن صاحب الكتاب نفسه قد بين بعد ذلك مباشرة أن هناك من أعمال الجوارح ما يوجب الكفر على صاحبه بمجرده إجماعاً ، كالساجد للصنم ، مثلاً ، رغم أنه كفر بالعمل لا بالاعتقاد يقول :

"س : وإذا قيل لنا هل السجود للصنم والاستهانة بالكتاب وسب الرسول صلى الله عليه وسلم والهزل بالدين ونحو ذلك ، هذا كله من الكفر العملي فيما يظهر فلم كان مخرجاً من الدين وقد عرفتم الكفر الأصغر بالعملي؟"

ج : اعلم أن هذه الأربعة وما شاكلها ليس هي من الكفر العملي إلا من جهة كونها واقعة بعمل الجوارح فيما يظهر منها ، ولكنها لا تقع إلا مع ذهاب عمل القلب من نيته وإخلاصه ومحبته وانقياده لا يبقى معها شئ من ذلك ، فهي وإن كانت عملية في الظاهر فإنها مستلزمة للكفر الاعتقادي ولابد ، ولم تكن هذه لتقع إلا من منافق مارق أو معاند مارد . وهل حمل المنافقين في غزوة تبوك على أن (قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا) إلا ذلك مع قولهم لما سئلوا (إنما كنا نخوض ونلعب) قال الله تعالى : (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) . ونحن لم نُعرِّف الكفر الأصغر بالعملي مطلقاً بل بالعملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم **يناقض قول القلب وعمله**"(2).

فتبين من هذا أن هناك ما يثبت كونه كفراً أكبر ناقل عن الملة ، وهو من أعمال الجوارح ، فلا يصح عندئذ أن يطلق عليه أنه كفر عملي بمعنى أنه كفر أصغر ، لمجرد أنه قد أتى بالجوارح ، حتى لا يختلط أمره بأفعال المعاصي التي يطلق عليها اسم الكفر - وهي من الكفر الأصغر - فيظن أن هذا من ذاك .

(1) "أعلام السنة المنشورة" المطبوع تحت اسم 200 سؤال وجواب في العقيدة لحافظ حكمي ص75.

(2) "أعلام السنة المنشورة" ص76.." [2]

"والحق في ذلك أن لفظ الاعتقاد إنما هو بمعنى "ما يجب أن يعقد عليه القلب" من معان ، فخرج بذلك منه كل الأعمال سواء الأعمال التركية - أي ترك أعمال الشرك - كالسجود لصنم والدعاء لغير الله - دعاء عبادة ومسألة - أو الأعمال الفعلية المشترطة لصحة الإسلام - على اختلاف فيها - وصار هو **بمعني قول القلب وعمله** . فالقدر المنجي من الخلود في النار إذن - حسب ما قررنا قبل ذلك - هو : الاعتقاد : وهو ما يجب أن يعقد عليه القلب من معان خاصة بالربوبية

[1] () حقيقة الإيمان، ص/40

[2] () حقيقة الإيمان، ص/43

والألوهية ، وبرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وما يتضمنها من أوامر ونواهي - عند من بلغته الأوامر والنواهي تفصيلاً - معرفة وتصديقاً وإقراراً قلبياً (أو التزاماً بها) وهذا **معنى قول القلب وعمله**(1) .
العمل : وهو ترك أعمال الشرك الأكبر كلها كالسجود للصنم أو دعاء غير الله تعالى وإتيان الأعمال المشروطة لصحة الإسلام كما أوضحنا من قبل - على خلاف فيها - لمن بلغته الشرائع ، تحقيقاً لإتيان جنس العمل اللازم لصحة الإيمان إجماعاً .
ثم إن هؤلاء قد قالوا - من غير دليل معتبر - أن المسلم مهما أتى من عمل من الأعمال لا يكفر بذلك طالما أن اعتقاده صحيح فيه ، وطردوا ذلك المعنى في جميع الأعمال فلم يفرقوا بين أعمال الكفر وأعمال المعاصي ، وجعلوا فساد الاعتقاد شرطاً في كفر من عمل أي عمل من أعمال الجوارح أياً كان هذا العمل ، والحق أن هذه المسألة لها تفصيل . فإنه يجب أن نفرق بين الأعمال التي يكفر فاعلها ، وبين أعمال المعصية عامة .

(1) والكفر من باب الاعتقاد يكون إما **بسقوط قول القلب أي** تصديقه ، ويكون من المكذب وهو كفر التكذيب ، أو بسقوط عمل القلب أي انقياده والتزامه ومحبته كمن أنزل الله تعالى فيهم (لا تعتذروا ..) الآية ، وجهمية المرجئة قد قصروا الكفر على **سقوط قول القلب فانتبه**.." [1]

"ثم يقول: "واعلم أن الإيمان وإن قيل هو التصديق فالقلب يصدق بالحق والقول يصدق في القول ، والعمل يصدق القول(1) والتكذيب بالقول مستلزم للتكذيب بالقلب ، ورافع للتصديق الذي كان في القلب ، إذ أعمال الجوارح يؤثر في القلب ، كما أن أعمال القلب يؤثر في الجوارح ، فإنما قام به كفر تعدى حكمه إلي الآخر"(2) .
ونخلص من هذا إذن إلى أنه من زعم أنه معتقد اعتقاداً صحيحاً وهو يعمل عملاً من أعمال الكفر الأكبر ، فهذا لا يصح أن يعتبر مسلماً بأي حال من الأحوال بل هو كافر رغم زعمه صحة الاعتقاد ، لأن اعتقاده القلبي يكون قد سقط ولا محالة(3) لإتيانه ما يضاده مضادة كاملة وإن لم يصرح بذلك.
ومن قال إنه يعتبر مسلماً لصحة اعتقاده فهو من المرجئة الذين يجعلون الإيمان هو مجرد عقد القلب دون الأعمال.
أما عن أعمال المعاصي كلها فالشأن فيها أن لا يكفر فاعلها إلا إن كان مستحلاً لها ، وفي هذا المقام نُقلت أقوال الفقهاء كلهم عن أن مرتكب أي عمل - ويقصدون به من أعمال المعاصي لا الكفر - لا يكفر إلا إن كان مستحلاً له فهو إن كان معتقداً للتحريم آتياً للمعصية بدافع الشهوة فهذا هو المسلم العاصي خلافاً للخوارج الذين كفروا بالمعصية مطلقاً .

[1] حقيقة الإيمان، ص/61

(1) المراد بالتكذيب بالقول هنا ما يـدل على التكـذيب ، ولا يلـزم التصـريح بالقول بالتكذيب ، فالتكذيب بالقول لا يستلزم القول بالتكذيب كأنـه يقـول: "أنا مكذب بالرسول مثلاً" فهذا كفره من نوع آخر ، والشاهد على ذلـك هـو استشـهاده بقصـة المسـتهزئين بقـولهم (إنمـا كنـا نخـوض ونلعب) وهم لم يقولوا قولاً فيه التصريح بالتكذيب بل كفرهم من بـاب سـقوط عمـل القلب من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقيره والانقياد لدينه فانتبه لهذا.
(2) "الصـــــارم المســـــلول" لابن تيميـــــة صـــــ524.
(3) كما سبق أن ذكرنا أن كفره إما **بسـقوط قـول القلب أي** تصـديقه فيكون كـافراً كفـر تكـذيب ، أو سـقوط عمـل لب بسـقوط التزامـه الـتزام الطاعة وانقياده ومحبته وتوقيره .." [1]

"الفصـــل الأول

مجمـــــــــــــــــــــل أقـــــــــــــــــــــوال المرجئة

تدور مفاهيم الأرجاء – قـديماً وحـديثاً – حـول ثلاث نقـاط رئيسـية ليس لهم عليها دليل ، وإنما هو التنـاقض في فهم الكتـاب والسُّـنَّة ، وانحـراف منـاهج الاســـــــــتدلال(1) كمـــــــــا ذكرنـــــــــا من قبـــــــــل.
وسنورد إن شاء الله تعالى هذه النقاط ، ثم نعقبها بالرد ما تيسـر لنـا ذلـك.

النقطـــة الأولى :

وهي تدور حول مفهوم الإيمان ، فقد انقسموا إلى ثلاثة أقوال على الجملة:
أن الإيمان مجـرد مـا في القلب – **أي قـول القلب –** ثم منهم من يـدخل فيـــــــــه أعمـــــــــال القلب ومنهم من لا يـــــــــدخلها.

(1) وأما عن مناهج استدلالهم فسيأتي بيانها في مبحثنا التالي إن شاء اللـه تعالى عن "أصول الفكر والنظر عند أهل السنة والجماعـة" وسـنعرض فيـه بإذن الله تعالى إلى مآخذ كل من المرجئة والخوارج في طرق اسـتدلالهم ، وحجياتهم التي يقيمون عليهـا مـذاهبهم في فهم نصـوص الكتـاب والسـنة ، ومنهـا مـا أخـذه المرجئـة من أنـه ليس للعمـوم صـيغ بـالمرة تـدل على الاستغراق ، وأن هذه الصيغ – مثل الجمع المعـرف بـأل ، ومن في معـرض الشرط والفكرة في سياق النفي ، ولفظ كل وجميع وأمثـال ذلـك من صـيغ العموم – لا تدل على الاستغراق لغة وشـرعاً ، ومـا اتبـع ذلـك من اسـتدلال على مذهبهم المنقوض .. إلى غير ذلك من طرق استدلالهم سواء في اللغة ودلالاتها أو في القواعد الأصولية اللغويـة أو الشـرعية أو في اعتبـار الـدليل الشرعي والدليل العقلي وعلاقة كل منهما بالآخر .." [2]

"يقــول ابن القيم: "فــإن هــذا خلاف المعلــوم بالاضــطرار من دين الإسلام ، فإن المنافقين يقولونهـا بألسـنتهم ، وهم تحت الجاحـدين لهـا في

[1] حقيقة الإيمان، ص/63
[2] حقيقة الإيمان، ص/78

الـدرك الأسـفل من النـار ، فلابـد **من قـول القلب وقـول** اللسـان . وقول القلب يتضمن من معرفتها والتصديق بها ، ومعرفة حقيقة ما تضـمنته من النفي والإثبات ، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله ، المختصـة به ، التي يستحيل ثبوتها لغيره ، وقيـام هـذا المعـنى بـالقلب علمـاً ومعرفـة ويقيناً وحالاً ما يوجب تحريم قائلها على النار . وكـل قـول رتب الشـارع مـا رتب عليـــــه من الثـــــواب ، فإنمــــا هـــــو القـــــول التـــــام"(1).

وهذا المعنى إنما يأتي من أن الألفاظ لا تـراد لـذواتها وإنمـا تـراد لمعانيهـا ، يقـــول الإمـــام ابن القيم مـــدللاً على هـــذا المعـــنى في كلام بليـــغ: "الألفـــــــاظ موضـــــــوعة للدلالـــــــة على مـــــا في النفس":

إن الله تعالى وضع الألفاظ بين عباده تعريفاً ودلالة على مـا في نفوسـهم ، فإذا أراد أحدهم من الآخر شيئاً عرفه بمراده وما في نفسـه بلفظـه ، ورتب على تلـك الإرادات والمقاصـد أحكامهـا بواسـطة الألفـاظ ، ولم يـرتب تلـك الأحكام على مجرد ما في النفـوس من غـير دلالـة فعـل أو قـول ، ولا على مجرد ألفاظ مع العلم بأن المتكلم بها لم يرد معانيه ولم يحط بها علماً ، بل تجاوز للأمة عما حدثت به أنفسها ، ما لم تعمل به أو تكلم بـه ، وتجـاوز لهـا عما تكلمت به مخطئة ، أو ناسية ، أو مكرهة ، أو غير عالمـة بـه إذا لم تكن مريدة لمعنى ما تكلمت به ، أو قاصـدة إليـه ، فـإذا اجتمـع القصـد والدلالـة القوليـة أو الفعليـة تـرتب الحكم. هـذه قاعـدة الشـريعة .. الخ"(2)ـ .

---

(1) "مـــــــــــدارج الســــــــــالكين" جـــــــــــ1 ص 331.

(2) "إعلام الموقعين" جـ3 ص 105.." [1]

[الحجـرات: من الآية14]، فـإن من حكمت لـه النصـوص أنـه مـؤمن فإنـه مسلم على كـل حـال، فـإن الإيمـان وصـف أعلى من وصـف الإسـلام، لأنـه مشتق من الأمن فهو من الأمور الباطنة الـذي يـؤتمن عليـه, ويكـون خفيـة, والإسلام من الأمور المدركة المحسوسة في الظاهر,مشتق من التسـليم أو المسالمة كما تقدم, فإذا أطلق الإيمان في النصوص دخل فيه الإسلام, وإذا أطلق الإسلام لم يدخل فيـه الإيمـان, ومن أثبت لـه الإيمـان في النصـوص, فإنه ثابت له الإسلام, والمسلم لابد أن يكون معه إيمان يصحح إسلامه, وإلا كان منافقاً, ولكن لا يسـتحق أن يمـدح بـه ويثـنى عليـه, بـل إيمانـه نـاقص, ويأتي تمثيله, والإيمان الـرعي: **وعمل, قـول القلب واللسـان**, وعمـل القلب واللسـان والجـوارح, ويزيـد بالطاعـة وينقص بالمعصـية, فـدخل فيـه جميع المأمورات, سواء كان من بالواجبات أو المستحبات, ودخل فيـه تـرك جميع المنهيات, سواء." [2]

---

[1] () حقيقة الإيمان، ص/97

[2] () حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم، ص/99

"ثالث ما ذكره النبي (من شعب الإيمان في هذا الحديث (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)، إماطته يعني: إزالته عن الطريق المسلوك، سواء كان طريق مشاةٍ أو طريق سياراتٍ أو طريق دواب، كل ما استطرقه الناس ومشوا فيه بأرجلهم أو في دوابهم فإنه يدخل في قوله: (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) وإماطة الأذى من عمل الجوارح، وبه نعرف أن من مسمى الإيمان عمل الجوارح، وأن من أخرج الأعمال عن مسمى الإيمان فقد خالف ما أجمع عليه السلف وما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة.

فهمنا من هذا الحديث أن الإيمان يكون في القلب ويكون في اللّسان ويكون في الجوارح، واعلم أن قول النبي (: (فأعلاها قول: لا إله إلاّ الله) ليس المراد مجرد القول الخالي من تدبر ما تضمنته هذه الكلمة من العمل، فالحقيقة أن قوله: (فأعلاها قول: لا إله إلاّ الله) يشمل القول وعمل القلب، لأن القول **هو قول القلب وقول** اللسان، وقول القلب يكون بتصديقه وإخلاصه، وقول اللسان يكون بنطقه وتلفّظه.

إذاً: فهمنا الآن ما هو الإيمان، وأنه قول وعمل قول القلب، وقول اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح، وعلى هذا تواطأت كلمات السلف، فمهما اختلف لفظها وتنوع تعبيرها فإنها ترجع إلى أن الإيمان قول وعمل.

هل قوله: (والإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول: لا إله إلاّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) هو تعريف الإيمان إذا قرن به الإسلام ، لأننا ذكرنا قبل قليل: أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة إذا اقترن بالإيمان وأن الإيمان يكون عمل القلب، والحديث تضمن قول اللسان وعمل الجوارح وعمل القلب.." [1]

"عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة..."الحديث.

24- والإيمان قول وعمل يزيد وينقص كما جاء في الخبر:"أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً".

... ش:الإيمان شرعاً هو ما ذكره المؤلف :قول وعمل فالقول قسمان:قول القلب وهو الاعتقاد.وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.والعمل قسمان:عمل القلب وهو نية وإخلاص وعمل الجوارح كالصلاة والحج. فعند أهل السنة والجماعة الإيمان اعتقادٌ بالقلب ونطقٌ باللسان وعملٌ بالأركان.قال البخاري رحمه الله في صحيحه من كتاب الإيمان:(باب الإيمان)وقول النبي صلى الله عليه وسلم:"بُني الإسلام على خمس"وهو قول وفعل يزيد وينقص قال الله تعالى: {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} (76) سورة مريم.{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}(17)سورة محمد.{وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا}(31)سورة المدثر.وقوله: { أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا}(124)سورة التوبة.وقوله تعالى:

[1] () شرح الأصول الثلاثة، ص/67

{وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}(22)سورة الأحزاب. والحبُّ في الله والبغض في الله من الإيمان.والحديث الذي أورده المؤلف رحمه الله حديثٌ صحيح رواه أحمد في مسنده والترمذي.وقد دلَّ على أنَّ الأعمال تدخل في مسمَّى الإيمان.ودلَّ على أن الإيمان يتفاضل.قال الإمام البربهاري رحمه الله في شرح السنة(والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ،وعمل وقول ونية وإصابة،يزيد وينقص يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء).

25- ومن ترك الصَّلَاةَ فقد كَفَرَ" و"لَيْسَ مِنَ الأعمال شيءٌ تركُهُ كُفْرٌ إلا الصلاة" من تَرَكها فهو كافر وقد أحلَّ الله قتله.." [1]

"وإذا ذكر مفردا كما في قوله تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }{ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } (الأنفال الآية : 2 ـ 3) ، وكما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإيمان بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » ، أريد به الدين كله ، كما أن الإسلام إذا أفرد دخل فيه أصل الإيمان وهو ما في القلب .

ومن هنا قلنا : الإيمان قول وعمل . **والمراد قول القلب وهو** الاعتقاد ، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام .

وعمل القلب : وهو النية والإخلاص ونحو ذلك ، وعمل الجوارح كالصلاة والزكاة ونحوهما .." [2]

"الأول: قولنا ومن أصول الفرقة الناجية: أن الإيمان والدين قول وعمل، يزيد **وينقص، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، قالوا: فإذا قيل إن هذا من أصول الفرقة الناجية، خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل بذلك: مثل أصحابنا المتكلمين، الذين يقولون إن الإيمان هو التصديق، ومن يقول الإيمان هو التصديق والإقرار، وإذا لم يكونوا من الناجين: لزم أن يكونوا هالكين...........

فأجبتهم عن الأسئلة، بأن قولي اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي (بالنجاة، حيث قال: "تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي"(55).

فهذا الاعتقاد: هو المأثور عن النبي (، وأصحابه رضي الله عنهم، وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية، فإنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال: الإيمان يزيد وينقص، وكل ما ذكرته في ذلك فإنه مأثور عن الصحابة بالأسانيد الثابتة لفظه ومعناه، وإذا خالفهم من بعدهم لم يضر في ذلك، ثم

[1] () شرح أصول السنة للإمام أحمد -عمر الحربي، ص/30

[2] () رسالة في أسس العقيدة، ص/124

قلت لهم: وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا، فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحوا الله به سيئاته؛ وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول، والقانت، وذو الحسنات الماحية، والمغفور له وغير ذلك: فهذا أولى؛ بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيًا، وقد لا يكون ناجيًا، كما يقال من صمت نجا). "الفتاوى" (3/179.177).." [1]

"أما المتعلق الأول : فالقلب ، والقلب له قول وله فعل ، فالقلب له قول وله فعل **أما قول القلب فمطلق** التصديق ، فتصديق الإنسان بوجود الرب ـ سبحانه وتعالى ، وتصديق المرء بأن الإسلام ناسخ لجميع الديانات السابقات كل ذلك **من قول القلب** ، وأما فعل القلب فما يَطْرَأ و يَعْرُضُ للقلب من أحوال كبُغض ومحبة وكراهية وتوكل وغيرها . وأما المتعلق والمحل الثاني : فهو اللسان ، واللسان له قول وله فعل ، ومن أقوال اللسان النطق بلا إله إلا الله ، ومن أعماله أيضاً فلا يُفَرِّقُ جماهير اللغويين والعقائديين بين قول اللسان وفعله بل جعلوا الأمر يتعلق بفعل وعمل اللسان فقط ولا يذكرون بأن للِّسان قولا وهذا هو المتمشي مع مفهوم القول والفعل السابقين ، ومن أفعال وأعمال اللسان قراءة القرآن ، وذكر الله الرحمن ، والمجيء بأوراد الصباح والمساء وغيرها مما فيه تحرك اللسان هذه اللحمة المضغة الصغيرة ، بين فكي وجوف الفم . وأما المحل والتعلق الثالث : فهي بقية الجوارح من يدين وقدمين وغيرهما ، وهذه ليس لها إلا عمل ولا قول لها ، وأعمال الجوارح كثيرة ومن أمثلتها السجود الذي فيه انثناء للجسد ووضعٌ للجبهة والأنف على الأرض وبسطٌ للكفين على الأرض إلى غير ذلك. ومن أعمال وأفعال الجوارح أيضاً عقد التسبيح بالكف أي بأصابعها ، فإن ذلك من أعمال اليد أيضاً ، إلى غير ذلك من أمثلة .." [2]

" عن رءوسهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن و اعلم أن النصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها و فيما ذكرنا كفاية و سنذكر إن شاء الله تعالى عند ذكر شروطها ما تيسر من نصوص الكتاب و السنة و يكفيك في فضل لا إله إلا الله اخبار النبي صلى الله عليه و سلم أنها أعلى جميع شعب الإيمان كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم الإيمان بضع و سبعون أو بضع و ستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله و أدناها إماطة الأذى عن الطريق الحديث و هذا لفظ مسلم

[1] () مفهوم أهل السنة والجماعة، ص/149

[2] () مفتاح الوصول شرح ثلاثة الأصول، ص/58

من قالها أي قال هذه الكلمة حال كونه معتقدا أي عالما و متيقنا معناها الذي دلت عليه نفيا و إثباتا و كان مع ذلك عاملا بمقتضاها على وفق ما علمه منها و تيقنه فإن ثمرة العلم العمل به في القول **أي قول القلب و** اللسان و الجوارح قال الله عز و جل يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون الصف 2 3 مات مؤمنا أي على ذلك و هذا شرط لا بد منه فإنما الأعمال بالخواتيم قال صلى الله عليه و سلم ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة الحديث في الصحيحين عن أبي ذر بطوله يبعث يوم الحشر أي يوم الجمع ناج من النار آمنا من فزع يوم القيامة كما قال تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها و هم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر و تتلقاهم الملائكة هذا يومكم ." [1]

" التزمه واتبعه هو قول أي بالقلب واللسان وعمل أي بالقلب واللسان والجوارح فهذه أربعة أشياء جامعة لأمور دين الإسلام

الأول قول القلب وهو تصديقه وإيقانه قال الله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم مايشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين الزمر 33 34 وقال تعالى وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين الأنعام 75 وقال تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الحجرات 15 صدقوا ثم لم يشكوا وفي حديث الدرجات العلى بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال تعالى والذين يؤمنون بالغيب البقرة 3 وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم البقرة 136 الآيات وقال تعالى وقل امنت بما أنزل الله من كتاب الشورى 15 وغير ذلك من الآيات

وفي حديث الشفاعة يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة الحديث

وفي الحديث الآخر فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان ثم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ثم من كان في قلبه أدنى أدني أدني من مثقال حبة من خردل من إيمان ." [2]

" الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين التوبة 111 112 والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وإنما المقصود تقرير هذه الأمور من أصول الدين فإذا

[1] () معارج القبول، 2/415

[2] () معارج القبول، 2/588

حققت هذه الأمور الأربعة تحقيقا بالغا وعرفت ما يراد بها معرفة تامة وفهمت فهما واضحا ثم أمعنت النظر في أضدادها ونواقضها تبين لك أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة

كفر جهل وتكذيب

وكفر جحود

وكفر عناد واستكبار

وكفر نفاق فأحدهما يخرج من الملة بالكلية وإن اجتمت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك لأنها إما أن تنتفي هذه الأمور **كلها قول القلب وعمله** وقول اللسان وعمل الجوارح أو ينتفي بعضها فإن انتقت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق قال الله تعالى إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم البقرة 6 7 وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق فكفر الجهل والتكذيب قال الله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله يونس 39 وقال تعالى أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون النمل 84 وإن كتم الحق مع العلم بصدقه فكفر الجحود والكتمان قال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين النمل 14 وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنه الله على ." [1]

" متفرقه منها ما هو **من قول القلب وعمله** ومنها ما هو من قول اللسان ومنها ما هو من عمل الجوارح

ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله تعالى إيمانا في قول الله عز و جل وما كان الله ليضيع إيمانكم البقرة 143 يعني صلاتكم كما يعلم من سبب نزول الآية وروى سعيد بن منصور عن عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم وما سبقونا به فقال عبد الله إن أمر محمد صلى الله عليه و سلم كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ماآمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بالغيب ثم قرأ آلم ذلك الكتاب إلى قوله المفلحون البقرة 1 5 والآيات والأحاديث في هذا الباب يطول ذكرها وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ما وراءه وبالله التوفيق

وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم الله تعالى إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكارا شديدا وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا محدثا ممن سمى لنا سعيدا بن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السختياني والنخعي والزهري وإبراهيم

1() معارج القبول، 2/593

ويحيى بن أبي كثير والثوري و الأوزاعي وعمر بن عبد العزيز وغيرهم قال الثوري هو رأي محدث أدركنا الناس على غيره وقال الأوزاعي كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الامصار أما بعد فإن الإيمان فرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم ." [1]

" والحالة الثانية أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام وحيئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه وكما في قول الله عز و جل والذين امنوا وعملوا الصالحات النساء 57 وكما في غير ما موضع من كتابه وكما في قول النبي صلى الله عليه و سلم في دعاء الجنازة اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان وذلك أن الأعمال بالجوارح وإنما يتمكن مها في الحياة فأما عند الموت فلا يبقى **غير قول القلب وعمله** وكحديث أنس عند أحمد عن النبي صلى الله عليه و سلم قال الإسلام علانية والإيمان في القلب

والحاصل أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث الجليل والمجموع مع الإحسان هوالدين كما سمى النبي صلى الله عليه و سلم ذلك كله دينا وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان وبذلك جمع بينه وبينهما أهل العلم

قال ابن رجب رحمه الله وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان وتفريق النبي صلى الله عليه و سلم بينهما وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان فإنه يتضح بتقرير أصل وهو أن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه فإذا قرن ذلك ." [2]

"وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية. ومن شعب الإيمان القولية: شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوال الإيمان. وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية، فكما يكفر الإتيان بكلمة الكفر اختياراً، وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم،

[1] معارج القبول، 2/600

[2] معارج القبول، 2/603

والاسـتهانة بالمصـحف، فهـذا أصـل.
وههنا أصل آخر، وهـو أن حقيقـة الإيمـان مركبـة من قـول وعمـل. والقـول قسـمان: قـول القلب، وهـو الاعتقـاد، وقـول اللسـان، وهـو التكلم بكلمـة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب،. وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجـوارح، فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعـة. وإذا زال عمل القلب مع اعتقـاد الصـدق، فهـذا موضـع المعركـة بين المرجئـة وأهـل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفـع التصـديق مـع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقـدون صـدق الرسـول، بـل ويقـرون بـه سراً وجهراً ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن به.." [1]
"((وروى مسـلم في صـحيحه عن الأعمش عن أبي صـالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: ((اثنتـان في النـاس همـا بهم كفـر)).
أي هاتان الخصلتان هم كفر قائم بالناس، ففي الخصـلتين كفـر، حيث كانتـا من أعمال الكفار، وهما قائمتان بالناس، لكن ليس كـل من قـام من شـعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق، حـتى يقـوم بـه حقيقـة الكفـر. كما أنه ليس كل من قام بـه شـعبة من شـعب الإيمـان يصـير مؤمنـاً، حـتى يقوم من أصل الإيمان وفرق بين الكفر المعرف باللام، كما في قوله صـلى الله عليه وسلم: ((ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا تـرك الصـلاة)). وبين كفـرٍ مُنكـرٍ في الإثبـات.
وفرق أيضاً بين معنى الاسم المطلق إذا قيل: كافر، أو مؤمن، وبين المعنى المطلق للاسم في جميع موارده، كما في قولـه: ((لا ترجعـوا بعـدي كفـاراً، يضـرب بعضـكم رقـاب بعض)).
فقولـه: ((يضـرب بعضـكم رقـاب بعض)) تفسـير الكفـار في هـذا الموضـع، وهؤلاء يُسـمون كفـاراً تسـمية مقيـدة، ولا يـدخلون في الاسـم المطلـق إذا قيـل: كـافر، ومـؤمن.
كما أن قوله تعالى : { مِن مَّآءٍ دَافِقٍ } سمى المني ماء تسمية مقيدة، ولم يـدخل في الاسـم المطلـق حيث قـال: { فلَمْ تَجِـدُوا مَـآءً فَتَيَمَّمُـوا } ..)).
6-أن أهل السنة والجماعة يعظمون لفظ التكفيـر جـداً، ويجعلونـه حقـاً للـه ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقط، فلا يجوز ولا يسوغ عندهم تكفير أحـدٍ إلا من كفـره اللـه أو كفـره رسـوله.
ولذا يقول الطحاوي في عقيدته المشهورة المتداولـة: ((ولا نكفـر أحـداً من أهل القبلـة بـذنب مـا لم يسـتحله. ولا نقـول لا يضـر مـع الإيمـان ذنب لمن عملـه)).
وكذا قرره ابن تيمية في عقيدته: الواسطية المتلقـاه بـالقبول، حيث يقـول:

[1] () مسألة الإيمان للشبل، ص/47

((فصل، ومن أصل أهل السنة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.." [1]

"الأصل الرابع : مسألة الإيمان

فأهل السُنة يعتقدون ما جاء به الكتاب والسُنة من أن الإيمان هو تصديق القلب المتضمن لأعمال الجوارح فيقولون الإيمان اعتقادات القلوب وأعمالها وأعمال الجوارح وأقوال اللسان وأنها كلها من الإيمان.
الشرح: شرع المؤلف رحمه الله في بيان الأصل الرابع من أصول الاعتقاد وهو (مسألة الإيمان) وخصها رحمه الله بالذكر وجعلها أصلاً من أصول الاعتقاد لأن هناك فِرقاً قد ضلت في هذا الأصل العظيم وخالفت الطريق المستقيم ولذا نجد علماء الأمة يخصون هذه المسألة بالذكر في كتبهم فهذا شيخ الإسلام رحمه الله نجده كثيراً ما يتكلم عن هذه المسألة فانظر إلى المجلد السابع من مجموع الفتاوى له تجده خُصِّص لهذه المسألة فقط.
وقول المؤلف رحمه الله: (فأهل السُنة يعتقدون بما جاء به الكتاب والسُنة من أن الإيمان هو تصديق القلب ... إلخ) هنا بين رحمه الله اعتقاد أهل السُنة في الإيمان.
فقوله: (الإيمان هو تصديق القلب) أي اعترافه وقوله كما قال شيخ الإسلام في الواسطية (**الإيمان قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح).
وقوله: (المتضمن لأعمال الجوارح) لأن الجوارح شاهدة على ما في القلب من إيمان فمتى امتلأ القلب بالإيمان خضعت الجوارح وسكنت لخالقها فركعت وسجدت وقامت وقعدت فيكون عملها إيماناً شرعاً لأن الحامل لهذه الأعمال هو الإيمان.
وقوله: (فيقولون الإيمان اعتقادات القلوب وأعمالها) عمل القلوب تحركها وإرادتها مثل الإخلاص في العمل فهذا عمل القلب وكذا التوكل والرجاء والخوف والصبر والخشية والإنابة وغيرها من أعمال القلوب .
وقوله: (وأعمال الجوارح وأقوال اللسان أنها كلها من الإيمان) هنا يريد أن يرد على الذين قالوا بأن الإيمان قول فقط ويخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان كالمرجئة وغيرهم.
وأن من أكملها ظاهراً وباطناً فقد أكمل الإيمان ومن انتقص شيئاً منها فقد انتقص من إيمانه.." [2]

"الفصل الثالث: الإيمان عند الفرق ((إجمالاً))، عرضت فيه لأقوال الوعيدية والمرجئة مع مناقشة أهم أقوالهم وأدلتهم:
أ- الإيمان عند الوعيدية:

[1] مسألة الإيمان للشبل، ص/50
[2] مختصر في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص/1

- تعريفه - قولهم في الزيادة والنقصان.
- موقفهم من نصوص الوعد والوعيد.
- الفرق بين الكبائر والصغائر عندهم.
- حكم أهل الكبائر عندهم.
ب- الإيمان عند المرجئة:
تعريف:
- الصلة بين الإيمان والعمل عندهم.
- موقفهم من الزيادة والنقصان.
- موقفهم من نصوص الوعد والوعيد.
- الكفر عندهم.
الباب الثاني:
ضوابط التكفير وموانعه عند أهل السنة: ويشتمل على فصلين:
الفصل الأول: ضوابط التكفير: وأهم مباحثه:
- الحكم بالظاهر وأدلة ذلك.
- الاحتياط في تكفير المعين ((ليس كل من قال الكفر أو عمله يكون كافراً)).
- ما تقوم به الحجة.
- عدم التكفير بكل ذنب.
الفصل الثاني: موانع التكفير وأهمها:
(1) الجهل: حالات الجهل، ومتى يكون عذراً؟
- أدلة العذر بالجهل.
- أدلة من لا يعذرون ثم الترجيح.
حكم من لم تبلغهم الدعوة.
(2) الخطأ: المراد به.
- الفرق بينه وبين الجهل.
- متى يكون عذراً في العقائد والأحكام؟
(3) الإكراه:
- المراد به.
- أنواعه، متى يكون عذراً؟
(4) التأويل:
- المراد به.
- متى يكون عذراً؟
(5) التقليد – المراد به في العقائد والأحكام.
- هل يكون عذراً؟
الباب الثالث:
نواقض الإيمان الاعتقادية، وفيه ثلاثة فصول:
الفصل الأول: ما يناقض قول القلب: ويشمل:

1- كفـــــــــــــر الجحـــــــــــــــود والتكـــــــــــــــــذيب.
2- اســـتحلال أمـــر معلـــوم تحريمـــه من الـــدين بالضـــرورة.
3- الشـــك في حكم من أحكـــام اللـــه عـــز وجـــل أو خـــبر من أخبـــاره.
4- من اعتقد أن بعض النـاس لا يجب عليـه اتبـاع النـبي - صـلى اللـه عليـه وســـلم -0
5- الجهـــــــــــــل، ومـــــــــــــتى يكـــــــــــــون كفـــــــــــــراً.
6- الشـــــــــــــــــــــــرك في الربوبيـــــــــــــــــــــــة.
7- اعتقـــــــاد ألوهيـــــــة غـــــــير اللـــــــه عـــــــز وجـــــــل.
الفصـــــل الثـــــاني: مـــــا ينـــــاقض عمـــــل القلب، ويشـــــمل:
1- الإعـــــراض عن دين اللـــــه لا يتعلمـــــه ولا يعمـــــل بـــــه.
2- النفاق الاعتقادي.." [1]

"وروى الإمام اللالكائي(1)عن الإمام البخاري قوله: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمـان قـول وعمـــــــــــــــــــل، يزيـــــــــــــــــــد وينقص(2).
والنصوص عن الأئمة كثيرة جداً في قـولهم: إن الإيمـان قـول وعمـل، نقـل كثيراً منها المصنفون في عقيدة أهل السـنة من الأئمـة المتقـدمين كالإمـام اللالكـــــــائي وابن بطـــــــه(3)وابن أبي عاصـــــــم وغـــــــيرهم.
ولا فرق بين قولهم: إن الإيمان قـول وعمـل، أو قـول وعمـل ونيـة، أوقـول وعمل واعتقاد. فكل ذلك من باب اختلاف التنوع، فمن قال من السلف: إن الإيمان قول وعمل **أراد قول القلب واللسان** وعمـل القلب والجـوارح.
ومن زاد الاعتقاد رأى لفظ القـول لا يفهم منـه إلا القـول الظـاهر، أو خـاف ذلـــــــــك، فـــــــــزاد الاعتقـــــــــاد بـــــــــالقلب.
ومن قال: قـول وعمـل ونيـة، قـال: القـول يتنـاول الاعتقـاد (قـول القلب)، وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية (عمل القلب)، فـزاد ذلـك(4).

---

(1) الإمام اللالكائي : أبو القاسم، هبة الله بن الحسـن بن منصـور الطـبرى اللالكـائي، درس فقـه الشـافعي على أبي حامـد الإسـفرائيني، وروى عنـه، الخطيب البغدادي وغيره له مصـنفات من أشـهرها ((شـرح أصـول اعتقـاد أهل السنة)) وهو من أجمع الكتب في عرض أصول أهل السنة والآثـار عن السـلف في ذلـك، تـوفي سـنة 418 ه-، انظـر سـير أعلام النبلاء 17/419، تـــــــــــــــــــــاريخ بغـــــــــــــــــــــداد 14/70.
(2) نفســـــه، وذكـــــره الحافـــــظ ابن حجـــــر في الفتح 1/47.
(3) عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بـابن بطـة، ولد سنة 304 ه- سمع من إسماعيل الـوراق، وأبي القاسـم الخـرقي، وأبـو بكر عبد العزيز وغيرهم، صاحب زهد وعبادة وكان أماراً بالمعروف ناهياً عن

[1] () نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/4

المنكر، له مصنفات كثيرة من أشهرها وأعظمها ((الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية)) يعد من كبار الحنابلة، توفي سنة 387 ه- انظر المنهج الأحمد 2/81 - 85 وطبقات الحنابلة 2/144 وتاريخ بغداد 10/3721.
(4) انظر الإيمان لابن تيمية 163، والإيمان الأوسط 47، 48.." [1]

"خلاصة ما سبق من حقيقة الإيمان الشرعي أنها (مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام.
والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سراً وجهراً، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به)(1).
العلاقة بين المعنى اللغوى والشرعي:
عرفنا أن من معاني الإيمان لغة: التصديق، وأن التصديق يكون بالقلب واللسان والجوارح، وهكذا الإيمان الشرعي، عبارة عن تصديق مخصوص، وهو ما يسمى عند السلف، بقول القلب، وهذا التصديق لا ينفع وحده، بل لابد معه من الانقياد والاستسلام، وهو ما يسمى بعمل القلب ويلزم من ذلك قول اللسان، وعمل الجوارح، وهذه الأجزاء مترابطة، لا غنى لواحدة منها عن الأخرى ومن آمن بالله عز وجل، فقد أمن من عذابه.
ثانيا: الإيمان اعتقاد وقول وعمل
الإيمان أصله في القلب:
قال عز وجل: (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)(2).
وقال تعالى: (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم)(3).
وقال أيضاً: (كتب في قلوبهم الإيمان)(4).
وقال أيضاً: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)(5).

---
(1) الصلاة وحكم تاركها لابن القيم ص 54.
(2) سورة الحجرات، آية : 14
(3) سورة الحشرات آية : 7
(4) سورة المجادلة، آية : 22
(5) سورة النحل، آية : 106." [2]

---
[1] () نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/32
[2] () نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/33

"وقال - صلى الله عليه وسلم: " يا معشر من آمن بلسان، ولم يدخل الإيمان إلى قلبه"(1).
إلى غير ذلك من الأدلة الصريحة في أن إيمان القلب شرط في الإيمان، ولا يصح الإيمان بدونه، وأنه إذا وجد سرى ذلك إلى الجوارح ولابد.
وإيمان القلب ليس مجرد العلم والمعرفة والتصديق بالله عز وجل، وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم - بل لابد مع ذلك من الانقياد والاستسلام، والخضوع والإخلاص، مما يدخل تحت عمل القلب.
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين:
تصديق القلب وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا: قول القلب، قال الجنيد بن محمد(2)" التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب " فلا بد فيه **من قول القلب وعمله**، ثم قول البدن وعمله، ولا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها جزءاً من الإيمان ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن ضرورة لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم " ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب(3).

(1) رواه أحمد 4/420، ـ 421 وأبو داود في كتاب الأدبة " باب في الغيبة " رقم 488، والترمذي كتاب البر والصلة "" باب ما جاء تعظيم المؤمن رقم 2032 وصححه الألباني في صحيح الجامع 6/308
(2) ... الجنيد بن محمد البغدادي، شيخ مذهب الصوفية، له عدة رسائل في التوحيد والوعظ توفي ببغداد سنة 297 ه- الأعلام 2/141
(3) متفق عليه، البخاري "الإيمان" باب فضل من استبرأ لدينه رقم 52، ومسلم، المساقاة " باب أخذ الحلال وترك الشبهات رقم 1599." [1]

"فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قلبياً لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر، والعمل بالإيمان المطلق..)(1).
ويقول أيضاً (الإيمان أصله معرفة القلب وتصديقه وقوله، والعمل تابع لهذا العلم والتصديق ملازم له، ولا يكون العبد مؤمناً إلا بها)(2).
ويقول - رحمه الله - مبيناً شدة الترابط بين الأصل والفرع: (إذا قام بالقلب التصديق به، والمحبة له (قول القلب، وعمله) لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة، والأعمال الظاهرة، فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه، ودليله ومعلوله، كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضاً تأثير فيما في القلب، فكل منهما يؤثر في الآخر، لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له، والفرع يستمد

[1] () نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/34

من أصله، والأصل يثبت ويقوى بفرعه)(3).

(1) الإيمان 176 - 177
(2) الإيمان 361 وراجع الإيمان الأوسط 721
(3) الإيمان الأوسط 83." [1]

"ويقول الإمام المروزي(1)- رحمه الله -: (أصل الإيمان التصديق بالله، وبما جاء من عنده، وعنه يكون الخضوع لله لأنه إذا صدق بالله خضع له، وإذا خضع أطاع.. ومعنى التصديق هو المعرفة بالله، والاعتراف له بالربوبية، بوعده، ووعيده، وواجب حقه، وتحقيق ما صدق به من القول والعمل.. ومن التصديق بالله يكون الخضوع لله، وعن الخضوع تكون الطاعات، فأول ما يكون عن خضوع القلب لله الذي أوجبه التصديق من عمل الجوارح والإقرار باللسان)(2).
ويقول أيضاً: (وإنما المعرفة التي هي إيمان، هي معرفة تعظيم الله، وجلاله، وهيبته، فإذا كان كذلك، فهو المصدق الذي لا يجد محيصاً عن الإجلال، والخضوع لله بالربوبية، فبذلك ثبت أن الإيمان يوجب الإجلال لله، والتعظيم له، والخوف منه، والتسارع إليه بالطاعة على قدر ما وجب في القلب من عظيم المعرفة)(3).
ويقول: (أصل الإيمان هو التصديق، وعنه يكون الخضوع، فلا يكون مصدقاً إلا خاضعاً، ولا خاضعاً إلا مصدقاً، وعنهما تكون الأعمال)(4).

(1) هو أبو عبدالله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، ولد ببغداد سنة 202هـ- توفي سنة 294هـ- من كبار علماء الحديث، رحل كثيراً في طلب العلم، ومن أشهر شيوخه إسحاق بن راهويه، وابن أبي شيبة، وهناد، قال الخطيب : كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة، له تصانيف كثيرة في الفقه وفي نصرة مذهب السلف، من أشهرها " تعظيم قدر الصلاة " ونصفه حول مسائل الإيمان، " والسنة " حول حجية السنة، انظر ترجمة موسعة له في مقدمة كتاب تعظيم قدر الصلاة كتبها د. عبد الرحمن الفريوائى 1/15-64
(2) تعظيم قدر الصلاة 2/695، 696
(3) تعظيم قدر الصلاة 2/775، 776 ويلاحظ من هذا النقل، والذي قبله أنه لا فرق بين مفهومي التصديق، والمعرفة عند الإمام المروزي وكلاهما داخل تحت قول القلب.
(4) تعظيم قدر الصلاة 2/715، 716 .." [2]

"يتضح لنا من النقل السابق أن العلم والمعرفة والتصديق (أي قول القلب)، إن لم يصحبها الانقياد والاستسلام والخضوع، (أي عمل القلب

[1] () نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/35
[2] () نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/36

والجوارح) لم يكن المرء مؤمناً، بل تصديق هذا شر من عدمه(1)لأنه ترك الانقياد مع علمه ومعرفته.
والدليل على أن التصديق والمعرفة فقط لا تنفع صاحب-ها وصف الله به إبليس بقوله: (خلقتنى من نار)(2)وقوله: (فبعزتك لأغوينهم أجمعين)(3)، فأخبر أنه قد عرف أن الله خلقه، ولم يخضع لأمره فيسجد لآدم كما أمره، فلم ينفعه معرفته إذ زايله الخضوع.
والدليل على ذلك أيضاً شهادة الله على قلوب بعض اليهود أنهم يعرفون النبي – صلى الله عليه وسلم – وما أنزل إليهم كما يعرفون أبناءهم، فلا أحد أصدق شهادة على ما في قلوبهم من الله، إذ يقول لنبيه: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به)(4)، وقال: (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)(5)، وقال: (ليكتمون الحق وهم يعلمون)(6)فشهد على قلوبهم بأنها عارفة عالمة بالنبي – صلى الله عليه وسلم – ولم يوجب لهم اسم الإيمان بمعرفتهم وعلمهم بالحق إذ لم يقارن معرفتهم التصديق والخضوع لله ولرسوله بالتصديق له والطاعة(7).
ومما يجدر ذكره أن بعض السلف يطلق التصديق أو اعتاد القلب ويقصد **به** **قول القلب وعمله** جميعاً، أو عمل القلب وحده.

---

(1) للاستزاده راجع الصارم المسلول / 520 – 525 .
(2) سورة الأعراف، آية : 12
(3) سورة ص، آية : 82
(4) سورة البقرة، آية : 89
(5) سورة البقرة، آية 146
(6) سورة البقرة، آية : 146
(7) انظر تعظيم قدر الصلاة للمروزي 2/696، 698." [1]
"يقول الإمام أحمد – رحمه الله -: " وأما من زعم أن الإيمان الإقرار، فما يقول في المعرفة؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار؟ وهل يحتاج أن يكون مصدقاً بما عرف؟ فإن زعم أنه يحتاج على المعرفة مع الإقرار، فقد زعم أنه من شيئين، وإن زعم أنه يحتاج أن يكون مقرا ومصدقا بما عرف، فهو من ثلاثة أشياء، وإن جحد وقال: لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق فقد قال قولاً عظيماً(1)فالملاحظ من كلام الإمام أحمد أنه يعني بالتصديق عمل القلب ويعني بالمعرفة قول القلب، أما الإقرار فقول اللسان(2)وقال الإمام أبو ثور لما سئل عن الإيمان ما هو؟: (فاعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق بالقلب والقول باللسان وعمل بالجوارح، وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال: أشهد أن الله عز وجل واحد، وأن ما جاءت به الرسل حق، وأقر بجميع الشرائع، ثم قال: ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به أنه ليس بمسلم ولو قال: المسيح هو الله،

---

[1] () نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/37

وجد أمر الإسلام، قال لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن، فلما(3)لم يكن بالإقرار إذا لم يكن معه التصديق مؤمناً ولا بالتصديق إذا لم يكن معه الإقرار مؤمناً، حتى يكون مصدقاً بقلبه مقراً بلسانه فإذا كان تصديق بالقلب وإقرار باللسان كان عندهم مؤمناً(4)وعند بعضهم لا يكون حتى يكون مع التصديق عمل، فيكون بهذه الأشياء إذا اجتمعت مؤمناً...)(5)

ثم رد على من أخرج العمل من الإيمان فالغالب أنه يقصد بالتصديق هنا (قول القلب وعمله) والله أعلم

---

(1) الإيمان 376

(2) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (فأراد أحمد بالتصديق أنه مع المعرفة به صار القل-ب مصدقا له، تابعاً له، محباً له، معظماً له .. وهذا أشبه بأن يحمل عليه كلام الإمام أحمد) الإيمان 380

(3) قال محقق " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " لم أجد جواب لما في السياق

(4) عند أبي حنيفة وأصحابه

(5) شرح أصول اعتقاد أهل السنة 4/849، 850." [1]

"يقول ابن تيمية (وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان وعمل بالجوارح، جعل القول والعمل اسماً لما يظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب، ولا بد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب، أعمال القلب المقارنة لتصديقه، مثل حب الله، وخشية الله والتوكل عليه، ونحو ذلك، فإن دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها)(1)

ويقول الإمام ابن القيم موضحاً ذلك: (ونحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له، ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيماناً لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما يعرفون أبناءهم مؤمنين صادقين)(2)

ونختم هذا البحث بالتأكيد على أهمية الخضوع والاستسلام والانقياد (عمل القلب والجوارح) وأنه أساس دعوة الأنبياء والرسل، وأن قضيتهم مع أقوامهم دائماً ليست قضية المعرفة والعلم المجرد (أي قول القلب) قال تعالى: (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)(3) وقال تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)(4)

---

(1) الإيمان الأوسط ص 48

(2) الصلاة وحكم تاركها، 44، 45

---

[1] () نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/38

(3) سورة الأنعام، أية : 33
(4) سورة النمل، آية : 14
(*)أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، ولد في جرجان سنة 383ه-، من أشهر شيوخه أبو بكر القفال أخذ عنه الفقه الشافعي، وكان الحليمي من مجتهدي المذهب، وهو رئيس المحدثين والمتكلمين فيما وراء النهر وكان ذكياً مناظراً طويل الباع في الأدب والبيان، له تصانيف من أشهرها " المنهاج في شعب الإيمان " توفي سنة 403 ه- في بخارى، سير أعلام النبلاء 17/231 -ـ 234 وانظر ترجمة موسعة في مقدمة كتابة المنهاج.." [1]

"فالكفار والمنافقون غالباً ما يقرون بالربوبية والرسالة ولكن الكبر والبغض وحب الرياسة والشهوات ونحوها تصدهم عن الطاعة والإخلاص والمتابعة (أي توحيد الألوهية) ومن ثم فلا ينفعهم ذلك، ولا ينجيهم من عذاب الله عز وجل في الآخرة ولا من سيف المؤمنين في الدنيا، فيجب على الدعاة إلى الله أن ترتكز دعوتهم على ذلك، وأن لا يقتصروا بالاهتمام بتوحيد الربوبية دون الدعوة إلى توحيد الألوهية، وإنما يكون اهتمامهم بالربوبية طريقاً ومنطلقاً لترسيخ وتثبيت توحيد الألوهية وعبادة الله وحده لا شريك له.

قول اللسان (الإقرار باللسان)(1)

قول اللسان جزء من مسمى الإيمان، والمقصود بقول اللسان: الأعمال التي تؤدى باللسان: كالشهادتين والذكر وتلاوة القرآن والصدق والنصيحة والدعاء وغير ذلك مما لا يؤدى إلا باللسان وهذه الأعمال منها ما هو مستحب ومنها ما هو واجب ومنها ما هو شرط لصحة الإيمان ولنبدأ أولاً بالنصوص الدالة على أن قول اللسان يدخل في مسمى الإيمان ومنها:

1- قوله - عز وجل- (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)(2)ثم قال - عز وجل - (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق)(3).

قال الحليمي(4)(فأمر المؤمنين أن يقولوا " آمنا " ثم أخبر بقوله تعالى: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) أن ذلك القول منهم إيمان، وسمي قولهم مثل ذلك إيماناً، إذ لا معنى لقوله (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به).

---

(1) لا فرق بين الأقرار باللسان، وقول اللسان عند التقييد، أما عند إطلاق لفظ الإقرار أو القول فيفهم من الإقرار إقرار اللسان ومن القول، قول القلب، وقد يقصد به قول اللسان

---

[1] () نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/39

(2) ســــــــــــــــــورة البقـــــــــــــــــــرة، آيـــــــــــــــــة : 136
(3) سورة البقرة، آية : 137." [1]

"لكن - بعدما عرفنا أن مرتبة الإيمان أعلى - كيف يكـون معناهمـا عنـد الاقتران؟ قالوا: (حقيقة الفـرق أن الإسـلام دين، والـدين مصـدر دان يـدين ديناً: إذا خضع وذل، ودين الإسـلام الـذي ارتضـاه اللـه، وبعث بـه رسـله هـو الاستسلام لله وحده.. وهو الخضوع له، والعبودية له، هكذا قال أهـل اللغـة: أسلم الرجل إذا استسلم، فالإسلام في الأصل من باب العمل، عمـل القلب والجوارح. وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من **بـاب قـول القلب المتضمن** عمـل القلب والأصـل فيـه التصـديق، والعمـل تـابع لـه، فلهذا فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - الإيمان بإيمان القلب وبخضوعه، (**أي قول القلب وعمله**) وفسر الإسلام باستسلام مخصوص هو المباني الخمس، هكذا في سائر كلامـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم -: يفسـر الإيمـان بـذلك النـوع، ويفسـر الإسـلام بهـذا، وذلـك النـوع أعلى)(1)، لأن المـؤمن الإيمان التام لابد أن يكـون مسـلماً، ولـذلك ورد في الشـرع إطلاق الإيمـان على أعمـــــــــــــــــــــــــــــال الجـــــــــــــــــــــــــــــوارح.

أما المسلم فلا يلزم أن يكـون تـام الإيمـان، يقـول الإمـام ابن رجب: (قـال المحققون من العلماء: كل مؤمن مسلم، فإن من حقق الإيمـان ورسـخ في قلبه قام بأعمال الإسلام كما قال - صلى اللـه عليـه وسـلم -: ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسـد الجسـد كلـه، ألا وهي القلب)). فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجـوارح في أعمـال الإسلام، وليس كل مسلم مؤمناً، فإنه قد يكـون الإيمـان ضـعيفاً فلا يتحقـق القلب به تحققاً تاما، مع عمل جوارحه أعمال الإسلام فيكون مسلماً، وليس بمـــــــــــــــــــؤمن الإيمـــــــــــــــــان التـــــــــــــــــام)(2).

القـــــــــــــــــــــــــــــــــــــول الثـــــــــــــــــــــــــــــــاني:

(1) ... الإيمـــــــــــــــــــــــــــــــــان 249ــــــــــــــــــــــــــــ 250.
(2) جـامع العلـوم والحكم 27 والحـديث مشـهور متفـق عليـه، البخـارى، والإيمان 1 رقم 52 مسلم رقم 1599.." [2]

"قال أبو طالب المكي: (.. فمثل الإسلام من الإيمان، كمثل الشـهادتين إحـداهما من الأخـرى في المعـنى والحكم، فشـهادة الرسـول، غـير شـهادة الوحدانية، فهما شيئان في الأعيان، وإحداهما مرتبطة بـالأخرى في المعـنى والحكم كشيء واحد، كذلك الإيمان والإسلام أحـدهما مرتبـط بـالآخر، فهمـا كشيء واحد، لا إيمـان لمن لا إسـلام لـه، ولا إسـلام لمن لا إيمـان لـه، إذ لا يخلو المسلم من إيمان بـه يصـح إسـلامه، ولا يخلـو المـؤمن من إسـلام بـه يحقق إيمانـه، من حيث اشـترط اللـه للأعمـال الصـالحة الإيمـان، واشـترط

[1] () نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/40
[2] () نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/65

للإيمان الأعمال الصالحة، فقال في تحقيق ذلك: (فمن يعمل من الصالحات وهـــــــــــــو مــــــــــــؤمن فلا كفـــــــــــــران لســــــــــعيه)(1)

وق-ال ف-ي تحقي--ق الإي--مــان بالعمــل: (وم-ن يأتــه مؤمنــاً قــد عمــل الصـــــــــــــالحات فأولئـــــــــــك لهم الـــــــــــــدرجات العلى..))(2)(3).

ويقول ابن أبي شيبة: (لا يكون الإسلام إلا بإيمان، ولا إيمــان إلا بإســلام...)(4).

وقال الإمام البغوي في تعليقه على حديث جبريل عليه السلام: (جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - في هـذا الحـديث الإسـلام اسـماً لمـا ظهـر من الأعمـــــــــــال، وجعـــــــــــل الإيمـــــــــــان اســــــــــماً لمــــــــــا بطن من الاعتقــاد، وليس ذلــك لأن الأعمــال ليســت من الإيمــان، أو التصــديق بالقلب ليس من الإسلام(5)، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلهـا شـيء واحـد، وجماعهـا الـدين ولـذلك قـال: ((ذاك جبريـل أتـاكم يعلمكم أمـر دينكم))، والتصــديق والعمــل يتناولهمــا اســم الإيمــان والإســلام جميعــاً....)(6).

إذاً يمكن تلخيص هـــــــــــــذه القاعـــــــــــــدة بمـــــــــــا يلي:

(1) ســـــــــــــــورة الأنبيـــــــــــــــاء، آيـــــــــــــــة : 94.
(2) ســـــــــــــــــــورة طـــــــــــــــــه، آيـــــــــــــــة : 75.
(3) الإيمـــــــــــــــــــــــــــــان لابن تيميـــــــــــــــــــــــــــة 316.
(4) تعظيم قـــــــــــــــدر الصـــــــــــــــلاة للمـــــــــــــــروزي 2/528.
(5) لو قال : ليس شرطاً في الإسلام لكان أولى لأنه لم يــرد في النصــوص إطلاق الإســــــــلام على التصـــــــديق (**أي قــــــــول القلب**) .
(6) شرح السنة للبغوي 1/10.." [1]

"ج – وأخـيراً قـال: (والآيـات الـتي احتج بهـا محمـد بن نصـر تـدل على وجوب الإسلام، وأنه دين اللـه، وأن اللـه يحبـه ويرضـاه، وأنـه ليس لـه دين غيره، وهذا كله حق، لكن ليس في هذا ما يدل على أنه هو الإيمان، بل يدل على أنه بمجرد الإسلام يكون الرجل من أهل الجنة، فإن الله وعد المؤمنين بالجنة في غير أية، ولم يذكر هذا الوعد باسم الإسلام (أي المجـرد) وحينئـذ فمدحه وإيجابه ومحبة الله له تدل على دخوله في الإيمان، وأنه بعض منه)(1)

خلاصـــــــــــــــة المناقشـــــــــــــــة والـــــــــــــــترجيح:

الرأي الراجح كما يتضـح من العـرض السـابق أن مسـماهما مختلـف وذلـك للأدلـــة التاليـــة:

1- أصل الإيمان التصديق، والخضوع والانقياد تابع، وأصـل الإسـلام الخضـوع والانقياد، ومنه الأركان الخمسة، لذلك نجد في أكثر النصوص إطلاق الإيمان على الباطن، والإسلام على الظاهر، ومن ذلك حديث جبريـل عليـه السـلام المشـــهور.

[1] () نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/75

2- لم يرد في النصوص الوعد بالجنة على الإسلام المطلق، كما في الإيمان المطلـــق.
3- لم يــرد في النصــوص أن الإيمــان باللــه وملائكتــه وكتبــه ورســله (قــول القلب)، يــدخل في مســمى الإســلام، كمــا ورد في دخــول أعمــال القلب والجـــوارح في الإيمـــان، وإن كـــان يلـــزم الإســـلام جنس تصـــديق.
4- لا يعـرف في النصـوص نفي الإسـلام عمن تـرك شـيئاً من الواجبـات، أو فعـــــــل الكبـــــــائر(2)كمـــــــا ورد في الإيمـــــــان.
فالأدلة السابقة - كما ترى - صريحة في اختلاف مسماهما، ومع ذلك فهنـاك اســـــتعمالات وحـــــالات تجعلهمـــــا يتفقـــــان ومن ذلـــــك:
1- الإيمان الكامل، لابد أن يكون معه إسلام كامل، أمـا الإسـلام الكامـل فلا يلــزم منــه الإيمــان الكامــل ولكن لابــد أن يكــون معــه أصــل الإيمــان.
2- أيضاً يمكن أن يقال إن المسلم الممـدوح هـو المـؤمن الممـدوح، وذلـك كمـــــــــــــــدح الأنبيـــــــــــــــاء بالإســـــــــــــــلام

---

(1) الإيمان 351 - 352 وانظر تفاصيل أخرى في الإيمان أيضاً 347 - 352 - 360 - 363 - 391 - 396

(2) انظر جامع العلوم والحكم 27." [1]

"ولعل الإمام النووي يشير إلى أن القول بنقصان الإيمـان يسـاوي عنـد البعض وخاصة ممن يقول بأن الإيمان واحد، وأن التصـديق لا يتفاضـل، وأن الأعمال لا تدخل في مسمي الإيمان يسـاوى عنـد هـؤلاء القـول بكفـر أهـل المعاصـي فحيث إن الإيمـان عنـد هـؤلاء واحـد فهـو غـير قابـل للزيـادة ولا النقصان فالقول بأن المعاصي تنقص الإيمان بمعـنى تبطلـه عنـدهم فيكـون القول بالنقصـان يشـبه قـول الخـوارج في زعمهم، أمـا القـول بالزيـادة فلا يحصـــــــــــل بـــــــــــه عنـــــــــــدهم هـــــــــــذا اللبس.
ولذلك توقف الإمـام مالـك في بعض الروايـات خشـية أن يظن أنـه موافـق للخـــــــــــــــــــــــوارج واللـــــــــــــــــــــــه أعلم
وأخيراً يمكن أن يقال لعل ذلك كان قولاً قديماً له تراجع عنه لما بلغته الآثار عن الصحابة وفيها التصريح بالنقصان ولذلك نقل ذلك أكثر أصـحابه وكـذلك الأئمـــة نقلـــوا قولـــه بالزيـــادة والنقصـــان ولم يحكـــوا عنـــه خلافـــه.
مجـــــــــــــــــــالات الزيـــــــــــــــــــادة والنقصـــــــــــــــــــان
عرفنـــا أن الإيمـــان: قـــول وعمـــل، وأن القـــول **يشـــمل قـــول القلب واللسان**، وأن العمل يشمل عمـل القلب والجـوارح فهـل التفاضـل يكـون بعمـل الجـوارح فقـط؟ أم بعمـل القلب فقـط؟ أم أن التصـديق والمعرفـة يشملها التفاضل أيضاً؟ وإذا كان كذلك فكيـف تكـون الزيـادة والنقصـان في التصديق والمعرفة؟ وللجواب على ذلـك نقـول ابتـداء: إن الكلام عن زيـادة الإيمان ونقصانه فرع عن القول في الطاعات وأنها إيمـان(1)فمن لا يـدخل

---

[1] () نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/82

الطاعات في الإيمان، لا يقول بالزيادة والنقصان، لأن الإيمان عنـدهم واحـد لا يتبعض ولا يتفاضـل(2)

(1) راجـع الجـامع لشـعب الإيمـان 1/159
(2) سيأتي بيان ذلك عند مناقشة الفرق في مفهوم الإيمان." [1]

"أما من يدخل العمل في الإيمان - وهم أهل السنة - فيتفقـون على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصـية ويزيـد بـذكر اللـه عـز وجـل وينقص بالغفلة ونسيان ذكر الله عز وجل لكن قد يفهم البعض من ذلك أن السـلف يقصرون مجال التفاضل على عمل الجوارح وقول اللسان، والحقيقـة خلاف ذلك، فقول السلف إن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصـية، لا يقصـدون بالطاعة عمل الجوارح وقـول اللسـان فقـط بـل عمـل القلب من الطاعـة، فالحـب في الله والبغض في الله وحب الأنصار، وأن تحب لأخيـك مـا تحب لنفسك، والخوف، والرجاء، والتوكل.. الخ كـل ذلـك من الطاعـات وهـو من الإيمان كما سبق، ومن ثم يتفـاوت النـاس فيـه، والأمـر في هـذا بين، فهـل يمكن أن يقال إن الناس متسـاوون في حبهم وبغضـهم وخـوفهم ورجـائهم؟ كذلك أيضاً يقولون إن الإيمان ينقص بالحسد والكبر والعجب إلخ مما ينـافي عمـل القلب الـواجب أيضـاً التصـديق والمعرفـة والعلم (أي قـول القلب) تشـمله الزيـادة والنقصـان وهـو من الطاعـات(1). يقول ابن رجب رحمه الله (... التصديق القائم بالقلوب يتفاضـل، وهـذا هـو الصحيح.. فإن إيمان الصديقين الذي يتجلى الغيب لقلوبهم حتى يصـير كأنـه شهادة بحيث لا يقبل التشكيك والارتيـاب ليس كإيمـان غـيرهم ممن لا يبلـغ هـذه الدرجـة بحيث لـو شـكك لدخلـه الشـك.....)(2).

(1) من المعلـوم قطعـاً أن طلب العلم مطلـوب شـرعاً، والعلم المفصـل وكـذلك العلم الـذي يصـحبه عمـل أكمـل وأتم وأفضـل .
(2) جامع العلـوم والحكم 28، وراجـع المنهـاج في شـعب الإيمـان للحليمي 1/55." [2]

"ص -35- ... قولـه: " من شـهد أن لا إلـه إلا اللـه " أي من تكلم بهـا عارفا لمعناها، عـاملا بمقتضـاها، باطنـا وظـاهرا، فلا بـد في الشـهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها; كما قال الله تعـالى: {فـاعلم أنـه لا إلـه إلا الله}1، وقوله: {إلا من شهد بالحق وهم يعلمون}2. أما النطق بها من غير معرفـة لمعناهـا ولا يقين ولا عمـل بمـا تقتضـيه: من الـبراءة من الشـرك، وإخلاص القول **والعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجـوارح فغير نافع بالإجماع3.." [3]

[1] نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/91
[2] نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/92
[3] موسوعة توحيد رب العبيد، 6/64

"ص -92- ... وفيه: أمر الإمام عماله بالرفق من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة; كما يشير إليه قوله: " ثم ادعهم الى الإسلام "1 أي الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإن شئت قلت الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وما اقتضته الشهادتان من إخلاص العبادة لله وحده، وإخلاص الطاعة لرسوله صلي الله عليه وسلم. ومن هنا طابق الحديث الترجمة كما قال تعالى لنبيه ورسوله: {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون}2.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له والعبودية له. كذا قال أهل اللغة.

وقال - رحمه الله تعالى -: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله: هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب. والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وفي الأصل: هو من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب. انتهى.

فتبين أن أصل الإسلام هو التوحيد ونفي الشرك في العبادة وهو دعوة جميع المرسلين، وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به على ألسن رسله; كما قال تعالى عن نوح أول رسول أرسله {أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون}3.

وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، وفيه: مشروعية الدعوة قبل القتال، لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء؛ لأن النبي صلي الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون4. وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة." [1]

"العالمين، فسحقا لهذا الجاهل المفتري، وبعدا لكل ضال غوي.

ص -215-

ومن تأمل كلام الشيخ وسياقه عرف مقصوده، وأن الكلام فيمن كفر العصاة وأهل الكبائر، وذكر نزاع الناس في ذلك ثم قال: وأما السلف والأئمة فاتفقوا على أن الإيمان قول وعمل، فيدخل في **القول: قول القلب واللسان**، وفي العمل: عمل القلب والأركان.

قال: وقال المنتصرون لمذهبهم : إن للإيمان أصولا وفروعا، وهو مشتمل على أركان وواجبات ومستحبات، بمنزلة اسم الحج والصلاة؛ فإن اسم الحج يتناول كل ما يشرع فيه من فعل وترك، مثل الإحرام وترك محظوراته،

1() موسوعة توحيد رب العبيد، 6/173

والوقوف بعرفة ومزدلفة ومنى، والطواف والسعي. ثم الحج مع هذا مشتمل على أركان، متى تركت لم يصح الحج، كالوقوف بعرفة، وعلى ترك محظور متى فعله فسد حجه، وهو الوطء . ومشتمل على واجبات، من فعل وترك، يأثم بتركها عمدا، ويجب لتركها لعذر أوغيره الجبران بدم، كالإحرام من المواقيت، والجمع بين الليل والنهار بعرفة، وكرمي الجمار ونحو ذلك. ومشتمل على مستحبات من فعل وترك يكمل الحج بها، ولا يأثم بتركها، ولا توجب دما، مثل رفع الصوت بالإهلال والإكثار منه، وسوق الهدى، وذكر الله في تلك المواضع، وقلة الكلام إلا في أمر ونهي. فمن فعل ذلك الواجب، وترك المحظور، فقد تم حجه وعمرته، وهو مقتصد من أصحاب اليمين في هذا العمل .

لكن من أتى بالمستحب فهو أكمل وأتم حجا وعملا، وهو سابق مقرب، ومن ترك المأمور، وفعل المحظور، لكنه أتى بأركانه، وترك مفسداته فحجه ناقص، يثاب على ما فعله من الحج، ويعاقب على ما تركه، وقد سقط عنه أصل الفرض. ـ إلى أن قال ـ: فمسألة تكفير أهل والأهواء والبدع متفرعة على هذا الأصل . ـ ثم ذكر مذاهب الأئمة في ذلك وذكر تكفير الإمام أحمد للجهمية، وذكر كلام السلف في تكفيرهم وإخراجهم من الثلاث والسبعين فرقة، وغلظ القول فيهم، وذكر الروايتين في تكفير من لم يكفرهم، وذكر أصول هذه الفرق، هم: الخوارج، والشيعة،." [1]

"" لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم المراد بلفظ الإيمان وما يضاده بيانا لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإنه شاف كاف، بل معاني هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة

ص (15)

للخاصة والعامة، بل كل من تأمل ما يقوله الخوارج(1) والمرجئة(2) في معنى الإيمان، علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول...(3)"

فالإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم.

...وقد عرف أهل السنة الإيمان بأنه قول **وعمل: قول القلب وقول** اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح، وقد حكى غير واحد منهم الإجماع على ذلك كابن عبد البر(4) في التمهيد(5)، ولقد تلقى أهل السنة هذا التعريف بالقبول والتسليم، اتباعا للنصوص القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح

فمن الأدلة على أن الإيمان تصديق بالقلب:

قوله تعالى: {ولما يدخل الإيمان في قلوبكم} [الحجرات، آية 14]

[1] () منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، 3/15

وقولــه تعــالى: {كتب في قلــوبهم الإيمـــان} [المجادلـــة، آيـــة 22]
ص (16) ________________________________
وقوله تعـالى {يـا أيهـا الرسـول لا يحزنـك الـذين يسـارعون في الكفـر من الــذين قــالوا آمنــا بــأفواههم ولم تــؤمن قلــوبهم} [المائــدة، آيــة 41]
ومن الأدلـــــــة على أن الإيمـــــــان إقـــــــرار باللســـــــان:
قولـه تعـالى {قولـوا آمنـا باللـه ومـآ أنـزل إلينـا} [البقـرة، آيـة 136]
وقوله تعالى {وقولوا آمنا بالـذي أنـزل إلينـا وأنـزل إليكم} [العنكبـوت، آيـة 46]." [1]
" ________________________________ ص (18)
وعرف القاضـي أبـو يعلى(11) - رحمـه اللـه -. الإيمـان فقـال: " وأمـا حـد الإيمان في الشرع فهو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة، والباطنـة أعمـال القلب، وهـــو تصـــديق القلب، والظـــاهرة هي أفعـــال البـــدن الواجبـــات والمنـــــــــــــــــــــــــــدوبات(12)___________ "
وقال قوام السنة إسـماعيل الأصـبهاني(13)_ رحمـه اللـه _: " الإيمـان في الشـــرع عبـــارة عن جميـــع الطاعـــات الظـــاهرة والباطنـــة(1)ـ "
وعلى كل فأقوال السلف في مثل هذا المعنى كثيرة جـدا، يصـعب حصـرها في هــــــــــــــــــــذا المبحث القصــــــــــــــــــــــير(2).
2 - تنوعت عبارات السلف الصالح في تعريف الإيمـان، فتـارة يقولـون: هـو قول وعمل، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقـاد بـالقلب وعمـل بـالجوارح وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمـل ونيـة واتبـاع الســـنة
وكل هذا صحيح، فليس بين هذا العبارات اختلاف معنوي، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية قائلا: _ " إذا قالوا: قول وعمل فإنه يدخل في القول قول
ص (19) ________________________________
...القلب واللسان جميعا، وهذا هو المفهوم من لفـظ القـول والكلام، ونحـو ذلـك إذا أطلـق فـإن القـول المطلـق، والعمـل المطلـق في كلام السـلف **يتناول قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجـوارح، فقـول باللسـان بدون اعتقاد القلب هو قـول المنـافقين، وهـذا لا يسـمى قـولا إلا بالتقييـد " كقولـه تعـالى {يقولـون بألسـنتهم مـا ليس في قلـوبهم} [الفتح، آيـة 11] وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب، هي من أعمال المنافقين، الـتي لا يتقبلها الله، فقول السلف يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر.." [2]
"...ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فـزاد ذلـك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلـك كلـه لا يكـون محبوبـا للـه إلا باتبـاع السـنة،

[1] () نواقض الإيمان القولية والعملية، 1/10
[2] () نواقض الإيمان القولية والعملية، 1/12

وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على " المرجئة " الذين جعلوه قولا فقط. فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه " أربعة أقسام " فسروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: _ قول وعمل ونية وسنة، لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة(3) "

3_ في هذه المسألة سنورد كلام بعض السلف الصالح في توضيح تعريف الإيمان عندهم، وبيان غلط المخالفين في هذا الباب، وسنسوق هذا التوضيح الموجز على النحو التالي: _

(أ) يتضمن تعريف **الإيمان: قول القلب وعمله**، **فأما قول القلب فهو** الاعتقاد والتصديق، فلابد من تصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام فيما أخبروا به، " فإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها، وكونها نافعة(4)_ "

ص (20)

كما يتضمن الإيمان: عمل القلب مثل: الإخلاص، والحب، والخوف، والرجاء، والتعظيم، والإنقياد، والتوكل، وغيرها من أعمال القلوب...(5)

" وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب.(1)_ "

وسأورد بعض النقول المختارة في هذه المسألة.." [1]

"يقول ابن تيمية رحمه الله: _ " إن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين: تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا قول القلب، قال الجنيد بن محمد: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب، فلابد فيه **من قول القلب وعمله**، ثم قول البدن وعمله، ولابد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله، وجعلها من الإيمان.(2)_ "

ويقول أيضا: " إن معرفة الشيء المحبوب تقتضي حبه، ومعرفة المعظم تقتضي تعظيمه، ومعرفة المخوف تقتضي خوفه، فنفس العلم والتصديق بالله، وماله من الأسماء الحسنى والصفات العلى، يوجب محبة القلب له، وتعظيمه وخشيته، وذلك يوجب إرادة طاعته وكراهية معصيته، والإرادة الجازمة مع القدرة تستلزم وجود المراد، ووجود المقدور عليه منه.(3)_ "

ويؤكد في موضع ثالث على أهمية أعمال القلوب، ذاكرا أنها " من أصول الإيمان، وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين لله، والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه، والرجاء له...وهذه

[1] () نواقض الإيمان القولية والعملية، 1/13

ص) ____ (21

الأعمـال جميعهـا واجبـة على جميـع الخلـق باتفـاق أئمـة الـدين.(4)ـ "

ويقول أيضا: " وفي الجملة فلابـد في الإيمـان الـذي في القلب من تصـديق باللـه ورسـوله، وحب اللـه ورسـوله، وإلا فمجـرد التصـديق مـع البغض للـه ورسوله، ومعاداة الله ورسوله ليس إيمانا باتفاق المسلمين.(5) "." [1]

"أ _ عظم قـول اللسـان، وعمـل الجـوارح، وأهميتهمـا ووجـود التلازم بينهمـــــــــــــــــ **وبين قـــــــــــــــــــــــول القلب وعمله**.

ب _ غلط الجهمية الذين زعموا أن الإيمان مجرد معرفـة قلبيـة باللـه تعـالى وإن لم يكن هناك قول ولا عمـل، وقـد رد أبـو عبيـد القاسـم بن سـلام هـذا القول، ووصفه بأنه " منسلخ من قول أهل الملل الحنفيـة، لمعارضـته لكلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالرد والتكذيب.. ثم قال _ ولو كان أمـر الله ودينه على ما يقول هـؤلاء مـا عـرف الإسـلام من الجاهليـة، ولا فـرقت الملـل بعضـها من بعض، إذ كـان يرضـى منهم بالـدعوى في قلـوبهم، غـير إظهـــــار الإقـــــرار بمـــــا جــــاءت بـــــه النبـــــوة...(2)ـــ "

جـــ- غلـط الماتريديـة(3) الـذين ادعـوا أن قـول اللسـان ركن زائـد، ليس بأصلي، وإنما هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية، حتى قالوا: _ " ومن صـدق بقلبه ولم يقر بلسانه، فهو كـافر عنـدنا، وعنـد اللـه تعـالى مـؤمن من أهـل الجنــة (4)"

د - غلط عموم المرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، حتى قـال قائلهم: " من حصل له حقيقـة التصـديق، فسـواء أتى بالطاعـات، أو ارتكب المعاصي، فتصديقه باق على حاله، ولا تغير فيـه أصـلا(5) " حيث أن هـؤلاء المرجئة لم يفرقوا بين جنس العمل _ والذي يعد شـرطا في صـحة الإيمـان عند أهل السنة _ وبين آحاد العمل وأفراده والذي يعد تاركـه غـير مسـتكمل للإيمـــــان، وســـــيأتي توضـــــيحه في موضـــــعه إن شـــــاء اللـــــه.

ص (28) ____

وقال الفضيل بن عياض _ رحمه الله _: ((ميز أهل البدع العمل من الإيمان، وقالوا: إن فرائض الله ليس من الإيمان، ومن قال ذلك فقد أعظم الفريـة، أخـاف أن يكـون جاحـدا للفـرائض رادا على اللـه عـز وجـل أمـره(6)))

...وكما يقول القاضي أبو يعلى في الرد على هؤلاء المرجئة.." [2]

"7 _ إذا كان الإيمان قولا وعملا، فكذا الكفر يكـون قـولا وعملا، فهـو _ أي الكفر **_ قول القلب** (التكـذيب)، كمـا أنـه أعمـال قلبيـة _ كـالبغض _ تناقض الإيمان، وهو قول باللسان، كما أنـه أعمـال ظـاهرة بـالجوارح تنقـل عن الملـــة.

...و لمزيد من التفصيل لهذا التعريف نقول: إن الكفر قـد يكـون تكـذيبا في

[1] () نواقض الإيمان القولية والعملية، 1/14
[2] () نواقض الإيمان القولية والعملية، 1/20

القلب، وهذا الكفر قليل في الكفار _ كما يقول ابن القيم(5) _؛ لأن الله تعالى أيد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة، وأزال به المعذرة
وقد يكون الكفر قولا باللسان، وإن كان القلب مصدقا، أو غير معتقد بهذا الكفر القولي، يقول أبو ثور _ وقد سبق إيراد قوله بتمامه: _
_______________ ص (40)
ولو قال / المسيح هو الله، وجحد أمر الإسلام، وقال: لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك، وليس بمؤمن(6).
...ويقول ابن حزم: _
" ومما يتبين أن الكفر يكون بالكلام، قول الله _ عز وجل _ {ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا {35} وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا {36} قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا} إلى قوله {يا ليتني لم أشرك بربي أحدا} [الكهف الآيات، 35 _ 42]، فأثبت الله الشرك والكفر مع إقراره بربه تعالى، إذ شك في البعث.(7) "."[1]

"(أ) أن سب الله عز وجل يناقض الإيمان، فالسب أذى قولي **يناقض قول القلب** (التصديق)، وعمله من محبة الله وإجلاله وتعظيمه، كما أنه يناقض الإيمان الظاهر باللسان؛ لأن الإيمان يتضمن تصديقا لله عز وجل، وانقيادا وخضوعا له تعالى، وأما السب فكما يقول ابن تيمية: _ " فهو إهانة واستخفاف، والانقياد للأمر إكرام وإعزاز، ومحال أن يهين القلب من قد انقاد له وخضع، واستسلم، أو يستخف به، فإذا حصل في القلب استخفاف واستهانة، امتنع أن يكون فيه انقياد أو استسلام، فلا يكون فيه إيمان، وهذا بعينه كفر إبليس، فإنه سمع أمر الله فلم يكذب رسولا، ولكن لم ينقد للأمر.(7) "
ويقول ابن تيمية: _ إن التصديق بالقلب يمنع إرادة التكلم وإرادة فعل فيه استهانة واستخفاف، كما أنه يوجب المحبة والتعظيم، واقتضاؤه وجود هذا، وعدم هذا، أمر جرت به سنن الله في مخلوقاته، كاقتضاء إدراك الموافق للذة وإدراك المخالف للألم، فإذا عدم المعلول كان مستلزما لعدم العلة، وإذا وجد الضد، كان مستلزما لعدم الضد الآخر، فالكلام والفعل المتضمن للاستخفاف والاستهانة مستلزم لعدم التصديق النافع، ولعدم الانقياد والاستسلام، فلذلك
_______________ ص (109)
كان كفرا (1) "
(ب) أن الله تعالى قال: _ {يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم

[1] () نواقض الإيمان القولية والعملية، 1/30

بما في قلوبهم قل استهزؤوا إن الله مخرج ما تحذرون {64}ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون {65} لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طآئفة منكم نعذب طآئفة بأنهم كانوا مجرمين}[التوبة، الآيات 64 _ 66].." [1]

"ويقول ابن تيمية عن قوله تعالى:- {قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون {65} لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر ...(2)ـــ "

(ب) إن الإيمان بالكتب المنزلة يتضمن الإقرار بها وتصديقها، ولا شك أن إنكارها يناقض هذا الإقرار والتصديق، فإنكار الكتب المنزلة **يناقض قول القلب وهو** التصديق، كما يناقض قول اللسان وهو الإقرار.

والإيمان بالكتب المنزلة يتضمن أيضا وجوب تعظيمها وإجلالها وإكرامها، وإن الاستهزاء بها لا يجتمع مع هذا التعظيم والإجلال، فهو مناقض لعمل القلب، كما أنه يناقض الإيمان الظاهر باللسان.

(ج) إن إنكار الكتب السماوية يتضمن إنكارا لصفة الكلام الإلهي، ونفي هذه الصفة من الإلحاد في أسماء الله تعالى، وسوء الظن بالله تعالى، وعدم قدر الله تعالى حق قدره.(1)

ص 202

كما أن هذا الإنكار طعن في الرسل عليهم السلام وتنقص لهم، قد سبق بيان أن الطعن في الرسل عليهم السلام وسبهم من نواقض الإيمان.(2)

كما أن هذا الإنكار والاستهزاء هو إنكار واستهزاء بشرائع الدين وأحكامه الإلهية المتلقاة من هذا الوحي، والاستهزاء بالدين كفر (3)؛ لأن أصل الدين قائم على التعظيم (4).

(د) روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المراء في القرآن كفر (5) " ومما قاله الخطابي في بيان هذا الحديث:- " اختلف الناس في تأويله. فقال بعضهم: معنى المراء هنا: الشك فيه، كقوله تعالى {فلا تك في مرية منه} [هود، آية 17] أي في شك، ويقال: بل المراء هو الجدال المشكك فيه.." [2]

"نواقض الإيمان القولية والعملية

تأليف

د. عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف

ص 261 الباب الثاني

نواقض الإيمان العملية

ص 262

سيكون الحديث في هذا الباب عن الأعمال التي تناقض الإيمان، ولا تجامعه، وقد سبق - في تمهيد هذا البحث - تقرير أن الإيمان قول وعمل،

---

[1] () نواقض الإيمان القولية والعملية، 1/89

[2] () نواقض الإيمان القولية والعملية، 1/173

وأن الكفـر كـذلك، فكمـا أن الإيمـان ليس تصـديقا فحسـب، بـل هـو قـول **وعمل، قـول القلب وعمله**، وقـول اللسـان وعمـل الجـوارح، فكـذلك الكفر ليس هـو التكـذيب فقـط - كمـا ظن المرجئـة -، كمـا دلت على ذلـك النصوص، مثـل قولـه تعـالى:- {ويقولـون آمنـا بالله وبالرسـول وأطعنـا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين} [النور، آية 47] فحكم اللـه تعـالى عليهم بـالكفر ونفى الإيمـان، بسـبب تـوليهم وامتنـاعهم عن الطاعة، وقال سبحانه: - {فلا صـدق ولا صـلى {31} ولكن كـذب وتـولى} [القيامة، آية 31، 32] فهذه الآية الكريمة تبين أن التولي غير التكذيب، فإن التكذيب ضده التصديق، وأمـا التـولي فضـد الطاعـة والامتثـال، فـالكفر قـد يكون اعتقادا، وقد يكون قـولا باللسـان، وقـد يكـون عملا ظـاهرا كالسـجود للصنم وامتهان المصـحف ونحوهمـا، فهـذه الأعمـال نـواقض للإيمـان؛ لأنهـا واقعة فيما يظهر عن طريق الجوارح، مع أن هذه الأعمال الظاهرة مناقضة لمـا في القلب من الأعمـال الإيمانيـة كالانقيـاد والمحبـة والتعظيم ونحوهـا.

ص263

الفصل الأول

نواقض الإيمان العملية في التوحيد

المبحث الأول:: الشرك في العبادة

1- سـبق الحـديث بإيجـاز عن معـنى توحيـد العبـادة وأهميتـه، كمـا مـر بنـا الحديث عن حـد الشـرك في توحيـد العبـادة وضـابطه، وعرفنـا أن الشـرك الأكبر هو أن يصرف العبد نوعا أو فردا من العبادة لغير الله تعالى.(1)." [1]

"3- إذا كان الإيمان قولا **وعملا، قول القلب وعمله**، وقول اللسان وعمل الجوارح، فهذا النواقض إمـا أنهـا **تضـاد قـول القلب أو** عملـه، أو تضـاد قـول اللسـان أو عمـل الجـوارح. وحيث إن الإيمـان تصـديق وإقـرار، وانقياد والتزام بطاعة الله تعالى ظاهرا وباطنا، فـالكفر عـدم الإيمـان وهـو تكـذيب وجحـود، وإبـاء واسـتكبار، وامتنـاع وإعـراض.

4- ضرورة مراعاة ضوابط التكفير، وعوارض الأهليـة والـتي سـبق الاشـارة إلى بعضها، فـإن الاعتنـاء بمثـل ذلـك يـوجب توسـطا واعتـدالا بين الإفـراط والتفريط.

5- الاعتناء بالتفصيل والتوضيح عند دراسة تلك النـواقض، وتحقيـق حـدودها وتعريفاتهـا شـرعا ولغـة وعرفـا، والحـذر من الإجمـال والإطلاق.

6- تضمن هذا البحث جملة من نواقض الإيمان، كان من أهمها: الشـرك في العبادة، فتحدثت - ابتـداء - عن وجـوب إفـراد اللـه تعـالى بالعبـادة وحـدة لا شريك له، ثم ذكرت حقيقة الشرك في العبادة، سواء كانت العبادة قولية أو عملية، ووضحت الفرق بين تلك المظاهر الشركية وما دونها من المعاصـي، ص525

كـالفرق - مثلا - بين السـجود الشـركي وسـجود التحيـة، والفـرق بين النـذر

[1] () نواقض الإيمان القولية والعملية، 2/1

الشـــركي، ونـــذر المعصـــية....، ثم أوردت عـــدة اعتبـــارات في كـــون تلـــك الممارســـــــــــات ناقضـــــــــــا من نـــــــــــــواقض الإيمـــــــــــــان.

7- ظهر من خلال عرض مسألة الحكم بغير ما أنـزل اللـه، أهميـة وضـرورة التحاكم إلى شرع اللـه تعـالى وحـده، وعظم منزلتـه من الـدين، ثم ذكـرت جملة من الحالات التي يكون فيها الحاكم بغير مـا أنـزل اللـه تعـالى خراجـا عن الملة، كمن جحد حكم اللـه تعـالى، أو فضـل حكم الطـاغوت على حكم الله تعالى، أو ساوى بينهما، أو جوز الحكم بما يخالف شـرع اللـه تعـالى، أو لم يحكم بما أنزل الله إباء وامتناعا. وأما المحكوم فإن كفره متعلق بقبولـه لغير شريعة الله تعالى، ورضاه بها.." [1]

" فصل

والإيمان قول القلب واللسان وعمل القلب واللسـان والجـوارح مطابقا للكتاب والسنة والنية لقوله إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى

والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصـية قـال اللـه تعـالى فأمـا الـذين آمنوا فزادتهم إيمانا وقـال تعـالى لـيزدادوا إيمانـا مـع إيمـانهم وقـال تعـالى ويزداد الذين أمنوا إيمانا وفي الحديث الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق فجعل القول والعمل جميعا من الإيمان ومع ذلك لا يكفر أهل القبلة بمطلـق المعاصـي والكبـائر كمـا قـالت الخوارج بل الأخـوة الإيمانيـة باقيـة مـع المعاصـي كمـا قـال تعـالى في آيـة القصاص فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء بإحسان وقال تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فـإن بغت إحـداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ." [2]

"ومن أصـول أهـل السـنة والجماعـة أن الـدين والإيمـان قـول **وعمل قول القلب واللسـان** وعمـل القلب واللسـان والجـوارح . وأن الإيمـان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي . كما قال سبحانه في آية القصاص : { فمن عفي له من أخيه شيء فاتبـاع بالمعروف } [الآية (178) من سورة البقـرة] . وقـال : { وإن طائفتـان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقـاتلوا الـتي تبغي حـتى تفيء إلى أمـر اللـه فـإن فـاءت فأصـلحوا بينهمـا بالعـدل وأقسـطوا إن اللـه يحب المقسـطين إنمـا المؤمنـون إخـوة فأصـلحوا بين أخـويكم } الآيتـان (9، 10) من سـورة الحجـرات . ولا يسـلبون الفاسـق الملي الإسـلام بالكليـة . ولا يخلدونـه في النـار كمـا تقولـه المعتزلـة . بـل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلـق كمـا في قولـه تعـالى : { فتحريـر

[1] () نواقض الإيمان القولية والعملية، 2/243
[2] () قطف الثمر، ص/80

رقبة مؤمنة } الآية (92) من سورة النساء . وقد لا دخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى : { إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) الآية (2) من سورة الأنفال . وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) [رواه البخاري (2475) ومسلم (57) عن أبي هريرة] . ونقول هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم .

الشرح :." [1]

"قوله : (ومن أصول أهل السنة والجماعة) أي : القواعد التي بنيت عليها عقيدتهم (أن الدين) هو لغة : الذل والانقياد . وشرعا : هو ما أمر الله به (والإيمان) لغة : التصديق (1) ، وشرعا : هو ما ذكره الشيخ بقوله : (قول وعمل **: قول القلب واللسان** . وعمل القلب واللسان والجوارح) هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة : أنه قول وعمل . فالقول قسمان **: قول القلب وهو** الاعتقاد، وقول اللسان هو التكلم بكلمة الإسلام . والعمل قسان : عمل القلب وهو نية وإخلاص . وعمل الجوارح ـ أي : الأعضاء ـ كالصلاة والحج والجهاد . والفرق بين أقوال القلب وأعماله : أن أقواله هي العقائد التي يعتبر فها ويعتقدها، وأما أعمال القلب فهي حركته التي يحبها الله ورسوله، وهي محبة الخير وإرادته الجازمة وكراهية الشر والعزم على تركه . وأعمال القلب تنشأ عنها أعمال الجوارح وأقوال اللسان . ومن ثم صارت أقوال اللسان وأعمال الجوارح من الإيمان .

أقوال الناس في تعريف الإيمان :

1 ـ عند أهل السنة والجماعة : أنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان .

2 ـ عند المرجئة : أنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان فقط .

3 ـ عند الكرامية : أنه نطق باللسان فقط .

4 ـ عند الجبرية : أنه الاعتراف بالقلب أو مجرد المعرفة في القلب .

5 ـ عند المعتزلة : أنه اعتقاد القلب ونطق اللسان وعمل الجوارح .

والفرق بينهم، أي : المعتزلة وبين أهل السنة أن مرتكب الكبيرة يسلب اسم الإيمان بالكلية ويخلد في النار عندهم، وعند أهل السنة لا يسلب الإيمان بالكلية بل هو مؤمن ناقص الإيمان ولا يخلد في النار إذا دخلها . والحق ما قاله أهل السنة والجماعة لأدلة كثيرة .." [2]

1() كتب العقيدة، 21/134

2() كتب العقيدة، 21/135

"ومنهم من يقـــــــول: إنـــــــه مجـــــــرد النطـــــــق.
ومنهم من يقـــــــول: إنـــــــه مجـــــــرد النطـــــــق والاعتقـــــــاد.
وكلهم مع اختلاف أقوالهم في الإيمـان إلا أنهم متفقـون على إخـراج العمل عن مســــــــــــــــــــــمى الإيمــــــــــــــــــــان .
ولمـا كـان هـذا هـو معتقـدهم حـذر المؤلـف من الأخـذ بعقيـدتهم فقـال: =ألا إنما المرجي بالدين يمزح+ وذلك لأن أهل الإرجاء يلعبون بالـدين لعبـاً من جهة أن أصحاب المعاصي والذنوب إيمانهم كإيمان الأنبيـاء والمرسـلين، وهـــــــــــذا في الحقيقـــــــــــة لعب بالشـــــــــــريعة.
من قـــــال هـــــذا؟ لا يقولـــــه صـــــاحب عقـــــل على الإطلاق.
ولذلك ترى أهل الإرجاء شجعوا الناس على ترك الطاعات، وفعل المنكرات فكم من تارك للصلاة، وتارك للزكاة، وغيره من الطاعات بحجة أن الإيمـان مجـــــرد النطـــــق فقـــــط، وهـــــذا كلـــــه ضـــــلال مـــــبين.
ومن هنا كان أهل السنة وسطاً بين الخوارج الـذين جعلـوا الأعمـال شـرطاً في الإيمـان مَنْ تَركهـا كفـر، وأن المعاصـي تُـذْهب الإيمـان بالكليـة، وبين المرجئة الذين قالوا بعدم دخول الأعمال في مسمى الإيمـان، وأنـه لا يضـر مـــــع الإيمـــــان ذنب، كمـــــا لا ينفـــــع مـــــع الكفـــــر طاعـــــة.
فأهل السنة وسط بين هؤلاء وهؤلاء، فأهل السنة يقولـون إن الإيمـان قـول باللســـــان، واعتقـــــاد بالجنـــــان، وعمـــــل بالأركـــــان.
وقــال ×:
الشــرح :
هنا بيّن × عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمـان، وينصـح السـني باعتقادهـــــا، والتمســـــك بهـــــا، والـــــدعوة إليهـــــا.
فيقول: =وقل إنما الإيمان قـول ونيـة+: أي أيهـا السـني قـل إنمـا الإيمـان =قـــــول ونيـــــة وفعـــــل على قـــــول النـــــبي مصـــــرح+.
هـذه هي عقيـدة أهـل السـنة والجماعـة في الإيمـان وهي أربعـة أشـياء:
الأول: قـــــــول القلب، وهـــــــو تصـــــــديقه وإيقانـــــــه.
الثـاني: قـول اللسـان، وهـو النطـق بالشـهادتين، والإقـرار بلوازمهـا.
الثالث: عمل القلب،وهـو النيـة،والإخلاص،والمحبـة،والانقيـاد، والإقبـال على الله، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه.." [1]
"ص -35- ... قولـه: " من شـهد أن لا إلـه إلا اللـه " أي من تكلم بهـا عارفا لمعناها، عـاملا بمقتضـاها، باطنـا وظـاهرا، فلا بـد في الشـهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها; كما قال الله تعـالى: {فـاعلم أنـه لا إلـه إلا الله}1، وقوله: {إلا من شهد بالحق وهم يعلمون}2. أما النطق بها من غير معرفـة لمعناهـا ولا يقين ولا عمـل بمـا تقتضـيه: من الـبراءة من الشـرك، وإخلاص القول **والعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجـوارح فغــــــــــــير نــــــــــــافع بالإجمــــــــــــاع3.

[1] () فتح الودود بشرح منظومة ابن أبي داود المصححة، ص/57

1 ســـــــــــــورة محمـــــــــــــــد آيـــــــــــــة : 19.
2 سورة الزخرف آية : 86.." [1]
"ص -92- ... وفيه: أمر الإمام عماله بالرفق من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة; كما يشير إليه قوله: " ثم ادعهم الى الإسلام "1 أي الذي هو معـنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسـول اللـه، وإن شـئت قلت الإسـلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسـوله، ومـا اقتضـته الشـهادتان من إخلاص العبـادة للـه وحـده، وإخلاص الطاعـة لرسـوله صـلي اللـه عليـه وسلم. ومن هنا طابق الحديث الترجمة كما قال تعالى لنبيه ورسوله: {قـل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا اللـه ولا نشـرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فـإن تولـوا فقولـوا اشـهدوا بأنـــــــــــــــــــــا مســـــــــــــــــــــــــــــلمون}2.
قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: والإسلام هو الاستسلام لله، وهـو الخضـوع لـــــــه والعبوديـــــــة لـــــــه. كـــــــذا قـــــــال أهـــــــل اللغـــــــة.
وقال - رحمه الله تعالى -: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث بـه رسـله: هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب. والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلها آخـر لم يكن مسـلما، ومن اسـتكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وفي الأصـل: هـو من بـاب العمـل، عمـل القلب والجوارح. وأما الإيمـان فأصـله تصـديق القلب وإقـراره ومعرفتـه، فهـو من **بـــــــاب قـــــــول القلب المتضـــــــمن** عمـــــــل القلب. انتهى.
فتبين أن أصل الإسـلام هـو التوحيـد ونفي الشـرك في العبـادة وهـو دعـوة جميع المرسلين، وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيـد، والانقيـاد لـه بالطاعـة فيما أمرهم به على ألسن رسله; كما قال تعالى عن نوح أول رسول أرسله {أن اعبـــــــــــدوا اللـــــــــــه واتقـــــــــــوه وأطيعـــــــــــون}3.
وأخـــــــبرهم بمـــــــا يجب عليهم من حـــــــق اللـــــــه تعـــــــالى فيـــــــه، وفيه: مشروعية الدعوة قبل القتال، لكن إن كـانوا قـد بلغتهم الـدعوة جـاز قتالهم ابتداء؛ لأن النبي صلي الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون4. وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة." [2]
" حديث عبادة من شهد أن لا إله إلا الله إلخ
وقوله ([عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من شهد أن لا إله إلا اللـه وحـده لا شـريك لـه وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مـريم وروح منه والجنة حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل] أخرجاه)

[1] () فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، 1/63
[2] () فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، 1/170

عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى الخزرجى أبو الوليد أحد النقباء بدرى مشهور مات بالرملة سنة أربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون سنة وقيل : عاش إلى خلافة معاوية رضى الله عنه

قوله (من شهد أن لا إله إلا الله) أى من تكلم بها عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا فلابد فى الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها كما قال الله تعالى : '7 4 ـ 19' { فاعلم أنه لا إله إلا الله } وقوله '43 ـ 86' { إلا من شهد بالحق وهم يعلمون } أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه : من البراءة من الشرك وإخلاص القول والعمل **: قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح - فغير نافع بالإجماع

قال القرطبى فى المفهم على صحيح مسلم : باب لا يكفى مجرد التلفظ بالشهادتين بل لابد من استيقان القلب - هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف فى الإيمان وأحاديث هذا الباب تدل على فساده بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعا ا هـ

وفى هذا الحديث ما يدل على هذا وهو قوله : من شهد فإن الشهادة لا تصح إلا إذا كانت عن علم ويقين وإخلاص وصدق

قال النووي : هذا حديث عظيم جليل الموقع وهو أجمع - أو من أجمع - الأحاديث المشتملة على العقائد فإنه صلى الله عليه و سلم جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها فاقتصر صلى الله عليه و سلم فى هذه الأحرف على ما يباين جميعهم ا هـ ." [1]

" إعطاء على الراية يوم خيبر وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام

قال : (ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال يوم خيبر : [لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يشتكي عينيه قال فأرسلوا إليه فأتي به فبصق فى عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فو الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم])

يدوكون أي يخوضون

قوله : (عن سهل بن سعد) أي ابن مالك بن خالد الأنصارى الخزرجى الساعدى أبي العباس صحابي شهير وأبوه صحابي أيضا مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المائة

---

[1] () فتح المجيد، ص/36

قوله : (قال يوم خيبر) وفى ا لصحيحين عن سلمة بن الأكوع قال : [كان علي رضي الله عنه قد تخلف عن النبي صلى الله عليه و سلم فى خيبر وكان أرمد فقال : أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فخرج علي رضى الله عنه فلحق بالنبى صلى الله عليه و سلم فلما كان مساء الليلة التى فتحها الله عز و جل فى صباحها قال صلى الله عليه و سلم : لأعطين الراية - أو ليأخذن الراية - غدا رجل يحبه الله ورسوله أو قال : يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا : هذا علي فأعطاه رسول الله صلى الله عليه و سلم الراية ففتح الله عليه]

قوله : (لأعطين الراية) قال الحافظ : فى رواية بريدة : [إنى دافع اللواء إلى رجل يحبه الله ورسوله] وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادفها ولكن روى أحمد والترمذي من حديث ابن عباس [كانت راية رسول الله صلى الله عليه و سلم سوداء ولواؤه أبيض] ومثله عند الطبرانى عن بريدة وعن ابن عدي عن أبى هريرة وزاد مكتوب فيه : لا إله إلا الله محمد رسول الله

قوله : (يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) فيه فضيلة عظيمة لعلي رضى الله عنه

قال شيخ الإسلام : ليس هذا الوصف مختصا بعلي ولا بالأئمة فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذين لا يتولونه أو يكفرونه أو يفسقونه كالخوارج لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم فإن الخوارج تقول في علي مثل ذلك ولكن هذا باطل فإن الله تعالى ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنه يموت كافرا

وفيه إثبات صفة المحبة خلافا للجهمية ومن أخذ عنهم

قوله : (يفتح الله على يديه) صريح فى البشارة بحصول الفتح فهو علم من أعلام النبوة

قوله : (فبات الناس يدوكون ليلتهم) بنصب (ليلتهم) و يدوكون قال المصنف : يخوضون أي فيمن يدفعها إليه وفيه حرص الصحابة على الخير واهتمامهم به وعلو مرتبتهم فى العلم والإيمان

قوله : (أيهم) هو برفع أي على البناء لإضافتها وحذف صدر صلتها

قوله : (فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم كلهم يرجو أن يعطاها) وفى رواية أبي هريرة عند مسلم أن عمر قال : [ما أحببت الإمارة إلا يومئذ]

قال شيخ الإسلام : إن فى ذلك شهادة النبى صلى الله عليه و سلم لعلي بإيمانه باطنا وظاهرا وإثباتا لموالاته لله تعالى ورسوله ووجوب موالاة المؤمنين له وإذا شهد النبى صلى الله عليه و سلم لمعين بشهادة أو دعا له

أحب كثير من الناس أن يكون له مثل تلك الشهادة ومثل ذلك الدعاء وإن كان النبى يشهد بذلك لخلق كثير ويدعو لخلق كثير وهذا كالشهادة بالجنة لثابت بن قيس

وعبد الله بن سلام وإن كان شهد بالجنة لآخرين والشهادة بمحبة الله ورسوله للذي ضرب فى الخمر

قوله : (فقال أين علي بن أبى طالب) فيه سؤال الإمام عن رعيته وتفقد أحوالهم

قوله : (فقيل هو يشتكي عينيه) أي من الرمد كما فى صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص فقال : ادعوا لي عليا فأتي به أرمد الحديث وفى نسخة صحيحة بخط المصنف : فقيل هو يشتكي عينيه فأرسل إليه مبني للفاعل وهو ضمير مستتر في الفعل راجع إلى النبى صلى الله عليه و سلم ويحتمل أن يكون مبينا لما لم يسم فاعله ولمسلم من طريق إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : فأرسلنى إلى علي فجئت به أقوده أرمد

قوله : (فبصق) بفتح الصاد أي تفل

وقوله (ودعا له فبرأ) هو بفتح الراء والهمزة أي عوفي في الحال عافية كاملة كأن لم يكن به وجع من رمد ولا ضعف بصر

وعند الطبراني من حديث علي فما رمدت ولا صدعت منذ دفع النبي صلى الله عليه و سلم إلي الراية وفيه دليل على الشهادتين

قوله (فأعطاه الراية) قال المصنف : فيه الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع ومنعها عمن سعى

وفيه إن فعل الأسباب المباحة أو الواجبة أو المستحبة لا ينافي التوكل

قوله (وقال انفذ على رسلك) بضم الفاء اي امض ورسلك بكسر الراء وسكون السين أي على رفقك من غير عجلة وساحتهم فناء أرضهم وهو ما حولها

وفيه : الأدب عند القتال وترك العجلة والطيش والأصوات التى لا حاجة إليها

وفيه : أمر الإمام عماله بالرفق من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة كما يشير إليه قوله ثم ادعهم إلى الإسلام أي الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإن شئت قلت الإسلام : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وما اقتضته الشهادتان من إخلاص العبادة لله وحده وإخلاص الطاعة لرسوله صلى الله عليه و سلم ومن هنا طابق الحديث الترجمة كما قال تعالى لنبيه ورسوله : '3 :ـ 64' { قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون }

قال شيخ الإسلام رحمه الله : والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له كذا قال أهل اللغة

وقال رحمه الله تعالى : ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله : هو الاستسلام له وحده فأصله فى القلب والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما وفى الأصل : هو من باب العمل عمل القلب والجوارح وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب انتهى

فتبين أن أصل الإسلام هو التوحيد ونفي الشرك فى العبادة وهو دعوة جميع المرسلين وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به على ألسن رسله كما قال تعالى عن نوح أول رسول أرسله : ' 71 : 3' { أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون }

وفيه : مشروعية الدعوة قبل القتال لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء لأن النبى صلى الله عليه و سلم أغار على بنى المصطلق وهم غارون وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة وجبت دعوتهم

قوله وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه أي في الإسلام إذا أجابوك إليه فأخبرهم بما يجب من حقوقه التى لابد لهم من فعلها : كالصلاة والزكاة كما فى حديث أبى هريرة : [فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها] ولما قال عمر لأبي بكر فى قتاله مانعي الزكاة : [كيف تقاتل النساء وقد قال رسول الله صلى اله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها قال أبو بكر : فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم لقاتلتهم على منعها]

وفيه : بعث الإمام الدعاة إلى الله تعالى كما كان النبي صلى الله عليه و سلم وخلفائه الراشدون يفعلون كما فى المسند عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال فى خطبته : [ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسننكم] ." [1]

"فالعبادة باعتبارها مصدراً تعني التعبد ، وهو فعل العابد (1) وتعريفها " التذلل لله محبة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه " (2) اهـ

وأما باعتباره اسماً فهي تعني : المتعبد به (3) وتعريفها : " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة " (4) .

ومن التعريف المذكور في معنى العبادة باعتبارها اسماً يتضح أن للعبادة أربع مراتب وهي **: قول القلب** ، وقول اللسان ، وعمل القلب ، وعمل الجوارح وهذا معنى قوله : " من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة " وقد فصل ابن القيم هذه المراتب فقال :

---
[1] () فتح المجيد، ص/85

" **قول القلب** : هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله ، وملائكته ولقائه على لسان رسله .
وقول اللسان : الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له ، والقيام بذكره وتبليغ أوامره .
وعمل القلب : كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له ، وإخلاص الدين له ، والصبر على أوامره ونواهيه وعلى أقداره والرضى به عنه ، والموالاة فيه والمعاداة فيه ، والذل له ، والخضوع ، والإخبات إليه والطمأنينة به ، وغير ذلك من أعمال القلوب ، التي فرضها من أعمال الجوارح ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها ، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة .
وأعمال الجوارح : كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ، ومساعدة العاجز والإحسان على الخلق ، ونحو ذلك " (5) اهـ
فظهر من هذا أن جميع أمور الديانة من الاعتقادات والإرادات والأقوال والأعمال داخلة في مسمى العبادة .
ولما جهل كثير من المتأخرين حقيقة العبادة على الوجه المذكور أعلاه كان من الأفضل زيادة البيان لبعض أنواع العبادة بذكر أمثلة لها - خاصة المتنازع فيها - مع نقل أقوال الأئمة الأعلام وبيانهم أنها من العبادة وأن صرفها لغير الله لا يجوز .." [1]
"بعد أن تحدث عن الإيمان بذلك كله قال :
" ومن أصول أهل السنة والجماعة : أن الدين والإيمان قول وعمل **؛ قول القلب واللسان** ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .
ومع ذلك لا يكفِّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر ، كما يفعله الخوارج ، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي ، كما قال سبحانه وتعالى في آية القصاص :
{ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ } [البقرة : 178] .
وقال : { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الحجرات : 9، 10] .." [2]
"(12) أفعال الناس عند القبور وزيارتها ثلاث أنواع:
الأول: مشروع وهو زيارة القبور؛ لتذكر الآخرة، وللسلام على أهلها، والدعاء لهم .
الثاني: بدعي ينافي كمال التوحيد، وهو وسيلة من وسائل الشرك، وهو

[1] () ماذا تعرف عن التوحيد، ص/11
[2] () مجمل اعتقاد أئمة السلف، ص/72

قصد عبادة الله تعالى والتقرب إليه عند القبور، أو قصد التبرك بها (2) أو إهداء الثواب عندها، والبناء عليها، وتجصيصها وإسراجها، واتخاذها مساجد، وشد الرحال إليها، ونحو ذلك مما ثبت النهي عنه، أو مما لا أصل له في الشرع .

الثالث: شركي ينافي التوحيد، وهو صرف شيء من أنواع العبادة لصاحب القبر: كدعائه من دون الله، والاستعانة والاستغاثة به، والطواف، والذبح، والنذر له، ونحو ذلك .

13) الوسائل لها حكم المقاصد، وكل ذريعة إلى الشرك في عبادة الله أو الابتداع في الدين يجب سدها، فإن كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة .

رابعاً: الإيمان

1) الإيمان لغة: التصديق .

وفى الشرع: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، **فهو قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، فقول القلب اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان، إقراره، وعمل القلب، تسليمه وإخلاصه، وإذعانه، وحبه وإرادته للأعمال الصالحة .

وعمل الجوارح: فعل المأمورات وترك المنهيات .

2) من أخرج العمل عن الإيمان فهو مرجئ،ومن أدخل فيه ما ليس منه فهو مبتدع.

3) من لم يقر بالشهادتين لا يثبت له اسم الإيمان ولا حكمه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

4) الإسلام والإيمان اسمان شرعيان بينهما عموم وخصوص من وجه، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن، ويسمى أهل القبلة مسلمين .

5) مرتكب الكبيرة التي دون الكفر والشرك لا يخرج من الإيمان فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان، وفى الآخرة تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، والموحدون كلهم مصيرهم إلى الجنة وإن عذب منهم بالنار من عذب، ولا يخلد أحد منهم فيها قط .

6) لا يجوز القطع لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه .." [1]

"والذي اختاره في تعريف الإيمان أنه الإقرار وبهذا قال شيخنا محمد الصالح –رحمه الله- في شرحه للواسطية (1).

ثانيا : تعريفه في الشرع هو:

... «قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح»

شرح التعريف:

أولا: المراد بقول القلب معرفته للحق وتصديقه به، قال الله تعالى (- صدق الله العظيم ({ صدق الله العظيم - رضي الله عنه - تم بحمد الله -

[1] () مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، ص/6

رضي الله عنهم - - (- - رضي الله عنهم -((- - - رضي الله عنهم - - (- - - (- (المحتويات (- - عليه السلام -- صلى الله عليه وسلم - - رضـي اللـه عنه - تمت قرآن كريم (- فهرس - ((- رضي الله عنه - - ([الزخــرف 86] أي تشهد بأنه لا إله إلا الله ?وهم يعلمون? أي بقلـوبهم معـنى مـا نطـق بـه بألسنتهم (2).

ولذلك كان معرفة القلب وتصديقه من لوازم الشهادتين، قال الإمـام أحمـد رحمه الله :«من جحد المعرفة والتصديق فقد قال قولا عظيما ، فإن فسـاد هذا القول معلوم من دين الإسلام» (3). قال شيخ الإسلام: «الإيمـان الـذي في قلبه لا بد من شيئين: تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته ويقال لهذا قـول القلب» (4).

أهمية معرفة القلب وتصديقه

... «إن معرفـة القلب وتصـديقه بـالحق إذا صـادفت قلبـا سـليما خاليـا من الحسد والكبر والانشغال بالشهوات والأهواء وما إلى ذلـك فـإن هـذا القلب سيخضع للحق حتما وينقاد له لأن القلوب مفطورة على حب الحـق وإرادتـه و لا شـيء أحب إلى هـذه القلـوب السـليمة من اللـه - عـز وجـل -» (5).

---

(1) الإيمـان الأوسـط لابن تيميـة ص73 ، وشـرح الواسـطية (2/230)

(2) انظر في ذلك معارج القبول (1/307)

(3) كتاب الإيمان لابن تيمية (ص 376، 377)

(4) الإيمان (ص 176)

(5) الإيمان الأوسط للشيخ الإسلام ابن تيمية (ص79)." [1]

"وهكذا أسماء كتابه : القـرآن، والفرقـان، والكتـاب، والهـدى، والبيـان، والشفاء، /والنـور، ونحـو ذلـك هي بهـذه المنزلـة، وكـذلك أسـماء رسـوله : محمد، وأحمد، والماحِي، والحاشر، والمُقَفِّي، ونـبي الرحمـة، ونـبي التوبـة، ونبي المَلْحَمَة، كل اسم يدل على صفة من صـفاته الممدوحـة غـير الصـفة الأخرى، وهكذا ما يثنى ذكره من القصص في القرآن كقصة موسى وغيرها، ليس المقصود بها أن تكون سَمَرًا، بل المقصود بها أن تكون عبراً كمـا قـال تعالى : { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ } [يوسف : 111] ، فالذي وقع شيء واحد وله صفات،فيعبر عنه بعبارات متنوعة،كل عبارة تدل على صفة من الصفات التي يعتبر بها المعتبرون،وليس هذا من التكريـر في شيء .

وهكذا أسماء دينه، الذي أمر اللّه به ورسـوله يسـمى إيمانـاً، وبـراً، وتقـوى، وخيراً، وديناً، وعملاً صالحاً، وصراطاً مستقيماً، ونحـو ذلـك، وهـو في نفسـه واحد، لكن كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة التي يدل عليها الآخر، وتكون تلك الصفة هي الأصل في اللفظ،والباقي كان تابعاً لها لازمـاً لهـا،ثم صارت دالة عليه بالتضمن، فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد

---

[1] () مباحث في العقيدة، 3/2

فيه من شيئين : تصديق بالقلب، وإقراره ومعرفته . ويقال لهذا : قول القلب، قال الجنيد بن محمد : التوحيد **: قول القلب** . والتوكل : عمل القلب، فلابد فيه من قول القلب، وعمله، ثم قول البدن وعمله، ولابد فيه من عمل القلب، مثل حب اللّه ورسوله، وخشية اللّه، وحب ما يحبه اللّه ورسوله، وبغض ما يبغضه اللّه ورسوله،وإخلاص العمل للّه وحده، وتوكل القلب على اللّه وحده،وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها اللّه ورسوله وجعلها من الإيمان .." [1]

"6 - ثم وصفه بأنه صاحب الحوض وهذه ليست من خصائص الرسول بل من صفاته ، فإن كل نبي له حوض ، ولكن حوض النَّبِيّ عليه السلام أعظمها وأشرفها، وأكبرها، وقوله (المورود) أي يرده المؤمنون من هذه الأمة ، وزمن الورود في عرصات القيامة في أرض الموقف والمحشر .

7 - ثم قال (إمام النبيين) وقد أمّهم عليهم السلام في ليلة الإسراء والمعراج.

9 - ومن صفاته وأيضاً من الخصائص ، قال (وخطيبهم) والضمير يعود على الأنبياء .

هذه بعض صفات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، منها ما اختص بها الرسول ، ومنها ما شاركه غيره فيها ، ولم يقصد المصنف الاستيعاب ، وإلا خصائص الرسول كثيرة .

مسألة :

ثم ذكر المصنف حكم من لم يؤمن به ، فقال : (لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته) وقوله لا يصح ، لا نافية ، نفت الصحة ، وعلى ذلك فمن لم يؤمن برسالته فهو كافر .

مسألة : معنى الإيمان برسالته :

معناه هو قول وعمل واعتقاد ، هذا معنى الإيمان بالرسالة ، ومعنى القول أي يشهد برسالته ، ومعنى الاعتقاد أن يحصل في قلبه العلم برسالة الرسول والتصديق بذلك ، ويقصد بالعمل شيئان :

أ - عمل القلب ، وهو محبة الرسول واليقين والصدق والإخلاص والقبول لرسالته - صلى الله عليه وسلم -

ب - عمل الجوارح وهو الانقياد لأوامر الرسول وعملها بالجوارح ، وطاعته بذلك، وهذا جزء من كلام السلف في الإيمان .

أما مذاهب الناس في الإيمان برسالة الرسول ، فهي كالتالي :

1 - الكرامية : وهؤلاء عندهم الشهادة بالرسالة للرسول ، هو قول فقط ، فمن قال بلسانه : أشهد أن محمداً رسول اللّه ، فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان بالرسالة .

2 - الجهمية : وعندهم أن الإيمان بالرسالة **هي قول القلب** ، ويُقصد

[1] () كفر أبي طالب، ص/154

بقول القلب العلم والمعرفة ، فمن علم وعرف أن محمداً رسول اللَّه فهو مؤمن بالرسالة كامل الإيمان .." [1]
"أما الموالاة الاعتقادية فهي قول المصنف : (واعتقاد فضهلم ومعرفة سابقتهم وهذا **يسمى قول القلب وهو** العلم والمعرفة) .
الموالاة العملية : أشار إليها بقوله (ومحبتهم) وما يتبع ذلك من احترامهم والثناء عليهم بالقلب ، وقولنا عملية يشمل عمل القلب وهو المحبة والاحترام والتوقير لهم ، ويشمل أيضاً عمل الجوارح ، وهي نصرتهم ومتابعتهم والعمل بأعمالهم.
الموالاة القولية : وهي قول اللسان ، وأشار إلى ذلك بقوله (وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم ، والكف عن ذلك مساوئهم وما شجر بينهم) وهذه أربعة أمور تكون باللسان ، منها ثلاثة إيجابية أي مطلوب فعلها وهي الثلاث الأول، ومنها واحد سلبي ، أي المقصود عدمه وهو الكف والحبس عن التكلم فيهم، والكف وحده لا يكفي فلابد من الثناء والترحم والاستغفار .
ثم ذكر المصنف دليلين لذلك : الأول : قوله تعالى : { والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا ... } (1) .
الثاني : قوله تعالى : { محمد رسول اللَّه والذين معه أشداء على الكفار}(2) ، هذا من القرآن .
ثم ذكر المصنف مسألة سب الصحابة ، وسبب ذكر مسألة السب لأن السب يضاد التولي فمن سب الصحابة أو أحداً منهم فهذا ينافي تولي الصحابة ، أما حكم سب الصحابة فهو على النحو التالي :
1 - أن يسبهم كلهم أو أكثرهم فهذا كافر بالإجماع .
2 - أن يسب بعضهم أو الواحد منهم أو النفر القليل ، فهذا على قولين :
الأول : أن سب الواحد والاثنين من الصحابة من غير المشهورين كالخلفاء والعشرة أنه لا يكفر واستدلوا بالحديث الذي ذكره المصنف : " لا تسبوا أصحابي..." (3) وهذا نهي والنهي يقتضي التحريم ولم يذكر أنه كفر .
قالوا : وكذا خالد بن الوليد تكلم في عبد الرحمن بن عوف ولم يكفر بهذا السب .

(1) ... الحشر : 11 .
(2) ... الفتح : 29 .
(3) ... أخرجه البخاري 5/695 (ح3861) ، ومسلم 4/1967 (ح2540).." [2]

"بساحتهم(1)، ثم ادعهم إلى الإسلام(2)، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه(3)

[1] الزناد في شرح لمعة الاعتقاد، ص/77
[2] الزناد في شرح لمعة الاعتقاد، ص/96

(1) قولـه: «حــتى تــنزل بسـاحتهم» سـاحتهم: مــا قــرب من حصــونهم.
(2) قوله: «ثم ادعهم إلى الإسلام» بزيادة ثم كما وقع في حديث بريدة في صحيح مسلم، وذكرها يـوهم الابتـداء بغـير الـدعوة إلى الإسـلام، والصـواب إسقاطها كما روى أبـوداود وأبوعبيـد في كتـاب الأمـوال، وكماجـاء مصـرحاً بـذلك في حـديث ابن عبـاس الـذي في الصـحيحين المـذكور أول البـاب أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لَمَّا بعث معـاذاً إلى اليمن قـال: «إنـك تـأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللـه»، وهنا أمره أن يدعوهم إلى الإسلام الذي دلّت عليه شهادة أن لا إله إلاّ اللـه، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة. وهكذا ينبغي لأهل الإسـلام أن يكـون قصدهم بالجهاد هداية الخلق إلى الإسلام والدخول فيه، وينبغي لـولاة الأمـر أن يكـــــون هـــــذا معتمـــــدهم ومـــــرادهم ونيتهم.
وفيه: الدعوة إلى الإسلام قبل القتـال، وأنـه مشـروعٌ لمن دُعُـوا قبـل ذلـك وقُوتلوا. قالـه المصـنف رحمـه اللـه. لكن إن كـانوا قـد بلغتهم الـدعوة جـاز قتالهم ابتداءً ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أغار على بني المصـطلق وهم غـــــــارُّون. قالـــــــه في «فتح المجيـــــــد»*.
قال شيخ الإسـلام [الفتـاوى 7/263]: «والإسـلام هـو الاستسـلام للـه وهـو الخضوع له والعبودية له، كـذا قـال أهـل اللغـة»، وقـال [الفتـاوى 7/286]: «دين الإسلام الذي ارتضاه الله، وبعث به رسـله هـو الاستسـلام للـه وحـده فأصله في القلب والخضـوع للـه وحـده بعبادتـه دون مـا سـواه، فمن عبـده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً، وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقـراره ومعرفتـه، فهـو من **باب قـول القلب المتضـــــــــــمن** عمـــــــــــل القلب». انتهى.
(3) قوله: «وأخبرهم بما يجب عليهم من حـق اللـه فيـه “، أي في الإسـلام كالصلاة والزكاة وغيرهما مما أمر الله به وشرعه من حقوق لا إلـه إلا اللـه.
....
* (1/203).." [1]
"والردة بعد الإسلام كم جاء في كتـاب فاكهـة القلـوب والأفـواه، وقـال العلامة الشيخ رشيد رضا : " وأفضـل الـذكر لا إلـه إلا اللـه فهي ممـا أمرنـا بالإكثار منها" ، وإن من أعظم العوامل التي تساعد المسلم على إقامة دينه العمل بالمقتضى الإيمان ظاهرا وباطنا وبـه يتحقـق التوحيـد كمـا قـال عبـد الـرحمن بن حسـن آل الشـيخ كتـاب مفيـد المسـتفيد بقلم فضـيلة الشـيخ إبراهيم أل الشيخ : " من شهد أن لا إله إلا الله من تكلم بها عارفـا لمعناهـا عــاملا بمقتضــاها باطنــا وظــاهرا فلا بــد في الشــهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها كما قال تعالى : { فاعلم أنه لا إله إلا الله } وقولـه : { إلا من شهد بالحق وهم يعلمون }، وأما النطق بها من غير معرفة لمعناهـا، ولا

[1] () الدرر النضيد، ص/61

يقين، ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك وإخلاص القول **والعمل قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح : فغير نافع بالإجماع، كما قال عمر رضي الله عنه : [إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية] ، وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك و ما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية فتنقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة،ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ويبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومفارقة الأهواء والبدع ومن له بصيرة و قلب حي يرى ذلك عيانا فالله المستعان ".

2- فساد وزيغ مذهب المرجئة

قالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : [رسالة التحذير من الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه ص8-9]." [1]

"مقالة المرجئة الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان، ويقولون : الإيمان هو التصديق بالقلب أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط، وأما العمال فغنها عندهم شرط كمال فيه فقط وليست منه، فمن صدق بقلبه ونطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم و لو فعل ما فعل من ترك الواجبات وفعل المحرمات ويستحق دخول الجنة ولو لم يعمل خيرا قط ، و لزم على ذلك الضلال لوازم باطلة منها: حصر الكفر بكفر التكذيب و الاستحلال القلبي، ولا شك أن هذا قول باطل وضلال مبين مخالف للكتاب والسنة وما عليه أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا، وأن هذا يفتح بابا لأهل الشر والفساد للانحلال من الدين وعدم التقيد بالأوامر والنواهي، والخوف والخشية من الله سبحانه ويعطل الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويسوي بين الصالح والطالح، والمطيع والعاصي والمستقيم على دين الله والفاسق المتحلل من أوامر الدين ونواهيه، ما دام أن أعمالهم هذه لا تخل بالإيمان كما يقولون، ولهذا اهتم أئمة الإسلام قديما وحديثا ببيان بطلان هذا المذهب والرد على أصحابه وجعلوا لهذه المسألة بابا خاصا في كتب العقائد بل ألفوا فيها مؤلفات مستقلة ،كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره ،قال شيخ الإسلام رحمه الله – في العقيدة الواسطية - : " ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية".." [2]

"قالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية في رسالة التحذير من الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه ص11: " قال ابن تيمية : " وأصل الإيمان في القلب، **وهو قول القلب وعمله** وهو إقرار بالتصديق والحب والإنقياد ، وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم

[1] () القواطع الإلهية، ص/16

[2] () القواطع الإلهية، ص/17

يعمل بموجبه ومقتضاه دلّ على عدمه أو ضعفه، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له وهي شعبة من الإيمان المطلق وبعض له"، ومن لوازم الشهادة أن تكون بصدق ويبتغى بها وجه الله تعالى ، أي لا بد أن تكون مصحوبة بافخلاص المحض الذي لا يخالطه شرك كما روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه لما طعنوا في الصحابي مالك بن دخشم رضي الله عنه : [ألا تراه قال لا إله إلا الله يبتغى بها وجه الله تعالى]، قال النووي في شرح صحيح مسلم ج1ص275: قال أبو عمر ابن عبد البر : " ولا يصح عنه النفاق فقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه" وقال النووي: " فهذه شهادة من رسول صلى الله عليه وسلم له بأنه قالها مصدقا بها معتقدا صدقها متقربا بها إلى الله تعالى وشهد له في شهادته لأهل بدر بما هو معروف، فلا ينبغي أن يشك في صدق إيمانه رضي الله عنه وفي هذه الزيادة رد على غلاة المرجئة القائلين : بأنه يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد فإنهم تعلقوا بمثل هذا الحديث و هذه الزيادة تدمغهم و الله أعلم"، فسهام الإسلام هي منارات المؤمن التي تحدد للمسلم مقتضى طريق الإسلام المستقيم لإقامة عبودية الله تعالى وحده ولاجتناب الشرك والكفر به سبحانه، وإقامة أمره وهذا كله يدخل في مسمى الإيمان روى الحاكم (1/21)وقال حديث صحيح وأبو نعيم بسند صحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إن للإسلام ضوءا في رواية [صوى] ومنارا كمنار الطريق : أن تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى." [1]

"الأول: مشروع وهو زيارة القبور لتذكر الآخرة وللسلام على لأهلها والدعاء لهم.

الثاني: بدعي ينافي كمال التوحيد وهو وسيلة من وسائل الشرك وهو قصد عبادة الله تعالى والتقرب إليه عند القبور أو قصد التبرك بها (1) أو إهداء الثواب عندها والبناء وتجصيصها وإسراجها وإتخاذها مساجد وشد الرحال إليها ونحو ذلك مما ثبت النهي عنه أو مما لا أصل له في الشرع.

الثالث: شركي ينافي التوحيد وهو صرف شيء من أنواع العبادة لصاحب القبر كدعائه من دون الله والاستعانة به والطواف والذبح والنذر له ونحو ذلك.

13- الوسائل لها حكم المقاصد وكل ذريعة إلى الشرك في عبادة الله أو الابتداع في الدين يجب سدها. فكل محدثة في الدين بدعة وكل بدعة ضلالة.

رابعا: الإيمان

1- الإيمان قول وعمل يزيد وينقص **فهو قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح.

---

[1] () القواطع الإلهية، ص/23

فقول القلب: اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان: إقراره، وعمل القلب: تسليمه وإخلاصه وإذعانه وحبه وإرادته للأعمال الصالحة. وعمل الجوارح: فعل المأمورات وترك المنهيات.

2- من أخرج العمل من الإيمان فهو مرجئ ومن أدخل فيه ما ليس منه فهو مبتدع.

3- من لم يقر بالشهادتين لا يثبت له اسم الإيمان ولا حكمه لا في الدنيا ولا الآخرة.

4- الإسلام والإيمان اسمان شرعيان بينهما عموم وخصوص من وجه، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن، ويسمى أهل القبلة مسلمين.

5- مرتكب الكبيرة التي دون الكفر والشرك لا يخرج من الإيمان فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان وفي الآخرة تحت « مشيئة الله» إن شاء غفر له إن شاء عذبه، والموحدين كلهم مصيرهم إلى الجنة وإن عذب منهم بالنار من عذب ولا يخلد أحد منهم فيها قط.

6- لا يجوز القطع لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه.

7- الكفر الوارد ذكره في الألفاظ الشرعية قسمان: أكبر مخرج من الملة، وأصغر غير مخرج من الملة ويسمى أحيانا بالكفر العملي.

---

(1) بمعنى طلب البركة بها لا منها .." [1]

"فالعبادة باعتبارها مصدراً تعني التعبد ، وهو فعل العابد (1) وتعريفها " التذلل لله محبة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه " (2) اهـ

وأما باعتباره اسماً فهي تعني : المتعبد به (3) وتعريفها : " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة " (4)ـ .

ومن التعريف المذكور في معنى العبادة باعتبارها اسماً يتضح أن للعبادة أربع مراتب وهي **: قول القلب** ، وقول اللسان ، وعمل القلب ، وعمل الجوارح وهذا معنى قوله : " من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة " وقد فصل ابن القيم هذه المراتب فقال :

" **قول القلب** : هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله ، وملائكته ولقائه على لسان رسله .

وقول اللسان : الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له ، والقيام بذكره وتبليغ أوامره .

وعمل القلب : كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له ، وإخلاص الدين له ، والصبر على أوامره ونواهيه وعلى أقداره والرضى به عنه ، والموالاة فيه والمعاداة فيه ، والذل له ، والخضوع ، والإخبات إليه

1() الطريق إلى الجنة: التوحيد، 6/7

والطمأنينة به ، وغير ذلك من أعمال القلوب ، التي فرضها من أعمال الجوارح ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها ، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة .
وأعمال الجوارح : كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ، ومساعدة العاجز والإحسان على الخلق ، ونحو ذلك " (5) اهـ فظهر من هذا أن جميع أمور الديانة من الاعتقادات والإرادات والأقوال والأعمال داخلة في مسمى العبادة .
ولما جهل كثير من المتأخرين حقيقة العبادة على الوجه المذكور أعلاه كان من الأفضل زيادة البيان لبعض أنواع العبادة بذكر أمثلة لها - خاصة المتنازع فيها - مع نقل أقوال الأئمة الأعلام وبيانهم أنها من العبادة وأن صرفها لغير الله لا يجوز .." [1]
"وبهذا يتكامل التوحيد ويؤتي ثماره، وهذا معنى قول أبي عبدالرحمن السلمي: ما كنا نتجاز عشر آيات حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل، ولنتأمل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ} [الصف: 2،3].
16- جهل كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام بمعنى لا إله إلا الله ومقتضياتها ولوازمها.
يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: ((ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه: لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي و الإصرار عليها.
ومن عرف هذا عرف قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))(55) وقوله ((لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله))(56) . وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث، التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوخة! وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، وقال: المعنى لا يدخلها خالدًا، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة. فإن النبي صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام؛ لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار. بل لا بد من قول القلب، وقول اللسان.." [2]

---

[1] () القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد، ص/12
[2] () القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد، ص/72

"وقال أيضاً: (ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد) (1).

وقال - رحمه الله - في رده على من ادعى الترادف بين الإيمان والتصديق:

(إنه - أي الإيمان - ليس مرادفاً للتصديق في المعنى؛ فإن كل مخبر عن مشاهدة، أو غيب، يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت؛ فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب. وأما لفظ الإيمان؛ فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة، كقول: طلعت الشمس وغربت، أنه يقال: آمناه، كما يقال: صدقناه. ولهذا؛ المحدثون والشهود ونحوهم، يقال: صدقناهم، وما يقال: آمنا لهم؛ فإن الإيمان مشتق من الأمن، فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر؛ كالأمر الغائب الذي يؤمن عليه المخبر، ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ: آمن له؛ إلا في هذا النوع) (2).

وقال أيضاً: (إن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب؛ كلفظ التصديق؛ فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له: صدقت، أو كذبت، ويقال: صدقناه، أو كذبناه، ولا يقال: لكل مخبر: آمنا له، أو كذبناه. ولا يقال: أنت مؤمن له، أو مكذب له؛ بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب) (3).

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

(أكثر أهل العلم يقولون: إن الإيمان في اللغة: التصديق، ولكن في هذا نظر! لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة؛ فإنها تتعدى بتعديها، ومعلوم أن التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه؛ فنقول مثلاً: صدقته، ولا تقول آمنته! بل تقول: آمنت به، أو آمنت له.

---

(1) مجموع الفتاوى) ج 7، ص 638.

(2) مجموع الفتاوى) ج 7، ص 291.

(3) مجموع الفتاوى) ج 7، ص 291.." [1]

"وأن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم رسول الله، وخاتم النبيين، وقبول جميع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم عن ربه - جل وعلا - وعن دين الإسلام؛ من الأمور الغيبية، والأحكام الشرعية، وبجميع مفردات الدين، والانقياد له صلى الله عليه وسلم بالطاعة المطلقة فيما أمر به، والكف عما نهى عنه صلى الله عليه وسلم وزجر؛ ظاهراً وباطناً، وإظهار الخضوع والطمأنينة لكل ذلك.

وملخصه: (هو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة).

---

[1] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/9

الباطنـــــــة : كأعمـــــــال القلب، وهي تصــــــديق القلب وإقــــــراره.
الظـــــــاهرة : أفعـــــال البــــــدن من الواجبـــــات والمنــــــدوبات.
ويجب أن يتبع ذلك كله: قول اللسان، وعمل الجوارح والأركـان، ولا يجـزيء واحد من الثلاث إلا بالآخر؛ لأن أعمال الجـوارح داخلـة في مسـمى الإيمـان، وجـــــــــــــــــــــــــــــزء منـــــــــــــــــــــــــــــــــــــه.
فمسـمى الإيمـان عنـد أهـل السـنة والجماعـة؛ كمـا أجمـع عليـه أئمتهم وعلمـــــــــــــــــــــــاؤهم، هـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــو:
(تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركـان؛ يزيـد بالطاعـة، وينقص بالمعصـــية).
ومن أصولهم التي اتفقوا عليهـا في مسـمى الإيمـان على اختلاف عبـاراتهم في التعبير – إجمـالاً وتفصـيلاً – وذلـك خوفـاً من الاشـتباه، أو الالتبـاس؛ أن الإيمـــــــــــــــــــــــــــــــان مـــــــــــــــــــــــــــــــــــــركب من:
(قـول، وعمـل). أو (قـول، وعمـل، ونيـة). أو (قـول، وعمـل، ونيـة، واتبـاع السـ‍ـــنة).
أي: أن مسمى الإيمان يطلق عند أهـل السـنة والجماعـة على ثلاث خصـال مجتمعـة، لا يجـزيء أحـدهما عن الآخـر، وهـذه الأمـور الثلاثـة جامعـة لـدين الإســـلام:
(اعتقـــــــاد القلب، إقـــــــرار اللســـــــان، عمـــــــل الجـــــــوارح).
وبعبـــــــــــــــــــــــارة أخـــــــــــــــــــــــرى عنــــــــــــــــــــــــدهم:
قـــــــــــــــــــــــول القلب، وقـــــــــــــــــــــــول اللســـــــــــــــــــــــان.
عمـــــــــــــــــــــــل القلب، وعمـــــــــــــــــــــــل الجـــــــــــــــــــــــوارح.
ويمكن توضـــــــــــــــيح ذلـــــــــــــــك؛ بالتفصـــــــــــــــيل التـــــــــــــــالي:
أولاً - قول القلب: هو معرفته للحق، واعتقاده، وتصديقه، وإقـراره، وإيقانـه به؛ وهو ما عقد عليه القلب، وتمسك بـه، ولم يـتردد فيـه، قـال اللـه تبـارك وتعالى:." [1]

"اتفق أئمة أهـل السـنة والجماعـة – سـلفاً وخلفـاً – على أن الإيمـان : قـول **وعمـل، قـول القلب واللسـان**، وعمـل القلب والجـوارح؛ يزيـد بالطاعة وكثرة العبادة، وينقص بالمعصية والغفلـة، وقـد حكى الإجمـاع على ذلك أكثر أهل العلم – رحمهم الله – بل أصبح هذا القول من ممـيزات أهـل السـ‍ـــنة والجماعـــــة، والفارقـــــة بينهم وبين أهـــــل البـــــدع والأهـــــواء.
وأقوالهم في هذا الباب كثيرة جداً لا يمكن حصرها في هذه الرسـالة، ولكن نــــــذكر بعضـــــاً منهــــــا على ســــــبيل المثـــــــال لا الحصـــــــر:
كان أمير المؤمنين عمر بن الخطـاب – رضـي اللـه عنـه – يقـول لأصـحابه:
(هلمــــــوا نـــــــزدد إيمانـــــــاً) فيـــــــذكرون اللـــــــه تعـــــــالى(1).
وقـــــال أمـــــير المؤمـــــنين علي بن أبي طـــــالب رضـــــي اللـــــه عنـــــه : (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، من لا صبر له لا إيمـان لـه) (

[1] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/11

(2).
وقـــال عبـــد اللـــه بن مســـعود رضـــي اللـــه عنـــه : (اللهم زدنـــا إيمانـــاً، ويقينـــا، وفقهـــا) (3).
وقـــال عبـــد اللـــه بن رواحـــة رضـــي اللـــه عنـــه : (تعالوا نؤمن ساعة؛ تعالوا فلنذكر الله ونزدد إيماناً؛ لعله يذكرنا بمغفرتـه) (4).
وقـــال معـــاذ بن جبـــل رضـــي اللـــه عنـــه : (اجلس بنـــا نـــؤمن ســـاعة) (5).
وقـــال جنـــدب بن عبـــد اللـــه البجلي رضـــي اللـــه عنـــه : (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حـزاورة؛ فتعلمنـا الإيمـان قبـــل أن نتعلم القـــرآن؛ ثم تعلمنـــا القـــرآن؛ فازددنـــا بـــه إيمانـــاً) (6).

---

(1) (السـنة) الخلال: 5/39 (1122). و (شـرح أصـول اعتقـاد أهـل السـنة) اللالكـائي: 5/1012 (1700). و (الإبانـة) ابن بطـة: 2/846 (1134).
(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة) اللالكائي: 4/924 (1569). و (الإيمان) ابن أبي شـيبة: ص 48 (130).
(3) شـرح أصـول اعتقـاد أهـل السـنة) اللالكـائي: 5/1013 (1704) .
(4) الإيمـــان) ابن أبي شـــيبة: ص 43 (116) .
(5) شـرح أصـول اعتقـاد أهـل السـنة) اللالكـائي: 5/1014 (1706) .
(6) ابن ماجة) كتاب السنة، باب (الإيمان) انظر (صـحيح سـنن ابن ماجـة): 1/16 .." [1]

"(قال عبد الرزاق: سـمعت من أدركت من شـيوخنا وأصـحابنا: سـفيان الثوري، ومالك بن أنس، وعبيد بن عمر، والأوزاعي، ومعمر بن راشـد، وابن جريج، وسفيان بن عيينة، يقولون: الإيمان: قول وعمل؛ يزيـد وينقص. وهـذا قول: ابن مسعود، وحذيفة، والنخعي، والحسن البصري، وعطـاء، وطـاوس، ومجاهد، وعبـد اللـه بن المبـارك؛ فـالمعنى الـذي يسـتحق بـه العبـد المـدح والولايـة من المؤمـنين هـو إتيانـه بهـذه الأمـور الثلاثـة: التصـديق بـالقلب، والإقـــرار باللســـان، والعمـــل بـــالجوارح)(1).
وقال: (إن الطاعات تسمى إيماناً وديناً، وإذا ثبت هـذا علمنـا أن من كـثرت عبادتـــه زاد إيمانـــه ودينـــه، ومن نقص عبادتـــه نقص دينـــه) (2).
وقـــال شـــيخ الإســـلام ابن تيميـــة رحمـــه اللـــه (ت 728هـــ): (ومن أصول أهل السنة: أن الـدين والإيمـان قـول **وعمـل: قـول القلب واللسان**، وعمـل القلب واللسـان والجـوارح، وأن الإيمـان يزيـد بالطاعـة وينقص بالمعصـــية)(3).
وقال: (ولهذا كان القول: إن الإيمان قـول وعمـل – عنـد أهـل السـنة – من شـــعائر الســـنة، وحكى غـــير واحـــد الإجمـــاع على ذلـــك) (4).

---

[1] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/28

وقال الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله (ت 751هـ):
(حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح؛ فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع بقية الأجزاء) (5).
وقال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله (ت 744هـ) في تفسير الآية {2} من سورة الأنفال:

---

(1) شرح صحيح مسلم) النووي: 1/146.
(2) شرح صحيح مسلم) النووي: 2/68.
(3) مجموع الفتاوى): 3/151 .
(4) الإيمان) ابن تيمية: 292 .
(5) كتاب الصلاة وحكم تاركها) ابن القيم: ص 54 فصل: (في الحكم بين الفريقين).." [1]

"(إن الإيمان الشرعي المطلوب لا يكون؛ إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً؛ هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد وأبو عبيد، وغير واحد إجماعاً أن الإيمان قول وعمل)(1).
وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله (ت 1376هـ) في تفسير الآية {76} من سورة مريم:
(وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه؛ كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى : { لِيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا }، { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا } ويدل عليه أيضاً الواقع؛ فإن **الإيمان: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور أعظم تفاوت.
وقال العلامة حافظ الحكمي رحمه الله (ت 1377هـ):
(الإيمان: قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويتفاضل أهله فيه)(2).
وقال الشيخ العلامة المفسر محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله (ت 1393هـ):
(إن الحق الذي لا شك فيه هو مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان شامل للقول والعمل مع الاعتقاد، وذلك ثابت في أحاديث صحيحة كثيرة)(3).
وهذا غيض من فيض؛ من أقوال أئمة السلف الصالح أهل السنة والجماعة: أن الإيمان قول وعمل؛ يزيد وينقص، لا قول لهم غيره؛ بل أجمعوا على ذلك، ومن نسب إليهم خلاف ذلك؛ فقد أخطأ، وجهل مذهبهم، ونسب إليهم ما لم يقولوه.

---

[1] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/39

وعلى هذه العقيدة توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى هذا المنهج كان جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان: من المحدثين، والفقهاء، وجميع أئمة الدين، ولم يخالفهم أحد من السلف والخلف؛ إلا الذين مالوا عن الحق في هذا الأمر، وجانبوا الصواب.

(1) بغية الرائد في شرح العقائد) القنوجي: ص 44. الطبعة الهندية .
(2) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة): ص 45 تحقيق أحمد الرشد .
(3) أضواء البيان) الشنقيطي: 7/201 .." [1]

"فإن أعمال الجوارح لا تستقيم إلا باستقامة القلب، ومعنى استقامة القلب أن يكون ممتلئاً من محبة الله، ومحبة طاعته، وكراهية معصيته ... وحركات الجسد تابعة لحركة القلب وإرادته، فإن كانت حركته وإرادته لله وحده؛ فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله، وإن كانت حركة القلب وإرادته لغير الله تعالى، فسد، وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب .. .

ومعنى هذا أن حركات القلب والجوارح إذا كانت كلها لله؛ فقد كمل إيمان العبد بذلك ظاهراً وباطناً، ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح الجوارح؛ فإذا كان القلب صالحاً ليس فيه إلا إرادة الله، وإرادة الله ما يريده لم تنبعث الجوارح إلا فيما يريده الله) (1).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(فأصل الإيمان في القلب، **وهو قول القلب وعمله**، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب، فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي التصديق لما في القلب، ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له؛ لكن ما في القلب هو الأصل لما على الجوارح؛ كما قال أبو هريرة – رضي الله عنه – إن القلب ملك، والأعضاء جنوده؛ فإن طاب الملك، طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده) (2).

(1) ...انظر: (جامع العلوم والحكم) لابن رجب؛ ج1، ص 210 في شرح الحديث السادس من الأربعين النووية. تحقيق شعيب الأرناؤوط.
(2) مجموع الفتاوى) ج 7، ص 644.." [2]

"وقال – أيضاً – رحمه الله: (إذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة؛ كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان؛ فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة، بل يلزم من وجود هذا

[1] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/42
[2] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/50

كاملاً، وجود هذا كاملاً؛ كما يلزم من نقص هـذا، نقص هـذا؛ إذ تقـدير إيمـان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل، كتقدير موجب تام بلا موجبه، وعلة تامـــة بلا معلولهـــا، وهـــذا ممتنـــع(1).

وقـــال الإمـــام الحافـــظ ابن القيم رحمـــه اللـــه: (وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قـول وعمـل. والقـول قسـمان: قـول القلب، وهـو الاعتقـاد. وقـول اللسـان، وهـو التكلم بكلمـة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه. وعمـل الجـوارح. فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله. وإذا زال تصديق القلب، لم ينفع بقيـة الأجـزاء؛ فـإن تصـديق القلب شـرط في اعتقادهـا وكونهـا نافعـة. وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق؛ فهذا موضـع المعركـة بين المرجئـة وأهل السنة؛ فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبتـه وانقيـاده؛ كمـا لم ينفـع إبليس وفرعـون وقومه، واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول؛ بل ويـرون بـه سـراً وجهـراً، ويقولـون: ليس بكـاذب، ولكن لا نتبعـه، ولا نـؤمن بـه. وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمـل القلب؛ فغيـر مسـتنكر أن يـزول بـزوال أعظم أعمال الجوارح، ولا سيما إذا كان ملزوماً لعدم محبة القلب وانقيـاده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم – كما تقدم تقريـره – فإنـه يلـزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لـو أطـاع القلب وانقـاد؛ أطـاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصـديق المسـتلزم للطاعـــــة، وهـــــو حقيقـــــة الإيمـــــان.

---

(1) مجموع الفتاوى) ج 7، ص 582.." [1]

"(وقـد أجمعت العلمـاء – لا خلاف بينهم – أنـه لا يكفـر أحـد من أهـل القبلة بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بمعصية؛ نرجو للمحسـن، ونخـاف على المســــــــــــــــــــــــــــيء)(1).

ونقل الإمام أبو إسـماعيل الصـابوني - رحمـه اللـه – اعتقـاد أئمـة السـلف، أصـــحاب الحـــديث، أهـــل الســـنة والجماعـــة، وقـــال: (ويعتقد أهـل السـنة : أن المـؤمن وإن أذنب ذنوبـاً كثـيرة صـغائر كـانت، أو كبائر؛ فإنه لا يكفـر بهـا، وإن خـرج من الـدنيا غـير تـائب منهـا، ومـات على التوحيد والإخلاص؛ فإن أمره إلى الله – عز وجل – إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً، غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على مـا ارتكبـه من الذنوب، واكتسبه ثم استصحبه – إلى يوم القيامة – من الآثـام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها؛ بل أعتقـه وأخرجـــــه منهـــــا إلى نعيم دار القـــــرار) (2).

وقـــال الإمـــام البغـــوي رحمـــه اللـــه تعـــالى: (اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمـان بارتكـاب شـيء من

---

[1] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/52

الكبائر، إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئاً منها؛ فمات قبل التوبة، لا يخلد في النار؛ كما جاء به الحديث؛ بل هو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته)(3).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (من أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وهم مع ذلك:

(1) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة) المسمى بـ (الإبانة الصغرى): ص 292 تحقيق د. رضا بن نعسان معطي.
(2) عقيدة السلف وأصحاب الحديث) : ص 276 تحقيق د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع.
(3) شرح السنة) الإمام البغوي: ج1، ص 103.." [1]

"وذكر مثل ذلك ابن بطة في الإبانة ، والآجري في الشريعة ، وسائر الكتب التي ألفت في العقيدة كلها تنقل الإجماع على ذلك، والشاهد أن الإجماع منقول وثابت على أن الإيمان قول وعمل.

شرح تعريف الإيمان

أما معنى هذه العبارة -كما فسرها السلف ومنهم الأوزاعي والشافعي وسفيان بن عيينه وغيرهم- **فهو: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح.

فالقول يطلق على أمرين: قول القلب، وقول اللسان.

والعمل يطلق على أمرين: عمل القلب، وعمل الجوارح.

هذه الأربعة يتكون منها الإيمان، فهو يتكون من: قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح وإذا عرفنا هذه الأربعة بالتفصيل عرفنا حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة ، وعرفنا بعد ذلك لماذا يحكمون على مرتكب الكبيرة بأنه ناقص الإيمان، فلا يخرجونه من الملة كما تقوله الخوارج ، ولا يقولون هو كامل الإيمان كما تقوله المرجئة .

فأما قول القلب: فهو الإقرار والاعتقاد الجازم بما جاء في حديث جبريل عليه السلام، وهو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، أي: انقياد القلب وإذعانه وتصديقه الجازم، بالإيمان المجمل وهو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، الذي هو: الإيمان بالغيب. وهي الصفة الأولى التي ذكرها الله سُبْحَانَهُ

[1] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/121

وَتَعَالَى من صفات المؤمنين في أول سورة مدنية، وهي سورة البقرة، فقول القلب: هو الإقرار والاعتقاد والتصديق الجازم بما ورد في حديث جبريل.

وأما قول اللسان: فهو إظهار هذا الإيمان وقوله وتلفظه بشهادة أن لا إله إلا الله، أو ما يقوم مقامها في حال البدء، كأن يقول الرجل: آمنت أو أسلمت أو دخلت في دين الإسلام، أو شهدت بأن الله حق، إلى آخر ذلك، ثم يلتزم بسائر العبادات والشرائع، ومنها: وهو أولها وأعظمها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فهذا هو قول اللسان.." [1]

"ومن أعظم ذلك الحياء، ولذلك أفرد في حديث شعب الإيمان الذي يقول فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {الإيمان بضع وسبعون -أو وستون- شعبة، فأعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان } فهذه الشعبة لأهميتها: أفردت، ولأنها خيرٌ كلها كما في الحديث الصحيح: {الحياء كله خير }.

ولا يمكن أن نحكم أو نعرف أو نقول: إن الإنسان لديه حياء -وهو عمل قلبي- إلا أن يظهر ذلك على جوارحه، فإن مشية الإنسان الحيي غير مشية الإنسان الذي لا يستحي، وكلام الإنسان صاحب الحياء غير كلام الآخر، وكذلك صلاته وعبادته، وفعله لما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن الحيي يتورع عن ارتكاب المحرمات، ومن تجرأ على المحرمات وعلى المنكرات جزمنا وعلمنا بأنه فاقد للحياء كله أو بعضه، فهذه هي أعمال القلب، فعمل القلب -إذاً- هو هذه الأمور الباطنة من الإيمان.

وأما عمل الجوارح فهو: جميع التعبدات التي فرضها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الجوارح، كإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمثال ذلك.

الإيمان حقيقة مركبة

ومن هذه الأربعة -أي **من قول القلب وقول** اللسان , وعمل القلب وعمل الجوارح- تتكون حقيقة الإيمان الكلية المركبة الذي هو الإيمان الشرعي، الذي جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلغه لنا بما أنزله الله من الوحي في القرآن، وبما علَّمنا إياه وفسره لنا في السنة.." [2]

"فقال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {أخبرني ما الإسلام؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت } فذكر الأركان الخمسة في جواب قوله: ما الإسلام؟

[1] الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص/4

[2] الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص/6

ثم لما {قال: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره } وفي رواية صحيحة على شرط مسلم -رواها ابن مندة - قال له جبريل بعد أن ذكر أركان الإسلام: {فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: نعم -وقال له بعد أن ذكر أركان الإيمان- فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال: نعم } وفهم الإمام أحمد من ذلك تكفير من ترك ركناً من أركان الإسلام أو ركناً من أركان الإيمان، قال: '' ومن قال إنه يكون مؤمناً وإن لم يعمل شيئاً، فقد عاند الحديث '' فهو يقول: من قال: إن الرجل يكون مؤمناً بالتصديق القلبي الباطن فقط فقد عاند الحديث، ألم تره يقول: فإن فعلت ذلك فأنا مسلم، فإن فعلت ذلك فأنا مؤمن، فالصحابة رضوان الله تعالى عليهم وأهل السنة والجماعة -أيضاً- فهموا من هذا أن الإيمان قول وعمل: القول الباطن والعمل الباطن، القول الباطن الذي هو قول القلب، والقول الظاهر الذي هو قول اللسان، والعمل الباطن الذي هو عمل القلب، والعمل الظاهر الذي هو عمل الجوارح.

فمن هذا الحديث علمنا أن الأركان الستة هي أركان الإيمان، وهي أعمال باطنة: أن تؤمن بقلبك بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر.

وأما أركان الإسلام الخمسة فهي أركان ظاهرة: شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج، أي أعمال ظاهرة بالجوارح.." [1]

"فقالوا: إذاً: ما دام الشارع فعل ذلك، -لم يحكم على صاحب الكبيرة بحد الردة- فمرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، وقالوا: إنه كامل الإيمان لأن الإيمان عندهم شيء واحد أصلاً لا يزيد ولا ينقص، إذاً الإيمان كله متحقق لدى صاحب الكبيرة، والخوارج يقولون: الإيمان كله منفيٌ عن صاحب الكبيرة.

فكان هذا الغلو وهذا السخف من هاتين الفرقتين.

ولكن الأمة الوسط والفرقة الناجية هم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين ظهرت الخوارج في أيامهم، وناظروهم في ذلك كما ناظرهم ابن عباس رضوان الله تعالى عليهم.

أما الإيمان الواجب أو الإيمان الذي يطلق وهو اسم مدحٍ في الإنسان، ودرجة عليا، وهو كمال الإيمان، فهذا يُنفى عن صاحب الكبيرة، ولكن نقول: إن عمل الجوارح نقص عندما زنى وعملت جارحته، وفقد عمل قلبه، أي إيمانه القلبي.

[1] () الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص/9

إذاً عمل القلب فقد عند الزاني، لكن هل فقد قول القلب؟ هو قد يكون مستحلاً فيكفر، لكن الكلام مختص بمرتكب الكبيرة غير المستحل.

فنقول: هذا فَقَدَ عمل القلب، الذي هو الالتزام والانقياد والإذعان لأمر الله الذي حرم الزنا، وهو لما زنى لم يكن لديه عمل القلب، لكن هل نقول: إنه فقد قول القلب، الذي هو الإقرار والاعتقاد الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؟ الصحيح أنه ليس هناك دليل -لا من الشرع ولا من واقعه- أنه فقد قول القلب، فهو تارك لجزء من الإيمان الذي هو عمل القلب، ولم يترك الجزء الآخر الذي هو قول القلب.

متى يكفر الإنسان." [1]

"لا يكفر الإنسان ولا يحكم بكفره إلا إذا **ترك قول القلب الذي** ينخرم بفقدان عمل القلب بالكلية، أو بفقدان عمل الجوارح بالكلية؛ لأنه إذا انتفى هذا أو هذا بالكلية انتفت الحقيقة المركبة التي هي الإيمان، والتي يتركب منها هذا الإيمان، وقد أوضح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذلك في القرآن، وفي المثل الذي ضربه، والذي به نفهم جميعاً الفرق بين مذهب أهل السنة والجماعة وغيرهم في الإيمان، فيقول الله تبارك وتعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا [إبراهيم:24-25] والشجرة الطيبة هي: شجرة الإيمان، التي هي شهادة أن لا إله إلا الله، ولو تصورنا نحن الآن هذه الشجرة لعرفنا حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة . فهو مثلما قلنا: إنه يتركب من روح وجسد، والشجرة تتكون من الجذع ثم الفروع ثم الأوراق والثمرة، وهناك جانب أسفل سطح الأرض وهو الجذور التي تمتد إلى أسفل والتي تتغدى بالماء وتدفع الغذاء إلى الأغصان فتنمو، فإذا كثر الغذاء كثرت هذه الفروع وإذا قلَّ قلّت، فهذا المثال ينطبق تماماً على حقيقة الإيمان.

وإذا قارنا ما يقول هؤلاء، وما يقول أولئك، عرفنا أولاً حقيقته، ثم عرفنا ثانياً أنه هو الحق، فهذه الشجرة إذا قُطع غصن منها، فهو مثل مرتكب الكبيرة، أو مثل من كترك واجباً من الواجبات غير الأركان الخمسة، ترك -مثلاً- فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو كان من أهل الغيبة أو النميمة، فنقول هذا الإنسان ذهب عنه غصن من هذه الشجرة، لكنه لم يفقد الشجرة بالكلية، ولهذا على قول الخوارج أن مرتكب الكبيرة قد خرج من الدين، كمن يقول: الذي قطع غصناً من الشجرة، فإن الشجرة لا وجود لها.." [2]

[1] () الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص/13

[2] () الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص/14

"ومذهب الإمام أبي حنيفة على فهمين: منهم من فهم إدخال عمل القلب في الإيمان وهي اليقين والإنابة والإخلاص والصدق والرغبة وما إلى ذلك، فكل الإيمان الباطن يجعله من الإيمان، ويجعل القول من الإيمان، فيكون عنده أن أركان الإيمان ثلاثة **وهي: قول القلب وعمل** القلب وقول اللسان وأخرجوا عمل الجوارح وهو الرابع عند أهل السنةوالجماعة ، ثم جاء أبو منصور الماتريدي الحنفي وقال: لا. حقيقة الإيمان عند أبي حنيفة مثله عند جهم ، فجعلوه كجهم ، قالوا: يقصد فقط قول القلب، وهو التصديق، فعمل القلب غير داخل، والعمل غير داخل في الإيمان عند أبي حنيفة ، والذي نظنه نحن بأبي حنيفة أنه لا يخرج عمل القلب، لكن الحنفية يخرجون عمل القلب.." [1]

"الجواب: الموضوع خارج عن نطاق الإيمان، لكن نقول باختصار: التأويل منه ما يكون كفراً، ومنه ما يكون بدعة، ومنه ما يكون خطأً، كما قال ذلك شارح العقيدة الطحاوية في أولها، والتأويل المكفر كتأويل الباطنية ، والتأويل البدعي كتأويلات الأشعرية ، والتأويل الخطأ مثل بعض من أخطأ من أهل السنة والجماعة في صفة القدم مثلاً.

حكم تارك الصلاة

السؤال: عندما قلتم إن من ارتكب الزنا، **فإن قول القلب ما** زال موجودًا عنده، مع أنه فقد عمل القلب، فلماذا لم نقل لمن ترك الصلاة: إنه فقد عمل القلب، وقول القلب ما زال موجوداً عنده؟ أرجو بيان ذلك مفصلاً وحكم تارك الصلاة؟ سواءٌ أكان منكراً أم تاركاً عمداً أم تاركاً تكاسلاً، وهل بعد دعوة تارك الصلاة مرات كثيرة وإصراره على الترك يقال: إنه كافر؟ الجواب: الموضوع الأول ليس هناك داع لأن نطيل فيه؛ لأننا قلنا: إن هناك أركان أساسية: الأركان الخمسة من الإسلام، والستة من الإيمان، فهذه أساسية وبفقد أحدها يفقد الإيمان أو الإسلام، وأما بقية الأشياء فهي واجبات، وتختلف عن الأركان الأساسية، وهناك -أيضاً- خلاف أساسي بين ترك المأمورات وبين ارتكاب المحرمات، فارتكاب المحرمات مهما كثر مع الإتيان بالأركان الخمسة فإن صاحبه يبقى مرتكباً لكبيرة، كما في حديث صاحب البطاقة -وكما تعلمون- أنه لم يعمل خيرًا قط، لكن عنده التوحيد فنفعه ذلك التوحيد، وحديث المذنب الذي يأتي بصلاة وصيام وزكاة، لكن الأعمال السيئة تأخذ كل ذلك حتى يطرح في النار، فالأحاديث كثيرة تدل على أن ارتكاب المحظورات جميعاً، ليس مثل ترك الواجبات جميعاً، بل ترك الواجبات جميعاً يخرج من الملة، ولو أن أحدًا لم يعمل من الواجبات شيئاً، فهذا لا يكون مؤمناً قط، لكن لو فعل المحرمات جميعاً ما عدا

[1] () الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص/26

الشرك؛ فإنه لا يخرج من الملة، فهذا فـارق أساسـي بين شـارب الخمـر أو الزاني وبين تارك الصلاة.." [1]

"والإيمـان قـول وعمـل **، قـول القلب واللسـان** ، وعمـل القلب واللسان والجوارح ، يزيد بالطاعـة ، وينقص بالمعصـية ، ولا نكفـر أحـدا من أهـل القبلـة بمجـرد المعصـية ، ولا نسـلب الفاسـق الملِّي اسـم الإيمـان بالكلية ، ولا نخلده في النار كمـا تقـول المعتزلـة ، ولا نكفـره بالكبـائر كمـا تقـول الخـوارج ، وإنمـا نقـول هـو مـؤمن بإيمانـه فاسـق بكبيرتـه ، والأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكـر ، على مـا جـاءت بـه الشـريعة واجب . ونعتقـد إقامـة الحج والجهـاد والجمـع والأعيـاد مـع الأمـراء أبـرارا كـانوا أو فجارا ، ونـدين بالسـمع والطاعـة لهم في غـير معصـية عـدلوا أو جـاروا مـا أقاموا الصـلاة ، ونحافـظ على الجماعـة ونَـدِين الله بالنصح للأئمـة خاصـة وللأمة عامة ، ونبرأ إلى الله من طريـق الخـوارج والمعتزلـة ، الـذين يـرون الخــــروج على الأئمــــــة بمجــــــرد الجــــــور والمعصــــــية . فهذا الذي نَدِين الله به ، ونعتقده ، وندعوكم إليه ، وحسـبنا فيـه كتـاب اللـه وسنة رسوله ، وسلف الأمة الذين شهد لهم رسول الله بالخير ، قـال صـلى الله عليه وسلم : "تركت فيكم مـا إن تمسـكتم بـه لن تضـلوا ، كتـاب اللـه وسنتي" وقال : "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم" فتمسكوا بـدينكم فهـذا زمـان القـابض فيـه على دينـه كالقـابض على الجمـر ، زهيت فيـه الحيـاة بزخرفها ، وثملت الناس بنشـوتها ، وكـثر الـدخيل في الإسـلام ، وأوقـع في القلوب الضعيفة ما أوقع من الأوهام ، وتحقق فيه قـول ابن مسـعود رضـي الله عنه "كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ، ويهرم عليهـا الكبـير وتتخذ سنة يجري الناس عليها ، فإذا غير منها شيء قيل غيرت السنة" قيـل متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال : "إذا كثر قراؤكم وقل فقهـاؤكم وكـثرت أموالكم وقل أمناؤكم وتعلم لغير الدين" ومعلوم أنه كلمـا تقـادم عهـد أمـة بنبيهـا ألقى الشـيطان في أفرادهـا تعـاليم تظن فيمـا بعـد أنهـا من الـدين ، والدين منها براء يريد بذلك إماتة السنة ، وطمس معالمها .." [2]

"وتوحيد الأسماء والصفات : وهو إثبات ما وصف الـرب تعـالى وسـمى به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليـه وسـلم من الأسـماء الحسنى والصفات العلى إثباتا يليـق بجلالـه وعظمتـه ، ويختص بـه من غـير تحريـف ، ولا تعطيـل ، ومن غـير تكـييف ، ولا تمثيـل ، وجميـع أصـحاب المقالات من الفرق الإسلامية متفقون على إثبات هـذه المقدمـة ، وهي أن الله تعالى موصوف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص ، وإنما اختلفـوا فيمـا هـو كمـال ومـا هـو نقص ، أو يلـزم منـه النقص ، فمنهم من ظن أن وصف الباري تعالى بما وصف به نفسه يلزم منه التجسـيم والتشـبيه، فنفى ما أثبته الله تعالى لنفسه وعطل أسماءه وصـفاته وألحـد فيهـا ، ومنهم من

---

1 () الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص/29

2 () البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد، ص/8

أثبت ذلك وغلا في الإثبات ، حتى شبه الله صفات الباري تعالى بصفات خلقه ، وهدى الله تعالى أهل السنة الذين هم الفرقة الناجية ، وهم الوسط في فرق الأمة ، كما أن الأمة وسط بين سائر الأمم ، إلى القول بما دل عليه الكتاب والسنة ومضى عليه سلف الأمة ، من إثبات جميع ما وصف به تعالى نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات العلى وإمرارها كما جاءت ، وهذا هو طريق النجاة ومن ذلك الإيمان بما أخبر به تعالى في كتابه ، وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأجمع عليه سلف الأمة من أن الله فوق سماواته ، على عرشه ، عليٌّ على خلقه ، وهو سبحانه فوق معهم أينما كانوا ، يعلم ما هم عاملون ، ومما نعتقده وندين الله به أن الدين والإيمان قول وعمل **، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ،ومع ذلك لا نكفر أهل القبلة بمجرد المعاصي ، ولا نسلب الفاسق الملِّي اسم الإيمان بالكلية ولا نخلده في النار ، كما يقوله المعتزلة ، ولا نكفره بالكبائر كما قاله الخوارج ، ونقول هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، أو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مسلم وليس بمؤمن ، كما يقوله بعض أهل السنة ،." [1]

"(فَصْلٌ: ومِنْ أُصُول [أَهْل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ] أَنَّ الدِّينَ والإِيْمانَ قَوْلٌ **وعَمَلٌ، قَوْلُ القَلْبِ واللِّسانِ**، وعَمَلُ القَلْبِ واللِّسانِ والجَوَارِحِ. (1)

---

(1) فَصْلٌ قولُه: (أنَّ الدِّينَ) معناه لغةً: الذُّلُّ، يُقالُ دِنْتُه فَدانَ، أي أَذْلَلْتُه فَذَلَّ، وشَرْعا: هُوَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ على أَلْسِنةِ رُسلِه، والإيمانُ لغةً: التَّصديقُ كما قال تعالى: (وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا) أي بمُصدِّقٍ، وشَرْعا: الإيمانُ هُوَ ما ذكَرَه المصنِّفُ.

قال الشَّيخ تَقِيُّ الدِّينِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: لفظُ الإيمانِ إذا أُطلِقَ يُرادُ بِهِ ما يُرادُ بلفظِ البِرِّ وبِلَفْظِ التَّقوى وبلفظِ الدِّينِ، فكُلُّ ما يُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه يَدْخُلُ في اسمِ الإيمانِ. انتهى. وفي حديثِ جبريلَ: سَمَّى النَّبيُّ -صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ- الإسلامَ والإيمانَ والإحسانَ دِينًا.

قولُه: (قولُ القلبِ) وهُوَ الاعتقادُ، كاعتقادِ ما أخبَرَ اللَّهُ بِهِ عَن نَفْسِه وأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه وملائكتِه وكتُبِه ورُسلِه.

قولُه: (قولُ اللِّسانِ) وهُوَ التَّكلُّمُ بالشَّهادَتَيْنِ، والقيامُ بذِكْرِه -سُبْحَانَهُ- وتبليغِ أوامرِه والدَّعوةِ إليهِ والذَّبِّ عن دِينِه ونحوِ ذَلِكَ.

قولُه: (وعملُ القلبِ) وهُوَ نِيَّتُه وإخلاصُه والتَّوكُّلُ والإنابَةُ والمحبَّةُ والانقيادُ والخوفُ منه -سُبْحَانَهُ- والرَّجاءُ وإخلاصُ الدِّينِ له والصَّبْرُ ونحوُ ذَلِكَ مِن أعمالِ القلوبِ.

قولُه: (وعَمَلُ اللِّسانِ والجوارحِ) كالصَّلاةِ والحجِّ والجهادِ ونحوِ ذَلِكَ، فالإيمانُ عندَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ هُوَ ما تَقدَّمَ أنَّه قولٌ واعتقادٌ، وحكى

---

[1] () البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد، ص/11

الشَّـافِعيُّ على ذَلِـكَ إجمـاعَ الصَّـحابةِ والتَّابِعينَ ومَن بَعْـدَهم ممَّن أدْرَكَهم، وأنْكَــرَ السَّــلَفُ على مَن أخــرجَ الأعمــالَ مِن الإيمــانِ إنكــاراً شــديداً.

روى اللاَّلَكائِيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن البخاريِّ قال: لقيتُ أكثرَ مِن ألْفِ رجُلٍ مِن العلماءِ بالأمصارِ، فما رأيتُ أحدًا منهم يختلِـفُ في أنَّ الإيمـانَ قـولٌ وعمـلٌ ويَزيدُ ويَنْقُصُ، وقال الأوْزاعِيُّ: كـان مَن مَضَـى مِن السَّـلَفِ لا يُفَرِّقُـون بين العَملِ والإيمانِ، وفي صحيحِ البخاريِّ أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ كتَبَ إلى عَـدِيِّ بنِ عَدِيٍّ أنَّ للإيمـانِ فـرائضَ وشـرائعَ وحُـدودًا وسُنناً، فمَن اسـتكمَلَها فقـد اسـتكمَلَ الإيمــانَ، ومَن لم يســتكمِلْها لم يســتكمِلِ الإيمــانَ، فــإنْ أعِشْ فسأُبَيِّنُه لكم، وإنْ أمُتْ فما أنـا على صُحبتِكُم بحـريصٍ، وفي "الصَّـحيحَيْنِ" عن ابن عبَّاسٍ -رضي اللَّهُ عنه- عن النَّبيِّ -صلَّى اللَّهُ عليـهِ وسـلَّمَ- أنَّه قـال لوفْدِ عبدِ القَيْسِ: ((آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ: الإِيمَانُ باللَّهِ وَحْدَهُ، وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَـوْمُ رَمَضَـانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ)). قال ابنُ القيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: فيه أنَّ الإيمانَ باللَّهِ هُوَ مجموعُ هَذِهِ الخِصالِ مِن القـولِ والعمـلِ، كمـا عَلِمَ ذَلِـكَ أصـحابُ رسـولِ اللَّهِ –صـلَّى اللَّهُ عليـهِ وسـلَّمَ- والتَّابِعون وتـابِعُوهم، وعلى ذَلِـكَ مـا يُقارِبُ مِن مائةِ دليلٍ مِن الكِتابِ والسُّنَّةِ. اهـ.." [1]

"فصل

قال المصنف رحمه الله ومن أصول أهـل السـنة أن الـدين والإيمـان قـول وعمل **، قول القلب واللسـان** وعمـل القلب واللسـان والجـوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالعصية. وهم مع ذلك لا يكفـرون أهـل القبلـة بمطلق المعاصي والكبائر ، كما يفعله الخوارج ، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصـي ، كمـا قـال في آيـة القصـاص: { فَمَنْ عُفِيَ لَـهُ مِنْ أَخِيـهِ شَـيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ } ، وقال: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُـؤْمِنِينَ اقْتَتَلُـوا فَأَصْـلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ } .." [2]

"(قُلْ) الخطاب لصاحب السنة المتمسك بالكتـاب والسـنة, أي : قـل معتقداً مؤمناً بهذا الأمر غير شاك فيه ولا متردد ,, لأن القول إذا أُطلق فإنـه **يشـمل قـول القلب واللسـان** , ومن ذلـك قولـه تعـالى (قُولُـوا آمَنَّا بِاللَّهِ ...)(البقرة136) أي : قولوا ذلك بقلوبكم إيماناً واعتقاداً وبألسـنتكم نطقـــــــــــــــاً وتلفظـــــــــــــــــــــــــــــا .

(غير مخلوق كلام مليكنا) وهذا فيـه إثبـات أمـرين يتعلقـان بصـفة الكلام : الأمر الأول : أن الكلام صفة اللـه , فـالقرآن كلام اللـه وليس كلام أحـد من المخلـوقين , وإضـافته إلأى اللـه من بـاب إضـافة الصـفة إلى الموصـوف ,

1() التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، ص/49

2() التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، ص/89

بخلاف المعتزلة الذين قالوا هو من باب إضافة المخلوق إلى الخالق .
والمضافات إلى الله تعالى على نوعين : مضاف إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف مثل سمع الله وبصر الله وقدرة الله وكلام الله وعلم الله , وضابطه ما إذا كان المضاف وصفاً لا يقوم إلا بموصوف , ومضاف إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى الخالق مثل عبدالله وأمة الله وناقة الله وبيت الله , وضباطه ما إإذا كان المضاف عيناً قائماً بنفسه .
وهكذا الشأن فيما يقال فيه (من الله) فقد يكون منه وصفاً , وقد يكون منه خلقاً . فقوله تعالى (... وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)(السجدة13) . القول وصفللرب سبحانه ونعت من نعوته .
وقوله (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ...) (الجاثية13) مافي السماوات ومافي الأرض جميعاً هو من الله خلقاً وإيجاداً .
وفي هذا الباب ضل طائفتان : المعتزلة حيث جعلوا الجميع إضافته إلى الله إضافة خلق وغيجاد , ليصلوا إلى مبتغاهم وهو القول بأن كلام الله مخلوق , وغلاة الصوفية حيث جعلوا الجميع إضافته إلى الله إضافة وصف , ليصلوا إلى متغاهم وهو القول بالحلول ووحدة الوجود تعالى الله عما يصفون .." [1]

"والصحابي : هو الذي لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك , فكل من كان بهذه الصفة فهو من الصحابة وقل خير قول , ولما ذكر الله في سورة الحشر المهاجرين والأنصار قال (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)(الحشر10) فذكر الله لمن جاء بعدهم صفتين هما : سلامة الصدر وسلامة اللسان .
وهكذا يجب أن يكون صاحب السنة تجاه الصحابة فلا يحمل عليهم في قلبه غلاًّ ويكون سليم اللسان فلا يقدح فيهم ولا يخوض فيما شجر بينهم بل يقول عنهم ما يزيد حبهم في القلوب . والناظم رحمه الله أشار إلى تحقيق هاتين الصفتين بقوله (وقل خير قول) وقد مر معنا أن القول إذ أطلق **يشمل قول القلب وقول** اللسان , ويكون المعنى قل فيهم خير قول بقلبك بأن يكون سليماً من الغل والحقد ولا يحمل تجاههم إلا الخير , وبلسانك بأن يكون سليماً من الطعن والقدح ولا تتكلم عنهم إلا بخير .
(ولا تك طعاناً تعيب وتجرح) لما أمر ورغب صاحب السنة في أن يقول في الصحابة خير قول , حذره من أن يقع في الطعن والتجريح لأي أحد منهم (طعانا) أي كثير الطعن , والمقصود النهي عن الطعن في الصحابة , وليس المقصود النهي عن المبالغة في الطعن , فقد يأتي على وزن] فعال [ما لا يُراد به المبالغة كقوله تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ

[1] () التحفة السنية شرح منظومة ابن ابي داود المسماة بالحائية، ص/12

فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) (فصلت46) . أي : ليس بذي ظلم . وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش والبذيء)(1) أي ليس بذي طعن وليس بذي لعن , هذا مع عموم المسلمين , فكيف بالأمر مع الصحابة المعَدلين .." [1]

"ومن الأحاديث الجامعة لهذه الأمور الثلاثة , حديث أبى هريرة المعروف بحديث شعب الإيمان (الإيمان بضع وسبعون شعبة فاعلاها قول لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء وشعبة من الإيمان)(3) فهذا الحديث الجامع دل على دخول ما يكون باللسان والجوارح والقلب فخي مسمى الإيمان .

إما دلالته على ما يكون باللسان ففي قوله (أعلاها قول لا اله إلا الله) والقول **يشمل قول القلب وقول** اللسان عندها يطلق . قال تعالى (الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)(فصلت 30) وقال تعالى (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة 136) فالمراد بقوله (قولوا) أي بقلوبكم وألسنتكم . ولذلك لا ينصرف القول إلى القول باللسان فقط إلا عندما يقيد قال تعالى (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) (آل عمران 167) وهي صريحة في أن القول يكون بالقلب واللسان ولذلك أهل السنة عندما يقولون في كتبهم الإيمان قول فهو شامل **لامرين قول القلب وقول** اللسان .

و أما دلالته على دخول ما يكون بالجوارح في مسمى الإيمان ففي قوله (أدناها إماطة الأذى عن الطريق) وهذا يدل على الدخول الأعمال في مسمى الإيمان . فإماطة الأذى عمل يقوم به الإنسان وهو جزء من الإيمان وشعبة ومن شعبه .." [2]

"عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجى، أبو الوليد، أحد النقباء بدري مشهور مات بالرملة سنة أربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون سنة، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية رضي الله عنه.

قوله (من شهد أن لا إله إلا الله) أي من تكلم بها عارفا لمعناها، عاملا بمقتضاها، باطنا وظاهرا، فلابد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها، كما قال الله تعالى: '7 :4 19' { فاعلم أنه لا إله إلا الله } وقوله '43: 86' { إلا من شهد بالحق وهم يعلمون } أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه: من البراءة من الشرك، وإخلاص القول **والعمل: قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح - فغير نافع بالإجماع.

---

[1] () التحفة السنية شرح منظومة ابن ابي داود المسماة بالحائية، ص/45

[2] () التحفة السنية شرح منظومة ابن ابي داود المسماة بالحائية، ص/79

قال القرطبي في المفهم على صحيح مسلم: باب لا يكفى مجرد التلفظ بالشهادتين بل لابد من استيقان القلب - هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة، القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الإيمان. وأحاديث هذا الباب تدل على فساده. بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها. ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح. وهو باطل قطعا أ.هـ.
وفى هذا الحديث ما يدل على هذا. وهو قوله: من شهد فإن الشهادة لا تصح إلا إذا كانت عن علم ويقين وإخلاص وصدق.
قال النووي: هذا حديث عظيم جليل الموقع، وهو أجمع - أو من أجمع - الأحاديث المشتملة على العقائد. فإنه - صلى الله عليه وسلم - جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها. فاقتصر - صلى الله عليه وسلم - في هذه الأحرف على ما يباين جميعهم أ.هـ.." [1]

"فإذا نظرنا إلى ظاهر حديث معاذ وحديث سهل هذا، فإننا نقول: الأولى أن تدعوه للإسلام، وإذا أسلم تخبره. وإذا نظرنا إلى واقع الناس الآن، وأنهم لا يسلمون عن اقتناع، فقد يسلم، وإذا أخبرته ربما يرجع، قلنا: يخبرون أولا بما يجب عليهم من حق الله فيه، لئلا يرتدوا عن الإسلام بعد إخبارهم بما يجب عليهم، وحينئذ يجب قتلهم لأنهم مرتدون. ويحتمل أن يقال: تترك هذه المسألة للواقع وما تقتضيه المصلحة من تقديم هذا أو هذا.
(ف): وفيه: أمر الإمام عماله بالرفق من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة، كما يشير إليه قوله ثم ادعهم إلى الإسلام أي الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإن شئت قلت الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وما اقتضته الشهادتان من إخلاص العبادة لله وحده، وإخلاص الطاعة لرسوله - صلى الله عليه وسلم -. ومن هنا طابق الحديث الترجمة كما قال تعالى لنبيه ورسوله: '3:ـ 64' " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ".
قال شيخ الإسلام رحمه الله : والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له والعبودية له. كذا قال أهل اللغة.
وقال رحمه الله تعالى: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله: هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب. والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما. ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وفى الأصل: هو من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأما الإيمان فأصله تصديق القلب، وإقراره ومعرفته، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب. انتهى.." [2]

[1] الترتيب الفريد من شروحات كتاب التوحيد، 6/7
[2] الترتيب الفريد من شروحات كتاب التوحيد، 9/19

"(ج) المرجئة قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهم يقولون إن الإيمان مجرد التصديق بالقلب فمرتكب الكبيرة عندهم كامل الإيمان ولا يستحق دخول النار، وهذا يبين أن إيمان أفسق الناس عندهم كإيمان أكمل الناس.
(د) الجهمية وافقوا المرجئة في ذلك تمامًا، فالجهم قد ابتدع التعطيل، والجبر، والإرجاء كما قال ابن القيم رحمه الله.
(هـ) أما أهل السنة فوفقهم الله للوسطية بين هذين المذهبي الباطلين فقالوا: الإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقول القلب تصديقه وإيقانه، وقول اللسان النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمها، وعمل القلب: النية والإخلاص والمحبة والانقياد، والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه، وكل ما هو من أعمال القلوب، وعمل اللسان، ما لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله عز وجل، وغير ذلك، وعمل الجوارح: القيام بالمأمورات واجتناب المنهيات، ومن ذلك الركوع والسجود وغير ذلك. فمرتكب الكبيرة عند أهل السنة مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا ينفون عنه الإيمان أصلاً كالخوارج والمعتزلة، ولا يقولون بأنه كامل الإيمان كالمرجئة والجهمية، أما حكمه في الآخرة فهو تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء أدخله الجنة من أول وهلةٍ رحمةً منه وفضلاً وإن شاء عذبه بقدر معصيته عدلاً منه سبحانه ثم يخرجه بعد التطهير ويدخله الجنة. هذا إن لم يأتِ بناقض من نواقض الإسلام(1).

---

(1) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للهراس ص131، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص502، وشرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، بقلم الكاتب ص53-56." [1]

"الأول : أن تُصرف جميع أنواع العبادة له- سبحانه- دون ما سواه ، ولا يُعْطى المخلوق شيئا من حقوق الخالق وخصائصه . فلا يُعبد إلا اللّه ، ولا يصلى لغير اللّه ، ولا يُسْجَدُ لغير اللّه ، ولا يُنْذَرُ لغير اللّه ، ولا يُتَوكَّلُ على غير اللّه ، وإن توحيد الألوهية يقتضي إفراد اللّه وحده بالعبادة .
والعبادة : **إما قول القلب واللسان** وإمَّا عمل القلب والجوارح . قال تعالى : { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }{ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } (1) . وقال . سبحانه : { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ } (2) . الثاني : أنْ تكون العبادة موافقة لما أمر اللّه تعالى به ، وأمر رسوله صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم . فتوحيد اللّه سبحانه بالعبادة والخضوع والطاعة هو تحقيق شهادة أن : (لاَ

---

[1] () بيان عقيدةأهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها، ص/29

إِلَـــــــــــــــــــــــــــــــــــــهَ إِلَّا اللّـــــــــــــــــــــــــــــه) .
ومتابعة رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- والإِذعان لما أَمـر بـه ونهى عنـــــه هــــــو تحقيـــــق أَنَّ : (مُحَمَــــــــدا رَسُــــــولُ اللـــــــه) .
فمنهج أَهـــــــــــــل الســـــــــــــنة والجماعـــــــــــــــــة :

(1) ســــــــورة الأنعـــــــــام : الآيتـــــــان ، 162 -ـــــــــ 163.
(2) سورة الزمر : الآية ، 3.." [1]
"الأصـــــــــــــــــــــــــــل الثـــــــــــــــــــــــــــــاني
مســــــــمى الإيمـــــــان عنـــــــد أهـــــــل الســـــــنة والجماعة
مســـــــــــــــــــــــــــــمى الإيمـــــــــــــــــــــــــــان
ومن أُصـــول عقيـــدة السَّـــلف الصـــالح ، أَهـــل الســـنة والجماعـــة :
أَنَ الإِيمـان عنـدهم : تصـديق بالجنـانِ ، وقـول باللسـانِ ، وعمـلٌ بـالجوارح والأَركَـــــــانِ ، يزيـــــــدُ بالطاعـــــــةِ ، وينقصُ بالمعصـــــــــيةِ .
والإيمـــــــــــــــان (1) : قـــــــــــــــولٌ وعمـــــــــــــــــل :
* **قولُ القلبِ واللسانِ** . * وعملُ القلبِ واللسـانِ والجـوارح . * فقـول القلبِ : اعتقـــــــادهُ ، وتصـــــــديقهُ ، وإِقـــــــراره ، وإِيقانـــــــه .
* وقـــولُ اللســـانِ : إِقـــرارهُ العمـــل ؛ أَي النطـــق بالشـــهادتين ، والعمـــل بمقتضـــياتها .
* وعمـــلُ القلبِ : نيَّتـــهُ ، وتســـليمهُ ، وإِخلاصـــهُ ، وإِذعانـــهُ ، وحُبُّه وإِرادتـــه للأعمـــــــــــــــــــــــــــــال الصـــــــــــــــــــــــــــالحة .
وعمـــلُ اللســـان والجـــوارح : فعـــلُ المـــأمورات ، وتـــركُ المنهيـــات .
(ولا إيمان إِلا بالعملِ ، ولا قول ولا عمل إِلا بنيَّة ، ولا قـول ولا عمـل ولا نيـةَ إِلَّا بموافقـــــــــــــــــــــــــــة الســـــــــــــــــــــــــــنة) (2)
وقد أَطلق الله تعالى صفة المؤمنين حقا في القرآن للـذين آمنـوا ، وعملـوا بما آمنوا به من أُصول الدِّين وفروعه ، وظاهره وباطنـه وظهـرت آثـار هـذا الإِيمان في عقائدهم ، وأَقوالهم ، وأَعمـالهم الظـاهرة والباطنـة ، قـال اللـه تبـــــــــــــــــــــــــــارك وتعـــــــــــــــــــــــــــالى :

(1) الإيمـان : لغـة التصـديق وإظهـار الخضـوع والإقـرار ، وشـرعا : جميـع الطاعات الباطنة والظاهرة ؛ فالباطنة كأعمال القلب وهـو تصـديق القلب ، والظاهرة هي أفعال البـدن من الواجبـات والمنـدوبات ، وملخصـه : هـو مـا وقر في القلب وصدقه العمل ، وبَدَت ثمراتهُ واضحة في امتثال أوامـر اللـه والابتعاد عن نواهيه ؛ فإذا تجرد العلم عن العمل ؛ فلا فائدة فيـه ، ولـو كـان العلم المجرد في العمل ينفعُ أحـدا لنفـع إِبليس ؛ فقـد كـان يعـرف أَن اللـه واحد لا شريك له ، وأَن مصيره لا شك إِليه ؛ لكن حين صدر إِليـه الأمـر من الله تعالى : أَن اسجد لآدم ، أَبى واستكبر وكـان من الكـافرين ، ولم يشـفع

[1] () الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ص/41

له علمه بالوحدانية ؛ ذلك أَن العلم المجرد عن العمل لا وزن له عند رب العالمين ، وهكذا كان فهم السلف . والإيمان لم يأت في القرآن مجردا عن العمل ؛ بل عطف عليه العمل الصالح في كثير من الآيات . (2) قال هذا الإمام الأوزاعي وسفيان الثوري والحميدي وغيرهم ، وهو مشهورَ عنهم ؛ كما رواه اللالكائي وابن بطة .." [1]

"والدليل قوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الأخر والملائكة والكتاب والنبيين) ودليل القدر قوله تعالى : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) . الشرح :

قال المصنف المرتبة الثانية " الإيمان " وهو لغة : التصديق { وما أنت بمؤمن لنا } . اصطلاحا : فالإيمان له معنيان : معنى عام وخاص ، فإذا تفرد عن الإسلام فيفسر بالمعنى العام ويكون الإيمان قول باللسان وعمل (سواءً بالجوارح أو القلب) واعتقاد بالجنان . أي هو الخضوع والإتيان بالدين كله عملاً واعتقاداً . والسلف يفسرون الإيمان بكلمات أقلها اثنتان ـ قول وفعل ـ وأكثرها ست كلمات ـ قول وعمل واعتقاد ونية ومتابعة وإخلاص .

وأما إن اجتمع مع الإسلام فيفسر بالتفسير الخاص : وهو التصديق والاعتقاد بما جاء من شرع الله . وعلى ذلك فالإيمان يطلق على العمل الباطن والإسلام على الأعمال الظاهرة .

" مسألة " أركان الإيمان تعريف الركن ما لا يصح الإيمان إلا به وهي أركان ستة .

قال المصنف وأركانه : ستة، أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الأخر ، والقدر خيره وشره كله من الله .

قال المصنف " وهو يضع وسبعون شعبة " البضع من الثلاثة إلى التسعة والشعبة هي الطائفة والخصلة .

" أعلاها ً أي أعلى الشعب بمعنى الإيمان العام وإلاّ فإن قول لا إله إلا الله إسلام لأن الإسلام الأعمال الظاهرة . ومنه القول ، إلا إن قصد بالقول **هنا قول القلب** .

أما أعلاها : بالمعنى الإيمان الخاص فهو اعتقاد ما في شهادة أن لا إله إلا الله لأن الإيمان بالمعنى الخاص هو الاعتقاد .

" أدناها " بالمعنى العام " إماطة الأذى عن الطريق " والحياء شعبة من الإيمان " وهذا بالمعنى الخاص لأن الحياء عمل قلب واعتقاد . والمصنف هنا ذكر ثلاث جهات وذكر عمل كل جهة فجهة اللسان مثل لا إله إلا الله وجه الجوارح مثّل لها بإماطة الأذى ، وجهة القلب مثّل لها بالحياء .." [2]

1() الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ص/88
2() الوجازة في شرح الأصول الثلاثة - علي الخضير، ص/94

""لما توهموا أن الإيمان الواجب على جميع الناس نوع واحد، صار بعضهم يظن أن ذلك النوع من حيث هو لا يقبل التفاضل، فقال لي مرة بعضهم: الإيمان من حيث هو إيمان لا يقبل الزيادة والنقصان، فقلت له: قولك من حيث هو، كما يقول: الإنسان من حيث هو إنسان، والوجود من حيث هو وجود، وأمثال ذلك لا يقبل الزيادة والنقصان، فيثبت لهذه المسميات وجوداً مطلقاً مجرداً عن جميع القيود والصفات، وهذا لا حقيقة له في الخارج، وإنما هو شيء يقدره الإنسان في ذهنه، وكذلك إذا قيل: إيمان زيد مثل إيمان عمرو، فإيمان كل واحد يخصه، فلو قدر أن الإيمان يتماثل، لكان لكل مؤمن إيمان يخصه، وذلك الإيمان مختص معيّن، وذلك الإيمان يقبل الزيادة، والذين ينفون التفاضل في هذه الأمور يتصورون في أنفسهم إيماناً مطلقاً مجرداً عن جميع الصفات المعينة له، ثم يظنون أن هذا هو الإيمان الموجود في الناس، وذلك لا يقبل التفاضل، ولا يقبل في نفسه التعدد..(1)"

والمقصود أن منشأ الاشتباه عند الطحاوي ههنا أن ما قرره من تساوي أهل الإيمان في أصله، إنما ذلك يفترض في الذهن، وأما خارج الذهن فأهل الإيمان متفاضلون.

30 – قال الشارح:- "ولهذا – والله أعلم- قال @:- "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" الحديث. فهو حين يزني يغيب عنه تصديقه بحرمة الزنى، وإن بقي أصل التصديق في قلبه، ثم يعاوده(2)"

فاقترافه الزنى ناشيء عن **ضعف قول القلب وهو** التصديق كما قرر الشارح، أو بسبب ضعف عمل القلب وهو بغض ما يبغضه الله تعالى، كما بيّنه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:-

(1) . الإيمان ص 388، 389 = باختصار

(2) . شرح الطحاوية 2/468 [195]." [1]

"قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتاب الايمان : ومن هذا الباب اقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الايمان فتارة يقولون هو قول وعمل وتارة يقولون هو قول وعمل ونية وتارة يقولون قول وعمل ونية وأتباع السنة وتارة يقولون باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح فإذا قالوا قول وعمل فإنه يدخل في **القول قول القلب واللسان** جميعاً وهذا هو المفهوم من لفظ والكلام ونحو ذلك - إلى أن قال : والمقصود هنا ان من قال من السلف الايمان قول وعمل **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح ومن أراد أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ومن قال قول وعمل ونية قال القول يتناول ذلك ومن زاد اتباع السنة فلان ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل وإنما

[1] () تعليقات على شرح العقيدة الطحاوية، ص/21

أرادوا ما كان مشروعاً من الاقوال والاعمال ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط ، فقالوا بل هو قول وعمل ، والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبدالله التستري عن الايمان ما هو فقال قول وعمل ونية وسنة لأن الايمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق وإذا كان قول وعمل ونية بلا اتباع سنة فهو بدعة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الصلاة وههنا أصل آخر وهو أن حقيقة الايمان مركبة من قول وعمل **قسمان قول القلب وهو** الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام والعمل قسمان عمل القلب وهو نية وإخلاص وعمل الجوارح فإذا زالت هذه الأربعة زال الايمان بكماله وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الاجزاء فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة إلى آخر كلامه رحمه الله إذا المقصود بهذا التنبيه فمن أراد الكلام بتمامه فليراجعه هناك .." [1]

"ص -295- ... حادثة ويشتد فيها ، وإذا سئل عن بعض الأحاديث المهمة في تعريف الإيمان وبيان حده لا يعرفها .

فهناك أحاديث مهمة في تعريف الإيمان وبيان حده ، كحديث جبريل"، وحديث وفد عبد القيس ، وحديث الشعب وغيرها ، ينبغي أن تحفظ وتضبط وتعرف معانيها ؛ ليعيش العباد مع نصوص الشريعة ، دون زج بهم في مصطلحات حادثة ، لا طائل من ورائها ولا ثمرة تقرب إلى الله من تحصيلها إلا زيادة الشقاق وتوسيع الخلاف .

والمصنف ــ رحمه الله ــ عرَّف الإيمان في هذا المختصر على طريقة السلف وذكر شيئاً من دلائله وبراهينه بعيداً عن التكلفات والتعقيدات والمصطلحات المتعبة ، وبدأ بذكر تعريفه قبل التفاصيل الأخرى وفقاً للقاعدة المشهورة عند العلماء : الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، فقال :

" والإيمان بأنَّ الإيمان قول وعمل ونية " أي : ومن أمور الاعتقاد : أنَّ الإيمان قول وعمل ونية ، وهذا باتفاق السلف ـ رحمهم الله ــ ، ليس بينهم خلاف في ذلك . وإن اختلفت عباراتهم في بعض الأحيان إلا أن المؤدى واحد . فقال بعضهم : الإيمان قول وعمل . وقال بعضهم : قول وعمل واعتقاد . وقال بعضهم : قول وعمل ونية . وقال بعضهم : قول وعمل ونية واتباع .

فمن قال : الإيمان قول وعمل . عنى **بالقول قول القلب** ، وهو الاعتقاد الحق الصحيح المتلقى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وقول اللسان : وهو النطق بالشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنَّ

[1] () تنزيه الشريعة عن الألفاظ الشنيعة، ص/64

محمداً رسول الله ؛ لأنَّ القول إذا أُطلق في النصوص **شمل قول القلب الذي** هو الاعتقاد ، وقول." [1]

"وقد بعث - صلى الله عليه وسلم - سرية إلى رجل تزوج امرأة أبيه فقتلوه وغنموا ماله، وسار فيه بسيرته في المرتدين. فكيف يقال: إنَّ من دعا الأولياء والصالحين واستغاث بهم وذبح لقبورهم وخافهم ورجاهم مع الله لا ينكر عليه؟ لأن الإنكار محل الاجتهاد؟ سبحانك هذا بهتان عظيم»(1).

* * *

المبحث السابع

شروط وأركان كلمة «لا إله إلا الله» مع بيان أن المقصود الأعظم منها: تحقيق معناها في القلب، فالنطق بها باللسان، فالقيام بمقتضاها بالجوارح، ولا أدلّ على ذلك: من إجماع السلف على أن من نطق بالشهادة، ولم يعتقد معناها، ولم يعمل بمقتضاها، فإنه لا يكون مسلما، ويقاتل على ذلك، حتى يعمل بما دلَّت عليه من النفي والإثبات

قال عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في شرحه على كتاب التوحيد: «قوله (من شهد أن لا إله إلاَّ الله) (2) ، أي: من تكلَّم بها عارفًا لمعناها، عاملاً بمقتضاها، باطنًا وظاهرًا، فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولهما، كما قال الله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ} [محمد: 19].

وقوله: {إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: 86]. أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه: من البراءة من الشرك، وإخلاص القول **والعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع»(3).

وقال سليمان بن عبد الله: «قوله (من شهد أن لا إله إلاَّ الله)، أي: من تكلَّم بهذه الكلمة عارفًا

(1) «منهاج التأسيس والتقديس»: (ص80 – 83).

(2) هذاه إشارة إلى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق،

[1] () تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، ص/296

أدخلـــه اللـــه الجنـــة على مـــا كـــان من العمـــل» متفـــق عليـــه.
(3) «فتح المجيد»: (39 – 41).." [1]

"فـإذا عـرفت أنَّ من النـاس من يصـلي ويصـوم، ويـترك كثـيرًا من المحرمات، لكن لا يروثون المرأة، ويزعمون أن ذلك هو الذي ينبغي اتباعه، بل لو يورثها أحد عندهم، ويخلف عادتهم، أنكرت قلوبهم ذلك، أو ينكـر عـدة المـرأة في بيت زوجهـا، مـع علمـه بقـول اللـه تعـالى: { لاَ تُخْرِجُـوهُنَّ مِن بُيُـوتِهِنَّ وَلَا يَخْـرُجْنَ إِلَّا أَن يَـأْتِينَ بِفَاحِشَـةٍ مُّبَيِّنَـةٍ } [الطلاق: 1] ويـزعم أن تركهـا في بيت زوجهـا لا يصـلح، وأن إخراجهـا عنـه، هـو الـذي ينبغي فعلـه، وأنكر التحية بالسلام، مع معرفـة أن اللـه شـرعه، حبًـا لتحيـة الجاهليـة لمـا ألفها، فهذا يكفر، لأنه آمن ببعض وكفر ببعض، بخلاف من عمل المعصية، أو ترك الفرض، مثل فعل الزنا، وترك بـر الوالـدين، مـع اعترافـه أنـه مخطئ، وأن أمـــــــر اللـــــــه، هـــــــو الصـــــــواب»(1)ـــــ .

وقـــال الشـــيخ عبـــد الـــرحمن بن حســـن رحمـــه اللـــه تعـــالى: «أما النطق بلا إله إلاَّ الله، من غير معرفة لمعناهـا، ولا يقين، ولا عمـل بمـا تقتضيه من الـبراءة من الشـرك، وإخلاص القـول **والعمل، قـول القلب وقـول** اللسـان، وعمـل القلب والجـوارح، فغـير نـافع بالإجمـاع»(2)ـ .
وقـــــــال أيضـــــــا رحمـــــــه اللـــــــه تعـــــــالى: «والإيمان بالله وحده، هو: البراءة مما كـانوا يعبدونـه من الأصـنام والأوثـان وإخلاص العبـــــادة للـــــه، لا يرتـــــاب في هـــــذا مســـــلم. فمن شك في أن هذا هو معـنى لا إلـه إلاَّ اللـه، فليس معـه من الإسـلام مـا يـــــــــزن حبـــــــــة خـــــــــردل»(3)ـــــــ .
وقـــــــال أيضًـــــــا رحمـــــــه اللـــــــه تعـــــــالى: «إن الكفر بالطاغوت: ركن التوحيـد، كمـا في آيـة البقـرة أي قولـه تعـالى: {فَمَنْ يَكْفُـرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُـؤْمِن بِاللّـهِ فَقَـدِ اسْتَمْسَـكَ بِـالْعُرْوَةِ الْـوُثْقَىَ} [البقرة: 256]، فإذا لم يحصـل هـذا الـركن، لم يكن موحِّدًا، والتوحيـد: هـو أساس الإيمان، الذي تصـلح بـه جميـع الأعمـال وتفسـد بعدمـه. اهــ»(4)ـ .

---

(1) «الـــــــــــــــدرر الســـــــــــــــنية»: (1/123).
(2) «فتح المجيـــــــــــــــــــــــــــــــــــد»: (ص39).
(3) «مجموعـــــــــــــــــة الرســـــــــــــــائل»: (4/322).
(4) «فتح المجيد» (ص380)، بتصرف بسيط.." [2]

"والحديث الذي ذكره الشـيخ في رجـل من أهـل الفـترات قـام بـه من خشية الله وخوفه والإيمان بثوابه وعقابه ما أوجب له أن أمر أهله بتحريقه، فأين هذا من هؤلاء الضلال الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهـورهم واتبعـوا مـا

---

[1] () المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، ص/69
[2] () المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، ص/97

تتلوا الشياطين، على دعاء غير الله، والشرك برب العالمين؟ فسحقًا لهذا الجاهل المفتري، وبعدًا لكل ضال غوي.
ومن تأمل كلام الشيخ وسياقه عرف مقصوده، وأن الكلام فيمن كفَّر العصاة وأهل الكبائر، وذكر نزاع الناس في ذلك.

(مسألة التكفير، متفرِّعة على ضبط حقيقة الإيمان)
ثم قال: وأما السلف والأئمة فاتفقوا على أن الإيمان قول وعمل، فيدخل في **القول: قول القلب واللسان**، وفي العمل: عمل القلب والأركان، قال: وقال المنتصرون لمذهبهم: إنَّ للإيمان أصول وفروع. وهو مشتمل على أركان وواجبات ومستحبَّات، بمنزلة اسم الحج والصلاة، فإن اسم الحج يتناول كل ما يشرع فيه: من فعل وترك. مثل: الإحرام، وترك محظوراته، والوقوف بعرفة ومزدلفة ومنى، والطواف والسعي، ثم الحج مع هذا مشتمل على أركان متى تركت لم يصح الحج، كالوقوف بعرفة، وعلى ترك محظور متى فعل فسد حجه وهو الوطء.
ومشتمل على واجبات من فعل وترك، يأثم بتركها عمدًا ويجب لتركها العذر أو غيره كالجبران بدم، كالإحرام من المواقيت، والجمع بين الليل والنهار بعرفة، وكرمي الجمار ونحو ذلك.
ومشتمل على مستحبات من فعل وترك، يكمل الحج بها ولا يأثم بتركها،

ولا توجب دمًا مثل رفع الصوت بالإهلال، والإكثار منه، وسوق الهدي، وذكر الله في تلك الموضع، وقلة الكلام إلاَّ في أمر ونهي، فمن فعل ذلك الواجب وترك المحظور فقد تمَّ حجه وعمرته. وهو مقتصد من أصحاب اليمين في هذا العمل. لكن من أتى بالمستحب فهو أكمل وأتم حجًا وعملاً، وهو سابق مقرَّب.." [1]
"قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه : من البراءة من الشرك ، وإخلاص القول والعمل **: قول القلب واللسان** ، وعمل القلب والجوارح - فغير نافع بالإجماع . (1)
قال تعالى: ^فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ ...%. (2)
قال البقاعي رحمه الله: فلا إله إلا الله لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفياً وإثباتاً ، واعتقد ذلك وقبله وعمل به . وأما من قالها من غير علم واعتقاد وعمل ، فقد تقدم في كلام العلماء أن هذا جهل صرف ، فهي حجة عليه بلا ريب . (3)
قال الوزير: أبو المظفر، في الإفصاح، قوله: شهادة أن لا إله إلا الله، يقتضي: أن يكون الشاهد، عالماً بأنه لا إله إلا الله؛ كما قال تعالى: ^فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ ...%. (4)

[1] () المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، ص/372

وقال عبد الرحمن بن حسن: فأفرض الفرائض: معرفة معنى هـذه الكلمـة؛ ثم التلفظ بها والعمل بمقتضاها؛ فالإله، هو المعبود؛ والتأله التعبد، ومعناهـا: لا معبـــــود إلا اللـــــــه؛ نفت الإلهيـــــــة عمن ســــــوى اللـــــه. (5)
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَـــــــــــــــــــــــــــلَ الْجَنَّةَ. (6)
قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: وإنما يصير الرجل مسلماً حنيفاً إذا شهد أن لا إله إلا الله فعبد الله وحده بحيث لا يشرك معه أحد في تألهه، ومحبنه له، وعبوديته، وإنابته إليه، وإسلامه له، ودعائه له، والتوكل عليه، وموالاتـه فيـه، ومعاداته فيه، ومحبته ما يحب، وبغضه مـا يبغض، ويفـنى بحـق التوحيـد عن الباطل، ويفنى من قلبه عن تأله ما سواه بتأله الله تحقيقا لوقول: لا إلـه إلا الله فيفني ويفنى من قلبه تأله ما سواه، ويبقى في قلبـه تألـه اللـه وحـده.

---

(1) فتح المجيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــد: 41.
(2) ســـــــــــــــــــــــــــــورة محمـــــــــــــــــــــــــــــــد: 19.
(3) فتح المجيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــد: 38.
(4) الـــــــــــــــــــــدرر الســـــــــــــــــــــــنية: 3/213.
(5) الـــــــــــــــــــــدرر الســـــــــــــــــــــــنية" 3/307.
(6) أخرجه مسلم/ 38، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.." [1]

"مــع بيــان المــذهب الصــحيح في الأحــاديث الــواردة بخصوصــها يقـــــــول العلامـــــــــة ابن القيم رحمـــــــــه اللــــــــه: (ليس التوحيد مجرد إقـرار العبـد بأنـه: لا خـالق إلا اللـه، وأن اللـه رب كـل شـيء ومليكـه، كمـا كـان عبـاد الأصـنام مقـرين بـذلك وهم مشـركون، بـل التوحيد يتضـمن من محبـة اللـه، والخضـوع لـه، والـذل لـه، وكمـال الانقيـاد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقـوال والأعمـال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النـبي صـلى اللـه عليه وسلم: (إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجـه الله)(1) وقوله (لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله) (2) , وما جاء من هـذا الضرب من الأحاديث، التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسـوخة! وظنهـا بعضـهم قيلت قبـل ورود الأوامـر والنـواهي واسـتقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفـار، وأول بعضـهم الـدخول بالخلود وقال: المعنى لا يدخلها خالداً، ونحو ذلك من التأويلات المسـتكرهة. فإن الشارع صلوات الله وسلامه عليـه لم يجعـل ذلـك حاصـلاً بمجـرد قـول اللسـان فقـط، فـإن هـذا خلاف المعلـوم بالاضـطرار من دين الإسـلام، لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحـدين لهـا في الـدرك الأسـفل من النـــار.

---

[1] () المختصر المفيد في بيان شروط كلمة التوحيد، ص/2

بـــــــل لا بــــــــد من قـــــــول القلب، وقـــــــول اللســــــان.
وقول القلب: يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضـمنته
ص49
من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غـير اللـه، المختصـة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هـذا المعنى بـالقلب علماً ومعرفـة ويقينـــــاً وحـــــالاً: مـــــا يـــــوجب تحـــــريم قائلهـــــا على النـــــار.

(1)ـــــــــــــ 55) ســـــــــــــــبق تخريجــــــــــــــــه .
(2) 56) سبق الكلام عليه في شروط لا إله إلا الله .." [1]

"(وها هنا أصل آخر: وهـو أن حقيقـة الإيمـان مركبـة من قـول وعمـل، والقول قسمان: قول القلب: هو الاعتقاد. وقول اللسان: وهو التكلم بكلمـة الإســلام.
والعمل قسمان: عمل، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فـإذا زالت هـذه الأربعة زال الإيمان بكمالـه. وإذا زال تصـديق القلب لم تنفـع بقيـة الأجـزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعـة، وإذا زال عمـل القلب مع اعتقاد الصدق: فهـذا موضـع المعركـة بين المرجئـة وأهـل السـنة فأهـل السنة: مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصـديق مـع انتفـاء عمـل القلب وهو محبتـه وانقيـاده، كمـا لم ينفـع إبليس وفرعـون وقومـه واليهـود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سراً وجهراً ويقولــــــون: ليس بكـــــــاذب ولكن لا نتبعـــــــه ولا نـــــــؤمن بـــــــه.
(وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمـل القلب فغـير مسـتنكر أن يـزول بـزوال أعظم أعمال الجوارح ولا سيما إذا كان ملزوماً لعدم محبة القلب وانقيـاده، والــذي
ص58
هو ملزم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره، فإنه يلزم من عدم طاعـة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطـاع وانقـاد أطـاعت الجـوارح وانقـادت، ويلـزم من عـدم طاعتـه وانقيـاده عـدم التصـديق المسـتلزم للطاعـة، وهـو حقيقة الإيمان. فإن الإيمان ليس مجـرد التصـديق – كمـا تقـدم – وإنمـا هـو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد وهكـذا الهـدى ليس هـو مجـرد معرفـة الحق وتبيينه، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه، وإن سـمي الأول هـدى فليس هـو الهـدى التـام المسـتلزم للاهتـداء، كمـا أن اعتقـاد التصديق وإن سمي تصديقاً – فليس هو التصديق المستلزم للإيمان. فعليـك بمراجعة هذا الأصل ومراعاته.." [2]
"وكلمتـــه: أي عيســـى أي: كـــان بكلمـــة (كن)، وليس هـــو الكلمـــة.
وهل الإضافة هنـا من بـاب إضـافة الصـفة إلى الموصـوف أو المخلـوق إلى

[1] () الولاء والبراء، ص/34
[2] () الولاء والبراء، ص/43

الخالق؟
إذا كان المضاف إلى الله عين قائمة بذاتها فهذا من باب إضافة المخلوق إلى الخالق. وهذا مثل: عيسى، وبيت الله، ورسول الله.
من: هل هي تبعيضية أو ابتدائية؟ هي ابتدائية أي: روح مبتدأة من الله، كما قال تعالى: { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ } [الجاثية: 13].
وليست تبعيضية إلا على مذهب النصارى، إذ يقولون: إنه جزء من الله، وثالث ثلاثة.
والجنة: معطوفة على اسم إن، والألف واللام للعهد، والجنة موجودة الآن وهي دار المؤمنين.
والنار: بأنها موجودة، وأنها الدار التي يعذِّب بها الكافرين، ومن شاء من العصاة.
أدخله الله الجنة: هذا هو جواب الشرط. وهذه الأعمال سبب لدخول الجنة وليس عوضاً لها.
قال - صلى الله عليه وسلم -: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله...».
أدخله الله الجنة: هذا على حسب تفسير العمل، ولذلك الدخول إلى الجنة ينقسم إلى قسمين:
دخول كامل: وهو من أتى بالتوحيد الكامل ولم يأت بشيء من الشرك أو المعاصي.
فيفسر العمل هنا بأنه العمل الصالح.
وإن قلنا مطلق دخول: فإن "العمل" يكون: العمل الصالح والفاسد، خلا الشرك والمكفرات، فهذا ينتهي إلى الجنة.
أخرجاه: أي البخاري ومسلم.
وهذا هو الفضل الثاني من فضائل التوحيد، وهو: دخول الجنة.
ولهما في حديث عتبان فإن الله حرم: أي: منع.
على النار: المعروفة.
من قال لا إله إلا الله: «من» موصولية بمعنى الذي.
وقال هنا: هل يقصد بها قول اللسان فقط؟
لا. **المقصود قول القلب بالاعتقاد**، وقول اللسان وهو النطق، وقول الجوارح وهو العمل.
وهل العمل يطلق عليه قول؟
نعم. كما جاء في حديث عمار بن ياسر في التيمم وهو في الصحيحين، قال: وقال بيده، وحديث عائشة في الصحيح: وقال بيده هكذا في الأرض.." [1]

"ما حكم الاستعاذة والاستغاثة بالجن؟ لا يجوز، وعلاقته بالتوحيد أنه يعتبر شركًا أكبر؛ حتى ولو كانوا يقدرون على هذا الشيء كما في هذه

[1] () المعتصر شرح كتاب التوحيد، ص/16

الآية.

مسألة: يقول بعض العوام للأطفال: "خذوه" للجن. وهذه لا تجوز.
1- لأن فيها ترويع للمسلم.......2- أن فيها مشابهة لأعمال الجاهلية.

ويقول بعض العوام إذا ضاع له شيء: «يا إبليس فك الكيس ما هو حقي حق الناس».

فهذه مثل الكلمة الأولى، ويخشى أن يكون فيها اعتقاد.

ما حكم مخاطبة الجن؟

المخاطبة قسمان:

1- أن تكون مخاطبة عن حضور معلوم بأحدى القرائن، كمخاطبة المصروع، ومثل ما جاء في الحديث الصحيح أن أبا هريرة حاور الشيطان، فهذا جائز.

2- أما إذا لم يكن عن حضور ولا قرائن، فلا شك أنه يحرم، كقولهم «أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه» وهذا من جنس فعل المشركين، وقال - صلى الله عليه وسلم -: «من تشبه بقوم فهو منهم» وهو من الشرك الأكبر.

خولة بنت حكيم: سيأتي حكم التسمية "بحكيم".

فقال: الفاء للتعقيب، أي يكون محل الذكر بعد النزول، وإن نزل ونسيه يقضيه ما دام نازلا.

وقال: يقصد **به قول القلب واللسان**.

أعوذ: ألتجئ.

هنا استعاذ بصفة من صفات الله وهي الكلمات، والاستعاذة بالصفة كالسؤال بالصفة، وهذا جائز، والممنوع سؤال الصفة.

كلمات الله: من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، والجهمية والمعتزلة والأشاعرة يجعلونه من باب إضافة الخلق إلى الخالق.

من شر ما خلق: ولم يقل مما خلق. والمعنى من شر كل مخلوق فيه شر؛ لأن هناك مخلوقات لا شر فيها.

لم يضره: نفى الضر، ولكنه لم ينف الإصابة، فقد يصيبه شيء ولكنه لا يضره، إلا إن تخلف شيء بسبب الاعتقاد.

حتى: لانتهاء الغاية.." [1]

"وما شاء فعل: هذا من باب عطف البعض على الكل؛ لأنه مشيئة الله بعض قدر الله، فالقدر له أربعة مراتب منها المشيئة. ويحتمل أنه عطف تغاير فيكون قدر الله أي فعل الله وخلقه ويحمل على آخر مرتبة وقوله ما شاء يحمل على مرتبة المشيئة بالمطابقة وتدل على العلم والكتابة باللازم.

وهذا الكلام له فائدة في النفس؛ بمعنى أن ما وقع ليس لنا فيه حيلة.

وقوله "قل": يقصد **به قول القلب واللسان**، ولذلك فإنه يجهر بها.

قل: هنا هل هي للاستحباب أو للوجوب؟

أما في القلب فواجب. أما اللسان فيحتمل هذا ويحتمل هذا.

1() المعتصر شرح كتاب التوحيد، ص/65

ثم علل الرسول «المنع من كلمة لو».
قال: «فإن لو تفتح عمل الشيطان».
وعمل الشيطان هنا: ما يلقيه في القلب من التحسر والندم والحزن، والظاهر أن الشيطان هنا هو الشيطان الجني، وهو متشيطنة الجن. والعمل هنا عمل خفي وهو الوسوسة في القلب. وفيه أن للشيطان عمل وتأثير(1).
مناسبة الحديث:
أن الاعتراض على المقدور بكلمة "لو" بعد الحرص والاستعانة وفعل الأسباب محرم ومن عمل الشيطان فكيف إذا كان مع ترك الأسباب فهو أشد؟ وإنما المطلوب من المسلم أن يفعل أو يعمل استعانة وحرصًا، ثم لا يجزع بعد ذلك من المقدور.
باب النهي عن سب الريح
عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به» [صححه الترمذي].
قال الشارح:
المسألة الأولى: شرح الترجمة.
النهي: طلب الكف على سبيل الاستعلاء، والأصل فيه التحريم.
وقوله: "سب": هو العيب والقدح والذم واللعن.
وقوله سب الريح: هذا من الاعتراض على قدر الله، لكن بدون كلمة "لو"، وإنما بالسب المباشر.

(1) كما قال تعالى: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا} [المجادلة: 10].." [1]
"وهذه الأسماء التي تختلف دلالتها بالإطلاق والتقييد والتجريد والاقتران، تارة يكونان إذا أفرد أحدهما أعم من الآخر، كاسم [الإيمان] و [المعروف] مع العمل ومع الصدق، وكـ [المنكر] مع الفحشاء ومع البغي ونحو ذلك . وتارة يكونان متساويين في العموم والخصوص، كلفظ [الإيمان] ، و [البر] ، و [التقوى] ، ولفظ [الفقير] ، و [المسكين] . فأيها أطلق تناول ما يتناوله الآخر، وكذلك لفظ [التلاوة] ، فإنها إذا أطلقت في مثل قوله : { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ } [البقرة : 121] ، تناولت العمل به كما فسره بذلك الصحابة والتابعون مثل ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم، قالوا : { يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ } يتبعونه حق اتباعه، فيحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه، وقيل : هو من التلاوة بمعنى الاتباع، كقوله : { وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا } [الشمس :

[1] () المعتصر شرح كتاب التوحيد، ص/319

2] ،/وهذا يـدخل فيـه من لم يقـرأه، بـل من تمـام قراءتـه أن يفهم معنـاه ويعمل به، كما قال أبو عبد الرحمن السـلمي : حـدثنا الـذين كـانوا يقرئوننـا القرآن : عثمان ابن عفان، وعبـد اللّـه بن مسـعود، وغيرهمـا أنهم كـانوا إذا تَعَلَّموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قـالوا : فتعلمنـا القـرآن والعلم والعمـل جميعـاً .
وقوله : { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَـهُ حَـقَّ تِلاَوَتِـهِ } [البقـرة : 121] قـد فسر بالقرآن وفسر بالتوراة، وروى محمد بن نصر بإسـناده الثـابت عن ابن عباس : { يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ } قال : يتبعونه حق اتباعه . وروي ـ أيضاً ــ عن ابن عباس : { يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ } قال : يحلون حلاله، ويحرمون حرامـه ولا يحرفونه عن مواضعه، وعن قتادة : { يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِـهِ } قـال : أولئـك أصـحاب محمـد آمنـوا بكتـاب اللّـه وصـدقوا بـه، أحلـوا حلالـه وحرموا حرامه، وعملوا بما فيه، ذكر لنا أن ابن مسعود كان يقول : إن حــق تلاوته : أن يحل حلاله ويحرم حرامه، وأن نقرأه كمـا أنـزل اللّـه، ولا نحرفـه عن مواضعه، وعن الحسن : { يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ } قـال : يعملـون بمحكمـه ويؤمنـون بمتشـابهه، ويَكِلُـون مـا أشـكل عليهم إلى عالمـه، وعن مجاهـد : يتبعونـــه حـــق اتباعـــه، وفي روايـــة : يعملـــون بـــه حـــق عملـــه .
ثم قد يقرن بالتلاوة غيرها كقوله : { اتْـلُ مَـا أُوحِيَ إِلَيْـكَ مِنَ الْكِتَـابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَـاء وَالْمُنكَـرِ } [العنكبـوت : 45] . قـال أحمد بن حنبـل وغـيره : تلاوة الكتـاب : العمـل بطاعـة اللّـه كلهـا، ثم خص الصلاة بالذكر، كما في قوله : { وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ } [الأعـراف : 170] ،وقولـه : { فَاعْبُـدْنِي وَأَقِمِ الصَّـلَاةَ لِـذِكْرِي } [طـه : 14] . وكذلك لفظ (اتباع ما أنزل اللّـه) يتنـاول جميـع الطاعـات كقولـه : {اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء } [الأعراف : 3] ، وقوله : { فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } [طـه : 123] ، وقولـه : { وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيمًا فَـاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُـواْ السُّـبُلَ فَتَفَـرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ } [الأنعام : 153] ، وقد يقرن به غيره كقوله { وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَـاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الأنعـام : 155] ، وقولـه : { اتَّبِـعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ وَأَعْـرِضْ عَنِ الْمُشْـرِكِينَ } [الأنعـام : 106] ، وقوله : { وَاتَّبِعْ مَا يُـوحَى إِلَيْـكَ وَاصْـبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّـهُ وَهُـوَ خَيْـرُ الْحَـــــاكِمِينَ } [يـــــونس : 109] .
وكــذلك لفــظ [الأبــرار] إذا أطلــق دخــل فيــه كــل تقي من الســابقين والمقتصدين، وإذا قرن بالمقربين كـان أخص، قـال تعـالى في الأول : { إِنَّ الْأَبْـرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ }[الإنفطـار : 13، 14] ، وقـال في الثاني : { كَلَّا إِنَّ كِتَـابَ الْأَبْـرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَـا أَدْرَاكَ مَـا عِلِّيُّونَ كِتَـابٌ مَّرْقُومٌ يَشْـهَدُهُ الْمُقَرَّبُـونَ } [المطففين : 18 ـ 22] ، وهـذا بـاب واسـع يطـــــــــــــول استقصـــــــــــــاؤه .
ومن أنفع الأمور في معرفة دلالة الألفاظ مطلقـاً وخصوصـاً ألفـاظُ الكتـاب

والسنة، وبه تزول شبهات كثيرة كثر فيها نزاع الناس، من جملتها [مسألة الإيمان والإسلام] ، فإن النزاع في مسماهما أول اختلاف وقع، افترقت الأمة لأجله وصاروا مختلفين في الكتاب والسنة، وكَفَّر بعضهم بعضاً، وقاتل بعضهم بعضاً ـ كما قد بسطنا هذا في مواضع أخرـ إذ المقصود هنا بيان شرح كلام اللّه ورسوله على وجه يبين أن الهدى كله مأخوذ من كلام/اللّه ورسوله بإقامة الدلائل الدالة، لا بذكر الأقوال التي تقبل بلا دليل وترد بلا دليل، أو يكون المقصود بها نصر غير اللّه والرسول،فإن الواجب أن يقصد معرفة ما جاء به الرسول واتباعه بالأدلة الدالة على ما بينه اللّه ورسوله .

ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في [تفسير الإيمان] ، فتارة يقولون : هو قول وعمل . وتارة يقولون : هو قول وعمل ونية . وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة . وتارة يقولون : قول باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح . فإذا قالوا : قول وعمل؛ فإنه يدخل في **القول قول القلب واللسان** جميعاً، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام، ونحو ذلك إذا أطلق .." [1]

"والناس لهم في مسمى [الكلام] و [القول] عند الإطلاق أربعة أقوال، فالذي عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً، كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن جميعاً . وقيل : بل مسماه هواللفظ،المعنى ليس جزء مُسَمَّاه، بل هو مدلول مسماه، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين إلى السنة، وهو قول النحاة؛ لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ . وقيل : بل مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه، وهذا قول ابن كُلاَّب ومن اتبعه، وقيل : بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى، وهو قول بعض المتأخرين من الكُلابية، ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام اللّه حقيقة في كلام الآدميين؛ لأن حروف الآدميين/ تقوم بهم، فلا يكون الكلام قائماً بغير المتكلم،بخلاف الكلام القرآني، فإنه لا يقوم عنده باللّه، فيمتنع أن يكون كلامه، ولبسط هذا موضع آخر .

والمقصود هنا أن من قال من السلف : الإيمان قول وعمل، **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأي أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال : قول وعمل ونية، قال : القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً للّه إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط، فقالوا : بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم، كما سئل سَهْل بن عبد اللّه التَّسْتُرِي عن الإيمان ما هو ؟ فقال : قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا

---

[1] () المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/140

كان قولاً بلا عمل فهو كُفْر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفـاق، وإذا كـان قـــــولاً وعملاً ونيــــــة بلا ســــــنة فهـــــو بدعــــــة .

وأهل المنطق اليونـان مضـطربون في هـذا المقـام، يقـول أحـدهم القـول، ويقـول نقيضـه، كمـا هـو مـذكور في موضـعه، ونحن نـذكر مـا يتعلـق بهـذا الموضـع فنقــول ـــ ولا حــول ولا قــوة إلا باللــه : الكلام في طــرفين : أحــــدهما : أن شــــعب الإيمــــان هــــل هي متلازمــــة في الانتفــــاء ؟ والثــــــاني : هـــــــل هي متلازمـــــــة في الثبــــــوت ؟

/أمــــــــــــــــــــــــــــــا الأول :

فإن الحقيقة الجامعة لأمور ـ سواء كانت في الأعيان أو الأعـراض ــ إذا زال بعض تلك الأمور فقد يزول سـائرها وقـد لا يـزول، ولا يلـزم من زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرها، وسواء سميت مركبة أو مؤلفة أو غير ذلــك، لا يلـزم من زوال بعض الأجـزاء زوال سـائرها . ومـا مثلـوا بـه من العشـرة والسكنجبين مطابق لذلك، فـإن الواحـد من العشـرة إذا زال لم يلـزم زوال التسعة، بل قد تبقى التسـعة، فـإذا زال أحـد جـزئي المـركب لا يلـزم زوال الجزء الآخر، لكن أكثر مـا يقولـون زالت الصـورة المجتمعـة، وزالت الهيئـة الاجتماعية، وزال ذلك الاسم الذي استحقته الهيئة بذلك الاجتماع والتركيب، كمـــــا يـــــزول اســـــم العشـــــرة والســـــكنجبين .

فيقال : أما كون ذلك المجتمع المـركب مـا بقى على تركيبـه فهـذا لا ينـازع فيه عاقل، ولا يدعي عاقل أن الإيمان، أو الصـلاة، أو الحج أو غـير ذلـك من العبادات المتناولة لأمور، إذا زال بعضها بقى ذلك المجتمع المركب كما كان قبل زوال بعضه، ولا يقول أحد : إن الشـجرة أو الـدار إذا زال بعضـها بقيت مجتمعـة كمـا كـانت، ولا أن الإنسـان أو غـيره من الحيـوان إذا زال بعض/ أعضــــــــــــــــــائه بقى مجموعًــــــــــــــــا .

كما قال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : (كـل مولـود يولـد على الفطـرة، فأبواه يُهَوِّدَانِه، أو يُنَصِّرَانِهِ، أو يُمَجِّسَانِهِ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هــل تحسون فيها من جدعاء) ،فالمجتمعة الخلـق بعـد الجـدع لا تبقى مجتمعـة، ولكن لا يلــــــــــزم زوال بقيــــــــــة الأجــــــــــزاء .

وأما زوال الاسم فيقال لهم : هذا ـ أولا ـ بحث لفظي، إذا قدر أن الإيمان له أبعاض وشعب، كما قال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في الحـديث المتفق عليه : (الإيمان بضع وسبعون شُعْبَة، أعلاهـا قـول : لا إلـه إلا اللـه، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) كما أن الصلاة والحج لـه أجـزاء وشـعب، ولا يلـزم من زوال شـعبة من شـعبه زوال سـائر الأجـزاء والشـعب، كمـا لا يلـزم من زوال بعض أجـزاء الحج والصـلاة زوال سائر الأجزاء، فـدعواهم أنـه إذا زال بعض المـركب زال البعض الآخـر ليس بصواب، و نحن نسلم لهم أنه ما بقى إلا بعضه لا كله، وأن الهيئة الاجتماعية مــــــــــــا بقيت كمــــــــــــا كــــــــــــانت .

يبقى الـنزاع : هـل يلـزم زوال الاسـم بـزوال بعض الأجـزاء، فيقـال لهم :

المركبات في ذلك على وجهين، منها : ما يكون التركيب شرطًا في إطلاق الاسم، ومنها : ما لا يكون كذلك، فالأول كاسم العشرة، وكذلك السكنجبين، ومنها/ ما يبقى الاسم بعد زوال بعض الأجزاء، وجميع المركبات المتشابهة الأجزاء من هذا الباب، وكذلك كثير من المختلفة الأجزاء، فإن المكيلات والموزونات تسمى حنطة وهي بعد النقص حنطة، وكذلك التراب والماء ونحو ذلك .

وكذلك لفظ العبادة، والطاعة، والخير، والحسنة، والإحسان، والصدقة، والعلم، ونحو ذلك، مما يدخل فيه أمور كثيرة، يطلق الاسم عليها قليلها وكثيرها، وعند زوال بعض الأجزاء وبقاء بعض، وكذلك لفظ [القرآن] فيقال على جميعه وعلى بعضه، ولو نزل قرآن أكثر من هذا لسمى قرآنا، وقد تسمى الكتب القديمة قرآنًا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (خفف على داود القرآن) ،وكذلك لفظ القول والكلام والمنطق ونحو ذلك، يقع على القليل من ذلك وعلى الكثير .

وكذلك لفظ الذكر والدعاء، يقال للقليل والكثير، وكذلك لفظ الجبل؛ يقال على الجبل وإن ذهب منه أجزاء كثيرة .." [1]

"وأما الإرادة الجازمة، فلابد أن يقترن بها مع القدرة فعل المقدور ولو بنظرة، أو حركة رأس، أو لفظة، أو خطوة، أو تحريك بدن، وبهذا يظهر معنى قوله صلى الله عليه وسلم : (إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار) فإن المقتول أراد قتل صاحبه فعمل ما يقدر عليه من القتال، وعجز عن حصول المراد، وكذلك الذي قال : لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل فلان،فإنه أراد فعل ما يقدر عليه وهو الكلام،ولم يقدر على ذلك؛ ولهذا كان من دعا إلى ضلالة، كان عليه مثل أوزار من اتبعه،من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا؛ لأنه أراد ضلالهم ففعل ما يقدر عليه من دعائهم، إذ لا يقدر إلا على ذلك .

/وإذا تبين هذا في الإرادة، والعمل، فالتصديق الذي في القلب وعلمه يقتضي عمل القلب، كما يقتضي الحس الحركة الإرادية؛ لأن النفس فيها قوتان : قوة الشعور بالملائم والمنافي والإحساس بذلك، والعمل والتصديق به، وقوة الحب للملائم والبغض للمنافي، والحركة عن الحس بالخوف والرجاء والموالاة والمعاداة، وإدراك الملائم يوجب اللذة، والفرح والسرور، وإدراك المنافي، يوجب الألم والغم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدَانِه أو يُنَصِّرَانِه أو يُمَجِّسَانِهِ كما تُنْتِج البهيمةُ بَهِيمةً جَمْعَاء هل تحسون فيها من جَدْعَاء) .

فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله، تصديقًا به ودينًا له، لكن يعرض لها ما يفسدها، ومعرفة الحق تقتضي محبته، ومعرفة الباطل تقتضي بغضه، لما في الفطرة من حب الحق وبغض الباطل، لكن قد يعرض لها ما يفسدها إما من الشبهات التي تصدها عن التصديق بالحق، وإما من الشهوات التي

[1] () المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/141

تصدها عن اتباعه؛ ولهذا أمرنا الله أن نقول في الصلاة : { اهـدِنَا الصِّـرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } [الفاتحة : 6ـ 7] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم (اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون) ؛ لأن اليهود يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم، ولا يتبعونه لما فيهم من الكبر والحسد الذي يوجب بغض الحق ومعاداته، والنصارى لهم عبادة، وفي قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها، لكن بلا علم، فهم ضلال . هؤلاء لهم معرفة بلا قصد صحيح، وهؤلاء/ لهم قصد في الخير بلا معرفة له، وينضم إلى ذلك الظن، واتباع الهوى، فلا يبقى في الحقيقة معرفة نافعة، ولا قصد نافع، بل يكون كما قال تعالى عن مشركي أهل الكتاب : { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [الملك : 10] ، وقال تعالى : { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } [الأعراف : 179] . فالإيمان في القلب لا يكون إيمانًا بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك،كما أنه لا يكون إيمانًا بمجرد ظن وهوى، بل لابد في أصل الإيمان من قول القلب، وعمل القلب . وليس لفظ الإيمان مرادفًا للفظ التصديق، كما يظنه طائفة من الناس، فإن التصديق يستعمل في كل خبر، فيقال لمن أخبر بالأمور المشهورة مثل : الواحد نصف الاثنين والسماء فوق الأرض، مجيبًا : صدقت، وصدقنا بذلك، ولا يقال : آمنا لك، ولا آمنا بهذا، حتى يكون المخبر به من الأمور الغائبة، فيقال للمخبر : آمنا له، وللمخبر به : آمنا به، كما قال إخوة يوسف : { وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا } [يوسف : 17] أي بمقر لنا، ومصدق لنا، لأنهم أخبروه عن غائب،ومنه قوله تعالى : { أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ } [الشعراء : 111] ،وقوله تعالى : { يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ } [التوبة : 61] ، وقوله تعالى : { أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ } [المؤمنون : 47] ، وقوله تعالى : { وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ } [الدخان : 21] ، { فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ } [يونس : 83] أي : أقر له . /وذلك أن الإيمان يفارق التصديق، أي : لفظًا ومعنى، فإنه ـ أيضًا ـ يقال : صدقته، فيتعدى بنفسه إلى المصدق، ولا يقال : أمنته، إلا من الأمان الذي هو ضد الإخافة، بل آمنت له، وإذا ساغ أن يقال : ما أنت بمصدق لفلان، كما يقال : هل أنت مصدق له ؟ لأن الفعل المتعدى بنفسه إذا قدم مفعوله عليه، أو كان العامل اسم فاعل، ونحوه مما يضعف عن الفعل، فقد يعدونه باللام تقوية له، كما يقال : عرفت هذا، وأنا به عارف، وضربت هذا، وأنا له ضارب، وسمعت هذا ورأيته، وأنا له سامع، وراء، كذلك يقال : صدقته وأنا له مصدق، ولا يقال : صدقت له به، وهذا خلاف آمن، فإنه لا يقال إذا أردت التصديق : آمنته كما يقال : أقررت له، ومنه قوله : آمنت له كما يقال : أقررت له، فهذا فرق في اللفظ .

والفرق الثاني : ما تقدم من أن الإيمـان لا يسـتعمل في جميـع الأخبـار، بـل في الإخبـار عن الأمـور الغائبـة، ونحوهـا ممـا يـدخلها الـريب، فـإذا أقـر بهـا المسـتمع قيـل : آمن، بخلاف لفـظ التصـديق، فإنـه عـام متنـاول لجميـع الأخبار .." [1]

"الحمد للـه رب العـالمين . اسـم الإيمـان يسـتعمل مطلقًـا، ويسـتعمل مقيدًا، وإذا استعمل مطلقًا، فجميع ما يحبه اللـه ورسـوله من أقـوال العبـد وأعماله الباطنة والظاهرة، يـدخل في مسـمى الإيمـان عنـد عامـة السـلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، الذين يجعلـون الإيمـان قـولاً وعملاً، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويدخلون جميع الطاعات فرضها ونفلهـا في مسماه، وهذا مذهب الجماهير من أهل الحديث والتصـوف والكلام والفقـه، من أصـحاب مالـك والشـافعي وأحمـد وغـيرهم . ويدخل في ذلك ما قد يسمى مقامًـا وحـالاً؛ مثـل الصـبر والشـكر والخـوف والرجاء والتوكل والرضا والخشية والإنابـة والإخلاص والتوحيـد وغـير ذلـك . ومن هذا ما خرج في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـه قـال : (الإيمان بضع وستون ـ أو بضع وسـبعون ــ شـعبة، أعلاهـا : قـول لا إلـه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شـعبة من الإيمـان) . فـذكر أعلى شعب الإيمان، وهو قول لا إله إلا الله، فإنه لا شيء أفضـل منهـا كمـا في الموطـأ وغـيره عن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال : (أفضـل الدعاء؛ دعاء يوم /عرفة، وأفضل ما قلت أنـا والنـبيون من قبلي : لا إلـه إلا اللـه، وحـده لا شـريك لـه، لـه الملـك ولـه الحمـد، وهـو على كـل شـيء قدير) ،وفي الترمذي وغيره أنه قال : (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة) ، وفي الصحيح عنه أنه قال لعمه عند الموت : (يـا عم، قـل : لا إلـه إلا اللـه، كلمـة أحـاج لـك بهـا عنـد اللـه) . وقد تظاهرت الدلائل على أن أحسن الحسـنات هـو التوحيـد، كمـا أن أسـوأ السيئات هو الشرك، وهو الذنب الذي لا يغفره الله، كما قـال تعـالى : { إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَـاء } [النسـاء : 48] وتلك الحسنة التي لابد من سعادة صاحبها كما ثبت في الصحيح عنه حـديث الموجبتين : موجبة السعادة وموجبة الشقاوة، فمن مات يشهد أن لا إلـه إلا الله دخل الجنـة، وأمـا من مـات يشـرك باللـه شـيئًا دخـل النـار، وذكـر في الحـديث أنهـا أعلى شـعب الإيمـان . وفي الصحيحين عنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال لوفـد عبـد القيس : (آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شـهادة أن لا إلـه إلا اللـه، وأن محمدًا رسول الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتؤدوا خمس المغنم) ، فجعـل هـذه الأعمـال من الإيمـان، وقـد جعلهـا من الإسـلام في حـديث جبرائيل الصحيح ـ لما أتاه في صورة أعرابي ـ وسأله عن الإيمان، فقال : (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسـله، والبعث بعـد المـوت، وتـؤمن

[1] المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/145

بالقدر خيره وشره) ، وسأله عن الإسلام فقال : (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله،/ وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت) ،وفي حديث في المسند قال : (الإسلام علانية، والإيمان في القلب) .

فأصل الإيمان في القلب **وهو قول القلب وعمله**، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه؛ ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له، لكن ما في القلب هو الأصل لما على الجوارح، كما قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ــ : إن القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإن طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده . وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب) .

ولهذا ظن طوائف من الناس أن الإيمان إنما هو في القلب خاصة، وما على الجوارح ليس داخلا في مسماه، ولكن هو من ثمراته ونتائجه الدالة عليه، حتى آل الأمر بغلاتهم ــ كجهم وأتباعه ــ إلى أن قالوا : يمكن أن يصدق بقلبه، ولا يظهر بلسانه إلا كلمة الكفر، مع قدرته على إظهارها، فيكون الذي في القلب إيمانًا نافعًا له في الآخرة، وقالوا : حيث حكم الشارع بكفر أحد بعمل أو قول؛ فلكونه دليلاً على انتفاء ما في القلب . وقولهم متناقض، فإنه إذا كان ذلك دليلاً مستلزمًا لانتفاء الإيمان الذي في القلب، امتنع أن يكون الإيمان ثابتًا في/ القلب، مع الدليل المستلزم لنفيه، وإن لم يكن دليلاً لم يجز الاستدلال به على الكفر والباطن .

والله ـ سبحانه ـ في غير موضع يبين أن تحقيق الإيمان وتصديقه بما هو من الأعمال الظاهرة والباطنة، كقوله : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا } [الأنفال : 2 ـ 4] وقال : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات : 15] ، وقال تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ } [النور : 62] ، وقال تعالى : { فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا } [النساء : 65] .." [1]

"ومثل هذا كثير في كتاب اللّه وسنة رسوله واتفاق المؤمنين يحمد ويذم على ما شاء اللّه من مساعي القلوب وأعمالها، مثل قوله في الحديث

[1] () المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/152

الصحيح المتفق عليه : (لا تباغضوا ولا تحاسدوا) ، وقوله : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه) ، وقوله : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) ، وقوله : (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر) ، و (لا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان) ، وقوله : (لا تسموا العنب الكرم، وإنما الكرم قلب المؤمن) وأمثال هذا كثير .

بل قول القلب وعمله هو الأصل، مثل تصديقه وتكذيبه وحبه وبغضه، من ذلك ما يحصل به مدح وذم وثواب وعقاب بدون فعل الجوارح الظاهرة، ومنه ما لا يقترن به ذلك إلا مع الفعل بالجوارح الظاهرة / إذا كانت مقدورة، وأما ما ترك فيه فعل الجوارح الظاهرة للعجز عنه فهذا حكم صاحبه حكم الفاعل، فأقوال القلب وأفعاله ثلاثة أقسام :

أحدها : ما هو حسنة وسيئة بنفسه .

وثانيها : ما ليس سيئة بنفسه حتى يفعل، وهو السيئة المقدورة كما تقدم .

وثالثها : ما هو مع العجز كالحسنة والسيئة المفعولة، وليس هو مع القدرة كالحسنة والسيئة المفعولة، كما تقدم .

فالقسم الأول : هو ما يتعلق بأصول الإيمان من التصديق والتكذيب، والحب والبغض، وتوابع ذلك؛ فإن هذه الأمور يحصل فيها الثواب والعقاب، وعلو الدرجات، وأسفل الدركات، بما يكون في القلوب من هذه الأمور، وإن لم يظهر على الجوارح، بل المنافقون يظهرون بجوارحهم الأقوال والأعمال الصالحة، وإنما عقابهم وكونهم في الدرك الأسفل من النار على ما في قلوبهم من الأمراض، وإن كان ذلك قد يقترن به أحيانًا بغض القول والفعل، لكن ليست العقوبة مقصورة على ذلك البغض اليسير، وإنما ذلك البغض دلالة كما قال تعالى : { وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ } [محمد : 30] ، فأخبر أنهم لابد أن يعرفوا في لحن القول .

وأما القسم الثاني، والثالث : فمظنة الأفعال التي لا تنافى أصول الإيمان، مثل المعاصي الطبعية، مثل الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، كما ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من مات يشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه، دخل الجنة، وإن زنا وإن سرق، وإن شرب الخمر) ، وكما شهد النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح للرجل الذي كان يكثر شرب الخمر، وكان يجلده كلما جيء به فلعنه رجل، فقال : (لا تلعنه فإنه يحب اللّه ورسوله) ، وفي رواية قال بعضهم : أخزاه اللّه ما أكثر ما يؤتى به في شرب الخمر . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تكونوا أعوانًا للشيطان على أخيكم) وهذا في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة .

ولهذا قال : (إن اللّه تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تكلم به أو

تعمل به) ، والعفو عن حديث النفس إنما وقع لأمـة محمـد المؤمـنين باللّـه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فعلم أن هذا العفو هـو فيمـا يكـون من الأمور التي لا تقدح في الإيمان، فأما ما نافى الإيمان فـذلك لا يتناولـه لفـظ الحديث؛لأنه إذا نافى الإيمان لم يكن صاحبه من / أمة محمـد في الحقيقـة، ويكـون بمنزلـة المنـافقين، فلا يجب أن يعفى عمـا في نفسـه من كلامـه أو عمله، وهذا فرق بين يدل عليه الحديث، وبه تـأتلف الأدلـة الشـرعية، وهـذا كما عفا اللّه لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان، كما دل عليه الكتـاب والسـنة، فمن صح إيمانه عفى له عن الخطأ والنسيان، وحديث النفس، كما يخرجون من النار، بخلاف من ليس معه الإيمان فإن هذا لم تدل النصوص على تـرك مؤاخذته بما في نفسه وخطئه ونسيانه؛ ولهذا جاء : (نية المـؤمن خـير من عملـه) هـذا الأثـر رواه أبـو الشـيخ الأصـبهاني في [كتـاب الأمثـال] من مراسيل ثابت البناني، وقـد ذكـره ابن القيم في النيـة من طـرق عن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم ثم ضـعفها، فاللّـه أعلم .

فإن النية يثاب عليها المؤمن بمجردها، وتجرى مجرى العمل إذا لم يمنع من العمل بها إلا العجز، ويمكنه ذلك في عامة أفعـال الخـير، وأمـا عمـل البـدن فهو مقيد بالقدرة، وذلك لا يكـون إلا قليلا؛ ولهـذا قـال بعض السـلف : قـوة المؤمن في قلبه، وضـعفه في بدنـه، وقـوة المنـافق في بدنـه، وضـعفه في قلبـه .

وقد دل على هذا الأصل قوله تعالى : { وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِـهِ اللّهُ فَيَغْفِـرُ لِمَنْ يَشَـاءُ وَيُعَـذِّبُ مَنْ يَشَـاءُ } الآيـة [البقـرة : 284] ، وهذه الآية وإن كان قد قال طائفة من السلف : إنها منسوخة كمـا روى البخاري في صحيحه عن مروان الأصـغر عن رجـل من أصـحاب النـبي صلى الله عليه وسلم ــ وهـو ابن عمـر ــ أنهـا نسـخت، فالنسـخ في لسـان السلف أعم مما هو في لسان المتأخرين، يريـدون بـه رفـع الدلالـة مطلقـا، وإن كان تخصيصًا للعام أو تقييدا للمطلق، وغير ذلك، كمـا هـو معـروف في عرفهم، وقد أنكر آخرون نسخها لعدم دليل ذلك، وزعم قـوم أن ذلـك خـبر، والخبر لا ينسخ، ورد آخرون بـأن هـذا خـبر عن حكم شـرعي، كـالخبر الـذي بمعنى الأمر والنهي .." [1]

"قـال الحافـظ ابن حجـر في الفتح: (قـال ابن بطـال: أوجب في هـذا الحديث الولاية بالدين، ونفاها عن أهل رحمـه إن لم يكونـوا من أهـل دينـه، فـدل ذلـك على أن النسـب يحتـاج إلى الولايـة الـتي يقـع بهـا الموارثـة بين المتناسبين، وأن الأقارب إذا لم يكونوا على دين واحد لم يكن بينهم تــوارث ولا ولاية، قال: ويستفاد من هذا أن الرحم المـأمور بصـلتها، والمتوعـد على قطعهـا هي الـتي شـرع لهـا ذلـك، فأمـا من أمـر بقطعـه من أجـل الـدين فيستثنى من ذلـك، ولا يلحـق بالوعيـد من قطعـه، لأنـه قطـع من أمـر اللـه بقطعــه، لكن لــو وصــلوا بمــا يبــاح من أمــر الــدنيا لكــان فضــلاً.

1() المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/177

والله أعلم.
المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه
================

رقم الفتوى 15087 لا يجتمع في القلب الإيمان بالله وحب أعداء الله (1)
تاريخ الفتوى : 25 محرم 1423
السؤال
ما حكم من يحب الروس ويفخر بزعمائهم ويتمنى أن يعيش في روسيا؟
الفتوى
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد: فالمعروف أن زعماء الروس كفرة ملاحدة، بل هم أكفر أهل الأرض، فإنهم شيوعيون لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. ويكذبون بما جاءت به الرسل عن ربهم، ويعتقدون فيهم شر اعتقاد، ومحبة هؤلاء الزعماء والتمني للعيش معهم وعندهم مما يدل على فساد عقيدة الولاء والبراء التي فصلها الله عز وجل في كتابه تفصيلاً. بل لا يعرف موضوع في القرآن الكريم أثرى منها مادة، ولا أكثر منها تفصيلاً. وذلك لأنها تمس أساس التوحيد وأصل الملة، وجوهر الدين.. ومن هذه الآيات المتعلقة بهذا المعنى قوله تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)[المجادلة:22] قال القاسمي -رحمه الله- في تفسيره لمعنى: حاد الله ورسوله، أي شاقهما وخالف أمرهما. فلا يجتمع إيمان خالص وحب لأعداء الله ورسوله. انتهى. وقد ورد في هذا المعنى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: والذي نفس ابن عمر بيده لو أصبحت أصوم النهار لا أفطر، وأقوم الليل لا أفتر، ثم لم أصبح وأنا أحب أهل الطاعة وأبغض أهل المعصية لخشيت أن يكبني الله على وجهي في النار ولا يبالي. فالواجب على المسلم أن يحب ما يحبه الله ورسوله، ويبرأ مما يبرأ منه الله ورسوله.
والله أعلم.
المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه
==================

رقم الفتوى 17836 جنس العمل شرط في صحة الإيمان (2)
تاريخ الفتوى : 06 ربيع الثاني 1423
السؤال
هل العمل في الإيمان شرط كمال أم شرط صحة مع الدليل و جزاكم الله خيرا
الفتوى
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد: فالإيمان كما هو معروف عند أهل السنة والجماعة: قول **وعمل، قول**

القلب وقــــول اللســـــان، وعمـــــل القلب وعمـــــل اللســـــان.
وقول القلب هو: الاعتقاد والتصديق، وعمله هـو: الإخلاص والحب والخـوف والرجـاء وسـائر أعمـال القلـوب الـتي هي واجبـة باتفـاق أئمـة الـدين.
وقول اللسان هو: النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما، وعمل الجوارح مـا لا يـــؤدى إلا بهـــا، وهي تابعـــة لأعمـــال القلـــوب ولازمـــة لهـــا.
فالقلب إذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلـك إلى البـدن بالضـرورة، وعـدم الأعمال الظاهرة دليل على انتفاء الأعمال الباطنة، يقول الله تعالى: لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ يُـوَادُّونَ مَنْ حَـادَّ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ [المجادلـة: 22]. وقال تعالى: وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَـا اتَّخَـذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ [المائدة:81]. فالباطن والظاهر كما هو واضح في الآيات متلازمـان لا ينفك أحدهما عن الآخر، إذا تقرر ذلك فالذي يعـد شـرطا في صـحة الإيمـان هو جنس العمل، فـترك جنس العمـل مخـرج من الملـة، والأدلـة على ذلـك كثـــــــــــــــــــــــــيرة منهـــــــــــــــــــــــــا:
قوله تعالى: وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيــقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْـــــــدِ ذَلِـــــــكَ وَمَـــــــا أُولَئِكَ بِـــــــالْمُؤْمِنِينَ [النـــــــور:47].
ويقول شيخ الإسـلام ابن تيميـة : فنفى الإيمـان عمن تـولى عن العمـل وإن كــــــان قــــــد أتى بــــــالقول. انظــــــر الفتــــــاوى 7/142.
ويقول في موضع آخر: من الممتنع أن يكـون الرجـل مؤمنـاً إيمانـاً ثابتـاً في قلبه بأن الله فرض عليـه الصـلاة والزكـاة والصـيام والحج، ويعيش دهـره لا يسجد لله سجدة ولا يصوم رمضان ولا يؤدي لله زكاة ولا يحج لله بيته، فهذا ممتنع ولا يصدر هـذا إلا مـع نفـاق في القلب وزندقـة، لا مـع إيمـان صـحيح. ولهذا إنما يصف سـبحانه بالامتنـاع من السـجود الكفـار كقولـه تعـالى: يَـوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَـاقٍ وَيُـدْعَوْنَ إِلَى السُّـجُودِ فَلا يَسْـتَطِيعُونَ*خَاشِـعَةً أَبْصَـارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُـدْعَوْنَ إِلَى السُّـجُودِ وَهُمْ سَـالِمُونَ [القلم،42-43].
مجمـــــــــــــــــــــــــوع الفتـــــــــــــــــــــــــاوى 7/611.
أما العمل الذي هو شرط في كمال الإيمان فهو آحـاده وأفـراده، فمن تـرك واجباً من الواجبـات الشـرعية أو ارتكب معصـية، نقص إيمانـه لكن لا يـزول بالكلية. والأدلة على ذلك كثـيرة، منهـا قـول اللـه تعـالى: وَإِنْ طَائِفَتَـانِ مِنَ الْمُـؤْمِنِينَ اقْتَتَلُـوا فَأَصْـلِحُوا بَيْنَهُمَـا [الحجـرات:9]. فسـماهم مؤمـنين رغم اقتتالهم وهو من الكبائر، فالإيمان عند أهل السنة شعب متفاوته -كما أخــبر النبي صلى الله عليه وسلم- وكل شعبة تسمى إيماناً، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة شهادة التوحيد، ومنها ما لا يزول بزوالها كـترك أماطـــــــــــــــــــــة الأذى عن الطريـــــــــــــــــــــق.
واللـــه أعلم.
المفـــــــتي: مركـــــــز الفتـــــــوى بإشـــــــراف د.عبداللـــــــه الفقيه
================

(1) - فتـــــاوى الشــــبكة الإســـلامية معدلـــــة - (ج 3 / ص 2786)
(2) - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج 3 / ص 4542)." [1]
"فإن مجرد إعلان الإسلام ليس معناه أن الشخص صار بموجبه مؤمنا بل لابد مع النطق بالشهادتين من العمل بمقتضاهما، فحقيقة الإيمان في الاصطلاح الشرعي مركبة من: قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام (الشهادتين). والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، قال الإمام أحمد بن حنبل : الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص . وقال الإمام البغوي : اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان... وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة . انظر شرح السنة للبغوي (1/ـ 38ـ 39). وقال الإمام الشافعي : وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان: قول، وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر . شرح أصول اعتقاد أهل السنة (5/ 886). قال الإمام ابن القيم : الإيمان أصل له شعب متعددة، وكل شعبة تسمى إيمانا، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة، والحج، والصوم، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل ... إلخ. كتاب الصلاة لابن القيم ص 53. فالإيمان كما تبين ليس مجرد قول باللسان مع التمسك بما يناقضه من عدم الانقياد والتسليم لأحكامه تعالى، وقد قال تعالى: فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً {لنساء:65}. فالقلب إذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، وعدم الأعمال الظاهرة دليل على انتفاء الأعمال الباطنة، يقول الله تعالى: لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ {لمجادلة: 22}. وقال تعالى: وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ {المائدة: 81}. فالباطن والظاهر كما هو واضح في الآيات متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر. إذا تقرر ذلك فمجرد إعلان الشهادتين مع التولي عن العمل وعدم الانقياد لأحكام الإسلام لا يصير به الإنسان مسلما والأدلة على ذلك كثيرة منها: قوله تعالى: وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ {النور:47}. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول . انظر الفتاوى: 7/ـ 142. ويقول في موضع آخر: من الممتنع أن يكون الرجل مؤمنا إيمانا ثابتا في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج، ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يصوم رمضان ولا يؤدي لله زكاة ولا يحج لله بيته، فهذا ممتنع ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة، لا مع إيمان صحيح . ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار كقوله تعالى: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ

[1] () المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/333

سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ*خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ {القلم:42ـ 43}. مجموع الفتاوى 7/116. وعليه فلا يجوز لك الزواج من هذا الشاب لأنه لم يدخل في الإسلام ولم يدخل قلبه الإيمان، لقوله تعالى: وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ {البقرة: 221}. وقوله: لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ {الممتحنة:10}. وقوله: وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً {النساء: 141}. وهذا محل إجماع بين أهل العلم، وأما قولك سأقوم بعد الزواج بنصحه ودعوته، فلست مكلفة بدعوة هذا الرجل وهو أجنبي عنك فابتعدي عنه ولا تربطي معه أي علاقة، ولا ترضي لنفسك زوجا وشريكا لحياتك إلا رجلاً مسلماً ذا خلق ودين واتركي هذا الرجل فإنه لا خير فيه. والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه

==================

رقم الفتوى 56071 الإحسان إلى الأقارب غير المسلمين وصلتهم دون المودة (1)

تاريخ الفتوى : 10 شوال 1425

السؤال

أنا شاب عربي أصلي من فرقة إسلامية أعتبرها ضالة وهي الدروز، من الله علي بالعودة إلى القرآن وحب النبي صلى الله عليه وسلم، أنا أحب أهلي وأتصدق من فضل الله على بعض أقاربي، عندي ثلاثة أسئلة: الأول: أنا أحس أني غريب عن معظم الناس في مجتمعي وممن هم من الأرحام فهل أعتبر قاطع رحم، والسؤال الثاني: هو ما حكم توزيع الزكاة والصدقة لبعض أقاربي من الفقراء والمساكين؟ أما السؤال الثالث: ما هي نصيحتكم لي بالزواج فهل زواجي من فتاة درزية فيه شيء علي إذا لم تعش زوجتي معي كمسلمة تصلي وتصوم وتقرأ القرآن، أدعو الله أن يجزيكم خير جزاء؟

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

---

(1) -فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج 8 / ص 5017)." [1]

"وهنا أعود إلى عنوان هذه المقالة بعد أن تبين لنا معناها ، وأقول : إن هناك فرق بين تناول التوحيد كعلم مجرد وبين أخذه علماً وحالاً وسلوكاً ، إن المواقف المتخاذلة اليوم أمام أمريكا الكافرة وحلفائها ، وعدم الصدع والجهر بعداوتها والبراءة منها ومن يتولاها لهو أكبر دليل على أن التوحيد عند الكثير منا بقي في حدود العلم المجرد ، أما أخذه علماً وحالاً وعملاً فإنه - ويا للأسف - أصبح مغيباً عن الأمة ، ومغيباً عن المواقف والممارسات . إن هذا الدين يرفض اختزال المعارف الباردة في الأذهان

---

[1] () المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/339

المجــردة . إن العلم في هــذا الــدين يقتضــي العمــل ، ويتحــول في قلب المسلم إلى حركة وأحوال ومواقف ، إذ لا قيمة للمعرفـة المجـردة الـتي لا تتحول لتوِّها إلى حركـة ومواقـف . نعم ، لا قيمـة للدراسـات الإسـلامية في شـتى مناهجهـا ومعاهـدها ، ولا قيمـة لاكتظـاظ الأدمغـة بمضـمونات هـذه المعارف إن لم يصحبها عمل ومواقف . إن العلم المجرد حجة على صـاحبه إذا لم يقتضِ عنـده العمـل . إن العلم بالـدين لابـد أن يـزاول في الحيـاة ، ويطبق في المجتمع ، ويعيش في الواقع ، وإلا فما قيمـة الـدروس المكثفـة عن الــولاء والــبراء وأنواعــه ، ومــا يضــاده من الشــرك ومــا ينقضــه من النواقض ، ثم لما جاءت المواقف التي نحتاج فيها إلى تطبيق ما تعلمناه من مشائخنا فإذا بالسكوت ، بل والتشنيع على من ترجم مـا تعلمـه إلى سـلوك وحال مع أعداء الله - عز وجل - فأعلن براءته وصرَّح بما تعلمه من علمائـه ومشائخه من أن تولي الكفار ومناصـرتهم على المسـلمين رِدَّة ونـاقض من نواقض الإسلام . إن شـأن التوحيـد شـأن عظيم من أجلـه أرسـلت الرسـل وأنزلت الكتب ، وقام سوق الجهاد وسـوق الجنـة والنـار ، ومن أجـل الـولاء والبراء - الذي هو أس التوحيد وركنه الركين - هـاجر المسـلمون السـابقون الأولون من ديارهم ، وضحّوا بأموالهم وأنفسـهم في سـبيل اللـه ، وفاصـلوا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشائرهم الـذين ليسـوا على دينهم متمثلين في ذلك قوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا لا تتخـذوا آبـاءكم وإخـوانكم أوليـاء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئـك هم الظـالمون ، قـل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموهـا وتجارة تخشـون كسـادها ومسـاكن ترضـونها أحب إليكم من اللـه ورسـوله وجهـاد في سـبيله فتربصـوا حـتى يـأتي اللـه بـأمره واللـه لا يهـدي القـوم الفاسـقين" [التوبـة :23-24].

إذن ، فمسـألة الـولاء والـبراء ليسـت مسـألة ذهنيـة نظريـة تـدرس لمجـرد الدراسة والثقافة ، ولكنها مسألة خطيرة متى ما استقرت في قلبٍ المؤمن الصـادق فإنهـا تجعـل منـه رجـل عقيـدة باطنـاً وظـاهراً قلبـاً وقالبـاً يتحـرك بعقيدته يوالي من يواليها ، ويعادي من يعاديهـا ، ويهـاجر ويجاهـد في سـبيل اللـه من أجلهـا ؛ إنـه لا قيمـة للمعرفـة الـتي لا تتحـول إلى عمـل وحركـة ومواقف ، ولا قيمة للدراسات الإسلامية والبحوث العقدية ، واكتظاظ أرفف المكتبات والأدمغة بها إن لم تـزاول هـذه العلـوم والدراسـات في الحيـاة ، وتطبق في المجتمعات ، وتحدد في ضـوئها العلاقـات، وتتمثـل في حركـة و مواقـف يواجـه بهـا الباطـل وأهلـه .

والمقصود : بيان أن شأن الولاء والبراء شأن عظيم ، وأنه ليس علماً مجرداً ، بـل يجمـع إلى ذلـك المقصـود عمـل القلب وبراءتـه من الشـرك وأهلـه ، وإعلان ذلك ، وإظهاره باللسان ، وترجمة ذلـك إلى عمـل وجهـاد وسـلوك . أما أن يبقى رهين الكتب والأدمغة فإن هذا مما لا يتفق مع طبيعة هذا الدين الـذي هـو جـد كلـه ؛ **لأنه قـول القلب وعمله** ، وقـول اللسـان وعمـل

الجوارح، ولما كانت عقيدة الـولاء والـبراء هي صـلب كلمـة التوحيـد ، وأنهـا تستلزم أقوالاً وأعمالاً ومواقـف وبـذلاً وتضـحيات اهتم بهـا السـلف اهتمامـاً عظيماً ، وعلموها لأولادهم ، وتواصوا بهـا ، وهـاجروا ، وجاهـدوا من أجلهـا ، وعادوا، ووالوا على أساسها . يقول الإمام محمـد بن عبـد الوهـاب - رحمـه الله تعالى- : "فاللهَ اللهَ إخـواني : تمسّـكوا بأصـل دينكم أولـهِ وآخـره أسّـهِ ورأسـه، وهـو شـهادة أن لا إلـه إلا اللـه ، واعرفـوا معناهـا وأَحِبّـوا أهلهـا ، واجعلوهم إخـوانكم ، ولـو كـانوا بعيـدين ، واكفـروا بـالطواغيت ، عـادوهم ، وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم ، أو قـال : مـا عليّ منهم ، أو قال ما كلفني الله بهم ، فقد كذب على الله وافترى، بـل كلفـه اللـه بهم وفرض عليه الكفر بهم ، والبراءة منهم ولو كانوا إخوانه وأولاده ، فالله الله تمسكوا بأصل دينكم لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً" الـدرر السـنية 2/119.

وقال في موطن آخر : "إن الواجب على الرجـل أن يعلم عيالـه وأهـل بيتـه الحب في الله والبغض في الله ، والموالاة في اللـه ، والمعـادات فيـه قبـل تعليم الوضوء والصلاة ؛ لأنه لا صحة لإسلام المرء إلا بصحة صلاته ولا صـحة لإسلامه - أيضاً - إلا بصحة الموالاة والمعادات في الله" الرسائل الشخصـية ص 323. ولما تواجه المسلمون في تاريخهم الطويل مع أعدائهم الكـافرين بشــتى مللهم بــرز دور العلمــاء في وقتهم ، وهم يحرِّضــون على نصــرة المســلمين وإعــانتهم على الكــافرين ويحــذرون من تــولي الكــافرين ، ومناصرتهم بأي نوع من أنـواع النصـرة ، ويفتـون بـأن من ظَـاهَر الكـافرين على المسلمين فهو مرتد خارج عن ملة الإسلام . فهذا الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - قال عن بابـك الخـرّمي عنـدما خـرج على المسـلمين وحـاربهم وهو بأرض المشركين : " خرج إلينا يحاربنـا وهـو مقيم بـأرض الشـرك ، أيّ شـيء حكمـه ؟ إن كـان هكـذا فحكمـه حكم الارتـداد" (الفـروع 6/163). وعندما هجم التتار على أراضي الإسلام في بلاد الشـام وغيرهـا أفـتى شـيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بردِّة من قفز إلى معسكر التتــار من بعض المنتسبين إلى الإسلام (الفتاوى 28/530) .." [1]

"وصلاة الجمعة خلف كل بر وفاجر؛ صلاة الجمعة إذا كان الـذي يصـليها إمام المسلمين أو الأمير, أو كانت في البلـد, وليس فيهـا إلا جمعـة واحـدة, وكان الإمام فاسقا صلى خلفه؛ ما دام أنه مسـلم، وإن تـرك الصـلاة خلفـه, وصلى في البيت فهو مبتـدع عنـد أهـل العلم. صـلاة الجمعـة خلـف كـل بـر وفاجر، والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة, ولو كان عاصيا وفاسقا؛ إلا إذا كفـــــــــــر؛ لقولـــــــــــــه تعـــــــــــالى: { ((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((....

))))))))))))))))))))))))))))))))))))))))))))))))))?) } (1) فــإن مــات

[1] () المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/400

على الكفر لا يصلى عليه, وإن مات على الإيمان يصلى عليه، ولو كان عاصيا؛ لكن بعض المعاصي يترك أهل العلم والفضل الصلاة عليه ردعا للأحياء؛ مثل قاتل نفسه, ومثل الغال؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - تأخر عن الصلاة عليهم. يدعو للأحياء. والصلاة على من مات من أهل القبلة.
والإيمان قول وعمل؛ خلافا للمرجئة الذين يقولون: **الإيمان قول القلب فقط**، والإيمان يزيد وينقص كذلك. أهل السنة والجماعة يقولون: الإيمان يزيد وينقص؛ أما المرجئة يقولون: لا يزيد ولا ينقص. والقرآن كلام الله؛ خلافا للمعتزلة الذين يقولون: مخلوق؛ ليس كلام الله.

---

(1) - سورة التوبة آية : 84.." [1]
"- صلى الله عليه وسلم - عدم الريب وانتفاؤه, وفي حديث أبي هريرة)) اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة (("رواه مسلم" وفي الصحيح ((أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة)) الشرط الرابع:- الصدق, وهو أن **يتوافق قول القلب واعتقاده** مع قول اللسان, فلا ينفع أحدهم دون الآخر فاعتقاد بلا قول لا ينفع وقول بلا اعتقاد لا ينفع ألا ترى أن المنافقين الذين قالوا (لا إله إلا الله محمد رسول الله) لما لم تكن قلوبهم مصدقة بمدلول هذه الشهادة رد الله عليهم شهادتهم وكذبهم فيها كما قال تعالى { إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } وسبب تكذيبهم هو عدم التصديق القلبي لمدلول هذه الشهادة وإنما قالوها خوفاً من المؤمنين ومراوغة ومخادعة لعباد الله الصالحين, وقال تعالى { وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } وأعظم الصدق هو هذه الكلمة ولم يكتف الله جل وعلا بأن يأتي بالصدق فقط بل اشترط شرطاً زائداً على مجرد المجيء به وهو قوله { وَصَدَّقَ بِهِ } فلابد من التصديق بالحق التصديق المقتضي للإيمان الراسخ والإتباع وقد أخطأ الكلابية خطأً عظيماً لما جعلوا الإيمان مجرد القول ولم ينظروا إلى توافقه مع التصديق الباطني فأسأله جل وعلا أن يهدي القلوب إلى موافقة الحق والتصديق به إنه ولي ذلك والقادر عليه, وضد التصديق الكذب, الشرط الخامس:- المحبة, وضدها الكراهية والبغض, فلا يتحقق الانتفاع بهذه الكلمة إلا بأن يكون القائل محباً لله جل وعلا ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - ومقدماً محبتهما على كل محبة ومحباً لما يحبه الله ورسوله من الأقوال والأعمال والاعتقادات." [2]

---

1 () المختار في أصول السنة، 1/296
2 () اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، ص/120

"توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور، وهذا النوع من التوحيد أقر به المشركون في الجملة. كيف في الجملة يعني؟ يعني في بعض الصور دون بعض، يعني في أصول التوحيد، الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير سلموا بها، ولكن في بعض المواضع أشركوا بالله عز وجل في توحيد الربوبية، ولذلك أثر عنهم ماذا؟ أثر عنهم التمائم ونحوها، وهذا يدل على أن الشرك قد وقع في توحيد الربوبية، وهذا النوع من التوحيد وأقر به المشركون ومع ذلك لم يدخلهم إقرارهم في الإسلام، يعني توحيد الربوبية الإقرار به لا ينفع العبد لأن المشرك الذي بعث إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - كان مقرا بجملة هذا النوع، هل حكم عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإسلام لمجرد إقرارهم بتوحيد الربوبية في الجملة؟ الجواب: لا، إذا لا بد أن يأتي بتوحيد الإلوهية.

النوع الثاني: توحيد الإلوهية.

وهو إفراد الله بالعبادة، وهذا النوع هو الذي فيه الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات، والبحث فيه في هذه الرسالة. وهو أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وسيأتي شرح هذه القواعد الأربعة، وإن شئت قلت: التوحيد ينقسم إلى قسمين التوحيد إما أن ينقسم إلى ثلاثة أقسام أو إلى قسمين، وثم اعتبار مختلف إن كان المراد ما يجب على العبد فهو قسمان، وإن كان باعتبار المتعلق فهو ثلاثة أقسام، لأنك تقول: توحيد الإلوهية، وصف لله، الربوبية وصف لله عز وجل، الأسماء والصفات يعني أسماء الله إذا وصف لله عز وجل، حينئذ نقول: التوحيد إن نظر إليه باعتبار الاعتقاد والمتعلق فهو ثلاثة أقسام، وإن نظر إليه من حيث ما يجب المكلف حينئذ هو قسمان، وذكر ابن القيم في غير موضع من كتبه وفي النونية أنه قسمان.

أحدهما التوحيد الفعلي: وهو المسمى بتوحيد الإلوهية، سمي فعليا لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح، فأفعال القلوب كالرجاء والخوف والمحبة، والجوارح كالصلاة والزكاة والحج ونحو ذلك، فهو إفراد الله تعالى بأفعال العبد، هذا التوحيد الفعلي.

النوع الثاني: التوحيد القولي الاعتقادي. سمي بذلك لاشتماله على أقوال القلوب وهو اعترافها واعتقادها وعلى أقوال اللسان، قول القلب: الاعتقاد وكذلك فعله، وقول اللسان وهو فعل اللسان، فقول اللسان يسمى فعلا {زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه} [الأنعام: 112]. يعني ما قالوه، فيطلق الفعل على القول ولا إشكال فيه. إذا التوحيد القولي الاعتقادي هذا ينقسم إلى نوعين:

توحيد الأسماء والصفات.

وتوحيد الربوبية.
التوحيد القولي وهذا مهم كتأصيل معنا، التوحيد القولي ومنه توحيد الأسماء والصفات ينقسم إلى قسمين:
الأول: النفي.
والثاني: الإثبات.." [1]

"الأولى: الذين قالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان. وهم مع كونهم مبتدعة في هذا القول فقد وافقوا أهل السنة على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم بالشفاعة كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وعلى أنه لا بد من الإيمان في الإيمان أن يتكلم به بلسانه، يعني أضافوا قول إلى الاعتقاد. حينئذ يكونوا أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان، وهذا ما نسب إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى في كونه جعل الأعمال شرط كمال في الإيمان، وليست بركن أو شرط صحة، على خلاف اللفظ في هذه المسألة، حينئذ هؤلاء وافقوا في كون من فعل معصية فإنه يفسق، وفي كون الإيمان يزيد وينقص، وبعضهم ينفي هذه المسألة، وفي كونه أنه قد يدخل ويعذب النار ويخرج بالشفاعة فأثبتوا الشفاعة، حينئذ الخلاف معهم في جزئية واحدة وهي أن الأعمال هي داخلة في مسمى الإيمان أو لا. قال: وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب، وقد أضيف هذا القول إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة كالإمام أبي حنيفة وشيخه ونحوهم.
أما الفرقة الثانية: فهم الذين قالوا: إن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب وإن لم يتكلم به، بمعنى أنه أخرج ماذا؟ أخرج الأعمال - وهذا لا شك فيه - أخرج أيضا القول فجعل التصديق الذي هو اعتقاد القلب أو فعل القلب **أو قول القلب -** اختلاف - حينئذ نقول: جعل التصديق كاف في وصف الإيمان لهذا الشخص، ولو لم يتكلم به. ولا شك في فساد هذا القول ومصادمته لأدلة الكتاب والسنة، فإن الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان. فإذا اختل واحد من هذه الأركان لم يكن الرجل مؤمنا بإجماع أهل السنة والجماعة، وعلى هذا أدلة الكتاب والسنة، ودرج على هذا السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين، وهذا له فصل خاص يأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.." [2]

"الإيمان في اللغة على ما اشتهر التصديق، المشهور عند من عرف الإيمان بأنه التصديق، قال الله سبحانه وتعالى: {وما أنت بمؤمن لنا} [يوسف: 17] أي: مصدق لنا {وما أنت بمؤمن لنا} أي مصدق لنا وهذا هو المشهور، فالتصديق المراد به قول القلب، التصديق إنما يكون بالقلب، وقد يكون بالأعمال كما سيأتي كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في محله بمعنى أن التصديق في اللغة يراد به في أصله تصديق القلب، فهو عمل

---
[1] () شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي 2/21
[2] () شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي 30/24

القلب، أو إن شئت قل قول القلب، وهل العمل يصدق أو لا؟ أكثر أهل اللغة على أن العمل لا يطلق عليه تصديق، وسيأتي أن الشرع أطلق عليه أنه تصديق.
قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى وهذا القول لا يصح، يعني: تفسير الإيمان في اللغة بأنه التصديق فقط لا يصح، بل الإيمان في اللغة الإقرار بالشيء عن تصديق به. بمعنى أن التصديق الذي يكون في القلب قد يثمر شيئا على اللسان والجوارح، وقد لا يثمر.
الثاني: هو الذي أطلق فقيل: الإيمان والتصديق، بمعنى أنه لا يلزم منه أن يكون ثم ثمرة تظهر على اللسان أو تظهر على الجوارح، بمعنى أنه لا تلازم بين التصديق وبين عمل الجوارح، هل هذا المعنى هو المعنى اللغوي، الشيخ رحمه الله تعالى يأبى ذلك ويقول: لا. وإنما هو الإقرار مع التصديق، بمعنى أن هذا التصديق لا بد وأن يستلزم شيئا ظاهرا، فإن لم يستلزم فلا عبرة بهذا التصديق بل لا يسمى تصديقا، وسيأتي أن هذا هو الحق إن شاء الله تعالى في محله.." [1]
"معنى قول السلف: (الإيمان قول وعمل)
ومعنى قول السلف: الإيمان قول وعمل، يعني: أن الإيمان مشتمل على هذه الحقيقة المركبة من القول والعمل، والقول يراد به: قول اللسان وقول القلب.
فأما قول القلب: فهو تصديقه بما أخبر الله به، وبما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم.
وأما قول اللسان: فهو يشمل قول لا إله إلا الله، والذكر، وقراءة القرآن، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، إلى آخر تلك العبادات المتعلقة باللسان.
وأما العمل: فإنه يشمل عمل القلب، وعمل الجوارح: فأما عمل القلب فهو خشية الله، محبة الله، الخوف من الله، التوكل على الله، الإنابة، التوحيد، الإخلاص، المراقبة، اليقين، القبول، الرضا، وهكذا سائر الأعمال القلبية التي تكون في القلب، فهذه تسمى: أعمال القلب.
وأما عمل الجوارح فهو يشمل الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وهكذا سائر الأعمال التي تكون بالبدن.
إذا: هذه هي حقيقة الإيمان، مركبة من القول والعمل، والقول **يشمل قول القلب وقول** اللسان، والعمل يشمل عمل القلب وعمل اللسان.
وإذا أردنا أن نقسم حقيقة الإيمان على الجوارح نجد أنها اشتملت على ثلاثة جوارح: على جارحة اللسان: قول اللسان.
وعلى جارحة **القلب: قول القلب وعمل** القلب.
وعلى بقية الجوارح عموما.

[1] () شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي 4/6

ولهذا عبر بعض السلف الصالح رضوان الله عليهم عن حقيقة الإيمان وعن تعريف الإيمان بأنه: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان. وعبر بعضهم فقال: هو قول وعمل ونية. وقال بعضهم: هو قول وعمل ونية واتباع للسنة. والحقيقة أن هذه العبارات ليست مختلفة اختلاف تضاد، وإنما هو اختلاف تنوع، وهو مثل إخبار الصادقين عن حادثة معينة رأوها جميعا، هذا يعبر بتعبير، وذاك يعتبر بتعبير آخر، والثالث يعبر بتعبير ثالث، لكنها جميعا تتفق في المعنى.

إذا: الإيمان حقيقة مركبة تشمل الدين كله، وتشمل الإسلام كله، وتشمل العبودية لله كلها، فلا يخرج من الدين شيء ليس من الإيمان، فكل ما شرعه الله سبحانه وتعالى مما يتعلق بالعبادات القولية أو القلبية أو التي تتعلق بالجوارح من الإيمان، ولهذا لما أراد السلف أن يعبروا عن الدين كله عبروا بأنشطة الإنسان، وهي متكونة من القول والعمل، فقالوا: قول وعمل.

وأصح وأدق تعريف من تعاريف السلف هو قولهم: الإيمان قول وعمل، وتفصيله على النحو السابق.

وقد يقول قائل: لماذا قالوا: قول وعمل ونية؟ ولماذا قالوا: قول وعمل ونية واتباع للسنة؟ نقول: الذين قالوا: إن الإيمان هو قول وعمل ونية؛ خشوا ألا يفهم من قولهم: (عمل) عمل القلب، ومن قولهم: (قول) قول القلب؛ لأن الذهن قد ينصرف عند سماع (قول) إلى اللسان، وعندما يقال (عمل) ينصرف لعمل الجوارح، فأرادوا التأكيد على عمل القلب، فقالوا: ونية، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية؛ فإن الأعمال إذا كانت على غير السنة فإنها لا تكون من الإيمان، أرأيتم البدع التي يبتدعها الناس هل هي من الإيمان؟ لا، ليست من الإيمان، مثل: الطواف حول القبور، والذبح لها، والذكر الجماعي، والاحتفالات البدعية، والأعياد المبتدعة ونحو ذلك، كل هذه الأعمال ليست من الإيمان في شيء، وليست من حقيقة الإيمان.." [1]

"أدلة شمول الإيمان لقول القلب

أولا: قول القلب -الذي هو تصديقه-: الدليل عليه هو قول الله عز وجل: {ولما يدخل الإيمان في قلوبكم} [الحجرات:14] ففي هذه الآية تحديد لمحل الإيمان.

ويقول الله عز وجل: {ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم} [الحجرات:7] فدل على أن هناك ارتباطا بين الإيمان وبين القلب، فقوله: ((وزينه في قلوبكم)) يعني: زين الإيمان في قلوبكم. وقال: {كتب في قلوبهم الإيمان} [المجادلة:22]. وقال عن المكره الذي ينطق بكلمة الكفر: {إلا من أكره وقلبه مطمئن

[1] () شرح العقيدة الواسطية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي 19/5

بالإيمان} [النحل:106].
ولو رجعنا إلى مادة (قلب) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لوجدنا أن كثيرا من الأعمال علقت بالقلب، مثل: {وجلت قلوبهم} [الأنفال:2] ونحو ذلك من الأعمال المتعلقة بالقلب، مما يدل على كثرة الأعمال القلبية التي فرضها الله عز وجل على العباد، هذا ما يتعلق بقول القلب.
إذا: من سقط عنده هذا الركن من أركان الإيمان هل يكون مسلما؟ لا يكون مسلما أبدا بإجماع المسلمين؛ لأن ضد قول القلب: التكذيب، ولا يكون مكذبا إلا المنافق، حتى المرجئة الذين قالوا: إن الإيمان هو التصديق القلبي فقط، قالوا: من **ترك قول القلب** -وهو التصديق القلبي- فهو كافر، وكذلك الخوارج، وكذلك أهل السنة قالوا: بأن من **ترك قول القلب** **فهو** منافق كافر خارج عن الإسلام.." [1]
"أدلة شمول الإيمان لعمل الجوارح
رابعا: عمل الجوارح: والدليل على أن عمل الجوارح من الإيمان: قول الله عز وجل: {وما كان الله ليضيع إيمانكم} [البقرة:143].
وورد في حديث الشعب أنه قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق -وهذا عمل- والحياء شعبة من الإيمان)، والله عز وجل يقول: {وما كان الله ليضيع إيمانكم} [البقرة:143] يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس؛ لأنهم صلوا في البداية إلى بيت المقدس، ثم حولت القبلة، وتحدث بعض الناس عن أن الصلوات التي صلوها لبيت المقدس باطلة، فأنزل الله عز وجل قوله: {وما كان الله ليضيع إيمانكم} [البقرة:143] فسمى الصلاة: إيمانا، والصلاة عمل من أعمال الجوارح.
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الطهور شطر الإيمان) رواه مسلم.
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن).
وهذا يدل على أن ترك الزنا من الإيمان، والترك من العمل، كما قال الله عز وجل: {كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون} [المائدة:79]، فعبر عن ترك التناهي بالفعل، قال: ((كانوا لا يتناهون)) يعني: يتركون التناهي، ((كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)) يعني: لبئس ما كانوا يفعلونه من ترك التناهي، فسمى ترك التناهي فعلا، فترك الزنا فعل وعمل أدخل في الإيمان، قال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) إذا: من ترك الزنا صار مؤمنا، وهكذا أحاديث كثيرة تدل على أن من ترك الكبائر فهو مؤمن.
وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا إيمان لمن لا أمانة له).
وقوله: (من غشنا فليس منا).
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (حسن العهد من الإيمان) كما رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الإيمان.

[1] شرح العقيدة الواسطية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي 19/6

إذا: الإيمان حقيقة مركبة من القول والعمل، والقول: يشتمل **على قول القلب وهو**: تصديقه، وقول اللسان: وهو النطق بالشهادتين، وما يتبع ذلك من قراءة القرآن والذكر ونحو ذلك، والعمل يشتمل على عمل القلب، وهو خشية الله، والتوكل على الله، ومحبة الله، والرجاء لله عز وجل ونحو ذلك، وأيضا: عمل الجوارح، مثل: الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة.." [1]

"مراد أهل السنة بالقول والعمل

قال رحمه الله تعالى: [ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل، وأعني بالقول: التصديق بالقلب والإقرار باللسان، وهذا الذي يعنى به عند إطلاق قولهم: الإيمان قول وعمل].

هذا أيضا من الكلام المجمل الملتبس، فكلامه هذا فيه إجمال وفيه نظر من ناحية أخرى، فقوله: التصديق بالقلب والإقرار باللسان هو معنى أن الإيمان قول وعمل ليس بصحيح.

فالقول بأن التصديق بالقلب والإقرار باللسان يخالف ويناقض قول السلف بأن الإيمان قول وعمل؛ لأن السلف فسروا قولهم، وتفسيرهم لهذه الكلمة متواتر، وهو أنهم يقصدون بـ (قول **وعمل) قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح.

إذا: فكلمة (قول وعمل) ليست مرادفة للإقرار بالقلب والقول باللسان، بل تزيد عليها قطعا؛ لأن السلف اتفقوا على أن المقصود بقولهم: (قول وعمل) جميع الأمور الثلاثة: التصديق والإقرار باللسان والعمل بالأركان، لذلك لما خاضوا مع المرجئة في هذه المسألة فصلوا، فلما اضطر السلف للتفصيل فصلوا، وقالوا: الإيمان هو تصديق الجنان وقول اللسان وعمل الأركان، وهو تفسير لكلمة (قول وعمل).

وقوله: [لا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل] هذا صحيح، لكن تفسيره بأن القول التصديق بالقلب والإقرار باللسان فقط، فيه نوع من الالتباس؛ لأنه قال: [وهذا الذي يعنى به عند إطلاق قولهم: قول وعمل]، فليته شرح معنى (وعمل) وجعلها في أصل الشرح السابق، من أجل أن يزول اللبس، ومع ذلك يبقى لسلامة العبارات محمل لو لم يكن هناك نوع من التكلف في عرض قول المرجئة في هذا المقطع كله، فلو لم يكن هناك التباس في الكلام في أوله وآخره لقلنا: إن هذا الكلام يمكن أن يحمل على أحسن المحامل، فيبقى سليما في الجملة، لكن إذا نظرنا إلى مجمل القول قبل صفحات وفي الصفحات التالية؛ وجدنا أن هذا القول ملبس ولا بد من بيانه وشرح معنى جملة (قول وعمل)، فهي ليست مرادفة للتصديق والإقرار فقط، وإن كان القول فعلا يرادف التصديق والإقرار، لكن العمل أمر لا بد من الإشارة إليه هنا، وأنه يعني الأمور الثلاثة، والله أعلم.

قال رحمه الله تعالى: [لكن هذا المطلوب من العباد هل يشمله اسم

---
[1] () شرح العقيدة الواسطية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي 19/9

الإيمان أم الإيمان أحدهما، وهو القول وحده، والعمل مغاير له لا يشمله اسم الإيمان عند إفراده بالذكر، وإن أطلق عليهما كان مجازا؟ هذا محل النزاع.

وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه، وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاص لله ورسوله].

يقصد أن أهل السنة والمرجئة أجمعوا، فكأنه يريد أن يجمع بينهم هنا ليوفق بين المذهبين.

قال رحمه الله تعالى: [وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه، وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاص لله ورسوله مستحق للوعيد، لكن فيمن يقول: إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان من قال: لما كان الإيمان شيئا واحدا فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما! بل قال: كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبرائيل وميكائيل عليهم السلام! وهذا غلو منه؛ فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولا شك أن البصراء يختلفون في قوة البصر وضعفه، فمنهم الأخفش والأعشى، ومنهم من يرى الخط الثخين دون الدقيق إلا بزجاجة ونحوها].

ويعني هنا طائفة من المرجئة.

وقوله: (قد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه، وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاص لله ورسوله مستحق للوعيد) هذا فعلا قول لأهل السنة والمرجئة جميعا.

لكن قوله: (لكن فيمن يقول: إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان من قال) يقصد أن هناك طائفة من المرجئة توافق أهل السنة في ظاهر القول، لكن عند التفصيل يخالفون، فهذا قول بعض المرجئة، كما أنه رد من معتدلة المرجئة -وهم مرجئة الفقهاء- على الجهمية، فعبارة: (لما كان الإيمان شيئا واحدا فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق) هي قول طائفة من المرجئة، وليس كلهم، وتوافق قول بعض الجهمية.." [1]

"شرح العقيدة الطحاوية [72]

الإيمان قول وعمل، والقول **يشمل قول القلب أي**: تصديقه واعتقاده، وقول اللسان وتكليمه، والعمل يشمل عمل القلب من الخوف والخشية والرجاء والتوكل والحب والبغض، وعمل الجوارح وهو فعل الطاعات وترك المعاصي والمنكرات، كما أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والسيئات، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة والآثار السلفية الواردة في ذلك.." [2]

"رد أهل السنة على المرجئة في احتجاجهم بزوال الإيمان المركب بزوال جزئه

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وقالوا أيضا: وهنا أصل آخر، وهو أن القول

1() شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل 70/11

2() شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل 72/1

قسمان: قول القلب وهو الاعتقـاد، وقـول اللسـان وهـو التكلم بكلمـة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصـه، وعمـل الجـوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصـديق القلب لم تنفـع بقية الأجزاء؛ فإن تصديق القلب شرط في اعتبارها وكونها نافعـة، وإذا بقي تصـــديق القلب وزال البـــاقي فهـــذا موضـــع المعركـــة!!.

ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عـدم طاعـة القلب، إذ لـو أطـاع القلب وانقـاد لأطـاعت الجـوارح وانقـادت، ويلـزم من عـدم طاعـة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، قال صلى الله عليـه وسـلم: (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسـدت فسـد لهـا سائر الجسد، ألا وهي القلب)، فمن صلح قلبـه صـلح جسـده قطعـا، بخلاف العكس، وأمـا كونـه يلـزم من زوال جزئـه زوال كلـه فـإن أريـد أن الهيئـة الاجتماعيـة لم تبـق مجتمعـة كمـا كـانت فمسـلم، ولكن لا يلـزم من زوال بعضـــها زوال ســـائر الأجـــزاء، فـــيزول عنـــه الكمـــال فقـــط].

يقصد بذلك أن الذين قالوا: إن الإيمان يزول بـزوال جزئـه، وهم طائفـة من الذين قالوا: لا يزيد ولا ينقص، هذا من جانب، ومن جانب آخر أيضا هو قـول المعتزلة والخوارج، ليس فقط قول طوائـف بعض المرجئـة، فالـذين قـالوا: إن كونـه يلـزم من زوال جزئـه زوالـه كلـه هم بعض المرجئـة، وهم أيضـا الخوارج والمعتزلـة، والخـوارج والمعتزلـة هم عكس المرجئـة في كثـير من الأمـــور، ومـــع ذلـــك يلتقـــون في بعض المســـتلزمات وبعض الأقـــوال.

وهو هنا يريد أن يرد على الذين قالوا: إن الإيمان يـزول بـزوال جزئـه، وإنـه إذا زال جزء منه زال كله، يريد أن يـرد عليهم بـأن هـذا الكلام كلام مجمـل، يقـول: إذا قلتم: إن الإيمـان يـزول كلـه بـزوال شـيء منـه؛ فهـذا لا يصـح. وقوله: [فإن أريد أن الهيئة الاجتماعية] يقصد كل أفراد الإيمان، فهو يقـول: إنه لا يصح أن الإيمان يزول كله بزوال الجـزء، أمـا إذا أرادوا أن الإيمـان إذا زال شـيء منـه لم يبـق مجتمعـا فهـذا صـحيح، فنحن نعـرف أن الإيمـان بمجموعه إذا زال جزء منـه لم يبـق سـليما في الجملـة، فيختـل شـيء منـه بقـدر خلـل هـذا العمـل، ولا يبقى كـاملا أيضـا، فإنـه ينقص بقـدر نقص هـذا العمل، لكن لا يصح أن نقول: إنه إذا اختل منه شـيء أو زال جـزؤه أو ذهب بعضه فقد ذهب مسمى الإيمان عن المؤمن أو زال كله، بمعنى أنه لا ينعدم بزوال جزء منه، بل يبقى أصله حتى ولو كـثر النقص فيـه، فلـو افترضـنا أن النقص في أكـــثر أجـــزاء الإيمـــان فإنـــه يبقى أصـــله، هـــذا جـــانب.

والجانب الآخر: أننا لو افترضنا أن النقص جاء من شـيء عظيم في الـدين -كارتكاب بعض الكبائر- فإنه مع ذلك قد يختل خللا عظيما، لكن يبقى أصـله، وقد يرتفع معنى الإيمان عن المسلم في لحظة ما، لكنـه مـع ذلـك لا ينفـك عنه مسمى الإسلام ولا مسمى الإيمان، إنما قد يرتفع في تلك اللحظة التي حدث للمسلم فيها عـارض، كـأن يشـك في شـيء من الـدين أو يضـطرب اعتقـاده أو يحصـل لـه شـيء من النزغـات العظيمـة الـتي تسـتوجب زوال

الإيمان في لحظة ما، لكنه لا يلبث أن يعود، بل ربما يرتكب من الكبائر والفواحش العظام ما يمكن أن نقول: إنه بذلك لم يكن مؤمنا في تلك اللحظة التي حصل منه فيها ذلك الفعل، بمعنى أنه لا يستحق أن يكون ممن وفى بالإيمان، لكن يبقى أصل الإيمان ثابتا.
فعلى هذا فإن قول الذين يقولون: إن الإيمان يزول كله بزوال جزئه لا يصح، وإذا كان قصدهم أنه يزول كماله فنعم، لكن هذا لا يسمى زوالا، بل يسمى نقصا، ويسمى تقصيرا، ويسمى خللا، ويسمى عدم كمال إلى آخر ذلك من الألفاظ التي يعبر بها أهل العلم، والآن سيبدأ في الاستدلال على تقرير زيادة الإيمان أو نقصانه.." [1]

"القلب أصل الإيمان والأعمال

قال الشارح رحمه الله: [وقال رحمه الله: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب، والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وفي الأصل هو من باب العمل عمل القلب والجوارح، وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب. انتهى].
قول القلب وعمل القلب: هو عبارة عن الأمور التي تكون في القلب من العلم والخشوع والخشية والخوف الرجاء والإنابة والاستسلام والانقياد. فهذه هي أعمال القلب، ثم تنبعث هذه على الجوارح، ويأتي العمل تبعا للقلب؛ فلهذا قال: (الأصل في القلب) يعني: أصل الإيمان في القلب. بل أصل الأعمال كلها في القلب؛ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما الأعمال بالنيات) والنية هي: عمل القلب.." [2]

"إجماع أهل السنة على أن الإيمان يزيد وينقص

قال الشارح رحمه الله: [قوله: {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا} [الأنفال:2]: استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه.
قال عمير بن حبيب الصحابي: إن الإيمان يزيد وينقص، فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه.
رواه ابن سعد].
يعني: أن الإيمان يزيد بالعمل، ولهذا قال أهل السنة في تعريف الإيمان: هو قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فجعلوا الزيادة والنقص من تمام التعريف؛ لأن أهل البدع، -مثل المعتزلة والخوارج- وإن وافقوا أهل السنة أول التعريف، إلا أنهم خالفوهم فيما يتعلق بالزيادة

[1] () شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل 72/2
[2] () شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان 26/7

والنقصان، فالإيمان عند الخوارج والمعتزلة هو فعل الطاعات وعقيدة القلب -يعني: تصديقه- وكذلك عمل الأركان: القول والعمل، فلو كان يأتي بجميع الواجبات مصدقا عاملا بها ثم ترك واجبا فإنه يكون خارجا من الإيمان عند الخوارج وعند المعتزلة، إلا أنه عند الخوارج يصير كافرا وعند المعتزلة يبقى في منزلة بين الكفر والإيمان، فلا يكون كافرا ولا مؤمنا، وإنما يكون قد خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر! وهذه من بدعهم التي انفردوا بها، ولم يقل بها أحد غيرهم.

ثم إنهم وافقوا الخوارج في حكم الآخرة وقالوا: إذا مات على ذلك صار في النار، أما أهل السنة فزادوا في تعريفهم للإيمان: قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقولهم: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، من تمام التعريف وهو لمخالفة المبتدعة، أما غيرهم من أهل البدع فيجعلونه: قولا، وبعضهم يجعله تصديقا، وجعله قولا هذا من أغرب ما يكون؛ لأنه يلزم منه أن الإنسان إذا قال بلسانه فهو مؤمن وإن كان كافرا بقلبه.

وعلى كل حال فكل من خالف ما جاء في كتاب الله وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلابد أن يقع في الأخطاء الفضيعة الواضحة.

قال الشارح رحمه الله: [وقال مجاهد: الإيمان يزيد وينقص وهو قول وعمل.

رواه ابن أبي حاتم].

يدخل في القول: قول اللسان وقول القلب مثل الخوف والخشية والوجل والإنابة والمحبة والرضا هذا كله من قول القلب؛ لأن القول ينقسم إلى قسمين عند أهل السنة: قول يكون باللسان، وقول يكون بالقلب وهو: عقيدته وعمله.

قال الشارح رحمه الله: [وحكى الإجماع على ذلك الشافعي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم رحمهم الله تعالى.

وقوله: {وعلى ربهم يتوكلون} [الأنفال:2]، أي: يعتمدون عليه بقلوبهم، مفوضين إليه أمورهم فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده والمعبود وحده لا شريك له.

وفي الآية وصف المؤمنين حقا بثلاثة مقامات من مقامات الإحسان وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده].

بل خمس مقامات؛ لأن تمام الآية: {الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون} [الأنفال:3]، فهي خمس مقامات واضحة.

قال الشارح رحمه الله: وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان وحصول أعماله الباطنة والظاهرة، مثال ذلك: الصلاة، فمن أقام الصلاة وحافظ عليها وأدى الزكاة كما أمره الله استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من

الواجبات، وترك جميع المحرمات كما قال تعالى: {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر} [العنكبوت:45]].." [1]

"الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ومن مذهب أهل الحديث: أن الإيمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان؟ فقال: حدثنا الحسن بن موسى الأشيب قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا أبو جعفر القطني عن أبيه عن جده عن عمير بن حبيب قال: الإيمان يزيد وينقص فقيل: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحناه فتلك زيادته وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه].

فمن مذهب أهل الحديث وأهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وعقيدة الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء: أن الإيمان قول باللسان يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، ويذكر الله، ويقرأ القرآن، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الله، كل هذا من الإيمان.

وتصديق بالقلب أي: فأعمال القلوب داخلة في مسمى الإيمان مثل النية، والإخلاص، والرغبة، والرهبة، والمحبة، والخشية، وأعمال الجوارح: مثل الصلاة والصيام والزكاة والحج.

كل هذه داخلة في مسمى الإيمان، فالإيمان مكون من أربعة أشياء: الأمر الأول: قول اللسان وهو الإقرار والنطق.

والثاني: قول القلب وهو التصديق والإقرار.

والثالث: عمل القلب وهو النية والإخلاص.

والرابع: عمل الجوارح، ولهذا قال المؤلف رحمه الله: ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة، قول: قول اللسان وقول القلب، عمل القلب وعمل اللسان، والمعرفة هي تصديق القلب.

وقوله: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

إذا فعل الإنسان الطاعات زاد الإيمان، وإذا فعل المعاصي نقص، ولهذا قال بعضهم: الإيمان قول وعمل، وبعضهم يقول: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، أي: بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ومن العلماء من قال: قول وعمل ونية، فالإيمان قول وعمل، والقول **شيئان: قول القلب وقول** اللسان، والعمل شيئان: عمل القلب، وعمل الجوارح، وهذا هو قول أهل السنة قاطبة خلافا للمرجئة، الذين يقولون: الإيمان تصديق القلب فقط، وهم أربع طوائف: الطائفة الأولى: المرجئة الجهمية، وهم المرجئة المحضة ويقولون: الإيمان مجرد معرفة

[1] شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان 90/11

الرب بالقلب، والكفر جهل الرب بالقلب، فمن عرف ربه بقلبه فهو مــؤمن، ومن جهل ربه بقلبه فهو كافر، وهذا قول الجهم بن صفوان، وأفسد ما قيـل في تعريف الإيمان هو تعريف الجهم، وعلى قول الجهم يكون إبليس مؤمنا؛ لأنه يعرف ربـه بقلبـه، يكـون اليهـود مؤمـنين لأنهم يعرفـون ربهم بقلـوبهم، ويكـون أبـو طـالب عم الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم الـذي مـات على الشرك مؤمنا؛ لأنه يعرف ربه بقلبه، قال: ولقـد علمت بـأن دين محمـد من خير أديان البرية دينا الطائفة الثانية: الكرامية الذين يقولون: الإيمان الإقرار باللسان فقط، فعند الكرامية من نطق بالشهادتين بلسانه فهـو مـؤمن، وإن كان مكذبا بقلبه يكون مخلدا في النار، فيلزم على قولهم: أن المؤمن كامل الإيمــــان يخلـــــد في النـــــار، وهـــــذا من أفســـــد مـــــا قيـــــل.

الطائفة الثالثة من المرجئة: الماتريدية والأشاعرة يقولون: الإيمـان تصـديق القلب فقـــــط، وهـــــو روايـــــة عن الإمـــــام أبي حنيفـــــة.

الطائفة الرابعة: مرجئـة الفقهـاء وهم أبـو حنيفـة وأصـحابه الـذين يقولـون: الإيمان شيئان: إقرار اللسان، وتصديق القلب، أما الأعمـال فليسـت داخلـة في مسـمى الإيمـان وإن كـانت واجبـة لكن ليسـت من الإيمـان، فالصـلاة، والصـوم والزكـاة، والحج، بـر وتقـوى وهي مطلوبـة، والفـرق بينهم وبين الجهمية، أن الجهمية يقولون: ليست مطلوبة، وهؤلاء يقولون: مطلوبة، وأما أهل السنة والجماعة وهو مذهب الأئمة الثلاثة: مالك والشافعي وأحمد وهـو الذي عليه الصحابة والتـابعون والأئمـة: أن الإيمـان قـول باللسـان وتصـديق بالقلب وعمل بالجوارح، ومرجئة الفقهاء أبـو حنيفـة وأصـحابه يقولـون: من ارتكب الكبيرة عليه الوعيد ويقام عليه الحد، ومن فعل الطاعات يمدح ولـه الثواب لكن لا يسميها إيمان، أما الجهمية الأولى: فيقولون: الأعمـال ليسـت مطلوبة، فلو فعل الإنسان جميع الكبائر والمنكرات لا يكفر إلا إذا جهل ربــه بقلبـــــــه، وهـــــــذا من أبطـــــــل الباطـــــــل.

وعلى هذا فيكون المرجئة أربـع طوائـف: الجهميـة، والكراميـة، والماتريديـة والأشاعرة، ومرجئة الفقهاء، وجماهير أهـل السـنة على أن الأعمـال داخلـة في مسـمى الإيمـان، وقـد نقـل المؤلـف رحمـه اللـه عن الإمـام أحمـد: أن الإيمـان يزيـد وينقص، يزيـد إذا فعـل الإنسـان الطاعـات وينقص إذا فعـل المعصية، أما المرجئة فيقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فهو شـيء واحـد بالقلب، وإيمان أهل الأرض وإيمان أهل السـماء واحـد وهـو التصـديق، فمن صدق بقلبه فهو مؤمن، ولا يزيد إيمانـه ولا ينقص، وهـذا من أبطـل الباطـل، بل إن الإيمان يزيـد وينقص فـإذا فعـل الإنسـان الطاعـات زاد الإيمـان، وإذا فعل المعاصي نقص، ولهذا نقل المؤلـف رحمـه اللـه عن الإمـام أحمـد إلى قوله عن عمير بن حبيب قال: الإيمان يزيـد وينقص، قيـل: ومـا زيادتـه ومـا نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحناه زاد الإيمان فتلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه، ولهـذا كـان يقـول بعض السـلف: اجلس بنـــا نـــؤمن ســـاعة يعـــني: يزيـــد إيماننـــا فيجلســـون يـــذكرون اللـــه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [أخبرنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المزكى قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو عمرو الحيري قال: حدثنا محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن إدريس المكي وأحمد بن شداد الترمذي قالوا: حدثنا الحميدي قال: حدثنا يحيى بن سليم سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان فقالوا: قول وعمل سألت هشام بن حسان؟ فقال: قول وعمل، وسألت ابن جريج فقال: قول وعمل، وسألت سفيان الثوري فقال: قول وعمل، وسألت المثنى بن الصباح فقال: قول وعمل، وسألت محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فقال: قول وعمل، وسألت محمد بن مسلم الطائفي فقال: قول وعمل، وسألت فضيل بن عياض فقال: قول وعمل، وسألت نافع بن عمر الجمحي فقال: قول وعمل].

وهذا كله يدل على أن الإيمان قول وعمل وهو الذي عليه جماهير أهل السنة والجماعة يقول: خلافا للمرجئة الذين يقولون: العمل ليس من الإيمان.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأخبرنا أبو الكيري قال: حدثنا محمد ومحمد بن إدريس وسمعت الحميدي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد، تقول ينقص فقال: اسكت يا صبي بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء].

وهذا يؤيد مذهب أهل السنة والجماعة وكنية سفيان هي أبو محمد فالإيمان ينقص ولكنه لا ينتهي على الصحيح إلا إذا وجد الكفر الأكبر، أو النفاق الأكبر، أو الشرك الأكبر، لكن المعاصي تضعفه ولهذا جاء في الحديث (أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان)، ولا ينتهي الإيمان بالمعاصي أبدا ولو كثرت.

فإذا جاء الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر أو النفاق الأكبر انتهى الإيمان، فلا يجتمع كفر وإيمان بل إذا جاء الكفر الأكبر ذهب الإيمان، وإذا جاء الإيمان ذهب الكفر، لكن المعاصي يكون معها إيمان، فإذا كثرت أضعفت الإيمان حتى لا يبقى إلا أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال الوليد بن مسلم سمعت الأوزاعي ومالكا وسعيد بن عبد العزيز ينكرون على من يقول: إقرار بلا عمل، ويقولون: لا إيمان إلا بعمل].

وقول: أبي محمد أسكت بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء فيه نظر، والصواب أنه لا بد أن يبقى منه شيء، ويكون لا يبقى منه شيء بالنسبة للكافر، لأن الكافر ينتهي الإيمان منه، أما العاصي فلابد أن يبقى من إيمانه شيء وفيه قول: الوليد بن مسلم أنه سمع الأوزاعي ومالكا وسعيد ينكرون على من يقول: إقرار بلا عمل، أي: أنهم ينكرون على المرجئة، لأنهم يقولون: الإيمان إقرار بلا عمل، وهذا ليس بصحيح، ولهذا قال نقلا عن هؤلاء الأئمة: لا إيمان إلا بعمل.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قلت: فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فإنه أكمل إيمانا ممن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة].
قوله: قلت: يعني: الإمام الصابوني فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فإنه أكثر إيمانا، ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة فإيمانه ناقص هذا صحيح، كلما كثرت الطاعات والحسنات زاد الإيمان، وإذا قلت الطاعات وكثرت المعاصي والغفلة والإعراض نقص الإيمان وهذا قول أهل السنة.
قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن باكريه الجلاد يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول: قال لي عبد الله بن طاهر: يا أحمد إنكم تبغضون هؤلاء القوم جهلا، وأنا أبغضهم عن معرفة.
إن أول أمرهم أنهم لا يرون للسلطان طاعة.
والثاني: أنه ليس للإيمان عندهم قدر.
والله لا أستجيز أن أقول إيماني كإيمان يحيى بن يحيى ولا كإيمان أحمد ب." [1]
"الأول من النوعين توحيد العلم، ويسمى التوحيد الخبري، وسمي به علمي خبري، إذا لا يتعلق بالعمل، إنما يتعلق بماذا؟ بالعلم، ومحل العلم القلب، وكذلك الخبر محله من حيث التصديق والتكذيب القلب، ولذلك لا علاقة للعمل به، وسمي به لأن مداره على الإيمان بما أخبر الله به عن ذاته وأسمائه وصفاته وهو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات من قبل المخبر المقابل بالتكذيب والتصديق من قبل المخاطب، يعني المخبر وهو الله تعالى، والنبي - صلى الله عليه وسلم - إما أن يثبت وإما أن ينفي، أليس كذلك؟ باب الأسماء والصفات وأفعاله جل وعلا إما إثبات وإما نفي، {الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم} [البقرة: 255] إذا أثبت ونفى، هذا من جهة من؟ من جهة المتكلم والمخبر، إذا أثبت وصفا لنفسه فأنت أيها المخاطب إما أن تصدق وإما أن تكذب، ولذلك قلنا: كل محرف مكذب؟ يؤيد هذا الذي معنا، حينئذ نقول: المخاطب إذا قيل له الله تعالى موصوف بالحياة الحي، موصوف بالقيومية، القيوم إما أن تقول: نعم هذا حق. وإما أن تقول: هذا باطل. إذا إما أن تصدق وإما أن تكذب، ولذلك قالوا: من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات من قبل المخبر المقابل بالتكذيب والتصديق من قبل المخاطب، وهذا النوع هو المسمى بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وهما التوحيد المعرفة والإثبات، لأنه قائم على إثبات الألفاظ وما دلت عليه تلك الألفاظ من معاني فقط تثبت وتعتقد.
الثاني: التوحيد العملي، مبناه على العمل، التوحيد العملي الطلبي القصدي

[1] () شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث - الراجحي، عبد العزيز الراجحي 9/8

الإرادي، وهو المسمى بتوحيد الألوهية، ويسمى التوحيد الفعلي لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح، التوحيد الفعلي، لماذا؟ لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح، **إذا قول القلب وعمل** القلب وعمل الجوارح داخلة في مسمى التوحيد، توحيد الألوهية، حينئذ كما مر معنا في آخر ((كشف الشبهات)) أن أعمال الجوارح داخلة في مسمى التوحيد، بل هي ركن من أركان التوحيد، ولذلك نقول: إفراد الله تعالى بالعبادة، والعبادة معلوم أنها تكون بالقلب، وتكون باللسان، وتكون بالجوارح، إذا دخلت في حد التوحيد إفراد الله تعالى بالعبادة، والعبادة منها ما هو قلبي، ومنها ما هو لساني، ومنها ما هو بالجوارح والأركان كالركوع والسجود، وما كان قلبيا قد يكون قوليا وقد يكون عمليا، قوليا كالتصديق مثلا، وعمليا كالخوف والرجاء والمحبة ونحو ذلك.." [1]

"قال: (وكان عاملا بمقتضاها)، (وكان) ولا يزال مستمرا فكان هنا منزوعة الزمن، وكان ذلك القائل لها المعتقد لمعناها مع ذلك الاعتقاد (عاملا بمقتضاها)، المقتضى هو الذي دل عليه اللفظ، عندنا مقتضي ومقتضى، المقتضي هو الاعتقاد الصحيح لمعنى لا إله إلا الله، والمقتضى هو العمل الذي ترتب على ذلك الاعتقاد، (وكان عاملا بمقتضاها) على وفق ما علمه منها وتيقنه، فإن ثمرت العلم العمل به فجمع بين الاعتقاد والعمل (في القول) **أي قول القلب واللسان**، (والفعل) أي عمل القلب واللسان والجوارح، فلا يكفي الاعتقاد، ولا يكفي القول باللسان، بل لا بد من هذه الثلاثة الأمور. قال الله عز وجل {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} ... [الصف: 2، 3]. قال (ومات مؤمنا) إذا لا بد من العلم بالمعنى، ولا بد من العمل بالمقتضى، ثم لا بد من شرط الموافاة أن يموت مؤمنا، ... (ومات مؤمنا) أي على ذلك وهذا شرط لا بد منه فإنما الأعمال بالخواتيم قال - صلى الله عليه وسلم -: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على إلا دخل الجنة». فلا بد من الموت على التوحيد الحديث في الصحيحين عن أبي ذر بطوله. قال: (يبعث يوم الحشر ناج آمنا)، (يبعث يوم الحشر) يعني يوم الجمع (ناج) هذه حال من فاعل أو نائب فاعل (يبعث) لكن المصنف هنا ما نصبه بناء على أن بعض العرب ينطق بالمنقوص كالمرفوع والمجرور، والأصل ناجيا هذا الأصل فيه، لأن الفتحة تظهر فهو حال والأصل ناجيا، ومن العرب من يعامل المنقوص في حالة النصب كحالتي الرفع والجر حينئذ تقدر فيه الفتحة على الياء كما في قول الشاعر:

ولو أن واش باليمامة داره." [2]

"واش اسم إن، وحقه واشيا، ولكن قدر الفتحة وحذفت الياء للتنوين فقيل ماذا؟ واش. وقيل: هل هو ضرورة أو أنه جائز في ساعة الكلام؟

---

[1] شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي 15/22

[2] شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي 16/26

محل خلاف، (ناج) من النار (آمنا) اسم فاعل أمن، والأمن هو طمأنينة النفس وزوال الخوف. (آمنا) من فزع يوم القيامة كما قال تعالى: {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون * لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون * لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون} [الأنبياء: 101ـ 103]. وقال تعالى: {من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون} [النمل: 89]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أو قال: وقد علم بالاضطرار من دين الرسول - صلى الله عليه وسلم - واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام، وأول الإسلام، وأول ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلما والعدو وليا، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال، ثم إن كان ذلك من قلبه، فقد دخل في الإيمان، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان، وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين باطنا وظاهرا عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير العلماء.

وقال في ((فتح المجيد)): قوله: من شهد أن لا إله إلا الله، أي من تكلم بها عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا كما قال تعالى: ... {فاعلم أنه لا إله إلا الله} [محمد: 19]، وقوله سبحانه: {إلا من شهد بالحق وهم يعلمون} [الزخرف: 86]. أما النطق بها من غير معرفة بمعناها ولا يقين ولا عمل بما يقتضيه من نفي الشرك وإخلاص القول **والعمل قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع فلا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين، بل لا بد من استيقان القلب والعمل بالجوارح كما هو مقرر في باب الإيمان، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.." [1]

"علاقة العبادة بالإيمان

ما هي العلاقة بين العبادة والإيمان؟ الإيمان يعرفه أهل السنة بأنه قول وعمل، والمراد **بالقول قول القلب وقول** اللسان، وقول القلب هو تصديقه، وقول اللسان هو النطق بالشهادتين، والذكر، وقراءة القرآن، والدعوة إلى الله، ونحو ذلك.

وأما العمل فيشمل عمل القلب وعمل الجوارح، فما هو عمل القلب؟ إن عمل القلب هو الخشية، والخوف، والإنابة، والرجاء، والمحبة، والتوكل، وغير ذلك من أنواع العبادات القلبية.

وأما عمل الجوارح فهي الأعمال التي يباشرها الإنسان بجوارحه، مثل الجهاد في سبيل الله، والحج، والدعوة، والصلاة والزكاة والصيام ونحو ذلك، فهذه أعمال بالجوارح.

فهذا هو تعريف الإيمان عند السلف الصالح رضوان الله عليهم، وإذا قارنا

[1] () شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي 16/27

بين العبادة وبين الإيمان نجد أن العبادة هي الإيمان تماما، فالعبادة هي حقيقة الإيمان، فإن العبادة -كما سبق- معناها الذل والخضوع والمحبة لله تعالى، والذل والخضوع والمحبة لله تعالى هي أعمال القلب في تعريف الإيمان.

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب).

فإذا قارنت بين العبادة والإيمان تجد أن العبادة هي نفسها عمل القلب في الإيمان، فعمل القلب: الخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والمحبة، ونحو ذلك، فهذه هي عبادات، وهي في نفس الوقت إيمان.

وكذلك أعمال الجوارح، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، وكذلك قول اللسان كصدق الحديث، فهذه كلها عبادات، وهي في نفس الوقت إيمان، وهذا الإيمان إما متعلق باللسان، وإما متعلق بالجوارح، وإما متعلق بالقلب.

ومن هنا نلحظ العلاقة القوية بين العبادة من جهة، وبين الإيمان من جهة أخرى، فإذا تصورنا إنسانا لا يعبد الله عز وجل، فهل يكون مؤمنا؟ إنه لا يكون مؤمنا أبدا؛ لأن العبادة والإيمان بمعنى واحد.." [1]

"حكم القول بأن العمل شرط كمال في الإيمان

Q يقول بعض الدعاة في تعريف الإيمان: إنه قول وعمل واعتقاد, وجعل العمل في الإيمان شرط كمال لا شرط صحة, ونسب القول بأن العمل شرط صحة إلى المعتزلة.

A لاشك في أن هذا القول قول غير صحيح وقول غير سديد؛ فالإيمان كما هو معلوم قول وعمل, يزيد وينقص.

ومعنى (قول)**أي: قول القلب وهو** تصديقه, وقول اللسان، وأما العمل فهو عمل القلب، كالخشية والخوف والإرادة والتوكل على الله عز وجل، وعمل الجوارح.

والقول بأن العمل عموما شرط كمال قول باطل, وقد تحدثت في دورة علمية في متن العقيدة الطحاوية عن الإيمان, وفصلت القول في مسألة العمل ومنزلته وأهميته, وذلك بسبب أن كثيرا من الناس يخلط في موضوع منزلة العمل ومكانته، ونقلت كلام السلف في هذا.

وكثير ممن ينتسب إلى منهج أهل السنة يخلط خلطا كبيرا, ويقول: إن العمل شرط كمال, وأكثر هؤلاء متناقضون، فبعضهم يقول: العمل شرط كمال, فإذا قلت له: هل محبة الله شرط كمال، بمعنى أنه لو تركها لا يكون كافرا؟ لم يقل بذلك؛ لأن محبة الله معروف عنها أنها من أصل الإيمان, وهكذا الخوف من الله من أصل الإيمان, وهكذا الأعمال عموما التي هي جنس الأعمال هي من أصل الإيمان, وليس من كماله الواجب.." [2]

[1] () شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي 14/12
[2] () شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي 17/13

"الإيمـــــــــــان قـــــــــــول وعمـــــــــــل واعتقـــــــــــاد
أجمع أهل السنة والجماعة على أن الإيمان قول وعمـل، وكونـه قـولا وعملا مما اتفـق عليـه أهـل السنة ودل عليـه القـرآن الكـريم والسـنة النبويـة. فمن القرآن قول الله عز وجل: {وما كـان اللـه ليضـيع إيمـانكم} [البقـرة: 143]، وقد نزلت هذه الآية للصحابة الذين كانوا يصلون في بداية الأمـر إلى بيت المقدس، ثم أمرهم الله سـبحانه وتعـالى بالتوجـه إلى الـبيت الحـرام، فظن بعض الصحابة أن ما فات من صلاتهم إلى بيت المقدس غـير مقبـول، فأنزل الله عز وجل قوله وتعالى: {وما كان الله ليضـيع إيمـانكم} [البقـرة: 143] والمقصود بقوله: (إيمانكم) صلاتكم، وهذا يدل على أن الصلاة إيمان، ويدل على أن العمل من الإيمان، وقد بـوب البخـاري رحمـه اللـه في كتابـه الصحيح في كتاب الإيمان: باب من قال: إن الإيمان هـو العمـل، وذكـر فيـه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (سئل النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور)، وهذا الحديث واضح الدلالـة في تسمية الإيمـان باللـه ورسـوله عملا، فـإن السـؤال هـو: أي العمـل أفضـل؟ و A (إيمـــــــان باللـــــــه ورســـــــوله) وهـــــــو ظـــــــاهر. ومما يدل على أن العمل من الإيمـان مـا أخرجـه البخـاري ومسـلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال: (الإيمـان بضع وستون شعبة، فأعلاها قـول: لا إلـه إلا اللـه، وأدناهـا إماطـة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) قال: (فأعلاها قول: لا إله إلا الله) وهذا قول اللسان، (وأدناها إماطة الأذى عن الطريـق) وهـذا من عمـل الجـوارح، ثم قـــال: (والحيـــاء شـــعبة من الإيمـــان) والحيـــاء عمـــل قلـــبي. وكذلك دل على أن الإيمان يجمع القول والعمل الإجماع، فقد ذكـر البخـاري رحمه اللـه أنـه لقي أكـثر من ألـف رجـل من أهـل العلم كلهم يقولـون: إن الدين قول وعمل، واستدل على ذلـك بقـول اللـه سـبحانه: {ومـا أمـروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة} [البينة:5]، فالعمل جزء أساسي من الإيمان، وقول السلف رحمهم الله تعالى: إن الإيمـان قـول وعمـل، معنـاه: أن الإيمـان مـركب من القـول والعمـل، ومعـنى **القـول: قـول القلب وقـول** اللسـان، **فأمـا قـول القلب فهو** تصديقه بكـل مـا جـاء عن اللـه سـبحانه وتعـالى وعن رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم من الإيمـان باللـه، والإيمـان بالملائكـة، والكتب، والرسل، والملائكة، والقدر، ونحو ذلك مما أخبر الله بـه سـبحانه وتعـالى أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، فتصـديق القلب يسـمى قـولا، وبعض السلف مثل أبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى في كتابه (الإيمان) سماه عملا، ولا مشاحة في الاصطلاح؛ فالمعنى واحد، المهم هو أن تصـديق القلب داخـل في الإيمـان، وتصـديق القلب لا نـزاع فيـه أبـدا بين طوائـف المسلمين، بل كل طوائف المسلمين من أهـل السـنة والمرجئـة والخـوارج

وغيرهم يقولون: إن تصديق القلب من الإيمان، إلا الكرامية، فإن الكرامية لم تعتبر تصديق القلب من الإيمان، وإنما جعلت حقيقة الإيمان هو إقرار اللسان فقط، وهم نظروا إلى الإيمان الظاهر الذي يحكم به على الناس في الدنيا.
فتصديق القلب هو قول القلب، وأما قول اللسان فالمراد به: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، كما دل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه الله، وكما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه في وفد عبد القيس، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: (أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: الإيمان: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة) إلى آخر الأركان المعروفة، إلا أنه قال: (وأن تؤدوا الخمس من المغنم).
فالإيمان يشمل كذلك قول اللسان، هذا بالنسبة للقول.
وأما بالنسبة للعمل فإن العمل المراد به عمل القلب وعمل الجوارح، فأما عمل القلب فهو يقين القلب وإخلاصه وخشوعه وانقياده وخضوعه واستسلامه ورجاؤه وخوفه ونحو ذلك من الأعمال التي يقوم بها القلب، وعمل الجوارح مثل: الصلاة، والصيام والجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله ونحو ذلك من الأعمال التي تؤدى بالجوارح.
فالإيمان مركب من هذه جميعا: مركب من تصديق القلب وقول اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح، فهذه أركانه الأربعة الأساسية، وهذه الأركان الأربعة المهم فيها هو أن تعرف حقائقها: لأنه قد يعبر عنها بأكثر من تعبير، فمثلا: بعض العلماء يقسم الإيمان إلى قسمين: ظاهر، وباطن، ويقصد بالظاهر: قول اللسان وعمل الجوارح، ويقصد بالباطن: تصديق القلب وعمل القلب، وبعضهم يقول: هو قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، وهي كلها." [1]

"أقوال السلف بأن العمل ركن في الإيمان
ويمكن أن أذكر نصوصا لأئمة السلف السابقين التي تدل على أنهم كانوا يقولون بأن الإيمان يزول إذا زال العمل، وهؤلاء لاشك أنهم كما قلت عندهم اضطراب، فصاحب (إحكام التقرير) وأمثاله عندهم اضطراب في مسألة العمل، يعني: لا يميزون بين عمل القلب وعمل الجوارح، فتجده يقول: العمل شرط كمال، وإذا سألته: ماذا تقصد بالعمل الذي هو شرط كمال؟ هل تقصد عمل القلب؟ فإنه لا يقول أحد من السلف: إن عمل القلب شرط كمال أبدا، ولا يقول بأن عمل القلب شرط كمال إلا مرجئي، بل إن طوائف الإرجاء السابقة قبل ظهور الجهم وقبل أخذ الأشاعرة لعقيدة الجهم ما كانوا يقولون بأن عمل القلب شرط كمال، لكنهم اضطربوا في هذه المسألة، وبعضهم استعجل، وبعضهم لم يحرر القضية ولم يعطها حقها من البحث والتتبع.

---
[1] () شرح الطحاوية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي 4/3

يقول الفضيل بن عياض: لا يصلح قول إلا بعمل.
رواه عبد الله بن الإمام أحمد في (السنة) وروى مثله عن محمد بن مسلمة الطائفي وسفيان الثوري.
ويقول سفيان بن عيينة: الإيمان قول وعمل أخذناه ممن قبلنا قول وعمل، وأنه لا يكون قول إلا بعمل.
فانظروا إلى هذه التعبيرات: لا يصلح، لا يكون، ولو كان شرط كمال فلن يعبر عنه بهذه التعبيرات القوية: لا يصلح، لا يكون، لا يقبل، وهكذا.
ويقول الأوزاعي: لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول -والقول **يشمل قول القلب وقول** اللسان، يعني: تصديق القلب وقول اللسان- إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة.
وهذه الأقوال كلها مخرجة في (الشريعة) للآجري وفي (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) للالكائي، وفي (السنة) لـ عبد الله بن الإمام أحمد، لكن للاختصار لا داعي أن نذكر التخريجات.
ويقول الحسن البصري: الإيمان كلام وحقيقته العمل، فإن لم يحقق القول بالعمل لم ينفعه القول.
ويقول الآجري رحمه الله تعليقا على أثر الحسن هذا: وأنا بعد هذا أذكر ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن جماعة من أصحابه، وعن كثير من التابعين: أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، ومن لم يقل عندهم بهذا فقد كفر.
كذلك بوب ابن بطة العكبري رحمه الله في كتابه (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية) بابا بعنوان: باب بيان الإيمان وفرضه وأنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح والحركات؛ لا يكون العبد مؤمنا إلا بهذه الثلاثة.
ويقول ابن بطة أيضا: قد تلوت عليكم من كتاب الله عز وجل ما يدل العقلاء من المؤمنين أن الإيمان قول وعمل، وأن من صدق بالقول وترك العمل كان مكذبا وخارجا من الإيمان، وأن الله لا يقبل قولا إلا بعمل ولا عملا إلا بقول.." [1]
"نبذة عن كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية
Q ما هو الكتاب الذي يوضح لنا وظائف القلب وتعلقها بالجوارح مع ربط هذا باللسان وأعمال الشرك والكفر كما وضحتم لنا في الدرس؟
A حقيقة من أفضل الكتب وأنفعها هو كتاب شيخ الإسلام رحمه الله (الإيمان)، لكن بعض الناس يمل من كتاب الإيمان؛ لأن الكتاب غير منظم، يعني: طريقة الشيخ هو أنه يتكلم على قضية ثم يستطرد فيذكر قضية ثم يستطرد فيذكر قضية أخرى، فمثلا: موضوع المجاز بحثه شيخ الإسلام في أكثر من ثلاثين صفحة تقريبا عندما تكلم على مسألة قول القلب: هل قوله قول حقيقي أو غير حقيقي؟ ثم استطرد في المسألة وتكلم على قضية

[1] () شرح الطحاوية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي 4/17

المجاز وغيرها، فالذي يصبر على الكتاب ويلخص ما فيه من الفوائد ويـدقق فيه ينتفع ويستفيد، إذا استطاع أن يـرتب الموضـوعات الـذي في الكتـاب، لكن الذي يمل منه من أول لحظة لا يستطيع أن يستفيد منه.." [1]

"المطلب الرابـع: تعريـف التوحيـد لغـة واصـطلاحا

التوحيد في اللغة: مشتق من وحد الشيء إذا جعله واحدا، فهو مصـدر وحـد يوحـد، أي: جعـل الشـيء واحـدا.

وفي الشرع: إفـراد اللـه - سـبحانه - بمـا يختص بـه من الربوبيـة والألوهيـة والأسماء والصفات القول المفيـد على كتـاب التوحيـد لمحمـد بن صـالح بن عـثيمين - 1/ 11

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ليس التوحيـد مجـرد إقـرار العبـد بأنـه: لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقـرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهـه الأعلى بجميـع الأقوال والأعمال، والمنـع والعطـاء، والحب والبغض، مـا يحـول بين صـاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هـذا عـرف قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله حرم على النـار من قـال لا إلـه إلا اللـه يبتغي بـذلك وجـه اللـه)) (1) ... ومـا جـاء من هـذا الضـرب من الأحاديث، التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضـهم منسـوخة! وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واسـتقرار الشـرع، وحملهـا بعضهم على نار المشركين والكفـار، وأول بعضـهم الـدخول بـالخلود وقـال: المعنى لا يدخلها خالدا، ونحو ذلك من التـأويلات المسـتكرهة. فـإن الشـارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قـول اللسـان فقـط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، لأن المنافقين يقولونهـا بألسـنتهم، وهم تحت الجاحـدين لهـا في الـدرك الأسـفل من النـار. بـل لا بـد من قـول القلب، وقـول اللسـان.

وقول القلب: يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضـمنته من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غـير اللـه، المختصـة به، التي يستحيل ثبوتهـا لغـيره، وقيـام هـذا المعـنى بـالقلب علمـا ومعرفـة ويقينـا وحـالا: مـا يـوجب تحـريم قائلهـا على النـار.

وتأمل حديث البطاقـة (2) الـتي توضـع في كفـة، ويقابلهـا تسـعة وتسـعون سجلا، كل سـجل منهـا مـد البصـر، فتثقـل البطاقـة وتطيش السـجلات، فلا يعذب صاحبها ومعلوم أن كل موحد له مثـل هـذه البطاقـة، ... ولكن السـر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل هو أنه حصل له ما لم يحصل لغيره من أربـاب البطاقـات.

وتأمل أيضا ما قام بقلب قاتل المائة (3) من حقائق الإيمان التي لم تشغله عند السياق – الموت - عن السير إلى القريـة فجعـل ينـوء بصـدره، ويعـالج

1() شرح الطحاوية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي 4/29

سكرات الموت، لأن ذلك كـان أمـرا آخـر، وإيمانـا آخـر ولـذلك ألحـق بأهـل القرية الصالحة. وقـريب من هـذا مـا قـام بقلب البغي (4) الـتي رأت ذلـك الكلب وقد اشتد به العطش، يأكل الثرى فقام بقلبها ذلك الـوقت مـع عـدم الآلـة، وعـدم المعين، وعـدم من ترائيـه بعملهـا مـا حملهـا على أن غـررت بنفسـها في نـزول البـئر وملء المـاء في خفهـا، ولم تعبأ بتعرضـها للتلـف وحملها خفها بفيها وهو ملآن حتى أمكنها الرقي من البئر، ثم تواضـعها لهـذا المخلوق الذي جرت عادة الناس بضـربه، فأمسـكت لـه الخـف بيـدها حـتى شرب من غير أن ترجو منه جزاء ولا شكورا. فأحرقت أنوار هـذا القـدر من التوحيـــد مـــا تقـــدم منهـــا من البغـــاء فغفـــر لهـــا (5). وقد ورد في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم ((من قـال: لا إلـه إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمـه وحسـابه على اللـه)) (6) الـــولاء والـــبراء في الإســـلام لمحمـــد بن ســـعيد القحطـــاني - ص46

---

(1)ـ [1] رواه البخاري (425)، ومسـلم (33). من حـديث عتبـان بن مالـك رضـــــــــــــي اللـــــــــــــه عنـــــــــــــه.
(2) رواه الترمــذي (2639)، وابن ماجــه (4300)، وأحمــد (2/ــ 213)ـ (6994). من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. قال الترمذي: هذا حـديث حسـن غـريب، وقـال حمـزة الكنـاني في ((مشـيخة ابن الخطـاب)) (1/ 107): .. وهو من أحسن الحديث, وقال ابن الملقن في ((التوضـيح)) (33/ 595): صحيح على شرط البخاري ومسـلم. وقـال الألبـاني في ((السلسـلة الصـــــــــــــحيحة)) (135): صـــــــــــــحيح.
(3) رواه البخاري (3470)، ومسلم (2766). من حديث أبي سعيد الخدري رضـــــــــــــي اللـــــــــــــه عنـــــــــــــه.
(4) رواه البخاري (3467)، ومسـلم (2245)، واللفـظ لـه. من حـديث أبي هريـــــــــــــرة رضـــــــــــــي اللـــــــــــــه عنـــــــــــــه.
(5) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (1/ 330 ـ 332) بتصرف بسيط.
(6) رواه مسـلم (23). من حـديث طـارق بن أشـيم الأشـجعي رضـي اللـه عنه.." [1]

"قال الحسن: ولقد قال الله تعالى في كتابه: وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم [الأعراف:172] قالوا ولهذا قال تعـالى: وإذ أخـذ ربـك من بني آدم ولم يقل من آدم من ظهـورهم ولم يقـل من ظهـره ذريتهم أي جعل نسلهم جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن كقولـه تعـالى: وهـو الـذي جعلكم خلائف في الأرض [الأنعام:165] وقال: ويجعلكم خلفاء الأرض [النمـل:62] وقال تعالى: كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين [الأنعام:133] ثم قال تعالى: وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أي أوجـدهم شـاهدين بـذلك قائلين له حالا, قال الشهادة تكون بالقول كقولـه تعـالى: قـالوا شـهدنا على

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 1/5

أنفسنا [الأنعام:130] الآية وتارة تكون حالا كقوله تعالى: ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر [التوبة: 17] أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك, وكذا قوله تعالى: وإنه على ذلك لشهيد [العاديات: 7] كما أن السؤال تارة يكون بالمقال, وتارة يكون بالحال كقوله تعالى: وآتاكم من كل ما سألتموه [إبراهيم: 34] معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد الحكمي - ص93

وقال ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه على إقرار الناس بفطرهم على وجود الخالق سبحانه وتعالى: ولهذا كان أكثر الناس على أن الإقرار بالصانع ضروري فطري وذلك أن اضطرار النفوس إلى ذلك أعظم من اضطرارها إلى ما لا تتعلق به حاجتها ألا ترى أن الناس يعرفون من أحوال من تتعلق به منافعهم ومضارهم كولاة أمورهم ومماليكهم وأصدقائهم وأعدائهم مالا يعلمونه من أحوال من لا يرجونه ولا يخافونه ولا شيء أحوج إلى شيء من المخلوق إلى خالقه فهم يحتاجون إليه من جهة ربوبيته إذ كان هو الذي خلقهم وهو الذي يأتيهم بالمنافع ويدفع عنهم المضار: وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون [النحل: 53] وكل ما يحصل من أحد فإنما هو بخلقه وتقديره وتسببه وتيسيره وهذه الحاجة التي توجب رجوعهم إليه حال اضطرارهم كما يخاطبهم بذلك في كتابه وهم محتاجون إليه من جهة ألوهيته فإنه لا صلاح لهم إلا بأن يكون هو معبودهم الذي يحبونه ويعظمونه ولا يجعلون له أندادا يحبونهم كحب الله بل يكون ما يحبونه سواه كأنبيائه وصالحي عباده إنما يحبونهم لأجله كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)) (1) ومعلوم أن السؤال والحب والذل والخوف والرجاء والتعظيم والاعتراف بالحاجة والافتقار ونحو ذلك مشروط بالشعور بالمسئول المحبوب المرجو المخوف المعبود المعظم الذي تعترف النفوس بالحاجة إليه والافتقار الذي تواضع كل شيء لعظمته واستسلم كل شيء لقدرته وذل كل شيء لعزته فإذا كانت هذه الأمور مما تحتاج النفوس إليها ولا بد لها منها بل هي ضرورية فيها كان شرطها ولازمها وهو الاعتراف بالصانع به أولى أن يكون في النفوس وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((كل مولود يولد على الفطرة)) (2) ويروي عن ربه: ((خلقت عبادي حنفاء)) (3) ونحو ذلك لا يتضمن مجرد الإقرار بالصانع فقط بل إقرارا يتبعه عبودية لله بالحب والتعظيم وإخلاص الدين له وهذا هو الحنيفية وأصل **الإيمان قول القلب وعمله** أي علمه بالخالق وعبوديته للخالق والقلب مفطور على هذا وهذا وإذا كان بعض الناس قد خرج عن الفطرة بما عرض له من المرض إما بجهله وإما بظلمه فجحد بآيات الله

واستيقنتها نفسه ظلما وعلوا لم يمتنع أن يكون الخلق ولدوا على الفطرة درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - 2/ 24

---

(1) رواه البخاري (16)، ومسلم (43). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(2) رواه البخاري (1358)، ومسلم (2658). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(3) رواه مسلم (2865). من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.." [1]

"ومن أهم الأعمال القلبية التي يتحقق بها كمال التوحيد الرضا (وقد جاء هذا الرضا بأنواعه مبينا في سورة الأنعام التي هي سورة التوحيد العظمى، فقد اشتملت على ثلاثة أنواع من الرضا هي جماع التوحيد كله:
1 - الرضا بالله ربا لا شريك له في التقرب والتأله والتعبد: قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء [الأنعام: 164].
2 - الرضا بالله حكما لا شريك له في التشريع والطاعة: أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا [الأنعام: 114].
3 - الرضا بالله وليا لا شريك له في محبته وموالاته: قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض [الأنعام: 14].
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا)) (1). وقال عليه الصلاة والسلام: ((من قال حين يسمع النداء: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا، غفرت له ذنوبه)) (2).
واللوازم الظاهرة التي يتحقق بها التوحيد تتلخص في أتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، وتحقيق ذلك بأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والالتزام بالشريعة. وهذا هو مقتضى الشهادتين (لا إله إلا الله، محمد رسول الله).
ومما يلي مقام الرضا من أعمال القلوب، مقام الصدق والإخلاص (وهذان عملان قلبيان من أعظم أعمال القلوب وأهم أصول الإيمان. فأما الصدق، فهو الفرقان بين الإيمان والنفاق، وأما الإخلاص، فهو الفرقان بين التوحيد والشرك – **في قول القلب واعتقاده**، أو في إرادته ونيته – والأعمال – التي رأسها وأعظمها شهادة أن (لا إله إلا الله) – لا تقبل إلا بتحقق الصدق والإخلاص ...
وأكذب الله المنافقين في دعوى الإيمان وقول الشهادة؛ لانتفاء الصدق، فقال: إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون [المنافقون: 1] ...
كما أبطل سبحانه زعم أهل الكتاب والمشركين أن دينهم هو الحق بانتفاء

---

[1] الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 1/188

الإخلاص، فقال: لم يكن الذين كفروا من أهـل الكتـاب والمشـركين منفكين حـتى تـأتيهم البينـة [البينـة: 1] إلى أن يقـول ومـا أمـروا إلا ليعبـدوا اللـه مخلصين له الدين حنفاء ويقيمـوا الصـلاة ويؤتـوا الزكـاة وذلـك دين القيمـة [البينـة: 5]، وقـال تعـالى: اتخـذوا أحبـارهم ورهبـانهم أربابـا من دون اللـه والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عمـا يشـركون [التوبـة: 31] ...

فعلى محـك الصـدق والإخلاص بطلت أكـثر دعـاوي العابـدين وهلـك أكـثر الثقلين، فالصدق يخرج كل من عبـد مـع اللـه غـيره، أو أراد غـيره معـه في عمل من أعمال العبادة، كما في الحديث الصحيح: قال الله تبـارك وتعـالى: ((أنـا أغـنى الشـركاء عن الشـرك، من عمـل عملا أشـرك فيـه معي غـيري تركتـه وشـركه)) (3).) (4).

(1) رواه مسلم (34). من حديث العباس بن عبدالمطلب رضـي اللـه عنـه.
(2) رواه مسلم (386). من حـديث سـعد بن أبي وقـاص رضـي اللـه عنـه.
(3) رواه مسـلم (2985). من حـديث أبي هريـرة رضـي اللـه عنـه.
(4) ((ظاهرة الإرجاء)) (ص: 439).." [1]

"وفي الترمـذي والنسـائي وفي المسـند عن عبـد اللـه بن عمـرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقول: ((إن الله سيخلص رجلا من أمـتي على رءوس الخلائـق يـوم القيامـة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقـول: أتنكـر من هذا شيئا, أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر؟ فيقول: بلى إن لك عندنا حسـنة, وإنـه لا ظلم عليـك اليـوم, فيخـرج بطاقـة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسـوله, فيقـول: أحضـر وزنك فيقول: يا رب ما هـذه البطاقـة مـع هـذه السـجلات؟ فقـال: فإنـك لا تظلم, قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة, فطاشت السجلات وثقلت البطاقـة ولا يثقـل مـع اسـم اللـه تعـالى شـيء)) (1) وهي الـتي لا يحجبها شيء دون الله عز وجل وفيه أيضا عن أبي هريـرة رضـي اللـه عنـه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((مـا من عبـد قـال لا إلـه إلا اللـه مخلصا إلا فتحت لها أبواب السـماء حـتى تفضـي إلى العـرش)) (2) , وهي الأمـان من وحشـة القبـور وهـول الحشـر واعلم أن النصـوص الـواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها, وفيمـا ذكرنـا كفايـة, ... ويكفيـك في فضل لا إله إلا الله أخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنها أعلى جميع شـعب الإيمان, كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون- شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله, وأدناها إماطة الأذى عن الطريـق)) وهـذا لفـظ مسلم (3) (من قالها) أي قال هـذه الكلمـة حـال كونـه (معتقـدا) أي عالمـا

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 1/244

ومتيقنا (معناها) الذي دلت عليه نفيا وإثباتا (وكان) مع ذلك (عاملا بمقتضاها) على وفق ما علمه منها وتيقنه فإن ثمرة العلم به (في القول) **أي قول القلب واللسان** (والفعل) أي عمل القلب واللسان والجوارح قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون [الصف:2 - 3] (ومات مؤمنا) أي على ذلك, وهذا شرط لا بد منه فإنما الأعمال بالخواتيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة)) (4) الحديث في الصحيحين عن أبي ذر بطوله (يبعث يوم الحشر) أي يوم الجمع (ناج) من النار (آمنا) من فزع يوم القيامة قال تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون [الأنبياء:101 - 103] وقال الله تعالى: من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون [النحل: 89] معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد الحكمي - ص509

---

(1) رواه الترمذي (2850)، وابن ماجه (4300)، وأحمد (2/213) (6994)، والحاكم (1/ 46، 529). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين وهو صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وحسنه ابن حجر في ((هداية الرواة)) (5/ 173) - كما أشار إلى ذلك في مقدمته -. وقال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (11/ 176): إسناده صحيح. وقال الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)): صحيح.
(2) رواه الترمذي (3590) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقال الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)): صحيح.
(3) رواه البخاري (9)، ومسلم (35).
(4) رواه البخاري (5827)، ومسلم (94). من حديث أبي ذر رضي الله عنه.." [1]

"المطلب الثاني: تعريف الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم

(الإيمان بالرسول: هو تصديقه, وطاعته, واتباع شريعته) (1) وهذه الأمور هي الركائز التي يقوم عليها الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم, وعن بيان هذه الأمور المطلوبة عند الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم قال العلماء:
أ- أما تصديقه صلى الله عليه وسلم فيتعلق به أمران عظيمان:
أحدهما: إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله، وهذا مختص به صلى الله عليه وسلم (2).
ويندرج تحت هذا الإثبات والتصديق عدة أمور منها:

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 1/253

1 - الإيمـــان بعمــــوم رســـالته إلى كافــــة الثقلين إنســـهم وجنهم.
2 - الإيمـــان بكونـــه خـــاتم النـــبين, ورســـالته خاتمـــة الرســـالات.
3 - الإيمـــان بكـــون رســـالته ناســـخة لمـــا قبلهـــا من الشـــرائع.
4 - الإيمان بأنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة وأكملها, وأدى الأمانة, ونصـــح لأمتـــه حـــتى تـــركهم على البيضـــاء ليلهـــا كنهارهـــا.
5 - الإيمــــان بعصــــمته صــــلى اللــــه عليــــه وســــلم.
6 - الإيمان بماله من حقوق خلاف ما تقدم ذكـره, كمحبتـه وتعظيمـه صـلى اللــــــــــه عليــــــــــــه وســـــــــــلم.
الثاني: (تصديقه فيما جاء به، وأن ما جاء به من عند الله حـق يجب اتباعـه. وهـــذا يجب عليـــه صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم وعلى كـــل أحـــد) (3).
فيجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم جميـع مـا أخـبر بـه عن اللـه عـز وجل، من أنباء ما قد سبق, وأخبار ما سيأتي، وفيمـا أحـل من حلال, وحـرم من حرام، والإيمان بأن ذلك كله من عند اللـه عـز وجـل، قـال تعـالى: ومـا ينطـــق عن الهـــوى إن هـــو إلا وحي يـــوحى [النجم: 3 -ـــ 4].
قال شارح العقيـدة الطحاويـة: (يجب على كـل أحـد أن يـؤمن بمـا جـاء بـه الرسول إيمانا عاما مجملا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليــــه وســــلم على التفصــــيل فــــرض على الكفايــــة) (4).
ب- طاعته واتباع شريعته: إن الإيمان بالرسول صلى الله عليـه وسـلم كمـا يتضمن تصديقه فيما جاء به فهو يتضمن كذلك العـزم على العمـل بمـا جـاء به, وهذه هي الركيزة الثانية من ركائز الإيمان بـه صـلى اللـه عليـه وسـلم.
وهي تعني: الانقياد له صلى الله عليه وسلم وذلك بفعل ما أمر به واجتنـاب ما نهى عنه وزجر امتثالا لقوله تعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه ومـا نهـاكم عنه فانتهوا [الحشر: 7]. فيجب على الخلق اتباع شريعته, والالتزام بسـنته, مع الرضا بما قضاه والتسليم له، والاعتقاد الجازم أن طاعته هي طاعة لله, وأن معصـيته معصـية للـه, لأنـه هـو الواسـطة يين اللـه وبين الثقلين في التبليـــغ ....
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (يجب على الخلق الإقرار (5) بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم, فما جاء به القرآن العزيـز أو السـنة المعلومـة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل، فلا يكـون الرجـل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم, وهو تحقيـق شـهادة أن لا إله إلا الله, وأن محمدا رسول الله، فمن شهد أنـه رسـول اللـه شـهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسـالة) (6). حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته لمحمد خليفة التميمي -1/ 34

(1) كتـاب ((اقتضـاء الصـراط المسـتقيم مخالفـة أصـحاب الجحيم)) (ص: 92).

(2) ((مجمـــــــــــــــوع الفتـــــــــــــــاوى)) (15/ـــــــــــــــ 91).
(3) ((مجمـــــــــــــــوع الفتـــــــــــــــاوى)) (15/ـــــــــــــــ 91).
(4) ((شـــــــــــرح العقيـــــــــــدة الطحاويـــــــــــــة)) (ص: 66).
(5) يقول ابن تيمية في بيان معنى الإقرار: (إن الإيمان هو الإقـرار لا مجـرد التصديق، والإقرار **ضمن قول القلب الذي** هـو التصـديق وعمـل القلب الـــذي هـــو الانقيـــاد). ((مجمـــوع الفتـــاوى)) (7/ـــ 638،ـــ 639).
(6) ((مجموع الفتاوى)) (5/ 154)..." [1]

"المبحث الثـــــــــــاني: إطلاقـــــــــــات العبـــــــــــادة
للعبادة معان بحسب ما تتعلق به، وبحسب كونها مصدرا أو اسما، وبحســب المتوجه بها إليه، وبحسب ما يلاحـظ فيهـا من حـق، فهـذه أربعـة إطلاقـات:
الإطلاق الأول: إطلاقـــات العبـــادة بحســـب مـــا تتعلـــق بـــه:
فالعبادة من حيث تعلقها بعموم الخلق وخصوصهم تنقسم إلى عبـادة عامـة كونيـــــــــــة وإلى خاصـــــــــــة شـــــــــــرعية (1).
فالعبـادة العامـة: هي عبـادة القهـر والملـك وهي تشـمل أهـل السـموات والأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم، فالجميع عبيد مربوبون لله قال الله تعالى: وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شـيئا إدا تكـاد السـماوات يتفطـرن منـه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للـرحمن ولـدا ومـا ينبغي للـرحمن أن يتخـذ ولـدا إن كـل من في السـماوات والأرض إلا آتي الـرحمن عبـدا [مريم: 88 - 93] وقد ذكر ابن القيم أن هذا النوع يأتي على خمسة أوجـه وهي:
1 - إمـــــا منكـــــرا كمـــــا في الآيـــــة المـــــذكورة ســـــابقا.
2 - أو معرفا باللام، كقوله تعالى: وما الله يريـد ظلمـا للعبـاد [غـافر: 31].
3 - أو مقيدا بإشارة أو نحوها، كقوله تعالى: ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضـلوا السـبيل [الفرقـان: 17].
4 - أو أن يـذكروا في عمـوم عبـاده فينـدرجوا مـع أهـل طاعتـه في الـذكر، كقوله تعالى: أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون [الزمـر: 46].
5 - أن يذكروا موصوفين بفعلهم كقوله تعالى: قل يا عبادي الـذين أسـرفوا على أنفســـــهم لا تقنطـــــوا من رحمـــــة اللـــــه [الزمـــــر: 53].
وهذا المثال المذكور في الوجه الخامس لا يسلم من اعتراض كما قـال ابن القيم نفسه: (وقد قال: إنما سماهم عباده إذا لم يقنطوا من رحمته وأنـابوا إليـه واتبعـوا أحسـن مـا أنـزل إليهم من ربهم فيكونـون من عبيـد الإلهيـة والطاعـــة) (2) اهـ.
وأما العبادة الخاصة الشرعية، فهي عبادة الطاعة والخضوع والذل والمحبـة الاختيارية، وهي خاصة لمن وفقه الله من المكلفين من الأنبيـاء والمرسـلين وعامـــــــــــــــــــــــــة المؤمـــــــــــــــــــــــــنين بهم.

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 1/272

ومن الآيات الواردة فيها قول الله تعالى: يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون [الزخرف: 68] وقوله: فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه [الزمر: 17 - 18] والآيات في هذا المعنى كثيرة.
الإطلاق الثاني: إطلاقات العبادة بحسب الاسمية والمصدرية: فالعبادة باعتبارها مصدرا تعني التعبد، وهو فعل العابد وتعريفها: (التذلل لله محبة وتعظيما بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه) (3) اهـ.
وأما باعتبارها اسما، فهي تعني: المتعبد (4) به وتعريفها: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) (5).
ومن التعريف المذكور في معنى العبادة باعتبارها اسما يتضح أن للعبادة أربع مراتب وهي: قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح، وهذا معنى قوله: (من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) وقد فصل ابن القيم هذه المراتب فقال:

---

(1) انظر: ((مدارج السالكين)) (1/ 125).
(2) ((مدارج السالكين)) (1/ 127).
(3) هذا التعريف لابن عثيمين في ((المجموع الثمين)) من فتاويه (2/ 25).
(4) انظر: ((تقريب التدمرية)) لابن عثيمين (ص: 129).
(5) هذا التعريف لشيخ الإسلام ابن تيمية في ((رسالة العبودية ضمن مجموعة التوحيد)) (2/ 454).." [1]

"(قول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله، وملائكته ولقائه على لسان رسله.
وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره وتبليغ أوامره.
وعمل القلب: كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره والرضى به عنه، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والذل له، والخضوع، والإخبات إليه والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب، التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.
وأعمال الجوارح: كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك.) (1) اهـ.
فظهر من هذا أن جميع أمور الديانة من الاعتقادات والإرادات والأقوال والأعمال داخلة في مسمى العبادة.
ولما جهل كثير من المتأخرين حقيقة العبادة على الوجه المذكور أعلاه كان من الأفضل زيادة البيان لبعض أنواع العبادة بذكر أمثلة لها – خاصة المتنازع

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 1/300

فيها – مع نقل أقوال الأئمة الأعلام وبيانهم أنها من العبادة وأن صرفها لغير الله لا يجوز.
ومن هذه الأمثلة: الاستعاذة والاستغاثة والحلف.
فالاستعاذة: طلب العوذ – وهي الالتجاء إلى الله تعالى من الشر لإزالته أو دفعه (2). والاستغاثة: طلب الغوث، وهي: إزالة الشدة، كالاستنصار وهو طلب النصر. ولا خلاف في أنه تجوز الاستغاثة بالمخلوق فيما كان قادرا عليه من الأمور (3) ومنه قول الله تعالى: وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر [الأنفال: 72] وقوله: فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه [القصص: 15]. وأما ما لا يقدر عليه إلا الله كغفران الذنوب وإنزال الرزق وكل ما هو من خصائص الربوبية فلا يستغاث فيه إلا بالله جل وعلا. قال الله تعالى: إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم [الأنفال: 9]. وقال تعالى: يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض [فاطر: 3].
والاستعاذة والاستغاثة نوعان من أنواع الدعاء – والدعاء عبادة كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: ((الدعاء هو العبادة)) (4) ثم تلا قول الله تعالى: وقال ربكم ادعوني أستجب لكم [غافر: 60]، ومن أقوال أهل العلم في أن الدعاء عبادة: (قال نعيم بن حماد في كتابه (الرد على الجهمية): دلت هذه الأحاديث على أن القرآن غير مخلوق، إذ لو كان مخلوقا لم يستعذ بها، إذ لا يستعاذ بمخلوق، قال الله تعالى: فاستعذ بالله [الأعراف: 200] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((وإذا استعذت فاستعذ بالله)) (5) اهـ.

---

(1) ((مدارج السالكين)) (1/ 120 - 121). وانظر: ((تطهير الاعتقاد)) (ص: 11).
(2) انظر: ((فتح المجيد)) (ص: 173).
(3) انظر: ((فتح المجيد)) (ص: 176)، و ((الدر النضيد)) للشوكاني (ص: 144).
(4) رواه أبو داود (1479)، والترمذي (2969)، وابن ماجه (3101)، وأحمد (4/ 271) (18415)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (6/ 450) (11464)، وابن حبان (3/ 172) (890)، والحاكم (1/ 667). والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال النووي في ((الأذكار)) (478): إسناده صحيح.
(5) لم أقف عليه بهذا اللفظ.." [1]
"قال الزجاج: أما قوله عز وجل: إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا [الأحزاب: 72] والذي عندي فيه أن الأمانة ههنا النية التي

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 1/301

يعتقدها الإنسان فيما يظهره باللسان من الإيمان، ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر، لأن الله عز وجل ائتمنه عليها ولم يظهر عليها أحدا من خلقه، فمن أضمر التوحيد والتصديق مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة، ومن أضمر التكذيب، وهو مصدق باللسان في الظاهر فقد حمل الأمانة ولم يؤدها.

وقوله عز وجل: يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين [التوبة: 61]، وقال ثعلب: يصدق الله ويصدق المؤمنين. ومنه قوله عز وجل: قولوا آمنا بالله [البقرة: 136]، وأفتطمعون أن يؤمنوا لكم [البقرة: 75]، ويفهم من الكلام السابق، أن التصديق كما يكون بالقلب واللسان يكون بالجوارح أيضا، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ((والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)) (1).

قال الجوهري: (والصديق بوزن السكيت: الدائم التصديق، ويكون الذي يصدق قوله بالعمل). نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد بن عبد الله بن علي الوهيبي - 1/ 31

ولكن لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى رأي آخر في معنى الإيمان اللغوي، وهو من آرائه السديدة، واختياراته الموفقة؛ حيث اختار معنى (الإقرار) للإيمان. لأنه رأى أن لفظة (أقر) أصدق في الدلالة والبيان على معنى الإيمان الشرعي من غيرها؛ لأمور وأسباب ذكرها ثم ناقشها بالمعقول، ورد بتحقيق علمي رصين قول من ادعى: أن الإيمان مرادف للتصديق، وذكر فروقا بينهما؛ تمنع دعوى الترادف.

قال رحمه الله: (فكان تفسيره أي الإيمان بلفظ الإقرار؛ أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقا) (2).

وقال أيضا: (ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار **ضمن قول القلب الذي** هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد) (3).

وقال رحمه الله في رده على من ادعى الترادف بين الإيمان والتصديق: (إنه -أي الإيمان- ليس مرادفا للتصديق في المعنى؛ فإن كل مخبر عن مشاهدة، أو غيب، يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت؛ فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب.

وأما لفظ الإيمان؛ فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة، كقول: طلعت الشمس وغربت، أنه يقال: آمناه، كما يقال: صدقناه.

ولهذا؛ المحدثون والشهود ونحوهم، يقال: صدقناهم، وما يقال: آمنا لهم؛ فإن الإيمان مشتق من الأمن، فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر؛ كالأمر الغائب الذي يؤمن عليه المخبر، ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ: آمن له؛ إلا في هذا النوع) (4).

وقال أيضا: (إن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب؛ كلفظ التصديق؛ فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له: صدقت، أو كذبت، ويقال:

صـــدقناه، أو كـــذبناه، ولا يقـــال: لكـــل مخـــبر: آمنـــا لـــه، أو كـــذبناه.

(1) وهو جزء من حديث أوله: ((إن الله كتب على ابن آدم حظـه من الزنـا، أدرك ذلـك لا محالـة ...)) رواه البخـاري (6243)، ومسـلم (2657). من حـــديث أبي هريـــرة رضـــي اللـــه عنـــه.
(2) ((مجمـــوع الفتـــاوى)) لشـــيخ الإســـلام ابن تيميـــة (7/ـــ 291).
(3) ((مجمـــوع الفتـــاوى)) لشـــيخ الإســـلام ابن تيميـــة (7/ـــ 638).
(4) ((مجموع الفتاوى)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (7/ 291).." [1]

"المبحث الثـــاني: تعريـــف الإيمـــان شـــرعا
هو التصديق الجازم، والإقرار الكامل، والاعـتراف التـام؛ بوجـود اللـه تعـالى وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصـفاته، واسـتحقاقه وحـده العبـادة، واطمئنـان القلب بذلك اطمئنانا ترى آثاره في سـلوك الإنسـان، والتزامـه بـأوامر اللـه تعـــالى، واجتنـــاب نواهيـــه.
وأن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسـلم رسـول اللـه، وخـاتم النبـيين، وقبول جميع ما أخبر به صلى الله عليـه وسـلم عن ربـه جـل وعلا وعن دين الإسلام؛ من الأمـور الغيبيـة، والأحكـام الشـرعية، وبجميـع مفـردات الـدين، والانقياد له صلى الله عليه وسلم بالطاعـة المطلقـة فيمـا أمـر بـه، والكـف عما نهى عنه صلى الله عليه وسلم وزجر؛ ظاهرا وباطنـا، وإظهـار الخضـوع والطمأنينـــة لكـــل ذلـــك.
وملخصـــه: (هـــو جميـــع الطاعـــات الباطنـــة والظـــاهرة).
الباطنـــة: كأعمـــال القلب، وهي تصـــديق القلب وإقـــراره.
الظـــاهرة: أفعـــال البـــدن من الواجبـــات والمنـــدوبات.
ويجب أن يتبع ذلك كله: قول اللسان، وعمل الجـوارح والأركـان، ولا يجـزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر؛ لأن أعمال الجـوارح داخلـة في مسـمى الإيمـان، وجـــزء منـــه.
فمسـمى الإيمـان عنـد أهـل السـنة والجماعـة؛ كمـا أجمـع عليـه أئمتهم وعلماؤهم، هو: (تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركـان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية). الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عنـد أهـل الســـنة عبداللـــه بن عبدالحميـــد الأثـــري – ص13
وقـد ذهب عامـة أهـل السـنة إلى أن الإيمـان الشـرعي هـو اعتقـاد وقـول وعمـــل.
قال الإمـام محمـد بن إسـماعيل بن محمـد بن الفضـل الـتيمي الأصـبهاني: (والإيمـان في لسـان الشـرع هـو التصـديق بـالقلب، والعمـل بالأركـان).
وقـال الإمـام البغـوي: (اتفقت الصـحابة والتـابعون فمن بعـدهم من علمـاء السـنة على أن الأعمـال من الإيمـان .. وقـالوا: إن الإيمـان قـول وعمـل وعقيـــدة).

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/347

وقال الحافظ ابن عبد البر: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية ... إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا ...).

(قال الإمام الشافعي في (كتاب الأم) .. وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر).

وروى الإمام اللالكائي عن الإمام البخاري قوله: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. (1)

والنصوص عن الأئمة كثيرة جدا في قولهم: إن الإيمان قول وعمل، نقل كثيرا منها المصنفون في عقيدة أهل السنة من الأئمة المتقدمين كالإمام اللالكائي وابن بطه وابن أبي عاصم وغيرهم.

ولا فرق بين قولهم: إن الإيمان قول وعمل، أو قول وعمل ونية، أو قول وعمل واعتقاد. فكل ذلك من باب اختلاف التنوع، فمن قال من السلف: إن الإيمان قول وعمل **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح.

ومن زاد الاعتقاد رأى لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب.

ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد (قول القلب)، وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية (عمل القلب)، فزاد ذلك.

خلاصة ما سبق من حقيقة الإيمان الشرعي أنها (مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سرا وجهرا، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد بن عبد الله بن علي الوهيبي – 1/ 33

---

(1) رواه اللالكائي في ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) (1/ 173 - 174).." [1]

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/349

"المبحث الأول: الإيمان عند أهل السنة والجماعة

الإيمان اعتقاد وقول وعمل الإيمان أصله في القلب: قال عز وجل: ولما يدخل الإيمان في قلوبكم [الحجرات: 8]، وقال تعالى: ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم [الحشر: 7]، وقال أيضا: أولئك كتب في قلوبهم الإيمان [المجادلة: 22]

وقال أيضا: إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان [النحل: 106]

وقال صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان إلى قلبه)) (1).

إلى غير ذلك من الأدلة الصريحة في أن إيمان القلب شرط في الإيمان، ولا يصح الإيمان بدونه، وأنه إذا وجد سرى ذلك إلى الجوارح ولابد.

وإيمان القلب ليس مجرد العلم والمعرفة والتصديق بالله عز وجل، وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم - بل لابد مع ذلك من الانقياد والاستسلام، والخضوع والإخلاص، مما يدخل تحت عمل القلب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين:

تصديق القلب وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا: قول القلب، قال الجنيد بن محمد: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب " فلا بد فيه **من قول القلب وعمله**، ثم قول البدن وعمله، ولا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها جزءا من الإيمان ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن ضرورة لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب)) (2).

فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علما وعملا قلبيا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر، والعمل بالإيمان المطلق ...

ويقول أيضا: الإيمان أصله معرفة القلب وتصديقه وقوله، والعمل تابع لهذا العلم والتصديق ملازم له، ولا يكون العبد مؤمنا إلا بها.

ويقول رحمه الله مبينا شدة الترابط بين الأصل والفرع: (إذا قام بالقلب التصديق به، والمحبة له (قول القلب، وعمله) لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة، والأعمال الظاهرة، فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه، ودليله ومعلوله، كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضا تأثير فيما في القلب، فكل منهما يؤثر في الآخر، لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له، والفرع يستمد من أصله، والأصل يثبت ويقوى بفرعه).

ويقول الإمام المروزي رحمه الله: أصل الإيمان التصديق بالله، وبما جاء من عنده، وعنه يكون الخضوع لله لأنه إذا صدق بالله خضع له، وإذا خضع

أطاع .. ومعنى التصديق هو المعرفة بالله، والاعتراف له بالربوبية، بوعده، ووعيده، وواجب حقه، وتحقيق ما صدق به من القول والعمل .. ومن التصديق بالله يكون الخضوع لله، وعن الخضوع تكون الطاعات، فأول ما يكون عن خضوع القلب لله الذي أوجبه التصديق من عمل الجوارح والإقرار باللسان (3).

---

(1) رواه أبو داود (4880)، والترمذي (2032)، وأحمد (4/ 420) (19791). من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه. والحديث سكت عنه أبي داود. وقال الحافظ العراقي في ((المغني)) (2/ 250): إسناده جيد. وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)): حسن صحيح.
(2) رواه البخاري (52)، ومسلم (1599). من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
(3) ((تعظيم قدر الصلاة)) (2/ 695 - 696).." [1]

"ويقول أيضا: (وإنما المعرفة التي هي إيمان، هي معرفة تعظيم الله، وجلاله، وهيبته، فإذا كان كذلك، فهو المصدق الذي لا يجد محيصا عن الإجلال، والخضوع لله بالربوبية، فبذلك ثبت أن الإيمان يوجب الإجلال لله، والتعظيم له، والخوف منه، والتسارع إليه بالطاعة على قدر ما وجب في القلب من عظيم المعرفة) (1).
ويقول: (أصل الإيمان هو التصديق، وعنه يكون الخضوع، فلا يكون مصدقا إلا خاضعا، ولا خاضعا إلا مصدقا، وعنهما تكون الأعمال) (2).
يتضح لنا من النقل السابق أن العلم والمعرفة والتصديق (أي قول القلب)، إن لم يصحبها الانقياد والاستسلام والخضوع، (أي عمل القلب والجوارح) لم يكن المرء مؤمنا، بل تصديق هذا شر من عدمه لأنه ترك الانقياد مع علمه ومعرفته.
والدليل على أن التصديق والمعرفة فقط لا تنفع صاحبها وصف الله به إبليس بقوله: خلقتني من نار [الأعراف: 12] وقوله: قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين [ص: 82]، فأخبر أنه قد عرف أن الله خلقه، ولم يخضع لأمره فيسجد لآدم كما أمره، فلم ينفعه معرفته إذ زايله الخضوع.
والدليل على ذلك أيضا شهادة الله على قلوب بعض اليهود أنهم يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليهم كما يعرفون أبناءهم، فلا أحد أصدق شهادة على ما في قلوبهم من الله، إذ يقول لنبيه: فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به [البقرة: 89]، وقال: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم [البقرة: 146]، وقال: ليكتمون الحق وهم يعلمون [البقرة: 146] فشهد على قلوبهم بأنها عارفة عالمة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يوجب لهم اسم الإيمان بمعرفتهم وعلمهم بالحق إذ لم يقارن معرفتهم التصديق والخضوع لله ولرسوله بالتصديق له والطاعة (3).

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/359

ومما يجدر ذكره أن بعض السلف يطلق التصديق أو اعتقاد القلب ويقصد به قول القلب وعمله جميعا، أو عمل القلب وحده.

---

(1) ((تعظيم قدر الصلاة))، (2/ 775 - 776) ويلاحظ من هذا النقل، والذي قبله أنه لا فرق بين مفهومي التصديق، والمعرفة عند الإمام المروزي وكلاهما داخل تحت قول القلب.
(2) ((تعظيم قدر الصلاة))، (2/ 715 - 716).
(3) ((تعظيم قدر الصلاة))، (2/ 696، 698)..." [1]

"يقول الإمام أحمد رحمه الله: وأما من زعم أن الإيمان الإقرار، فما يقول في المعرفة؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار؟ وهل يحتاج أن يكون مصدقا بما عرف؟ فإن زعم أنه يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار، فقد زعم أنه من شيئين، وإن زعم أنه يحتاج أن يكون مقرا ومصدقا بما عرف، فهو من ثلاثة أشياء، وإن جحد وقال: لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق فقد قال قولا عظيما (1) فالملاحظ من كلام الإمام أحمد أنه يعني بالتصديق عمل القلب ويعني بالمعرفة قول القلب، أما الإقرار فقول اللسان (2)
وقال الإمام أبو ثور لما سئل عن الإيمان ما هو؟: (فاعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق بالقلب والقول باللسان وعمل بالجوارح، وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال: أشهد أن الله عز وجل واحد، وأن ما جاءت به الرسل حق، وأقر بجميع الشرائع، ثم قال: ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به أنه ليس بمسلم ولو قال: المسيح هو الله، وجحد أمر الإسلام، قال لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن، فلما لم يكن بالإقرار إذا لم يكن معه التصديق مؤمنا ولا بالتصديق إذا لم يكن معه الإقرار مؤمنا، حتى يكون مصدقا بقلبه مقرا بلسانه فإذا كان تصديق بالقلب وإقرار باللسان كان عندهم مؤمنا وعند بعضهم لا يكون حتى يكون مع التصديق عمل، فيكون بهذه الأشياء إذا اجتمعت مؤمنا ...) (3).
ثم رد على من أخرج العمل من الإيمان فالغالب أنه يقصد بالتصديق هنا (قول القلب وعمله) والله أعلم.
يقول ابن تيمية: وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان وعمل بالجوارح، جعل القول والعمل اسما لما يظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب، ولا بد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب، أعمال القلب المقارنة لتصديقه، مثل حب الله، وخشية الله والتوكل عليه، ونحو ذلك، فإن دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها (4).
ويقول الإمام ابن القيم موضحا ذلك: ونحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له، ولو كان

---

[1] الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/360

مجـرد اعتقـاد التصـديق إيمانـا لكـان إبليس وفرعـون وقومـه وقـوم صـالح واليهود الذين عرفوا أن محمدا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم - كمـا يعرفـون أبنـاءهم مؤمـنين صـادقين (5).
ونختم هذا البحث بالتأكيد على أهمية الخضوع والاستسـلام والانقيـاد (عمـل القلب والجـوارح) وأنـه أسـاس دعـوة الأنبيـاء والرسـل، وأن قضـيتهم مـع أقـوامهم دائمـا ليسـت قضـية المعرفـة والعلم المجـرد (أي قـول القلب).
قال تعالى: فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات اللـه يجحـدون [الأنعـام: 33] وقال تعالى: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلـوا فـانظر كيـف كـان عاقبـة المفسـدين [النمـل: 14].

---

(1) ((مجمـوع الفتـاوى)) (7/ 393).
(2) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (7/ 397): (فأراد أحمد بالتصديق أنه مع المعرفة به صار القلب مصدقا له، تابعا له، محبا لـه، معظمـا لـه .. وهـذا أشـبه بـأن يحمـل عليـه كلام الإمـام أحمـد).
(3) ((شـرح أصـول اعتقـاد أهـل السـنة)) (4/ 849 - 850).
(4) ((مجمـوع الفتـاوى)) (7/ 506).
(5) ((الصلاة وحكم تاركها)) (ص44 - 45).." [1]
"ويمكن توضـيح ذلـك؛ بالتفصـيل التـالي:
أولا - قول القلب: هو معرفته للحق، واعتقاده، وتصديقه، وإقـراره، وإيقانـه به؛ وهو ما عقد عليه القلب، وتمسك بـه، ولم يـتردد فيـه، قـال اللـه تبـارك وتعـالى:
والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشـاءون عنـد ربهم ذلـك جـزاء المحسـنين [الزمـر: 33 - 34].
وقال تعالى: وكذلك نـري إبـراهيم ملكـوت السـماوات والأرض وليكـون من الموقـنين [الأنعـام: 57].
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يخرج من النار من قال لا إلـه إلا اللـه، وفي قلبـه وزن شـعيرة من خـير)) (1).
قـول اللسـان: إقـراره والتزامـه.
أي: النطـق بالشـهادتين، والإقـرار بلوازمهـا.
قال تعالى: قولوا آمنا بالله ومآ أنزل إلينا وما أنزل إلى إبـراهيم وإسـماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى ومـا أوتي النـبيون من ربهم لا نفـرق بين أحـد منهم ونحن لـه مسـلمون [البقـرة: 136].
وقال تعالى: إن الذين قالوا ربنـا اللـه ثم اسـتقاموا فلا خـوف عليهم ولا هم يحزنـون [الأحقـاف: 13].
وقال النبي صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: ((أمـرت أن أقاتـل النـاس حـتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسـول اللـه، ويقيمـوا الصـلاة، ويؤتـوا

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/361

الزكـــــــــــــــــــــــــــــــــاة ...)) (2).
ثانيا: عمل القلب: نيته، وتسليمه، وإخلاصـه، وإذعانـه، وخضـوعه، وانقيـاده، والتزامه، وإقباله إلى الله تعالى، وتوكله عليه – سبحانه – ورجاؤه، وخشيته، وتعظيمـــــــــــــه، وحبـــــــــــــه وإرادتـــــــــــــه.
قال الله تعالى: ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهـه [الأنعـــــــــــــــــــــــــــــــــام: 52].
وقال تعـالى: ومـا لأحـد عنـده من نعمـة تجـزى إلا ابتغـاء وجـه ربـه الأعلى ولســـــــوف يرضـــــــــى [الليــــــــل: 19 -ـــــــ 21].
وقال النبي صلى الله عليـه وآلـه وسـلم: ((يـا معشـر من آمن بلسـانه، ولم يـــــــــــــدخل الإيمـــــــــــــان قلبـــــــــــــه)) (3).
عمـــــــــــــــــــــــــــل الجـــــــــــــــــــــــــــوارح:
أي فعـــل المـــأمورات والواجبـــات، وتـــرك المنهيـــات والمحرمـــات.
فعمل اللسان: ما لا يؤدى إلا به؛ كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار؛ من التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، والدعاء، والاستغفار، والدعوة إلى الله تعـالى، وتعليم الناس الخير، وغير ذلك من الأعمال التي تـؤدى باللسـان؛ فهـذا كلـه من الإيمـــان.
قال تعالى: إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا ممـا رزقنـاهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور [فاطر: 29]. وقال: يـا أيهـا الـذين آمنـوا اذكـــــــــروا اللـــــــــه ذكـــــــــرا كثـــــــــيرا [الأحـــــــــزاب: 41].
وعمـل الجـوارح: مثـل الصـلاة، والقيـام، والركـوع، والسـجود، والصـيام، والصدقات، والمشي في مرضاة اللـه تعـالى؛ كنقـل الخطـا إلى المسـاجد، والحج، والجهاد في سبيل الله، والأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر، وغـير ذلـــــــــك من أعمـــــــــال شـــــــــعب الإيمـــــــــان.
قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اركعـوا واسـجدوا واعبـدوا ربكم وافعلـوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هـو اجتبـاكم [الحج: 77 - 78].
وقال تعالى: وعباد الـرحمن الـذين يمشـون على الأرض هونـا وإذا خـاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لـربهم سـجدا وقيامـا [الفرقـان: 63 - 64].
فهـــــــــــــــــــــــــذه الخصـــــــــــــــــــــــــال الثلاث:
(اعتقـــــاد القلب، إقـــــرار اللســـــان، عمـــــل الجـــــوارح).
اشتمل عليها مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعـة؛ فمن أتى بجميعهـا؛ فقد اكتمل إيمانه. الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهـل السـنة عبداللـه بن عبدالحميـــــــــــــــــــــــــد الأثـــــــــــــــــــــــــري – ص15

---

(1) رواه البخـــاري (44). من حـــديث أنس بن مالـــك رضـــي اللـــه عنـــه.
(2) رواه البخاري (25)، ومسلم (22). من حديث عبد اللـه بن عمـر رضـي

اللـــــــــــــــــــــــــــــــــــــه عنـــه.
(3) رواه أبــو داود (4880)، والترمــذي (2032)، وأحمــد (4/ـ 420)ـ (19791). من حديث أبي برزة الأسلمي رضـي اللـه عنـه. والحـديث سـكت عنه أبي داود. وقال الحافـظ العـراقي في ((المغـني)) (2/ـ 250): إسـناده جيد. وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)): حسن صحيح.." [1]

"المبحث الثــالث: معــنى الإقــرار والتصــديق في كلام الســلف
أن إيمــــــــــــان القلب يشــــــــــتمل على أصــــــــــــلين:
الأول: قــول القلب.
الثــــــــــــــــــــــــــــــــاني: عمــــــــــــــــــــــــــــــــــل القلب.
وقد ورد عن بعض السـلف تفسـير إيمـان القلب: بالتصـديق، أو الإقـرار، أو الاعتقـاد. **ويوصـف قـول القلب بـالعلم** أو المعرفـة إضـافة إلى عمـل القلب. فهـذه سـبعة معــان مضــافة للقلب وردت في عبــارات الســلف. وبمعرفة حقيقة هـذه المعـاني يتضـح الفـرق بين أقـوال القلـوب وأعمالهـا، والعلاقة بينها. حيث إن بعض الناس قد يخلط بين أقـوال القلـوب وأعمالهـا، فتخفى عليهم بعض أحكام أعمال القلوب. ولذا سوف أوضح – إن شاء اللـه – هذه المعاني، وبيان مراد السـلف بهـا، من خلال المسـائل الثلاث التاليـة:
المســـــــــــــــــألة الأولى: المـــــــــــــراد بتصـــــــــــــديق القلب
يطلـــــــــــــــــق تصـــــــــــــديق القلب على شـــــــــــــــيئين:
الأول: التصـديق الخـبري العلمي الـذهني، بمعـنى أن يقـع في القلب نسـبة الصدق إلى المخبر والخبر ذاته مجردا عما سوى ذلـك من أعمـال القلـوب.
وهــــــــــــــــــــــذا هـــــــــــــــــــو قــــــــــــــــــــــول القلب.
الثاني: التصديق العملي، أي تصديق الخبر بالامتثال والانقياد. وهذا هو الـذي قصده السلف عند إطلاق التصديق. فمن قال من السلف بـأن الإيمـان هـو: التصـديق، فإنـه يقصـد بـذلك **المعنيين؛ قـول القلب وعمله**. أو عمـل القلب المتضـــــــــــــــــــــــــــــــــمن لتصــــــــــــــــــــــــــــديقه.
قال الإمام الآجري رحمه الله: (اعلموا – رحمنا الله وإياكم – أن الذي عليـه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بـالقلب، وإقــــــــــرار باللســــــــــان، وعمــــــــــل بــــــــــالجوارح) (1).
وقد دلت الأدلة من الكتـاب والسـنة ولغـة العـرب وأقـوال السـلف على أن التصديق ليس محصورا في التصديق الخـبري. بـل ورد كـذلك في التصـديق العملي، فمن شــــــــــــــــواهد ذلــــــــــــــــــــــك:
1) قوله تعالى: وناديناه أن يا إبـراهيم قـد صـدقت الرؤيـا إنـا كـذلك نجـزي المحسنين [الصافات: 104 ـ 105]، أي قد امتثلت الأمر وحققته فكأنه قد ذبح ابنــــــــــه. لأن المقصــــــــــود هــــــــــو عمــــــــــل القلب.
2) قوله تعالى: والذي جاء بالصدق وصدق بـه أولئـك هم المتقـون [الزمـر: 33]. فقد فسرها ابن عباس رضي الله عنهما – أن الصدق هو شـهادة أن لا

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/365

إله إلا الله. فمن جاء مصدقا بها من المؤمنين ومصدقا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو المتقي (2).
3) قوله تعالى: ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملآئكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسآئلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون [البقرة: 177].
قال ابن كثير رحمه الله: قوله أولئك الذين صدقوا، أي هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم، لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال (3).
وبهذا يتضح معنى تصديق القلب عند السلف إذا أفرد، وأنهم يريدون بذلك التصديق الخبري المستلزم لعمل القلب، أو عمل القلب المتضمن لقوله، أو هما جميعا.
ومن الخطأ أن يظن أن مرادهم بالتصديق عند الإطلاق هو مجرد نسبة الصدق إلى الخبر، أو ما أشبهه كالمعرفة المجردة، أو العلم المجرد.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولا بد فيه من شيئين:

(1) ((الشريعة)) (2/ 611) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) (4/ 849).
(2) ((تفسير ابن كثير)) (4/ 70).
(3) ((تفسير ابن كثير)) (1/ 284).." [1]
"تصديق القلب، وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا قول القلب.
ولابد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.
وغير ذلك من أعمال القلوب، التي أوجبها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وجعلها من الإيمان) (1).
وقال أيضا: (الإيمان وإن كان يتضمن التصديق، فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة، وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط، فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر، وكلام الله خبر وأمر، فالخبر يستوجب تصديق المخبر، والأمر يستوجب الانقياد له والاستلام، وهو عمل في القلب جماعة الخضوع والانقياد للأمر فإذا قوبل الخبر بالتصديق، والأمر بالانقياد، فقد حصل أصل الإيمان في القلب، وهو الطمأنينة والإقرار، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد) (2).
وقال ابن القيم رحمه الله: (ونحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له، ولو كان مجرد اعتقاد

1() الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/371

التصديق إيمانا، لكن إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمدا رسول الله كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين ..
فالتصديق إنما يتم بأمرين: أحدهما: اعتقاد الصدق.
والثاني: محبة القلب، وانقياده) (3).
وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: (ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في الإيمان هو: التصديق على ظاهر اللغة؛ أنهم إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهرا وباطنا بلا شك، لم يعنوا مجرد التصديق) (4).
فالحاصل أن لفظ تصديق القلب عند السلف له أربعة معان:
1) أن يراد **به قول القلب فقط**، وهذا فيما إذا قرن بعمل القلب.
2) أن يراد به عمل القلب المتضمن لقوله.
3) أن يراد **به قول القلب المستلزم** لعمل القلب.
4) أن يراد **به قول القلب وعمله** جميعا.
وأما أن يفرد ويراد **به قول القلب فقط** فهذا لم يرد عن السلف، بل هو من اصطلاحات أهل البدع.
ثم ليعلم أن التصديق بمعناه الخبري، الذي هو مجرد أن يقع في القلب نسبة الصدق إلى المخبر والخبر من غير إذعان وقبول؛ يساوي تماما عند السلف والأئمة معنى العلم أو المعرفة، إذ لا يوجد فرق بين العلم والمعرفة والتصديق.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فإن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الانقياد والذي يجعل قول القلب، أمر دقيق. وأكثر العقلاء ينكرونه، وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما. وأكثر الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه، ويقولون: إن ما قاله ابن كلاب والأشعري من الفرق كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق - إلى أن قال رحمه الله والمقصود هنا أن الإنسان إذا رجع إلى نفسه عسر عليه التفريق بين علمه بأن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق، وبين تصديق قلبه تصديقا مجردا عن الانقياد وغيره من أعمال القلوب بأنه صادق) (5).
والمتتبع لبعض تعاريف السلف للإيمان يجد أنهم يعبرون عن التصديق بالمعرفة، وعن المعرفة بالتصديق، بل ويعرفون المعرفة بأنها التصديق، والتصديق بأنه المعرفة.
قال الإمام المروزي رحمه الله: (وإنما المعرفة التي هي إيمان: هي معرفة تعظيم الله وجلاله وهيبته، فإذا كان كذلك فهو المصدق الذي لا يجد محيصا عن الإجلال للربوبية) (6).

---

(1) ((الإيمان)) (176).
(2) ((الصارم المسلول)) (3/ 966) وانظر ((الإيمان)) (ص: 120).

(3) ((الصلاة)) (ص:28).
(4) ((معارج القبول)) (2/ 17).
(5) ((الإيمان)) (381).
(6) ((تعظيم قدر الصلاة)) (2/ 775).." [1]

"وقال أيضا: (ومعنى التصديق: هو المعرفة بالله، والاعتراف له بالربوبية، وبوعده، ووعيده، وواجب حقه، وتحقيق ما صدق به من القول والعمل) (1).

وقال ابن القيم رحمه الله: (ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له صلى الله عليه وسلم بالرسالة؛ وأنه صادق، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علم أن الإسلام أمر وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار، والانقياد، والتزام طاعته ودينه ظاهرا وباطنا) (2).

فتبين من خلال هذه النقول أنه لا فرق بين المعرفة والتصديق المجرد.

المسألة الثانية: المراد باعتقاد القلب

الاعتقاد في اللغة مصدر عقد يعقد عقدا، مأخوذ من العقد، والربط، والشد بقوة (3).

وأما اعتقاد القلب عند السلف الصالح فهو يتضمن ركنين قلبيين:

الأول: المعرفة والعلم والتصديق. ويطلق عليه قول القلب، وهذا المعنى عندما يقترن الاعتقاد بعمل القلب (4).

الثاني: الالتزام والانقياد والتسليم. ويطلق عليه عمل القلب، وهذا المعنى للاعتقاد عند السلف إذا جاء مفردا.

وبهذا يتبين أن من قال من السلف بأن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح. فمراده بالاعتقاد **هنا قول القلب وعمله**.

ولهذا بوب الإمام ابن منده رحمه الله في كتابه الإيمان بابا بعنوان: (ذكر خبر يدل على أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالأركان، يزيد وينقص) (5).

وكذا بوب الإمام اللالكائي رحمه الله بقوله: (سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الإيمان تلفظ باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح) (6). ثم ذكر الأدلة الدالة على أنه اعتقاد بالقلب.

وتقدم أن من أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، أنهم تارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح (7).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح. جعل القول والعمل اسما لما ظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب. ولابد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب؛ أعمال القلب المقارنة لتصديقه مثل حب الله، وخشية الله، والتوكل عليه، ونحو ذلك) (8).

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/372

وأما إذا ذكر الاعتقاد مع عمل القلب، فإنه يراد به عند السلف قول القلب.
المسألة الثالثة: المراد بإقرار القلب:
إقرار القلب يطلق على شيئين:
الأول: على قول القلب. وهذا عند ذكره مع عمل القلب.

---

(1) ((تعظيم قدر الصلاة)) (2/ 695).
(2) ((زاد المعاد)) (3/ 638).
(3) ((معجم مقاييس اللغة)) (4/ 86) ((الصحاح)) (2/ 510) ((لسان العرب)) (3/ 296) ((القاموس المحيط)) (383).
(4) ذكر ابن القيم رحمه الله في ((إغاثة اللهفان)) (1/ 13) أن أقوال القلب هي العقائد. وأعمال القلب هي الإرادة والمحبة والكراهية وتوابعها.
(5) ((الإيمان)) (ب1/ 341).
(6) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) (4/ 830)، وانظر ((التمهيد)) (9/ 243). وعرف الشيخ محمد بن صالح العثيمين في كتابه ((شرح ثلاثة الأصول)) (ص: 76) – الإيمان بأنه: (اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح).
(7) ((الإيمان لابن تيمية)) (ص: 162).
(8) ((الإيمان الأوسط المطبوع ضمن مجموع الفتاوى)) (7/ 506).." [1]
"الثاني: على عمل القلب. ويكون المراد به الالتزام، وهذا عند الإطلاق، كما في قوله تعالى: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين [آل عمران: 81]. فالإقرار هنا ليس معناه الخبر المجرد، بل معناه الالتزام للإيمان والنصرة للرسول صلى الله عليه وسلم وهذا هو الإيمان بما فيه عمل القلب.
ويقابل الإقرار بالمعنى الأول الإنكار والجحود. وبالمعنى الثاني يقابله الإباء والامتناع. كما أن الكفر منه كفر إنكار وجحود. ومنه كفر إباء وامتناع ككفر إبليس.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولفظ الإقرار: يتناول الالتزام والتصديق، ولابد منهما، وقد يراد بالإقرار مجرد التصديق بدون التزام الطاعة) (1).
وقد تقدم كلام شيخ الإسلام أن قول القلب: هو تصديقه وإقراره ومعرفته (2). وعليه فيقال في الإقرار كما قيل في التصديق والاعتقاد.
وخلاصة هذا المبحث: أن التصديق والاعتقاد والإقرار يتناول عند السلف:
1) قول القلب فقط، وذلك عند اقترانها بعمل القلب.
2) قول القلب المستلزم لعمل القلب.

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/373

3) عمل القلب، المتضمن لقول القلب.
4) قول القلب وعمله جميعا.
وكل ذلك بحسب التقييد والإطلاق- فيتبين بذلك مراد السلف في عباراتهم، وأنه لا اختلاف بينها.
وأما معرفة القلب وعلمه فلا إشكال في أن المراد **بها قول القلب فقط**. أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم للعتيبي-141

(1) ((الإيمان)) (ص: 380).
(2) ((الإيمان)) (ص: 176).." [1]
"المبحث الرابع: معنى قول السلف الإيمان قول وعمل
من الواضح لكل ذي عقل سليم أن معنى قول السلف: الإيمان قول وعمل هو: أنه التزام وتنفيذ وإقرار واعتقاد وطاعة -بالقلب واللسان والجوارح- ولكن المرجئة باستخدامهم المتكلف لمنطق اليونان والفلسفة الأعجمية العجماء- فهموا أن هذه العبارة حد منطقي غير جامع ولا مانع، إذ لم يفهموا إلا أن القول هو ألفاظ اللسان والعمل حركات الجوارح، فاعترضوا على قول السلف -من هذا الوجه- بأنهم أهملوا إيمان القلب! وتبعهم في هذا بعض المتأخرين ممن تأثر بمنطق هؤلاء ومنهجهم في التفكير.
وبعضهم ذهب به الخبث إلى التحايل على العبارة نفسها، فقالوا: صحيح أن الإيمان قول وعمل، ولكن من قال بلسانه: لا إله إلا الله- فقد عمل أما عمل الجوارح فليس من الإيمان فأخرجوا عبارة السلف عن معناها البدهي الفطري إلى هذا المعنى السقيم الساقط.
ولهذا اقتضى الأمر إيضاح معنى كلام السلف بشيء من التفصيل، فنقول: إن الإيمان عند السلف حقيقة شرعية في غاية الوضوح، فهي ترادف وتساوي كلمة الدين، حتى إن كثيرا منهم كان نص عبارته: الدين قول وعمل، وليس في معنى الدين خفاء يحتاج معه أي مسلم إلى تكلفات منطقية وسفسطة كلامية، بل لم يكن هنالك حاجة إلى تعريفه أو بيان معناه أصلا، وكيف يعرفون أمرا يعيشونه ويعملونه ويقرءون حقائقه كل حين.
فلما ابتدعت المرجئة قولها: إن الإيمان قول فقط -متأثرة بالمنطق الغريب عن الإسلام والفطرة واللغة- أكذبهم السلف وردوا دعواهم قائلين: بل هو قول وعمل، فمن ها هنا نشأت العبارة. فلا المرجئة الذين ابتدعوا ذلك -أول مرة- أرادوا ألفاظ اللسان المجردة عن إيمان القلب، ولا السلف الذين ردوا عليهم أرادوا ألفاظ اللسان وحركات الجوارح مجردة عن عمل إيمان القلب أيضا.
ولكن المعركة الجدلية المستمرة ودافع الهوى والشبهة وترك منطق

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/374

الفطرة والبديهة إلى منطق اليونان؛ كل ذلك جعل المرجئة يتحايلون على الألفاظ، ويماحكون في المعاني لتصحيح نظريتهم.
والحاصل: أن أعمال القلوب لم تكن موضع نزاع بين السلف وأصناف المرجئة المتقدمين، إلا فرقة شاذة هي فرقة الجهم بن صفوان ومن وافقه كالصالحي، وهي فرقة كفرها السلف بهذا، وبمقالاتها الأخرى في الصفات والقدر, ...
وإنما أصبحت أعمال القلوب محل نزاع كبير بعد أن تبنى الأشاعرة مذهب جهم في الإيمان، وحصروه في عمل قلبي واحد وهو التصديق، ومال إليهم الماتريدية الذين كان أصل مذهبهم على إرجاء المتقدمين الحنفية، فحينئذ بعدت الشقة وعظمت الظاهرة حتى آل الأمر إلى أن تصبح عقيدة الإرجاء الجهمي هي عقيدة عامة الأمة في القرون الأخرى، .....
وهذا ما استدعى علماء السنة في عصر انتشار الظاهرة إلى إيضاح معنى قول السلف وبسط القول في أعمال القلوب وأهميتها، وهذا ما نفعله هنا نقلا عنهم وإيضاحا لكلامهم:
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (أجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ومعنى ذلك: **أنه قول القلب وعمل** القلب، ثم قول اللسان وعمل الجوارح.
فأما قول القلب: فهو التصديق الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.
ثم الناس في هذا على أقسام:
أ- منهم من صدق به جملة ولم يعرف التفصيل.
ب- ومنهم من صدق جملة وتفصيلا.
ثم منهم من يدوم استحضاره وذكره لهذا التصديق -مجملا أو مفصلا- ومنهم من يغفل عنه ويذهل، ومنهم من استبصر فيه بما قذف الله في قلبه من النور والإيمان، ومنهم من جزم به لدليل قد تعترض فيه شبهة, أو تقليد جازم.." [1]
"قال: وهذا التصديق يتبعه عمل القلب، وهو حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتعظيم الله ورسوله وتعزير الله ورسوله وتوقيره، وخشية الله والإنابة إليه والإخلاص له والتوكل عليه، إلى غير ذلك من الأحوال. فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان، وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد إيجاب العلة المعلول.
ويتبع الاعتقاد قول اللسان، ويتبع عمل القلب عمل الجوارح من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك (1)).
وقال بعد أن نقل عبارات السلف المذكورة .... : (وليس بين هذه العبارات اختلاف معنوي، ولكن القول المطلق والعمل المطلق في كلام السلف

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/375

يتناول قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين، وهذا لا يسمى قولا إلا بالتقييد، كقوله تعالى: يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم [الفتح: 11]. وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب هي من أعمال المنافقين التي لا يتقبلها الله.

فقول السلف يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر ((2).

قال: (وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، جعل القول والعمل اسما لما يظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب، ولا بد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب أعمال القلب المقارنة لتصديقه، مثل: حب الله وخشية الله، والتوكل على الله ونحو ذلك. فإن دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها ((3).

وقد سبق ضمن كلامه الشبيه بهذا ..... قوله: (إن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، **أراد قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح ((4).

وقوله: (فإذا قالوا: قول وعمل، فإنه يدخل في **القول قول القلب واللسان** جميعا) (5) وعند هذه العبارة علق المحقق بقوله: وعلى هامش النسخة الهندية: وقول القلب هو إقراره ومعرفته وتصديقه، وعمله هو انقياده لما صدق به.

ويقول الإمام ابن القيم: (إن الإيمان قول وعمل، **والقول قول القلب واللسان**, والعمل عمل القلب والجوارح، وبيان ذلك أن من عرف الله بقلبه ولم يقر بلسانه لم يكن مؤمنا كما قال عن قوم فرعون: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم [النمل:14].

وكما قال عن قوم عاد وقوم صالح: وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين [العنكبوت:38].

وقال موسى لفرعون: قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر [الإسراء:102].

فهؤلاء **حصلوا قول القلب** -وهو المعرفة والعلم- ولم يكونوا بذلك مؤمنين، وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن بذلك مؤمنا، بل كان من المنافقين.

وكذلك: من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمنا حتى يأتي بعمل القلب من الحب والبغض والموالاة والمعاداة، فيحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويوالي أولياء الله ويعادي أعداءه، ويستسلم بقلبه لله وحده، وينقاد لمتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعته والتزام شريعته ظاهرا وباطنا. وإذا فعل ذلك لم يكف في كمال إيمانه حتى يفعل ما أمر به، فهذه الأركان الأربعة هي أركان الإيمان التي قام عليها بناؤه) (6)

(1) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 672).
(2) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 505 - 506).
(3) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 506).
(4) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 171).
(5) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 170).
(6) ((عدة الصابرين)) (ص: 88 - 89).." [1]

"والحاصل أن السلف وعلماء أهل السنة والجماعة في كل عصر إنما يستخدمون في منهج التفكير المنطق الفطري البدهي الذي يقسم عمل الإنسان بحسبه قسمين: ظاهر وباطن.

فالباطن: قول القلب وعمله، والظاهر: قول اللسان وعمل الجوارح.

فعلى هذا قالوا: الإيمان قول وعمل، أي: شامل للظاهر والباطن، لا سيما إذا ضممنا إلى ذلك ما هو معروف -بداهة وفطرة- من أن حقيقة الإنسان قسمان: قلب وأعضاء، وأعماله قسمان: أقوال وأفعال، فيكون أشمل عبارة أن يقال: قول وعمل بالقلب والأعضاء، وهذا هو مراد السلف قطعا، وإنما اكتفوا عن آخر الجملة بأولها؛ لأن منهجهم الفطري في التفكير ومنهجهم البليغ في التعبير هو القصد إلى المطلوب بإيجاز دون العروج على ما هو معلوم بداهة.

وبهذا يظهر أن عبارة قول وعمل على إيجازها جامعة مانعة، لا من جهة أنها حد منطقي -أي تعريف للماهية- ولكن من جهة أنها كشف عن الحقيقة وبيان لها.

ولذلك فإنني -بعد طول تأمل- أختار هذه العبارة وأفضلها على عبارة: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان ونحوها، على أن تشرح بما أوضحنا آنفا، ومن أسباب الاختيار:

أنها المنقولة عن متقدمي السلف، مع إيجازها وشمولها.

أن العبارة الأخرى لا تسلم أيضا من الفهم الخطأ.

فإن فهم بعض الناس -المرجئة وغيرهم- أن: (قول وعمل) تعني قول اللسان وعمل الجوارح **دون قول القلب وعمله** أمر تنكره البديهة وترده، ولكن العبارة الأخرى توقع في لبس قل من يفطن له ولا يستطيع كل أحد رده، وهو أن هذه الثلاثة- أي الاعتقاد والقول والعمل- منفصلة بعضها عن بعض، بمعنى أن الطاعات -التي هي فروع الإيمان وشعبه- على ثلاثة أقسام: قسم قلبي، وقسم لساني، وقسم عملي وعلى هذا قد يفهم أنه يمكن أن يتحقق في الإنسان ركنان من ثلاثة بأن يتحقق لديه الاعتقاد والقول مع عدم العمل بالكلية، وهذا الذي جزم السلف باستحالة وقوعه.

وبيان ذلك يتضح من خلال تأمل كلام أحد علماء السنة المحققين- وهو الحافظ ابن حجر -رحمه الله- وهو من هو علما وفهما وإحاطة بأقوال

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/376

السلف، فانظر إليه حين يقول- شـرحا لترجمـة البخـاري، وهـو قـول وفعـل يزيـد وينقص: (فأمـا القـول فـالمراد بـه النطـق بالشـهادتين، وأمـا العمـل فـالمراد بـه مـا هـو أعم من عمـل القلب والجـوارح ليـدخل الاعتقـادات والعبـادات. ومـراد من أدخـل ذلـك في تعريـف الإيمـان ومن نفـاه إنمـا هـو بـــــالنظر إلى مـــــا عنـــــد اللـــــه تعـــــالى.
فالسلف قالوا: هو اعتقاد بالقلب ونطـق باللسـان وعمـل بالأركـان، وأرادوا بـذلك أن الأعمـال شـرط في كمالـه، ومن هنـا نشـأ لهم القـول بالزيـادة والنقص .....
والمرجئـــــة قـــــالوا: هـــــو اعتقـــــاد ونطـــــق فقـــــط.
والكراميـــــة قـــــالوا: هـــــو نطـــــق فقـــــط.
والمعتزلة قالوا: هو العمل والنطـق والاعتقـاد، والفـارق بينهم وبين السـلف أنهم جعلوا الأعمال شرطا في صحته، والسلف جعلوهـا شـرطا في كمالـه.
وهذا كله كما قلنا بالنظر إلى ما عند الله تعـالى، أمـا بـالنظر إلى مـا عنـدنا فالإيمان هو الإقـرار فقـط، فمن أقـر أجـريت عليـه الأحكـام في الـدنيا ولم يحكم بكفره إلا إن اقترن به فعل يدل على كفره كالسجود للصــنم ..) (1) إلخ
فقارئ كلامه يفهم منه التنـاقض بين تعـريفي السـلف في موضـوع العمـل، فإنه في التعريف الأول: قول وعمل يعتبر ركنا، في حين أنه حسب التعريف الأخـــير: اعتقـــاد وقـــول وعمـــل ليس إلا شـــرط كمـــال فقـــط.
ويفهم منه -كذلك- أن الفرق بين المرجئة والسلف، أن السـلف: زادوا على تعريف المرجئة العمل وجعلوه شرط كمال، وعليه فمن ترك العمل بالكليـة فهو عند المرجئة مؤمن كامل الإيمـان، وعنـد السـلف مـؤمن تـارك لشـرط الكمـــــــــــــــــــــــــال فحســـــــــــــــــــــــــب.

---

(1) ((فتح الباري))، (1/ 46).." [1]

"ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفـة بـالقلب والتصـديق إلا أن يكـون معـه الإيمان باللسان نطقا، ولا تجزئ معرفـة القلب ونطـق اللسـان حـتى يكـون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيـه هـذه الثلاث الخصـال كـان مؤمنـا، دل على ذلـــك الكتـــاب والســـنة وقـــول علمـــاء المســـلمين ..) (1).
ثم ساق من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثـار السـلفية مـا يـدل على ذلك ويؤيده. زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيـه لعبـد الـرزاق البـــــــــــــــــدر- ص:21 ـــــــــــــــــ- 25
قال حافظ الحكمي رحمـه اللـه تعـالى في شـرح قولـه في منظومـة سـلم الوصـــول
اعلم بـأن الـدين قـول وعمـل ... فاحفظـه وافهم مـا عليـه ذا اشـتمل
قال: (اعلم) يا أخي وفقني الله وإياك والمسـلمين (بـأن الـدين) الـذي بعث

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/377

الله به رسله وأنزل به كتبه ورضيه لأهل سماواته وأرضه وأمر أن لا يعبد إلا به ولا يقبل من أحد سواه ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه ولا أحسن دينا ممن التزمه واتبعه هو (قول) أي بالقلب واللسان (وعمل) أي بالقلب واللسان والجوارح فهذه أربعة أشياء جامعة لأمور دين الإسلام.

الأول قول القلب وهو تصديقه وإيقانه قال الله تعالى: والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين [الزمر: 33 - 34] وقال الله تعالى: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين [الأنعام: 75] وقال الله تعالى: إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون [الحجرات: 15] صدقوا ثم لم يشكوا وفي حديث الدرجات العلى: ((بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)) (2) وقال الله تعالى: الذين يؤمنون بالغيب [البقرة: 3] وقال الله تعالى: قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون [البقرة: 136] الآيات وقال الله تعالى: وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب [الشورى: 15] وغير ذلك من الآيات.

وفي حديث الشفاعة: ((يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة)) (3) الحديث.

وفي حديث الآخرة: ((فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان ثم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ثم من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان)) (4).

---

(1) ((الشريعة)) للآجري (19) وانظر ((شرح اعتقاد أهل السنة)) للالكائي (4/832).

(2) رواه البخاري (3256)، ومسلم (2831). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(3) رواه البخاري (7410)، ومسلم (193). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(4) رواه البخاري (7510)، ومسلم (193). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.." [1]

"وقال الله تعالى: ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين [الأعراف: 55] الآيات، وقال الله تعالى: واستغفروا الله إن الله غفور رحيم [المزمل: 20] وقال الله تعالى: الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم [آل عمران: 191] الآيات وقال الله تعالى: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين [البقرة: 238] وقال الله تعالى: يا أيها

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/380

الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده [الحج: 77 - 78] الآيات وقال الله تعالى: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما [الفرقان: 63 - 64] الآيات وقال الله تعالى: أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب [الزمر: 9] وقال الله تعالى: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين [التوبة: 111 - 112]. والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وإنما المقصود تقرير هذه الأمور من أصول الدين فإذا حققت هذه الأمور الأربعة تحقيقا بالغا وعرفت ما يراد بها معرفة تامة وفهمت فهما واضحا ثم أمعنت النظر في أضدادها ونواقضها تبين لك أن أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة: كفر جهل وتكذيب، وكفر جحود، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق فأحدها يخرج من الملة بالكلية وإن اجتمعت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك لأنها إما أن تنتفي هذه الأمور **كلها قول القلب وعمله** وقول اللسان وعمل الجوارح أو ينتفي بعضها فإن انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم [البقرة: 6 - 7].." [1]

"وأقوال السلف الصالح في هذه المسألة متفقة على أن الإيمان قول وعمل، وسنذكر بعض أقوالهم على النحو التالي: يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. (1)
وعقد الإمام الآجري رحمه الله بابا في كتابه (الشريعة) قائلا: باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ولا يكون مؤمنا إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاث (2).
وقال الإمام ابن بطة رحمه الله في تعريف الإيمان: معناه التصديق بما قاله، وأمر به وافترضه، ونهى عنه من كل ما جاءت به الرسل من عنده، ونزلت فيه الكتب، وبذلك أرسل المرسلين، فقال عز وجل: وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون [الأنبياء: 25] والتصديق بذلك قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان. (3) ...
تنوعت عبارات السلف الصالح في تعريف الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وتارة

---
[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/385

يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة وكل هذا صحيح، فليس بين هذا العبارات اختلاف معنوي، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية قائلا: إذا قالوا: قول وعمل فإنه يدخل في **القول قول القلب واللسان** جميعا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام، ونحو ذلك إذا أطلق فإن القول المطلق، والعمل المطلق في كلام السلف **يتناول قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، فقول باللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين، وهذا لا يسمى قولا إلا بالتقييد (كقوله تعالى يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم [الفتح: 11] وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب، هي من أعمال المنافقين، التي لا يتقبلها الله، فقول السلف يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر.

---

(1) انظر: ((السنة)) للإمام عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل (1/ 307)، وله عدة روايات في تعريف الإيمان.
(2) ((الشريعة)) للإمام الآجري (ص119).
(3) ((الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة)) (ص176).." [1]

"ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط. فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه (أربعة أقسام) فسروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة، لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة (1) ... يقول ابن تيمية في هذا الشأن: إن الإيمان قول وعمل، فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالى والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو الفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبا لفساد ذلك الاعتقاد، ومزيلا لما فيه من المنفعة والصلاح، إذ الاعتقادات الإيمانية تزكي النفوس وتصلحها، فمتى لم توجب زكاء النفس، ولا صلاحها، فما ذاك إلا لأنها لم ترسخ في القلب. (2)) نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف – ص17
قال الإمام محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني: (والإيمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب، والعمل بالأركان). (3).

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/387

وقال الإمام البغوي: (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان .. وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة). (4)
وقال الحافظ ابن عبد البر: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية ... إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا (5) ...).
(قال الإمام الشافعي في (كتاب الأم) .. وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر) (6).
وروى الإمام اللالكائي عن الإمام البخاري قوله: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص (7).
والنصوص عن الأئمة كثيرة جدا في قولهم: إن الإيمان قول وعمل، نقل كثيرا منها المصنفون في عقيدة أهل السنة من الأئمة المتقدمين كالإمام اللالكائي وابن بطه وابن أبي عاصم وغيرهم.
ولا فرق بين قولهم: إن الإيمان قول وعمل، أو قول وعمل ونية، أو قول وعمل واعتقاد. فكل ذلك من باب اختلاف التنوع، فمن قال من السلف: إن الإيمان قول وعمل **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح.
ومن زاد الاعتقاد رأى لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب.

---
(1) ((مجموع الفتاوى)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (7/ 170 - 171) بتصرف يسير، وانظر: (7/ 505 - 506).
(2) ((الصارم المسلول)) (ص 369 - 370).
(3) ((شرح صحيح مسلم)) للنووي (1/ 146).
(4) ((شرح السنة)) (1/ 38 - 39).
(5) ((التمهيد)) (9/ 238) وانظر (9/ 243) منه.
(6) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة)) (5/ 887).
(7) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة)) (5/ 886)، وذكره الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري)) (1/ 47).." [1]
"ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد (قول القلب)، وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية (عمل القلب)، فزاد ذلك (1).
خلاصة ما سبق من حقيقة الإيمان الشرعي أنها (مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام.

---
[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/388

والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هـذه الأربعـة، زال الإيمـان بكمالـه، وإذا زال تصـديق القلب لم تنفـع بقيـة الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهـذا موضـع المعركـة بين المرجئـة وأهـل السـنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنـه لا ينفـع التصـديق مـع انتفـاء عمـل القلب، وهـو محبتـه وانقيـاده، كمـا لم ينفـع إبليس وفرعـون وقومـه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقـدون صـدق الرسـول، بـل ويقـرون بـه سرا وجهرا، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به) (2). نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد بن عبد اللـه بن علي الوهيـبي – 1/ 31

أجمع السلف ... (أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ومعنى ذلك أنه قول القلب، وعمـل القلب، ثم قـول اللسـان، وعمـل الجـوارح) (3).

فقـول القلب هـو: الـ (تصـديق بـالقلب، وإقـراره، ومعرفتـه) (4).

ويراد به: (التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويدخل فيـه الإيمـان بكـل مـا جـاء بـه الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم) (5).

(وهـذا أصـل القـول) (6).

وأما عمل القلب فـ (هو حب الله ورسـوله، وتعظيم اللـه ورسـوله، وتعزيـر الرسول وتوقيره، وخشية اللـه والإنابـة إليـه، والإخلاص لـه، والتوكـل عليـه، إلى غير ذلك من الأحوال، فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان، وهي ممـا يوجبهـا التصـديق والاعتقـاد، إيجـاب العلـة المعلـول) (7).

(وهـذا أصـل العمـل) (8).

(والفرق بين أقوال القلب وأعماله؛ أن أقواله هي العقائد الـتي يعـترف بهـا ويعتقدها، وأما أعمـال القلب فهي حركتـه الـتي يحبهـا اللـه ورسـوله، وهي محبـة الخـير وإرادتـه الجازمـة، وكراهيـة الشـر والعـزم على تركـه) (9).

وأما قـول اللسـان فهـو (الإقـرار باللـه وبمـا جـاء من عنـده والشـهادة للـه بالتوحيد، ولرسوله بالرسالة، ولجميع الأنبياء والرسل، ثم التسـبيح والتكبـير، والتحميد، والتهليل، والثناء على الله، والصلاة على رسوله، والدعاء، وسـائر الـذكر) (10).

وأما عمل الجوارح فهو (أفعال سائر الجوارح من الطاعات والواجبات الـتي بـني عليهـا الإسـلام، أولهـا إتمـام الطهـارات كمـا أمـر اللـه عـز وجـل، ثم الصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، والزكاة على ما بينه الرسول صـلى الله عليه وسلم، ثم حج البيت من استطاع إليه سـبيلا، وتـرك الصـلاة كفـر، وكذلك جحـود الصـوم والزكـاة والحج، والجهـاد فـرض على كفايـة مـع الـبر والفاجر، وسائر (الأعمال) التطوع التي يستحق بفعلها اسـم زيـادة الإيمـان، والأفعـال المنهي عنهـا الـتي بفعلهـا يسـتحق نقصـان الإيمـان) (11).

فأعمال الجوارح تنشأ عن أعمال القلوب وهي أصـله، وقـول اللسـان ينشـأ **عن قـول القلب وهو** أصـله.

قـــال شـــيخ الإســـلام: (فالإيمـــان لا بـــد فيـــه من هـــذين الأصـــلين:

(1) انظــــــــر: ((مجمــــــــوع الفتــــــــاوى)) (7/ــــــــ 171).
(2) ((الصــــــــــــلاة وحكم تاركهــــــــــــا)) لابن القيم (ص: 54).
(3) ((مجمــــــوع الفتــــــاوى)) لابن تيميــــــة (7/ــــــ 672).
(4) ((مجمــــــوع الفتــــــاوى)) لابن تيميــــــة (7/ــــــ 186).
(5) ((مجمــــــوع الفتــــــاوى)) لابن تيميــــــة (7/ــــــ 672).
(6) ((مجمــــــوع الفتــــــاوى)) لابن تيميــــــة (7/ــــــ 540).
(7) ((مجمــــــوع الفتــــــاوى)) لابن تيميــــــة (7/ــــــ 672).
(8) ((مجمــــــوع الفتــــــاوى)) لابن تيميــــــة (7/ــــــ 540).
(9) ((شـــرح العقيـــدة الواســـطية)) لصـــالح الفـــوزان (ص: 179).
(10) ((الإيمــــــــــــان)) لابن منــــــــــــده (1/ــــــــــــ 362).
(11) ((الإيمان)) لابن منده (1/ 362)." [1]

"التصديق بالحق، والمحبة له، فهـذا أصـل القـول، وهـذا أصـل العمـل. ثم الحب التـام مـع القـدرة يسـتلزم حركـة البـدن بـالقول الظـاهر والعمـل الظــــــــــــــــــاهر ضــــــــــــــــــرورة ...

وإذا قام بالقلب التصـديق بـه والمحبـة لـه، لـزم ضـرورة أن يتحـرك البـدن بمــوجب ذلــك من الأقــوال الظــاهرة، والأعمــال الظــاهرة ...) (1).

فلهذا كانت هذه الأربعة أجزاء في الإيمـان وأركانـه الـتي قـام عليهـا بنـاؤه.

قال ابن القيم: (إن الإيمان قول وعمل؛ **والقول قول القلب واللسان**، والعمــــــــــــــل عمــــــــــــــل القلب والجــــــــــــــوارح.

وبيان ذلك أن من عرف الله بقلبه ولم يقر بلسانه لم يكن مؤمنا، كمـا قـال عن قــوم فرعــون: وجحــدوا بهــا واســتيقنتها أنفســهم [النمــل: 14].

وكمـا قـال عن قـوم عـاد وقـوم صـالح: وعـادا وثمـود وقـد تـبين لكم من مســاكنهم وزين لهم الشــيطان أعمــالهم فصــدهم عن الســبيل وكــانوا مستبصــــــــــــــــــرين [العنكبــــــــــــــــــوت: 38].

وقال موسى لفرعون: قـال لقـد علمت مـا أنـزل هـؤلاء إلا رب السـماوات والأرض بصــــــــــــــــــائر [الإســــــــــــــــــراء: 102].

فهؤلاء حصلوا قول القلب، وهو المعرفة والعلم، ولم يكونوا بـذلك مؤمـنين. وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن بذلك مؤمنـا، بـل كـان من المنــافقين.

وكذلك من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجـرد ذلـك مؤمنـا حـتى يـأتي بعمـل القلب من الحب والبغض والمـوالاة والمعـاداة، فيحب اللـه ورسـوله صلى الله عليه وسلم، ويوالي أولياء الله ويعـادي أعـداءه، ويستسـلم بقلبـه لله وحده، وينقاد لمتابعة رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم وطاعتـه والـتزام شــــــــــــريعته ظــــــــــــاهرا وباطنــــــــــــا.

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/389

وإذا فعل ذلك لم يكف في كمال إيمانه حتى يفعل ما أمر به، فهذه الأركـان الأربعـــة هي أركـــان الإيمـــان الـــتي قـــام عليهـــا بنـــاؤه) (2).
(فـــإن انتفت كلهـــا اجتمـــع أنـــواع الكفـــر غـــير النفـــاق ...
وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بـالحق فكفـر الجهـل والتكـذيب ...
وإن كتم الحـــق مـــع العلم بصـــدقه فكفـــر الجحـــود والكتمـــان ...
وإن انتفى عمـل القلب من النيـة والإخلاص والمحبـة والإذعـان مـع انقيـاد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق، سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى، وسواء انتفى بتكـــــــــــــذيب أو شـــــــــــــك ...
وإن انتفى عمـل القلب وعمـل الجـوارح مـع المعرفـة بـالقلب والاعـتراف باللســـــــان فكفـــــــر عنـــــــاد واســـــــتكبار ...
ومحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظـاهرة مـع ثبـوت عمـل القلب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن في الجسد مضـغة إذا صـلحت صـلح الجسـد كلـه، وإذا فسـدت فسـد الجسـد كلـه، ألا وهي القلب)) (3)ـ (4).
براءة أهل الحديث والسنة من بدعة المرجئـة لمحمـد بن سـعيد الكثـيري – ص: 57

---

(1) ((مجمـــــــوع الفتـــــــاوى)) لابن تيميـــــــة (7/ـــــــ 540).
(2) ((عـــــــــــدة الصـــــــــــابرين)) لابن القيم (ص: 129).
(3) رواه البخـاري (52)، ومسـلم (4178). من حـديث النعمـان بن بشـير رضـــــــــــي اللـــــــــــه عنـــــــــــه.
(4) ((معارج القبول)) لحافظ حكمي (2/ 22 - 23).." [1]

"المســـــــــألة الأولى: الاعتقـــــــــاد بـــــــــالقلب
الاعتقاد عند السلف يتضمن ركنين قلبيين لا يغني أحدهما عن الآخر، ويلـزم تحقيقهمـــا مجتمعين في القلب ليـــدخل صـــاحبه في مســـمى الإيمـــان:
الــركن الأول: المعرفــة والعلم والتصــديق. ويطلــق عليــه (قــول القلب).
الــركن الثــاني: الالـتزام والانقيـاد والتسـليم. ويطلـق عليـه (عمـل القلب).
أما عن الركن الأول وهو قول القلب، أو معرفة القلب للحـق وتصـديقه بـه، فلا نحسب أن أحدا من العقلاء يدفعه أو يجادل فيه فيقـول مثلا: إن الإيمـان لا يحتـــــــــــاج إلى المعرفـــــــــــة والتصـــــــــــديق.
يقول الإمام أحمد بن حنبل – رحمـه اللـه -: (من جحـد المعرفـة والتصـديق فقد قال قولا عظيما، فإن فساد هذا القول معلـوم من دين الإسـلام) اهــ (1).
وقد أورد صاحب (معارج القبول) سبعة شـروط لمن ينطـق بكلمـة التوحيـد قيـد بهـا انتفاعـه بالشـهادتين في الـدنيا والآخـرة من الـدخول في الإسـلام والفـوز بالجنـة والنجـاة من النـار، فوضـع بداهـة على رأس هـذه الشـروط شـــرط المعرفـــــة لحقيقـــــة معناهـــــا فقـــــال:

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/390

(العلم بمعناها المراد منها نفيا وإثباتا، المنافي للجهل بذلك، قال الله – عز وجل -: فاعلم أنه لا إله إلا الله [محمد: 19]. وقال تعالى: إلا من شهد بالحق [الزخرف: 86] أي: بلا إله إلا الله وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم) اهـ (2).
ويقول البيضاوي في تفسير قوله تعالى: يا أيها الناس اعبدوا ربكم [البقرة: 21] في سورة البقرة: (فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها – أي العبادة – بعد الإتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والإقرار بالصانع، فإن من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم إلا به) اهـ (3).
وأما عن الركن الآخر، وهو الالتزام والانقياد والتسليم والخضوع ولوازم ذلك كله من عمل القلب كالمحبة والتعظيم والتوكل والخشية والرجاء، فإن سلف الأمة وأئمتها متفقون على أنه للركن الأول وملازم له ولا يكون العبد مؤمنا إلا بهما.
وإلا فإن مجرد التصديق بالله ورسوله دون المحبة والتعظيم والانقياد لهما ليس إيمانا باتفاق هؤلاء الأئمة، بل هذا ظاهر ثابت بدلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل ذلك معلوم بالاضطرار من دين الإسلام (4). والتصديق الذي لا يكون معه شيء من ذلك ليس إيمانا ألبتة، بل هو كتصديق فرعون واليهود وإبليس (5).
يقول الإمام ابن تيمية: (فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولا بد فيه من شيئين:
- تصديق بالقلب، وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا قول القلب. قال الجنيد بن محمد: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب، فلا بد فيه **من قول القلب وعمله**، ثم قول البدن وعمله.
ولا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان) اهـ (6).
ويشرح الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه (الصلاة) حديث جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان فيقول: (أما قوله: الإيمان أن تؤمن بالله: فأن توحده وتصدق به بالقلب واللسان.
وتخضع له ولأمره بإعطاء العزم للأداء لما أمر، مجانبا للاستنكاف والاستكبار والمعاندة، فإذا فعلت ذلك لزمت محآبه صلى الله عليه وسلم، واجتنبت مساخطه) اهـ (7).

---

(1) ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: 376، 377).
(2) ((معارج القبول)) (1/ 307 - 308).
(3) ((تفسير البيضاوي)) (ص: 16).
(4) ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: 381).

(5) ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: 291، 292).
(6) ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: 176).
(7) ((تعظيم قدر الصلاة)) (1/ 392 - 393)." [1]

"ويقول الإمام ابن القيم في مجال شرح عمل القلب: (ونحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له، ... فالتصديق إنما يتم بأمرين: أحدهما: اعتقاد الصدق، والثاني: محبة القلب وانقياده) (1).

ويقول ابن القيم: (فإن الإيمان ليس مجرد التصديق – كما تقدم بيانه – وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد) اهـ (2).

(2) الملاحظة الثانية: أن (التصديق) بمعناه الخبري - وهو مجرد أن يقع في القلب نسبة الصدق إلى المخبر والخبر من غير إذعان وقبول - يساوي تماما عند السلف والأئمة معنى (العلم) أو (المعرفة): إذ لم يتصور هؤلاء الأئمة بل وجمهور العقلاء فرقا واحدا معقولا بين العلم والمعرفة، وبين التصديق.

يقول ابن تيمية: (فإن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الانقياد الذي يجعل قول القلب، أمرا دقيقا، وأكثر العقلاء ينكرونه، وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما، وأكثر الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه، ويقولون إن ما قاله ابن كلاب والأشعري من الفرق كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق ... والمقصود هنا أن الإنسان إذا رجع إلى نفسه عسر عليه التفريق بين علمه بأن الرسول صادق، وبين تصديق قلبه تصديقا مجردا عن انقياد وغيره من أعمال القلب بأنه صادق) اهـ (3).

(3) والملاحظة الثالثة: أن (المعرفة) **أو قول القلب التي** اشترطها السلف كركن أصلى للإيمان غير (المعرفة) التي اشترطها المعتزلة وغيرهم من المتكلمين، فالمعرفة التي اشترطها السلف هي تحقق العلم المنافي للجهل، أي: أن يعرف المرء حقيقة ما يؤمن به، سواء تحققت هذه المعرفة عن طريق التقليد أو عن طريق النظر والاستدلال.

وأما المعرفة التي اشترطها المعتزلة وأمثالهم فهي أن يعرف المرء أصول دينه عن طريق النظر والدليل العقلي وحده، لا عن طريق التقليد أو السماع.

يقول البدر العيني: (قال أهل السنة: من اعتقد أركان الدين من التوحيد والنبوة والصلاة والزكاة والصوم والحج، تقليدا، فإن اعتقد مع ذلك جواز ورود شبهة عليها وقال: لا آمن ورود شبهة تفسدها، فهو كافر. وإن لم يعتقد جواز ذلك بل جزم على ذلك الاعتقاد، فقد اختلفوا فيه ... وقال عامة المعتزلة: إنه ليس بمؤمن ولا كافر. وقال أبو هاشم: إنه كافر. فعندهم إنما يحكم بإيمانه إذا عرف ما يجب الإيمان به من أصول الدين،

[1] الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/414

بالدليل العقلي على وجه يمكنه مجادلة الخصوم وحل جميع ما يورد عليه من الشبه، حتى إذا عجز عن شيء من ذلك لم يحكم بإسلامه) (4). حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة لمحمد عبد الهادي المصري – ص 25

---

(1) ((كتاب الصلاة)) لابن القيم (ص: 19، 20).
(2) ((كتاب الصلاة)) لابن القيم (ص: 25).
(3) ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: 381 - 383).
(4) ((عمدة القاري)) (1/ 106، 107).." [1]

"العنصر الثاني الإقرار باللسان

الإقرار باللسان عند السلف عنصر أصلي من عناصر الإيمان، فلا يتصور تحقق الإيمان القلبي التام **من قول القلب وعمله** دون تحقق الإقرار باللسان، فهو على هذا الأساس يكون من جهة، عبارة عن (إنشاء) عقد جديد يتضمن الالتزام والانقياد، ومن جهة أخرى يكون عبارة عن (إخبار) عما في النفس من اعتقاد.

فمن استخدم لفظ (الإقرار) بمعناه العام هذا من الإخبار والالتزام وقال إن الإيمان هو الإقرار، فالخلاف معه خلاف لفظي، ومن استخدم اللفظ في المعنى الأخير وحده وهو الإخبار لزمه في تعريف الإيمان أن يضيف إليه الاعتقاد بالقلب.

يقول ابن تيمية: (ولفظ الإقرار يتضمن الالتزام، ثم إنه يكون على وجهين: أحدهما: الإخبار، وهو من هذا الوجه كلفظ التصديق، والشهادة، ونحوهما. وهذا معنى الإقرار الذي يذكره الفقهاء في كتاب الإقرار. والثاني: إنشاء الالتزام، كما في قوله تعالى: أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين [آل عمران: 81] وليس هو هنا بمعنى الخبر المجرد ... فهذا الالتزام للإيمان والنصر للرسول – وكذلك لفظ الإيمان – فيه إخبار وإنشاء التزام) اهـ (1).

فالإقرار باللسان إذن نتيجة تلقائية للتعبير عن تحقق الإيمان القلبي من تصديق بالحق وانقياد له. (ولذلك فإن العرب لا تعرف في لغتها التصديق والتكذيب إلا ما كان معنى ولفظا أو لفظا يدل على معنى، فلا يوجد في كلام العرب أن يقال: فلا صدق فلانا أو كذبه إذا كان يعلم بقلبه أنه صادق أو كاذب ولم يتكلم بذلك. فمن لم يصدق بلسانه مع القدرة لا يسمى في لغة القوم مؤمنا، كما اتفق على ذلك سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان. فمن صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه فإنه لا يعلق به شيء من أحكام الإيمان لا في الدنيا ولا في الآخرة، إذ لم يجعل الله أحدا مصدقا للرسل بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم، حتى يصدقوهم بألسنتهم. ولهذا كان القول الظاهر من الإيمان الذي لا نجاة للعبد إلا به عند عامة السلف والخلف من الأولين والآخرين، حيث اتفق المسلمون على أن من

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/417

لم يأت بالشهادتين مع القدرة على ذلك فهو كافر، وهو كافر باطنا وظاهرا عند سلف الأمة وأئمتها) (2).
يقول البدر العيني: (اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على ما قاله النووي: إن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار، لا يكون من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادا جازما خاليا من الشكوك، ونطق مع ذلك بالشهادتين.
قال: فإن اقتصر على أحدهما لم يكن من أهل القبلة أصلا، بل يخلد في النار إلا أن يعجز عن النطق لخلل في لسانه، أو لعدم التمكن منه لمعاجلة المنية، أو لتغير ذلك، فإنه حينئذ يكون مؤمنا بالاعتقاد من غير لفظ) اهـ (3).
ولا بد أن نقرر هنا – وبناء على كل ما سبق - أن التلفظ بالشهادتين إذن ليس مقصودا لذاته، وإنما المقصود هو الإعلان عن تحقيق مدلولهما من:
الإقرار بالتوحيد (ولوازمه من النبوة والبعث).
ترك الشرك والتبرئ منه.
التزام شرائع الإسلام.
فإذا لم تعبر الشهادة عن نفس هذه المعاني لم تقبل من قائلها، حتى تكون تعبيرا واقعيا عن مدلولها. وإذا عبر عن نفس هذه المعاني بكلمات أخرى قبلت من قائلها، حتى يلقن الشهادتين أو يتعلمهما أو يحسن التكلم بهما.

---

(1) ((الإيمان الأوسط)) (ص: 72، 73).
(2) راجع: ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: 126، 131، 135، 207، 287). وراجع ((الإيمان الأوسط)) (ص: 95، 151).
(3) ((عمدة القاري)) (1/ 110).." [1]
"قال الحافظ في (الفتح) عند الكلام على حديث: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)) (1) في باب قتل من أبى من قبول الفرائض من كتاب استتابة المرتدين والمعاندين ما لفظه: وفيه منع قتل من قال لا إله إلا الله ولو لم يزد عليها، وهو كذلك، لكن هل يصير بمجرد ذلك مسلما؟ الراجح لا، بل يجب الكف عن قتله حتى يختبر، فإن شهد بالرسالة والتزم أحكام الإسلام حكم بإسلامه، وإلى ذلك الإشارة بالاستثناء بقوله: إلا بحق الإسلام.
قال البغوي: الكافر إذا كان وثنيا أو ثنويا لا يقر بالوحدانية، فإذا قال: لا إله إلا الله حكم بإسلامه، ثم يجبر على قبول جميع الأحكام، ويبرأ من كل دين خالف الإسلام. وأما من كان مقرا بالوحدانية منكرا للنبوة فإنه لا يحكم بإسلامه حتى يقول: محمد رسول الله. فإن كان يعتقد أن الرسالة المحمدية إلى العرب خاصة، فلا بد أن يقول: إلى جميع الخلق، فإن كان كفره بجحود واجب أو استباحة محرم فيحتاج إلى أن يرجع عن اعتقاده.

---

[1] الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/423

قال الحافظ: ومقتضى قوله يجبر، أنه إذا لم يلتزم يجرى عليه حكم المرتد، وبه صرح القفال، واستدل بحديث الباب وادعى أنه لم يرد في خبر من الأخبار أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهي غفلة عظيمة، فإن ذلك ثابت في الصحيحين في كتاب الإيمان منهما (2) كما قدمنا الإشارة إلى ذلك. اهـ.) (3).
فالقضية إذن هي قضية تحقق أصل الإيمان في القلب، ثم التعبير عن تحقق هذا الأصل باللسان. فالشهادة إذن ليست حجابا من الكلمات التي يتمتم بها قائلها فترفع عنه السيف في الدنيا ثم تستره من العذاب في الآخرة، دون أن يكون لها أية حقيقة في قلبه وفي ظاهر أمره، من العلم والمعرفة والتصديق بالحق على ما هو عليه فعلا، ثم الخضوع والانقياد والاستسلام له، ومحبته والالتزام به وتعظيمه ولوازم ذلك كله، من كراهية الباطل والانخلاع عنه والتبرئ منه، والالتزام بشريعة الرسول والدخول في طاعته ومحبته وتوقيره صلى الله عليه وسلم. حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة لمحمد عبد الهادي المصري – ص 33
مسألة: علاقة قول اللسان بقول القلب وعمله
إن قول القلب: هو متعلق التوحيد الخبري الاعتقادي.
وعمل القلب: وهو متعلق التوحيد الطلبي الإرادي.
فإن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر يتضمن توحيد الأسماء والصفات، وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر عن ربه من الكتب وما فيها، والملائكة وأعمالهم وصفاتهم، والنبيين ودعوتهم وأخبارهم، وأحوال البرزخ والآخرة، والمقادير وسائر المغيبات. فالإقرار بهذا والتصديق به مجملا أو مفصلا هو قول القلب، وهو التوحيد الخبري الاعتقادي.
وعمل القلب ... يتضمن توحيد الله عز وجل بعبادته وحده حبا وخوفا ورجاء ورغبة ورهبة وإنابة وتوكلا وخشوعا واستعانة ودعاء وإجلالا وتعظيما وانقيادا، وتسليما لأمره الكوني وأمره الشرعي، ورضا بحكمه القدري والشرعي، وسائر أنواع العبادة التي صرفها لغير الله شرك (4).

(1) رواه البخاري (25)، ومسلم (138). من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(2) رواه البخاري (25)، ومسلم (138). من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(3) ((نيل الأوطار)) للشوكاني (8/ 9، 10) باب ما يصير به الكافر مسلما.
(4) كما يتضمن عمل القلب أعمالا دون ذلك مما افترضها الله وجعلها من واجبات الإيمان، كمحبة المؤمنين والنصح لهم، والتواضع، والشفقة، واجتناب الكبر والحسد، ونحو ذلك.." [1]

[1] الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/425

"المسألة الأولى: العلاقة بين إيمان القلب وعمل الجوارح
إن العلاقة بين إيمان القلب وعمل الجوارح لمن أهم قضايا الإيمان، ومن عدم فهمها دخل الضلال على المرجئة بل على أكثر المسلمين، حين ظنوا أنه يمكن أن يكون إنسان كامل الإيمان في القلب مع عدم عمل الجوارح مطلقا. كما ظنوا أن تماثل الناس في أعمال الجوارح يقتضى تماثل إيمانهم وأجورهم، ولم يدركوا أنه بحسب علاقة عمل الجارحة بعمل القلب يكون الحكم على العمل والثواب عليه، فقد يتفق العملان في المظهر والأداء، وبينهما مثل ما بين السماء والأرض في الدرجة والأجر.
وأساس فهم هذه القضية أن نعلم حقيقة الترابط بين أجزاء الإيمان على ضوء مذهب السلف.
فقد قررنا أن الإيمان قول وعمل وأن ذلك يشمل القلب والجوارح معا ...... ،
فهذان الركنان - القول والعمل - أو الأربعة الأجزاء **- قول القلب وعمله** وقول اللسان وعمل الجوارح - يتركب منهما هيئة مجتمعة أو حقيقة جامعة لأمور، هذه الهيئة والحقيقة هي (الإيمان الشرعي) كما أن حقيقة الإنسان مركبة من الجسد والروح أو العقل والوجدان، وكما أن الشجرة تتركب من الجذور الضاربة في الأرض والساق والأغصان الظاهرة.
ومما يوضح ذلك تشبيه تركيب الإيمان بالتركيب الكيميائي: مثلما يتركب الملح مثلا من الكلور والصوديوم أو يتركب جزيء الماء من ذرتي هيدروجين وذرة أكسجين بحيث لو انتفى التركيب لانتفت الحقيقة مطلقا وتحولت الأجزاء إلى أشياء مختلفة تماما.
ولكن لا يقف التركيب عند هذا الحد، بل يجب أن نضيف إليه أن هذه الأجزاء أو الهيئة المركبة تتكون تفصيلا من بضع وسبعين شعبة، وكل شعبة منها قابلة للتفاوت بين أعلى درجات الكمال وأدنى درجات النقص أو الاضمحلال والعدم.
وبهذا نفهم اندراج كل الأعمال والطاعات فرضا أو نفلا في مسمى الإيمان المطلق ودخولها في حقيقته الجامعة، كما يظهر تفاوت الناس في الإيمان ودرجاته، ومن أظهر الأدلة على هذا التركيب والامتزاج أنه قد وردت النصوص بتسمية الإيمان عملا وتسمية العمل إيمانا:
فأما تسمية الأعمال إيمانا فنصوص كثيرة جدا، حتى إن البخاري رحمه الله عقد في كتاب الإيمان من الصحيح تراجم كثيرة لذلك: مثل (باب الجهاد من الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، باب صوم رمضان من الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، باب اتباع الجنائز من الإيمان) ونحو ذلك، وأورد في ذلك الأحاديث الصحيحة التي شاركه في إخراجها كتب السنة الأخرى.
وأما تسمية الإيمان عملا فقد عقد أيضا له (باب من قال إن الإيمان هو العمل، لقوله تعالى: وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون [الزخرف: 72]. وقال عدة من أهل العلم في قوله تعالى: فوربك لنسألنهم أجمعين

عما كانوا يعملون [الحجر: 92 ـ 93]: عن قول لا إله إلا الله. وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون [الصافات: 61]).

ثم روى البخاري بسنده عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل أفضل؟ فقال ((إيمان بالله ورسوله)) قيل: ثم ماذا؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله))، قيل: ثم ماذا؟ قال: ((حج مبرور)) (1).

---

(1) رواه البخاري (26)، ورواه مسلم (83).." [1]

"وهذا الحديث رواه الإمام أحمد عن عبيدالله بن أسلم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (1)، وعن عبدالله بن حبشي الخثعمي (2)، ورواه أبو داود الطيالسي عن أبي هريرة (3) أيضا ورواه غيرهم عن أبي ذر (4).

ومن ذلك قوله تعالى: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون [سبأ: 37].

فقوله: بما عملوا يشمل إيمانهم بقلوبهم وأعمالهم الصالحة بجوارحهم المذكورين قبل.

وهذا ما فهمه السلف الصالح وأجمعوا على معناه - كما سبق في فصل حقيقة الإيمان الشرعية -، قال الوليد بن مسلم: (سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبدالعزيز ينكرون قول من يقول: إن الإيمان قول بلا عمل. ويقولون: لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان) (5).

وقد سبق إيراد قول الإمام الأوزاعي رحمه الله: (كان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدقه العمل)، وقول الشافعي رحمه الله: (وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ أحد الثلاثة إلا بالآخر) (6).

ولنوضح ذلك بمثالين: أحدهما من أعمال الجوارح والآخر من أعمال القلوب، يظهر في كل منها حقيقة العلاقة التلازمية وحقيقة التفاوت:

1 - الصلاة:

وهي من أعمال الجوارح، وقد ورد تسميتها إيمانا في القرآن، قال تعالي: وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم إلى بيت المقدس (7) , وهي بلا ريب أعظم شعب الإيمان العملية الظاهرة بعد الشهادتين، فلو تأملنا لوجدنا أنها تشمل أجزاء الإيمان الأربعة، وهي قول القلب: وهو إقراره وتصديقه بوجوبها، وعمل القلب: وهو الانقياد والإذعان بالإرادة الجازمة وتحريك الجوارح لفعلها والنية حال أدائها، وعمل اللسان: وهو القراءة والأذكار الواردة فيها، وعمل الجوارح: وهو القيام والركوع والسجود وغيرها.

---

[1] الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/429

2 - الحيـــاء:

(1) رواه أحمد (4/ 342) (19032). من حديث ماعز وليس عبيدالله بن أسلم رضي الله عنهما. قال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (2/ 166): رواه أحمد إلى ماعز رواة الصحيح، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (3/ 210): رجال أحمد رجال الصحيح، وقال ابن حجر في ((الإصابة)) (3/ 337): رواته ثقات، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (1091).
(2) رواه أحمد (3/ 411) (15437)، ورواه النسائي (8/ 469). والحديث حسنه ابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (4/ 16) كما أشار لذلك في المقدمة، وقال الألباني في ((صحيح سنن النسائي)): صحيح.
(3) رواه الطيالسي (ص: 329) (2518). والحديث رواه البخاري (26)، ومسلم (83).
(4) رواه البخاري (2518)، ومسلم (84).
(5) رواه الطبري في ((صريح السنة)) (ص: 25)، واللالكائي في ((اعتقاد أهل السنة)) (4/ 930) (1586).
(6) انظر: ((جامع العلوم والحكم)) (1/ 57) و ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: 280).
(7) انظر الفتح (1/ 95) كما ورد تسميتها إيمانا في حديث وفد عبد الفيس السابق وغيره، ومع ذلك أخرج المرجئة الصلاة من الإيمان وأولو الآية بأن المراد ليس صلاتكم بل التصديق بها، انظر المواقف ص 386." [1]

"وهو عمل قلبي، وقد صح تسميته إيمانا في حديث الشعب وغيره، ومع ذلك فلا يمكن تصور وجوده في القلب إلا بظهور أثره على اللسان والجوارح، وبمقدار حياء الجوارح يقاس حياء القلب. وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة، منها في الأفعال قصة الثلاثة الذين دخلوا علي النبي صلي الله عليه وسلم وهو في الحلقة، فدخل أحدهم فيها وأعرض الثالث، وأما الأوسط فتردد ثم جلس خلفهم، فقال عنه النبي صلي الله عليه وسلم ((وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه)) (1)، أي إنما منعه من الذهاب حياؤه، فشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالحياء بناء على فعله، فلو ذهب لقال فيه ما قال فيمن ذهب.
وأما الحياء في القول، فمنه قول علي رضي الله عنه: ((كنت رجلا مذاء، فاستحييت أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله)) (2)، فما في قلب علي رضي الله عنه من الحياء منعه من السؤال بنفسه، وهذا مما يعلمه كل إنسان في نفسه، أي متى يستحي وممن يستحي بحسب ما في قلبه.
ثم يأتي بعد هذا مسألة التفاوت في الصلاة والتفاوت في الحياء، فصلاة يقترن بها الخشوع وحضور القلب وحسن الأداء لا تكون كأخرى منقورة نقر

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/430

الغراب، وكذلك حياء مقرون به زيادة التقوى وحسن السمت وورع اللسان لا يكون كحياء رجل ليس لديه إلا ما يمسكه عما يفعله أو يقوله من لا حياء له.

ومثل هذا التفاوت هو الواقع في الإيمان كله بحسب كمال الشعب جميعها أو كمال بعضها دون بعض أو فقدان بعضها بالكلية.

هذا في الأفعال، والحال في التروك كذلك، فلنمثل لها أيضا بمثالين:

1 - ترك الزنا:

وهو عمل الجارحة، وهو من الإيمان بدليل نفي الشارع الإيمان عمن فعله، وهو يشمل قول القلب، أي الإقرار بحرمته وتصديق الشارع في ذلك؛ وعمل القلب، وهو الانقياد والإذعان بالكره والنفور والإرادة الجازمة لإمساك الجوارح عنه؛ وعمل الجوارح، وهو الكف عن فعله ومقدماته.

فمن ارتكب هذه الفاحشة بجوارحه فإن عمل قلبه مفقود بلا شك - خاصة حين الفعل -، لأن الإرادة الجازمة على الترك يستحيل معها وقوع الفعل، فمن هنا نفى الشارع عنه الإيمان تلك اللحظة ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) (3)، لكن **وجود قول القلب عنده** منع من الحكم بخروجه من الإيمان كله خلافا للخوارج، فلو أظهر ما يدل على انتفاء إيمان القلب واستحلاله له لكان خارجا من الملة عند أهل السنة والجماعة، أما مجرد الفعل فإنما يدل على انتفاء عمل القلب لا قوله.

2 - ترك الحسد:

وهو من أعمال القلب، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يجتمع والإيمان في قلب (4)، فلا يتصور خلو القلب من الحسد مع وجود آثاره ودلائله على الجوارح، كما لا يستطيع أحد أن يدعي أن فلانا حسود مع عجزه عن الإتيان بدليل ظاهر من عمله.

---

(1) رواه البخاري (66)، ومسلم (2176). من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.

(2) رواه البخاري (178)، ومسلم (303). من حديث علي رضي الله عنه.

(3) رواه البخاري (2475)، ومسلم (57). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(4) رواه النسائي (6/ 12) بلفظ: ((ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد))، وأحمد (2/ 340) (8460) بلفظ: ((ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والشح))، وابن حبان (10/ 466) (4606)، والحاكم (2/ 82)، والبيهقي (9/ 161) (18289)، وفي ((شعب الإيمان)) (5/ 266) (6609). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الطبري في ((مسند عمر)) (1/ 102): إسناده صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسنه ابن مفلح في ((الآداب الشرعية)) (3/

303)، وابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (2/ 280) كما أشار إلى ذلك في المقدمة، والألباني في ((صحيح سنن النسائي))..". [1]
"ويلاحظ هنا أن شيخ الإسلام يسوي بين القول بأن الإيمان هو المعرفة، والقول بأنه مجرد التصديق، وقد قال في بيان ذلك: (وأيضا فإن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الانقياد الذي يجعل قول القلب، أمر دقيق، وأكثر العقلاء ينكرونه. وبتقدير صحته، لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما، وأكثر الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه، ويقولون: إن ما قاله ابن كلاب والأشعري من الفرق كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق) (1)، إلى أن قال: (والمقصود هنا أن الإنسان إذا رجع إلى نفسه عسر عليه التفريق بين علمه بأن الرسول صادق، وبين تصديق قلبه تصديقا مجردا عن انقياد وغيره من أعمال القلب بأنه صادق) (2). ... والحاصل أن جهما ومن وافقه يرون أن الإيمان هو مجرد المعرفة أو التصديق، وأن ذلك ينفع صاحبه ولو لم يتكلم قط بالإسلام، ولا فعل شيئا من واجباته. ومع ذلك فقد التزم جهم بتكفير من كفره الشرع كإبليس وفرعون، زاعما أنه لم يكن في قلبيهما شيء من المعرفة بالله. ولاشك أن إلزام الجهمية بالقول بإيمان إبليس وفرعون لوجود التصديق منهما- كما سيأتي- إلزام لا محيد لهم عنه، ولهذا اضطربوا في الجواب عنه. قال ابن القيم: (ومن قال إن الإيمان هو مجرد اعتقاد صدق الرسول فيما جاء به وإن لم يلتزم متابعته، وعاداه وأبغضه، وقاتله، لزمه أن يكون هؤلاء كلهم مؤمنين، وهذا إلزام لا محيد عنه، ولهذا اضطرب هؤلاء في الجواب عن ذلك لما ورد عليهم، وأجابوا بما يستحي العاقل من قوله، كقول بعضهم: إن إبليس كان مستهزئا ولم يكن يقر بوجود الله ولا بأن الله ربه وخالقه، ولم يكن يعرف ذلك، وكذلك فرعون وقومه لم يكونوا يعرفون صحة نبوة موسى، ولا يعتقدون وجود الصانع. وهذه فضائح نعوذ بالله من الوقوع في أمثالها، ونصرة المقالات وتقليد أربابها تحمل على أكثر من هذا، ونعوذ بالله من الخذلان) (3). وقد دلت الأدلة على أن إبليس كان عارفا بالله، مصدقا بربوبيته، وكذلك كان فرعون، كما قال سبحانه عن إبليس: قال رب بمآ أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين [الحجر:39]، وقال: قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين [ص:82].
وقال عن فرعون وقومه: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين [النمل:14]، وقال حاكيا قول موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون: قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصآئر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا [الإسراء:102]، فدل هذا على أن إبليس وفرعون كانا مصدقين، وأن الكفر لا يختص

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/431

بالتكذيب، أو الجهل، كما زعم جهم ومن وافقه. الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين لمحمد بن محمود آل خضير – 1/ 199.

(1) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 398).
(2) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 400).
(3) ((مفتاح دار السعادة)) (1/ 94).." [1]

"وقال: (والحزب الثاني (1) وافقوا أهل السنة على أنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد، ثم ظنوا أن هذا لا يكون إلا مع وجود كمال الإيمان؛ لاعتقادهم أن الإيمان لا يتبعض، فقالوا: كل فاسق فهو كامل الإيمان، وإيمان الخلق متماثل لا متفاضل، وإنما التفاضل في غير الإيمان من الأعمال. وقالوا: الأعمال ليست من الإيمان؛ لأن الله فرق بين الإيمان والأعمال في كتابه. ثم قال الفقهاء المعتبرون من أهل هذا القول: إن الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان، وهذا المنقول عن حماد بن أبى سليمان ومن وافقه كأبي حنيفة وغيره) (2).

وحاصل ما عليه مرجئة الفقهاء هو ما يلي:

1 - أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان.

2 - إخراج العمل الظاهر من مسمى الإيمان.

3 - أن الإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص.

4 - أن أهله متساوون في أصله، وأن التفاضل إنما يقع في غير الإيمان.

5 - أنه لا يستثنى فيه.

6 - أما أعمال القلوب، فظاهر كلامهم أنها ليست من الإيمان. وهو ظاهر ما نقله أصحاب المقالات عنهم أيضا. وقد سبق قول شيخ الإسلام عنهم: (لكنهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول جهم، وإن أدخلوها في الإيمان لزمهم دخول أعمال الجوارح أيضا؛ فإنها لازمة لها).

وقال: (والمرجئة ثلاثة أصناف: الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب، وهم أكثر فرق المرجئة، كما قد ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه، وذكر فرقا كثيرة يطول ذكرهم، لكن ذكرنا جمل أقوالهم. ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن اتبعه كالصالحي، وهذا الذي نصره هو وأكثر أصحابه.

والقول الثاني: من يقول: هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية.

والثالث: تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم. وهؤلاء غلطوا من وجوه: أحدها: ظنهم أن الإيمان الذي فرضه الله على العباد متماثل في حق العباد، وأن الإيمان الذي يجب على شخص يجب مثله على كل شخص) (3).

إلى أن قال -بعد استطراد-: (الوجه الثاني من غلط المرجئة: ظنهم أن ما

[1] الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/441

في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط دون أعمال القلوب كما تقدم عن جهمية المرجئة.

الثالث: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون شيء من الأعمال، ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه بمنزلة السبب مع المسبب، ولا يجعلونها لازمة له، والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر) (4).

فصرح بأن الجهمية يخرجون أعمال القلوب من الإيمان، وهذا يذكره في مواضع، أما مرجئة الفقهاء فتراه لا يجزم هنا بقولهم في هذه المسألة، لكنه قال في موضع آخر: (وعند الجهمية الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، هذا قول جهم والصالحي والأشعري في المشهور عنه وأكثر أصحابه. وعند فقهاء المرجئة: هو قول اللسان مع تصديق القلب، وعلى القولين أعمال القلوب ليست من الإيمان عندهم كأعمال الجوارح، فيمكن أن يكون الرجل مصدقا بلسانه وقلبه مع كراهة ما نزل الله) (5).

وقال أيضا: (ومن هنا غلطت الجهمية والمرجئة، فإنهم جعلوا الإيمان من باب القول: **إما قول القلب الذي** هو علمه، أو معنى غير العلم عند من يقول ذلك، وهذا قول الجهمية ومن تبعهم كأكثر الأشعرية، وبعض متأخري الحنفية. **وإما قول القلب واللسان**، كالقول المشهور عن المرجئة، ولم يجعلوا عمل القلب مثل حب الله ورسوله ومثل خوف الله من الإيمان، فغلطوا في هذا الأصل) (6).

ومما يرجح أنهم لا يدخلون أعمال القلوب في الإيمان، ما قاله الطحاوي- وسبق نقله- أن الإيمان واحد وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى. ولا شك أن الخشية والتقى من أعمال القلوب، وقد دخلها التفاضل لأنها ليست من الإيمان.

وسبق أيضا قول شيخ الإسلام عنهم: (وإيمان الخلق متماثل لا متفاضل، وإنما التفاضل في غير الإيمان من الأعمال. وقالوا: الأعمال ليست من الإيمان).

فحيث أثبتوا التفاضل في أعمال القلوب، دل ذلك على أنها خارجة عن مسمى الإيمان عندهم. الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين لمحمد بن محمود آل خضير - 1/ 271

---

(1) أي: من القائلين بأن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل. والحزب الأول هم الخوارج والمعتزلة.

(2) ((مجموع الفتاوى)) (18/ 271).

(3) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 195) وما بعدها.

(4) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 204).

(5) ((منهـــــــــاج الســــــــــنة النبويـــــــــــة)) (5/ـــــــــــ 288).
(6) ((جامع المسائل)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (5/ 246).." [1]
"تمهيد
اتفـق أئمـة أهـل السـنة والجماعـة - سـلفا وخلفـا - على أن الإيمـان: قـول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمـل القلب والجـوارح؛ يزيـد بالطاعـة وكثرة العبادة، وينقص بالمعصية والغفلة، وقد حكى الإجماع على ذلك أكـثر أهل العلم - رحمهم الله - بـل أصبح هـذا القـول من ممـيزات أهـل السـنة والجماعـــــة، والفارقـــــة بينهم وبين أهـــــل البـــــدع والأهـــــواء ....
وعلى هذه العقيدة توفي الرسول صلى الله عليـه وسـلم وعلى هـذا المنهج كان جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان: من المحدثين، والفقهـاء، وجميع أئمة الدين، ولم يخالفهم أحـد من السـلف والخلـف؛ إلا الـذين مـالوا عن الحـــــق في هـــــذا الأمـــــر، وجـــــانبوا الصـــــواب.
والآثـار عن السـلف في مسـمى الإيمـان وحقيقتـه كثـيرة جـدا، ولا يمكن حصرها هنـا، وقـد قـال بهـذا القـول خلـق كثـير - غـيرهم - من أهـل السـنة والجماعة ... نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد بن عبد الله بن علي الوهيبي - بتصرف - ص57." [2]
"3 - وعن عبداللـه بن يزيـد الأنصـاري قـال: (تسـموا باسـمكم الـذي ســــماكم اللــــه بالحنيفيـــــة والإســــلام والإيمـــــان) (1).
4 - وعن أبي عبدالرحمن الشيباني قال: (لقيت عبدالله بن معقل فقلت له: إن أناسا من أهل الصلاح يعيبون علي أن أقول: أنـا مـؤمن، فقـال عبداللـه: لقــــــــد خبت وخســــــــــرت إن لم تكن مؤمنـــــــــا) (2).
5 - وعن إبـراهيم التيمي قـال: (ومـا على أحـدكم أن يقـول: أنـا مـؤمن، فوالله لئن كان صادقا لا يعذبه اللـه على صـدقه، وإن كـان كاذبـا لمـا دخـل عليـــــه من الكفـــــر أشـــــد عليـــــه من الكـــــذب) (3).
ومراده بـ (أنا مؤمن) أصل الإيمان كما يدل على ذلك آخر كلامه قوله: (لمـا دخــــــــــــل عليــــــــــــه من الكفــــــــــــر ...).
6 - وعن أبي عبدالرحمن السلمي قال: (إذا سئل أحدكم: أمـؤمن أنت؟ فلا يشــــــــــــــــــك في إيمانــــــــــــــــــه) (4).
7 - وعن سيف بن ميمون قال: قلت لعطاء: (إن قبلنا قوما نعدهم من أهـل الصلاح إن قلنـا: نحن مؤمنـون عـابوا ذلـك علينـا، قـال: فقـال عطـاء: نحن المسلمون المؤمنون، وكذلك أدركنا أصـحاب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وســــــــــــــــلم يقولــــــــــــــــون) (5).
فهذه الآثار لا تشكل على مـا ذكرتـه آنفـا من أن مـذهب السـلف هـو جـواز الاســـــتثناء في الإيمـــــان، لأنهـــــا لا تخلـــــو من أحـــــد أمـــــور:
1 - إما أن تكون ضعيفة الإسناد غير ثابتة عن الصـحابي أو التـابعي المرويـة

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 5/470
[2] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/15

عنـــــــــــه كمـــــــــــا في بعض الآثـــــــــــار المتقدمـــــــــــة.
2 - أو أن يكون قاله على سبيل التعميم كما في الأثر الأول، وهذا لا إشكال فيـه إذ أهـل القبلـة كلهم مؤمنـون باعتبـار الظـاهر منهم، وبـذلك يتوارثـون ويتنـــــــــاكحون ويتعـــــــــاملون بـــــــــالأخوة الإيمانيـــــــــة.
3 - أو أن يكـون قصـد بـذلك أصـل الإيمـان لإتمامـه وكمالـه، بـل هـذا هـو مقصودهم عند إطلاق القول (أنا مؤمن) أو (أنت مؤمن)، لأن اسـم الإيمـان عنـــــــد الســــــلف على ضـــــــربين: مطلـــــــــق ومقيـــــــد.
فإذا استعمل مطلقا شـمل جميـع مـا يحبـه اللـه ورسـوله من أقـوال العبـد وأعمالـــــــــــــــــه الظـــــــــــــــــاهرة والباطنـــــــــــــــــة.
وإذا اسـتعمل مقيـدا يكـون متنـاولا لأصـل الإيمـان وأساسـه، وهـو الإيمـان البـــاطن بأركانـــه الســـتة الـــواردة في حـــديث جبريـــل المشـــهور (6).
وللإيمان عندهم أصل وفرع؛ فأصل الإيمان في القلب **وهـو قـول القلب وعمله**، وفرعـــــــــه الأعمـــــــــال الظـــــــــاهرة بأنواعهـــــــــا (7).
وعلى هذا فإن من اسـتثنى من السـلف في إيمانـه قصـد بـه الإيمـان التـام الكامل المقبول عند الله، ومن لم يسـتثن قصـد الإيمـان البـاطن الـذي هـو أصـــــــل الإيمـــــــان وأساســـــــه وهـــــــذا لا اســـــــتثناء فيـــــــه.
وعلى هذا ينبغي لمن سئل هل هـو مـؤمن أو لا؟ أن يستفصـل من السـائل ماذا يريد بالإيمان؟ هل يريد بذلك الإيمان الكامـل التـام المقبـول عنـد اللـه الذي أهله يقينا في الجنة؟ أو يريد الإيمـان المقيـد الـذي هـو أصـل الإيمـان وأساســـه؟
فـــإن أراد الأول فلا بـــد من الاســـتثناء، وإن أراد الثـــاني فلا اســـتثناء ...
وتأكيدا لما ذكرت أنقل بعض أقـوال السـلف المؤكـدة لـذلك والمؤيـدة لـه، والمبينة أن مقصودهم بـترك الاسـتثناء في الإيمـان أصـله، وبالاسـتثناء فيـه تمامـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــه وكمالـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــه.

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (11/ 30)، وفي كتاب ((الإيمان)) (ص: 10).
(2) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (11/ 29)، وفي كتاب ((الإيمان)) (ص: 10).
(3) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (11/ 15)، وفي كتاب ((الإيمان)) (ص: 23).
(4) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (11/ 29)، وفي كتاب ((الإيمان)) (ص: 9).
(5) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (11/ 35)، وفي كتاب ((الإيمان)) (ص: 16).
(6) الحـــديث في الصـــحيحين؛ رواه البخـــاري (50)، ومســـلم (106). من

حـــــديث أبي هريـــــــرة رضـــــــي اللــــــــه عنـــــــه.
(7) انظر: ((الفتاوى)) لابن تيمية (7/ 642 وما بعدها).." [1]

"والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يـراه، ولكن وجهـة نظـر الزهـري هي أن من أتى بالشـهادتين صـار مسـلما، يتمـيز عن اليهـود والنصارى، تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين. والزهـري لم يرد أن الإسـلام الـواجب هـو الكلمـة وحـدها؛ فـإن الزهـري أجـل من أن يخضع لذلك، ولهذا فإن أحمد رحمه الله في أحد أجوبته لم يجب بهذا، خوفا من أن يظن أن الإسلام ليس هو إلا الكلمة، وقد رد محمد بن نصر على من قال بهذا القول، فقال من زعم أن الإسلام هو الإقرار، وأن العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسـنة، فـإن النصـوص كلهـا تـدل على أن الأعمـال من الإسـلام كحـديث جبريـل، وفيـه بـني الإسـلام على خمس، وذكـر الأعمـال الشهادتان والصلاة والزكـاة والصـوم والحج شـرح العقيـدة الطحاويـة لعبـد العزيـــــــز بن عبـــــــد اللــــــــه الــــــــراجحي - 1/ـــــــ 246

ويمكن أن نجمـل مـا سـبق في قاعـدتين: القاعـدة الأولى: لا إيمـان لمن لا إســـــلام لـــــــه، ولا إســـــلام لمن لا إيمـــــــان لـــــــه.

والمقصـــود هنـــا الإيمـــان والإســـلام المقبـــولان عنـــد اللـــه عـــز وجـــل. قال أبـو طـالب المكي: (.. فمثـل الإسـلام من الإيمـان، كمثـل الشـهادتين إحـداهما من الأخـرى في المعـنى والحكم، فشـهادة الرسـول، غـير شـهادة الوحدانية، فهما شيئان في الأعيان، وإحداهما مرتبطة بـالأخرى في المعـنى والحكم كشيء واحد، كذلك الإيمان والإسلام أحـدهما مرتبـط بـالآخر، فهمـا كشيء واحد، لا إيمـان لمن لا إسـلام لـه، ولا إسـلام لمن لا إيمـان لـه، إذ لا يخلو المسلم من إيمان بـه يصـح إسـلامه، ولا يخلـو المـؤمن من إسـلام بـه يحقق إيمانـه، من حيث اشـترط اللـه للأعمـال الصـالحة الإيمـان، واشـترط للإيمان الأعمال الصالحة، فقال في تحقيق ذلك: فمن يعمل من الصــالحات وهـــو مـــؤمن فلا كفـــران لســـعيه وإنـــا لـــه كـــاتبون [الأنبيـــاء: 94] وقال في تحقيق الإيمان بالعمل: ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى [طه: 75] (1). ويقول ابن أبي شيبة: لا يكون الإسـلام إلا بإيمان، ولا إيمان إلا بإسلام ... (2).وقال الإمام البغـوي في تعليقـه على حديث جبريل عليـه السـلام: جعـل النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم في هـذا الحديث الإسلام اسما لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمـان اسـما لمـا بطن من الاعتقــاد، وليس ذلــك لأن الأعمــال ليســت من الإيمــان، أو التصــديق بالقلب ليس من الإسلام (3)، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شـيء واحـد، وجماعها الدين ولـذلك قـال: ((ذاك جبريـل أتـاكم يعلمكم أمـر دينكم)) (4) والتصـديق والعمــل يتناولهمــا اســم الإيمــان والإســلام جميعــا ...) (5).

إذا يمكن تلخيص هــــــــذه القاعــــــــــدة بمـــــــــا يلي:
إن بين الإسلام والإيمان تلازما فلا يمكن أن يوجـد أحـدهما بـدون الآخـر، فلا

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/93

يصح الإسلام ولا يوجد بدون أصل الإيمان، فإذا انتفى أصل الإيمان بطل الإسلام، كذلك لا يصح ولا يوجد إيمان بدون إسلام (أي عمل الجوارح، وعمل القلب) فلو انتفى العمل لدل ذلك على بطلان الإيمان وفساده. القاعدة الثانية: أن الاسم الواحد ينفي ويثبت بحسب الأحكام المتعلقة به، فلا يجب إذا أثبت أو نفى في حكم أن يكون كذلك في سائر الأحكام ... كذلك كل ما يكون له مبتدأ وكمال، ينفي تارة باعتبار انتفاء كماله، ويثبت تارة باعتبار ثبوت مبدئه (6).

---

(1) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (7/ 333).
(2) ((تعظيم قدر الصلاة)) للمروزي (2/ 528).
(3) لو قال: ليس شرطا في الإسلام لكان أولى لأنه لم يرد في النصوص إطلاق الإسلام على التصديق (أي قول القلب).
(4) رواه البخاري (50)، ومسلم (9، 10). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(5) ((شرح السنة للبغوي)) (1/ 10).
(6) انظر هذه القاعدة وشرحها وأمثلة لها في ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (7/ 421 - 422).." [1]

"هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون [المؤمنون: 1 - 11] وقال الله تعالى: طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون [النمل: 1 - 3] وغيرها من الآيات وقد فسر الله تعالى الإيمان بذلك كله في قوله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملآئكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسآئلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون [البقرة: 177] ... وفسره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كله في حديث وفد عبد القيس في الصحيحين وغيرهما فقال: ((آمركم بالإيمان بالله وحده قال أتدرون ما الإيمان بالله وحده قالوا الله ورسوله أعلم قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدوا من المغنم الخمس)) (1) وقد جعل صلى الله عليه وسلم صيام رمضان إيمانا واحتسابا من الإيمان وكذا قيام ليلة القدر وكذا أداء الأمانة وكذا الجهاد والحج واتباع الجنائز وغير ذلك وفي الصحيحين: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)) (2). وهذه

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/145

الشعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة في مواضع متفرقة منها ما هو **من قول القلب وعمله** ومنها ما هو من قول اللسان ومنها ما هو من عمل الجوارح.
ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله تعالى إيمانا في قوله تعالى: وما كان الله ليضيع إيمانكم [البقرة: 143] يعني صلاتكم كما يعلم من سبب نزول هذه الآية ...
والآيات والأحاديث في هذا الباب يطول ذكرها وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ما وراءه وبالله التوفيق ....
(الحالة الثانية) أي يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه وكما في قوله تعالى: والذين آمنوا وعملوا الصالحات [النساء: 57] في غير موضع من كتابه وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الجنازة: ((اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه علي الإيمان)) (3) وذلك أن الأعمال بالجوارح وإنما يتمكن معها في الحياة فأما عند الموت فلا يبقى **غير قول القلب وعمله** ... والحاصل أنه إذا أفرد الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث الجليل والمجموع مع الإحسان هو الدين كما سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله دينا وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان وبذلك جمع بينه وبينها أهل العلم.
معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد الحكمي - بتصرف - ص745

---

(1) رواه البخاري (53)، ومسلم (17). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(2) رواه البخاري (9)، ومسلم (35) واللفظ له. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(3) رواه أبو داود (3201)، والترمذي (1024)، وابن ماجه (1498)، وأحمد (2/ 368) (8795)، والحاكم (1/ 511). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي في ((التلخيص)). وقال الألباني في ((أحكام الجنائز)) (ص124): وهو كما قالا. وصححه أيضا في ((صحيح سنن أبي داود)).." [1]

"وإن ظاهر العبد – عند أهل السنة والجماعة – هو الوجه الآخر لقلبه وباطنه، وأنه انعكاس مباشر له لا يتخلف عنه ولا يغايره، وإذا كان الباطن صالحا كان الظاهر كذلك، وإذا كان الباطن فاسدا كان الظاهر كذلك فاسدا

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/149

بحسبه؛ لأن الإيمان أصله في القلب، وهو: قول القلب من المعرفة والعلم والتصديق. عمل القلب من الإذعان والانقياد والاستسلام. ولكن من لوازم هذا الإيمان – إذا تحقق في القلب – تحقيقها في الظاهر، فالظاهر لا يتخلف عن الباطن ولا يضاده؛ لأنه ترجمان الباطن، ومرتبط به ارتباطا وثيقا. فالظاهر والباطن متلازمان لا يكون الظاهر مستقيما إلا باستقامة الباطن، وكذلك العكس. والإيمان المطلوب شرعا هو الإيمان الظاهر والباطن، وتلازم عمل القلب بعمل الجوارح؛ لأنه لا يصح إيمان العبد بواحدة دون الأخرى؛ فمن زعم وجود العمل في قلبه دون جوارحه؛ لا يثبت له اسم الإيمان؛ لأن الأعمال والأقوال الظاهرة من لوازم الإيمان التي لا تنفك عنه، قال الله تبارك وتعالى: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون [المجادلة: 22]. وقال تعالى: ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون [المائدة: 81]. وقال: إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم [الأنفال: 2 - 4]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل رجل الجنة لا يأمن جاره بوائقه)) (1). وقال صلى الله عليه وسلم: ((ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب)) (2). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شرح هذا الحديث: (فبين أن صلاح القلب مستلزم لصلاح الجسد؛ فإذا كان الجسد غير صالح، دل على أن القلب غير صالح، والقلب المؤمن صالح؛ فعلم أن من يتكلم بالإيمان، ولا يعمل به، لا يكون قلبه مؤمنا، حتى أن المكره إذا كان في إظهار الإيمان؛ فلابد أن يتكلم مع نفسه، وفي السر مع من يأمن إليه، ولابد أن يظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه؛ كما قال عثمان. وأما إذا لم يظهر أثر ذلك إلا بقوله، ولا بفعله قط؛ فإنه يدل على أنه ليس في القلب إيمان، وذلك أن الجسد تابع للقلب؛ فلا يستقر شيء في القلب إلا ظهر موجبه ومقتضاه على البدن، ولو بوجه من الوجوه) (3).

---

(1) رواه أحمد (3/ 198) (13071). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (1/ 220): رواه أحمد وفيه علي بن مسعدة وثقه يحيى بن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره. والحديث حسنه الألباني في ((السلسلة الصحيحة)): (2841).

(2) رواه البخـاري (52)، ومسـلم (1599). من حـديث النعمـان بن بشـير رضـــــــــــــي اللـــــــــــــه عنـــــــــــــه.
(3) ((مجموع الفتاوى)) (14/ 121).." [1]
"وقال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي – رحمه الله – في شرحه لهـذا الحديث أيضا: (إن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه للمحرمات واتقاءه للشـــــــبهات بحســـــــب صـــــــلاح حركـــــــة قلبـــــــه. فإن كان قلبه سليما، ليس فيه إلا محبة الله، ومحبة ما يحبـه اللـه، وخشـية الله، وخشية الوقوع فيما يكرهه؛ صلحت حركـات الجـوارح كلهـا، ونشأ عن ذلـك اجتنـاب المحرمـات كلهـا، وتـوقي الشـبهات حـذرا من الوقـوع في المحرمـــات. وإن كان القلب فاسدا، قد استولى عليه اتبـاع هـواه، وطلب مـا يحبـه، ولـو كرهـه اللـه، فسـدت حركـات الجـوارح كلهـا، وانبعثت إلى كـل المعاصـي والمشـــــــــــتبهات بحســـــــــب اتبـــــــــاع هـــــــــوى القلب. ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء، وبقية الأعضاء جنوده، وهم مـع هـذا جنـود طائعون له، مبعثون في طاعته، وتنفيـذ أوامـره، لا يخالفونـه في شـيء من ذلك؛ فإن كان الملك صالحا كانت هذه الجنود صالحة، وإن كان فاسدا كانت جنــوده بهــذه المثابــة فاســدة، ولا ينفــع عنــد اللــه إلا القلب السـليم ... فإن أعمال الجوارح لا تستقيم إلا باستقامة القلب، ومعـنى اسـتقامة القلب أن يكون ممتلئا من محبة الله، ومحبة طاعته، وكراهية معصيته ... وحركات الجسد تابعة لحركة القلب وإرادته، فإن كانت حركته وإرادته لله وحده؛ فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله، وإن كانت حركة القلب وإرادته لغير اللـه تعالى، فسد، وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب ... ومعنى هذا أن حركات القلب والجوارح إذا كانت كلها للـه؛ فقـد كمـل إيمـان العبـد بذلك ظاهرا وباطنا، ويلـزم من صـلاح حركـات القلب صـلاح الجـوارح؛ فـإذا كان القلب صالحا ليس فيـه إلا إرادة اللـه، وإرادة اللـه مـا يريـده لم تنبعث الجـــــــــــوارح إلا فيمـــــــــــا يريـــــــــــده اللـــــــــــه) (1).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فأصـل الإيمـان في القلب، **وهـو قول القلب وعمله**، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقيـاد، ومـا كـان في القلب، فلا بـد أن يظهـر موجبـه ومقتضـاه على الجـوارح، وإذا لم يعمـل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضـعفه، ولهـذا كـانت الأعمـال الظـاهرة من مـوجب إيمـان القلب ومقتضـاه، وهي التصـديق لمـا في القلب، ودليـل عليه وشاهد له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له؛ لكن مــا في القلب هو الأصل لما على الجوارح؛ كما قال أبو هريرة – رضي الله عنه – إن القلب ملك، والأعضاء جنوده؛ فـإن طـاب الملـك، طـابت جنـوده، وإذا خبث الملـــــــــــــــــــــك خبثت جنـــــــــــــــــــــوده) (2).
وقال أيضا: (فهذا الموضع ينبغي تدبره فمن عرف ارتبـاط الظـاهر بالبـاطن

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/163

زالت عنه الشبهة في هذا الباب، وعلم أن من قال من الفقهاء إنه إذا أقر بالواجب وامتنع عن الفعل لا يقتل، أو يقتل مع إسلامه؛ فإنه دخلت عليه الشبهة التي دخلت على المرجئة والجهمية، والتي دخلت على من جعل الإرادة الجازمة مع القدرة التامة لا يكون بها شيء من الفعل، ولهذا كان الممتنعون من قتل هذا من الفقهاء بنوه على قولهم في مسألة الإيمان، وأن الأعمال ليست من الإيمان، ... وأن جنس الأعمال من لوازم إيمان القلب، وأن إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع؛ سواء جعل الظاهر من لوازم الإيمان، أو جزء من الإيمان) (3).

---

(1) انظر: ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (1/ 210) في شرح (الحديث السادس) من الأربعين النووية.
(2) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 644).
(3) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 616).." [1]

"وقال في موضع آخر: (وهنا أصول تنازع الناس فيها: منها أن القلب هل يقوم به تصديق، أو تكذيب، ولا يظهر قط منه شيء على اللسان والجوارح، وإنما يظهر نقيضه من غير خوف؟ فالذي عليه السلف والأئمة وجمهور الناس؛ أنه لابد من ظهور موجب ذلك على الجوارح، فمن قال: إنه يصدق الرسول ويحبه ويعظمه بقلبه، ولم يتكلم قط بالإسلام، ولا فعل شيئا من واجباته بلا خوف؛ فهذا لا يكون مؤمنا في الباطن، وإنما هو كافر) (1).
وقال كذلك: (وقد تبين أن الدين لابد فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمنا بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يؤد واجبا ظاهرا، ولا صلاة ولا زكاة ولا صياما، ولا غير ذلك من الواجبات، لا لأجل أن الله أوجبها؛ مثل أن يؤدي الأمانة، أو يصدق الحديث، أو يعدل في قسمه وحكمه؛ من غير إيمان بالله ورسوله، لم يخرج بذلك من الكفر؛ فإن المشركين، وأهل الكتاب يرون وجوب هذه الأمور، فلا يكون الرجل مؤمنا بالله ورسوله مع عدم شيء من الواجبات التي يختص بإيجابها محمد صلى الله عليه وسلم) (2).
وقال - أيضا- رحمه الله: (إذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة؛ كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان؛ فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة، بل يلزم من وجود هذا كاملا، وجود هذا كاملا؛ كما يلزم من نقص هذا، نقص هذا؛ إذ تقدير إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل، كتقدير موجب تام بلا موجبه، وعلة تامة بلا معلولها، وهذا ممتنع) (3).
وقال الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله: (وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد. وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/164

القلب، وهو نيته وإخلاصه. وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله. وإذا زال تصديق القلب، لم ينفع بقية الأجزاء؛ فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة.

وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق؛ فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة؛ فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده؛ كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه، واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول؛ بل ويرون به سرا وجهرا، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن به.

وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب؛ فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح، ولاسيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم ... فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع القلب وانقاد؛ أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، وهو حقيقة الإيمان.

فإن الإيمان ليس مجرد التصديق ... وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد، وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبيينه؛ بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه، والعمل بموجبه، وإن سمي الأول هدى؛ فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء؛ كما أن اعتقاد التصديق، وإن سمي تصديقا؛ فليس هو التصديق المستلزم للإيمان، فعليك بمراجعة هذا الأصل ومراعاته) (4).

---

(1) ((مجموع الفتاوى)) (14/ 120).
(2) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 621).
(3) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 582).
(4) ((كتاب الصلاة وحكم تاركها)) لابن قيم الجوزية (ص54).." [1]

"هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون [المؤمنون: 1 - 11] وقال الله تعالى: طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون [النمل: 1 - 3] وغيرها من الآيات وقد فسر الله تعالى الإيمان بذلك كله في قوله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملآئكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسآئلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون [البقرة: 177].

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/165

وفسره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كله في حديث وفد عبد القيس في الصحيحين وغيرهما فقال: ((آمركم بالإيمان بالله وحده قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده قالوا: الله ورسوله أعلم قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدوا من المغنم الخمس)) (1)

وقد جعل صلى الله عليه وسلم صيام رمضان إيمانا واحتسابا من الإيمان وكذا قيام ليلة القدر وكذا أداء الأمانة وكذا الجهاد والحج واتباع الجنائز وغير ذلك وفي الصحيحين: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)) (2). وهذه الشعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة في مواضع متفرقة منها ما هو **من قول القلب وعمله** ومنها ما هو من قول اللسان ومنها ما هو من عمل الجوارح. ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله تعالى إيمانا في قوله تعالى: وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم [البقرة: 143] يعني صلاتكم كما يعلم من سبب نزول هذه الآية ... والآيات والأحاديث في هذا الباب يطول ذكرها وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ما وراءه وبالله التوفيق. وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم الله: إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم.

---

(1) رواه البخاري (53) وهذا لفظه، ومسلم (17). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(2) رواه البخاري (9)، ومسلم (35). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.." [1]

"وقال آخرون التصديق بالجنان والإقرار باللسان وهذا قول مخرج لأركان الإسلام الظاهرة المذكورة في حديث جبريل وهو ظاهر البطلان. وذهب الخوارج والعلاف ومن وافقهم إلى أنه الطاعة بأسرها فرضا كانت أو نفلا وهذا القول مصادم لتعليم النبي صلى الله عليه وسلم لوفود العرب السائلين عن الإسلام والإيمان وكل ما يقول له السائل في فريضة هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع شيئا. (1) وذهب الجبائي وأكثر المعتزلة البصرية إلى أنه الطاعات المفروضة من الأفعال والتروك دون النوافل وهذا أيضا يدخل المنافقين في الإيمان وقد نفاه الله تعالى عنهم وقال الباقون منهم العمل والنطق والاعتقاد والفرق بين هذا وبين قول السلف الصالح أن السلف لم يجعلوا كل الأعمال شرطا في الصحة بل جعلوا كثيرا منها شرطا في الكمال كما قال عمر بن عبد العزيز فيها من استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان والمعتزلة جعلوها

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/179

كلهـــــــا شـــــــــرطا في الصـــــــــحة واللـــــــــه أعلم.
(الحالة الثانية) أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه وكما في قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات [النساء: 57] في غير موضع من كتابه وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الجنازة: ((اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان)) (2) وذلك أن الأعمال بالجوارح وإنما يتمكن منها في الحياة فأما عند الموت فلا يبقى **غير قول القلب وعمله** ... والحاصل أنه إذا أفرد الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث الجليل والمجموع مع الإحسان هو الدين كما سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله دينا وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان وبذلك جمع بينه وبينها أهل العلم.
معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد الحكمي – ص745
(ينظـــر تفصـــيل ذلـــك، في الكتـــاب الثـــامن من هـــذه الموســـوعة)

---

(1) رواه البخاري (46)، ومسلم (11). من حديث طلحة بن عبيد الله رضـــــــــــي اللــــــــــــه عنــــــــــــه.
(2) رواه أبو داود (3201)، والترمذي (1024)، وابن ماجه (1498)، وأحمد (2/ 368)، والحاكم (1/ 511). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي في ((التلخيص)). وقال الألباني في ((أحكام الجنائز)) (ص124): وهو كما قالا. وقال في ((صحيح سنن أبي داود)): صحيح.." [1]

"المســـــألة الثانيـــــة: حكم الإصـــــرار على المعصـــــية
وأما عن الإصرار على المعصية فنقول: إن الإصرار معناه الثبات على الأمر ولزومه (1). أو الإقامة على الشيء والمداومة عليه (2). وهو هنا بمعنى الثبوت على المعاصي (3). أي الإقامة على فعل الذنب أو المعصية مع العلم بأنها معصية دون الاستغفار أو التوبة (4). وهو الاستمرار على المعصـــية وعـــدم الإقلاع عنهـــا (5) والعـــزم بـــالقلب عليهـــا (6).
وحكم المصر على المعصية عند أهل السنة هو حكم مرتكب الكبيرة. يذكر ابن حجر الهيتمي في كتابه (الزواجر) أن من جملة الكبائر: (فرح العبد بالمعصية، والإصرار عليها، ونسيان الله تعالى والدار الآخرة، والأمن من مكر الله، والاسترسال في المعاصي) اهـ (7). فاقتراف المعاصي بمفرده عندهم لا يخرج من دين الله، ولا توقع المعاصي فمن كبائر وذنوب صاحبها

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/181

في الردة إن لم يقترن بها سبب من أسباب الكفر، ولذلك يقرر الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته: (ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله) (8).
ولكن الإمام الطحاوي سرعان ما يعقب على ذلك بقوله: (ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله) (9) وذلك لأن أهل السنة يرون أن فعل المعاصي يترتب عليه العذاب والعقاب الأخروي الذي أخبر عنه الشارع لكثير من المحرمات والمعاصي، وتوعد الله به على فعلها في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنها تؤثر على الإيمان من حيث زيادته ونقصانه، لا من حيث بقاؤه وذهابه (10).
وكذلك فإن صاحب المعصية المصر عليها يخشى عليه – عند أهل السنة – سوء العاقبة، لأن المعاصي عندهم هي بريد الكفر، والإكثار من مقارفة المعاصي قد يؤدي إلى الوقوع في الكفر والردة والعياذ بالله، فالاستغراق في المعاصي أو الإصرار عليها قد يجعلها تحيط بصاحبها وتنبت النفاق في قلبه؛ فيرون عليه ويسد منه كل منافذ الخير دونما شعور منه حتى يسقط منه إما عمل القلب فيعدو يؤول ويبرر لصاحبه كل ما يفعله حتى يوقعه في استحلال المعاصي، وإما يسقط **منه قول القلب فينكر** بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، لتبرير مقتضيات الهوى والشهوة (11).
قال الله تعالى: بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون [البقرة: 81].
وقد نقل الإمام ابن كثير في تفسيره تفسير السلف رضي الله تعالى عنهم للسيئة والخطيئة هنا بأنها: (إما الكفر والشرك، وإليه ذهب ابن عباس وأبو هريرة وأبو وائل وأبو العالية ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والربيع بن أنس. وإما الموجبة أو الكبيرة من الكبائر، وإليه ذهب السدي وأبي رزين والربيع بن الخيثم ورواية أخرى عن أبي العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع بن أنس).
ثم علق ابن كثير بقوله: (وكل هذه الروايات متقاربة في المعنى والله أعلم).

---

(1) ((المعجم الوجيز)) (ص: 363) مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
(2) ((مختار الصحاح)) (ص: 384).
(3) ((تفسير الطبري)) (4/ 91).
(4) ((تفسير القرطبي)) (4/ 211). و ((صفوة التفاسير)) (2/ 52).
(5) ((تفسير ابن كثير)) (1/ 407).
(6) ((تفسير القرطبي)) (4/ 211).
(7) ((الزواجر)) (1/ 147 وما بعدها)
(8) ((شرح العقيدة الطحاوية)) لابن أبي العز الحنفي (1/ 204)، وانظر: ((الإيمان)) لنعيم ياسين (ص: 223) وما بعدها.

(9) ((شـــرح العقيـــدة الطحاويـــة)) لابن أبي العـــز الحنفي (1/ــ 204).
(10) ((الإيمـــــــــان)) لنعيم ياســـــــين (ص: 123) وبعـــــــــدها.
(11) ((الإيمان)) لنعيم ياسين (ص: 223) وما بعدها.." [1]

"ويقول صاحب (معارج القبول): (ولا نكفر بالمعاصي التي قدمنا ذكرها وأنها لا توجب كفرا، والمراد بها الكبائر التي ليست بشرك، ولا تستلزمه ولا تنافي اعتقاد القلب ولا عملـه، (مؤمنـا) مقـرا بتحريمهـا معتقـدا لـه، مؤمنـا بالحـدود المترتبـة عليهـا، ولكن نقـول: يفسـق بفعلهـا، ويقـام عليـه الحـد بارتكابهـــا، وينقص إيمانـــه بقـــدر مـــا تجـــرأ عليـــه منهـــا ... (إلا مع استحلاله لما جنى) ... وهو أن عامل الكبيرة يكفـر باسـتحلاله إياهـا، بل يكفر بمجرد اعتقاده بتحليل ما حرم الله ورسوله ولو لم يعمـل بـه، لأنـه حيئنذ يكون مكذبا بالكتاب ومكذبا بالرسول صـلى اللـه عليـه وسـلم، وذلـك كفر بالكتـاب والسـنة والإجمـاع، فمن جحـد أمـرا مجمعـا عليـه معلومـا من الـــــدين بالضـــــــرورة فلا شـــــك في كفـــــره) اهـــــ (1).

وإذا علمنا أن الذنوب والمعاصي عند أهل السنة والجماعة تؤثر في الإيمـان من حيث زيادته ونقصه لا من حيث بقاؤه وذهابـه – إلا أن يصـاحب ذلـك مـا يقدح في أصله من استحلال لهذه المعاصي، وأن هذا الاسـتحلال قـد يكـون **بسقوط قول القلب والتكذيب** جحـودا أو عنـادا، وقـد يكـون بسـقوط عمل القلب والاستكبار استخفافا أو استهزاء، أو غير ذلك من أسباب – فمـا هـو حكم عصـاة الموحـدين ومـآلهم في الآخـرة؟ وهـل كـل من مـات على معصية يدخل النار بها؟ وإذا دخلها فكيف يخرج منهـا؟ ومـا هي عقيـدة أهـل السنة والجماعة في ذلك؟ حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعـة لمحمـد عبـــــــــــــدالهادي المصـــــــــــــــــــري – ص: 146

---

(1) ((معارج القبول)) (2/ 357، 358).." [2]

"وقال: (وكذلك الغلو في بعض المشايخ: إما في الشـيخ عـدي ويـونس القتي أو الحلاج وغيرهم، بل الغلو في علي بن أبى طالب ونحوه، بـل الغلـو في المسيح ونحوه. فكل من غلا في حي أو في رجـل صـالح كمثـل علي أو عدي أو نحوه، أو فيمن يعتقـد فيـه الصـلاح، كـالحلاج أو الحـاكم الـذي كـان بمصر، أو يونس القتي ونحوهم، وجعل فيه نوعا من الإلهيـة مثـل أن يقـول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده، أو يقول إذا ذبح شاة: باسم سيدي أو يعبده بالسجود له أو لغيره، أو يدعوه من دون الله تعالى، مثل أن يقول: يا سيدي فلان اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجرني أو تـوكلت عليـك أو أنت حسـبي، أو أنـا في حسـبك، أو نحـو هـذه الأقـوال والأفعال، التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصـلح إلا للـه تعـالى؛ فكـل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تـاب وإلا قتـل فـإن اللـه إنمـا أرسـل

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/196
[2] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/199

الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله إلها آخر. والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى - مثل: الشمس والقمر والكواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ويغوث ويعوق ونسر أو غير ذلك - لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق، أو أنها تنزل المطر، أو أنها تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة والكواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء، أو يعبدون قبورهم ويقولون: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ويقولون: هم شفعاؤنا عند الله فأرسل الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة) (1).

2 - ومن الكفر الذي هو فعل: السجود أو الذبح لغير الله تعالى، أو إلقاء مصحف في قذر، أو قتل نبي من الأنبياء

3 - وأما كفر الاعتقاد المناقض لقول القلب أو عمله، فكتكذيب النبي باطنا، أو بغضه ومعاداته مع اعتقاد صدقه، أو اعتقاد حل الزنا أو الخمر، أو اعتقاد أن أحدا يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، أو غير ذلك من الاعتقادات المكفرة التي **تناقض قول القلب أو** عمله.

لكن ينبغي أن يعلم أن كفر التكذيب قليل في أعداء الرسل، قال ابن القيم رحمه الله: (فأما كفر التكذيب: فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار؛ فإن الله تعالى أيد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة وأزال به المعذرة، قال الله تعالى عن فرعون وقومه: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا [النمل:14]، وقال لرسوله: فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون [الأنعام:33] وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضا فصحيح؛ إذ هو تكذيب باللسان) (2).

وقال شيخ الإسلام: وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون، لكن إما لحسدهم، وإما لإرادتهم العلو والرياسة، وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه، وما يحصل لهم به من الأغراض، كأموال ورياسة وصداقة أقوام وغير ذلك، فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم، أو حصول أمور مكروهة إليهم، فيكذبونهم ويعادونهم، فيكونون من أكفر الناس، كإبليس، وفرعون، مع علمهم بأنهم على الباطل، والرسل على الحق (3).

4 - والكفر يكون بالترك، كترك الصلاة عند جمهور السلف، بل هو إجماع الصحابة ... ،

ومن ذلك ترك عمل الجوارح بالكلية، كمن يعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يزكي ولا يصوم ولا يحج ولا يفعل شيئا من الواجبات أو المستحبات، فهذا كافر كفرا لا يثبت معه توحيد، ولا يكون هذا إلا مع زوال عمل القلب، والمرجئة تنازع في كفر هذا وتأباه، جهلا منهم بحقيقة الإيمان، وإنكارا للتلازم بين الظاهر والباطن الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين لمحمود بن محمد آل خضير- 1/ 134

(1) ((مجموع الفتاوى)) (3/ 395).
(2) ((مدارج السالكين)) (1/ 346).
(3) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 191).." [1]
"الباب الثاني: نواقض الإيمان في باب التوحيد
• المبحث الأول: ما يناقض قول القلب.
• المبحث الثاني: ما يناقض عمل القلب.
• المبحث الثالث: أمثلة أخرى لنواقض الإيمان بالاعتقاد.." [2]
"9 - وقال تعالى: وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين [المائدة: 43] قال الإمام الطبري: (يتولون يقول: يتركون الحكم به، بعد العلم بحكمي فيه، جرأة علي وعصيانا لي) (1).
وقال- رحمه الله-: (وأصل التولي عن الشيء الانصراف عنه ...) (2).
10 - وورد لفظ التولي بمعنى التولي عن الطاعة في مواضع من القرآن، كقوله تعالى: فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما [الفتح: 16].
وقوله سبحانه: لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى [الليل: 15 ـ 16]
وقوله عز وجل: فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى [القيامة: 31 ـ 32]
قال شيخ الإسلام: (فالتكذيب للخبر، والتولي عن الأمر، وإنما الإيمان تصديق الرسل فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أمروا) (3).
وقال في موضع آخر تعليقا على هذه الآيات: (فعلم أن التولي ليس هو التكذيب، بل هو التولي عن الطاعة، فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما أخبر، ويطيعوه فيما أمر، وضد التصديق التكذيب، وضد الطاعة، التولي) (4).
وقال- رحمه الله-: (والمتولي هو العاصي الممتنع عن الطاعة) (5).
الخلاصة:
بعد هذا الإيجاز لكلام أهل اللغة والمفسرين، يمكن أن نستخلص من معاني الإعراض ما يلي:
1 - يأتي بمعنى: عدم الاستماع لأوامر الله عز وجل، وعدم المبالاة بها أو التفكر فيها وهو الغالب.
2 - ويأتي بمعنى: عدم القبول لها، وهذا يأتي بعد الاستماع لها والتذكير بها.
3 - ويأتي بمعنى الامتناع والتولي عن الطاعة، وهذا يكون بعد الاستماع والقبول.
4 - ويأتي بمعنى: ترك العمل.
5 - ويأتي بمعنى: الصدود.

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/265
[2] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/362

6 - ويأتي بمعنى: ترك حكم الله، والانصراف عنه مع العلم بحقيقته.
وحاصل ذلك يرجع إلى ثلاثة أمور:
الأول: يتعلق بالعلم (قول القلب)، من عدم الاستماع، وعدم المبالاة.
الثاني: يتعلق بالعمل (عمل القلب والجوارح).
أ - عمل القلب: من عدم القبول والاستسلام.
ب- عمل الجوارح: من الامتناع وترك العمل، والتولي عن الطاعة.
الثالث: الإعراض عن حكم الله والتحاكم إليه.
فهذا هو مفهوم الإعراض، وهذه هي أنواعه وحالاته.
ب- الإعراض المكفر وغير المكفر
بعد ذكر مفهوم الإعراض وحالاته، يرد علينا هذا التساؤل، ما الإعراض الذي هو ناقض من نواقض الإسلام؟ ذكر الإمام ابن القيم- رحمه الله- من أنواع الكفر الأكبر: كفر الإعراض، وعرفه قائلا: (وأما كفر الإعراض: فإن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة) (6)، وفصل ذلك في موضع آخر فقال: (.. إن العذاب يستحق بسببين، أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها، والثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها، فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد، وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل) (7).

---

(1) ((تفسير الطبري)) (10/ 366) انظر (10/ 392، 575).
(2) ((تفسير الطبري)) (10/ 377).
(3) ((الإيمان)) (ص: 56).
(4) ((الإيمان)) (ص: 137).
(5) ((الإيمان الأوسط)) (ص: 154).
(6) ((مدارج السالكين)) (1/ 366، 367) انظر ((مفتاح دار السعادة)) (ص: 94).
(7) ((طريق الهجرتين)) (ص: 384) انظر ما قبلها، وانظر ((مفتاح دار السعادة)) (ص: 44) و ((إرشاد الطالب)) (ص: 12، 13).." [1]
"فالإعراض المكفر على حسب ما ذكره هو نوع من اللامبالاة فلا يسمع الحجة، ولا يبحث عنها، ولا يفكر في ذلك، ولا يعني ذلك أن الإمام يحصر كفر الإعراض بما **ينافي قول القلب فقط**، لكنه لا يسمي في كلامه ترك العمل بعد العلم كفر إعراض، وإنما يطلق عليه كفر عناد وهو نفسه كفر الإعراض من جهة التولي وترك العمل والامتناع ....
كذلك ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- كفر الإعراض المنافي لقول القلب حيث قال: (والكفر أعم من التكذيب فكل من كذب الرسول كافر،

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/378

وليس كل كافر مكذبا، بل من يعلم صدقه، ويقر به وهو مع ذلك يبغضه أو يعاديه كافر، أو من أعرض فلم يعتقد لا صدقه ولا كذبه كافر وليس بمكذب) (1).

وكذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- ذكر ضمن نواقض الإسلام (العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون [السجدة: 22]. (2)، فالإمام كما يبدو من كلامه يعتبر جهل أصول الدين والإعراض عن تعلمه مع القدرة كفر أكبر وكذلك ترك العمل بعد ما يعلم.

أما الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ- رحمه الله- فقد أجاب إجابة شاملة وموجزة حينما سئل عن الإعراض الناقض للإسلام، فقال: (إن أحوال الناس تتفاوت تفاوتا عظيما وتفاوتهم بحسب درجاتهم في الإيمان إذا كان أصل الإيمان موجودا والتفريط والترك إنما هو فيما دون ذلك من الواجبات والمستحبات، وأما إذا عدم الأصل الذي يدخل به الإسلام وأعرض عن هذا بالكليه، فهذا كفر إعراض، فيه قوله تعالى: ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون [الأعراف: 179]، وقوله: ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى [طه: 124]، ولكن عليك أن تعلم أن المدار على معرفة حقيقة الأصل وحقيقة القاعدة وإن اختلف التعبير واللفظ) (3).

فالشيخ عبد اللطيف - رحمه الله - بين ووضح أنه إذا اختل الأصل (أي أصل الإيمان ...) بالإعراض التام **عن قول القلب أو** عمله، أو قول اللسان أو جنس عمل الجوارح فهذا هو الإعراض الناقض لأصل الإيمان، أما ترك الواجبات والمستحبات والإعراض عن فعلها فلا يعد ضمن الإعراض المكفر، ويلاحظ في كلام الشيخ أنه لم يذكر ترك الأركان ضمن الإعراض غير الناقض ولعل ذلك للخلاف المشهور حول حكم تارك الأركان، وخاصة الصلاة.

(1) ((التسعينية)) (5/ 166).
(2) ((الرسائل الشخصية)) (ص: 214).
(3) ((منهاج أهل الحق والاتباع)) (ص: 64، 65) , للشيخ سليمان بن سحمان انظر ((منهاج التأسيس والتقديس)) (ص: 227، 228) , للشيخ عبد اللطيف.." [1]

"منها الشك في صدق الرسول صلى الله عليه وسلم أو الشك في البعث، أو الشك في كفر الكافر، أو الشك في شيء من القرآن أو الشك في حكم من الأحكام، قال القاضي عياض - رحمه الله - عند كلامه عن

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/379

بعض المكفرات: (وكذلك من أضاف إلى نبينا الكذب فيما بلغه وأخبر بـه، أو شك في صدقه، أو سبه ... فهو كـافر بإجمـاع (1). وقـال أيضـا: (... ولهـذا نكفر من دان بغـير ملـة المسـلمين من الملـل، أو وقـف فيهم، أو شـك، أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مـع ذلـك الإسـلام، واعتقـده، واعتقـد إبطـال كـل مذهب سواه، فهو كافر بإظهار ما أظهره من خلاف ذلك) (2)، وقال: (اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه، أو سبهما، أو جحـده، أو حرف منه آية، أو كذب به أو بشيء منه، أو كذب بشـيء ممـا حـرم بـه من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه أو نفى مـا أثبتـه على علم بـذلك، أو شـك في شـــيء من ذلـــك فهـــو كـــافر عنـــد أهـــل العلم بإجمـــاع) (3).

وذكر شيخ الإسلام حكم من لم يكفر الكافر سواء كان كافرا أصـليا كـاليهود والنصارى، أو من ثبت كفره يقينـا كالباطنيـة فقـال – رحمـه اللـه – في رده على أهل الحلول والاتحاد: (وأقوال هـؤلاء شـر من أقـوال النصـارى، وفيهـا من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى، ولهذا يقولون بـالحلول تـارة، وبالاتحـاد أخـرى، وبالوحـدة تـارة، فإنـه مـذهب متنـاقض في نفسـه، ولهـذا يلبسون على من لم يفهمه، فهذا كله كفر باطنا وظاهرا بإجماع كل مسـلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهـو كـافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين) (4)، وقال في بيـان حكم من زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليـه وسـلم إلا نفـرا قليلا أو أنهم فسـقوا عـامتهم، قـال: (فهـذا لا ريب – أيضـا- في كفـره لأنـه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثنـاء عليهم، بـل من يشـــك في كفـــره مثـــل هـــذا فـــإن كفـــره متعين ...) (5).

وذكر الإمـام محمـد بن عبـد الوهـاب – رحمـه اللـه – من نـواقض الإسـلام: (الثالث: من لم يكفـر المشـركين، أو شـك في كفـرهم، أو صـحح مـذهبهم، كفـر إجماعـا) (6)، وقـال الإمـام سـليمان بن عبـد اللـه بن محمـد بن عبـد الوهاب – رحمهم الله -: (... فإن كان شاكا في كفـرهم أو جـاهلا بكفـرهم بينت له الأدلة من كتـاب اللـه وسـنة رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم على كفرهم، فإن شك بعد ذلك وتردد فإنه بإجماع العلمـاء على أن من شـك في كفر الكفار فهو كافر) (7). وقال الشيخ ابن سحمان – رحمـه اللـه -: (وقـد دل القرآن على أن الشـك في أصـول الـدين كفـر، والشـك هـو الـتردد بين شيئين، كالذي لا يجزم بصدق الرسول صلى الله عليـه وسـلم ولا كذبـه، ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه، ونحو ذلك كالذي لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها، أو لا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه، وهذا كفـر بإجمـاع العلمـــــــــــــــــــــــــــــــــــاء) (5).

وفي آخـر هـذا المبحث نشـير إلى فائـدتين هـامتين ... وقـد ذكرهمـا شـيخ الإســـــــــلام ابن تيميـــــــــــة رحمـــــــــــه اللـــــــــــه:

الأولى: التنبيه إلى الفرق بين الشك والوسوسة، (فالوسوسة هي مما يهجم على القلب بغير اختيار الإنسان، فإذا كرهه العبد ونفاه كانت كراهتـه صـريح

الإيمان) (8)، أما الشاك فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو تارك للإيمان الذي لا نجاة ولا سعادة إلا به.
الثانية: مر معنا في أول هذا المبحث أن معنى الريب: الشك هذا من حيث الإجمال، ويذكر شيخ الإسلام فرقا دقيقا بين الريب والشك، فيقول: (والريب يكون في علم القلب وفي عمل القلب، بخلاف الشك، فإنه لا يكون إلا في العلم، ولهذا لا يوصف باليقين إلا من اطمأن قلبه علما وعملا) (9)، وبذلك يكون الشك أخص من الريب، ويكون الشاك كافرا بسبب الإخلال بشرط العلم الذي هو أصل قول القلب، والله أعلم. نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد بن عبد الله بن علي الوهيبي-بتصرف- 2/ 69

---

(1) ((الشفا)) (2/ 1069).
(2) ((الشفا)) (2/ 1071).
(3) ((الشفا)) (2/ 1101).
(4) ((مجموع الفتاوى)) (2/ 368).
(5) ((الصارم المسلول)) (ص: 591، 592).
(6) مجموعة الشيخ ((الرسائل الشخصية)) (ص: 213).
(7) رسالة ((أوثق عرى الإيمان))، ((الجامع الفريد)) (ص: 370).
(8) ((الضياء الشارق)) (ص: 374).
(9) ((مجموع الفتاوى)) (14/ 108) وانظر ((الإيمان)) (ص: 268).." [1]

"وقوله تبارك وتعالى: وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون [الجاثية:34، 35].
وقوله تعالى: ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون [الأحقاف:26].
وقال تعالى: قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم [التوبة:65، 66].
يقول ابن تيمية: نقل عن الشافعي أنه سئل عمن هزل بشيء من آيات الله تعالى، أنه قال كافر، واستدل بقوله تعالى: قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم (1).
ويقول ابن تيمية عن قوله تعالى: قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر ... (2).
ب- إن الإيمان بالكتب المنزلة يتضمن الإقرار بها وتصديقها، ولا شك أن

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/383

إنكارها يناقض هذا الإقرار والتصديق، فإنكار الكتب المنزلة يناقض قول القلب وهو التصديق، كما يناقض قول اللسان وهو الإقرار.

والإيمان بالكتب المنزلة يتضمن أيضا وجوب تعظيمها وإجلالها وإكرامها، وإن الاستهزاء بها لا يجتمع مع هذا التعظيم والإجلال، فهو مناقض لعمل القلب، كما أنه يناقض الإيمان الظاهر باللسان.

جـ- إن إنكار الكتب السماوية يتضمن إنكارا لصفة الكلام الإلهي، ونفي هذه الصفة من الإلحاد في أسماء الله تعالى، وسوء الظن بالله تعالى، وعدم قدر الله تعالى حق قدره.

كما أن هذا الإنكار طعن في الرسل عليهم السلام وتنقص لهم، ... وأن الطعن في الرسل عليهم السلام وسبهم من نواقض الإيمان.

كما أن هذا الإنكار والاستهزاء هو إنكار واستهزاء بشرائع الدين وأحكامه الإلهية المتلقاة من هذا الوحي، والاستهزاء بالدين كفر (3)؛ لأن أصل الدين قائم على التعظيم (4).

د- روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((المراء في القرآن كفر)) (5).

ومما قاله الخطابي في بيان هذا الحديث: اختلف الناس في تأويله. فقال بعضهم: معنى المراء هنا: الشك فيه، كقوله تعالى فلا تك في مرية منه [هود:17] أي: في شك، ويقال: بل المراء هو الجدال المشكك فيه.

(1) ((الصارم المسلول)) (ص513).
(2) ((الصارم المسلول)) (ص31)، وانظر: ((المحلى)) لابن حزم (13/ 500).
(3) انظر: ((تفسير الرازي)) (16/ 124).
(4) انظر: ((تفسير السعدي)) (3/ 259).
(5) رواه أبو داود (4603)، وأحمد (2/ 300) (7976). والحديث سكت عنه أبو داود. وحسنه ابن القيم في ((تهذيب السنن)) (12/ 353)، وابن حجر في ((هداية الرواة)) (1/ 159) - كما أشار لذلك في مقدمته -. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (7/ 154): رواه كله أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح. وقال أحمد شاكر في ((المسند)) (15/ 146): إسناده صحيح. وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)): حسن صحيح.." [1]

"وظاهر هذا أنه يرى كفر تارك الصلاة إذا دعي إليها وأبى، كما هو المعروف من مذهب الحنابلة.

وما ذكره: من أن الخلاف هنا متفرع على الخلاف في مسألة الإيمان، هو ما قرره شيخ الإسلام بقوله: (وعلم أن من قال من الفقهاء: إنه إذا أقر بالوجوب، وامتنع عن الفعل، لا يقتل، أو يقتل مع إسلامه؛ فإنه دخلت عليه

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 6/450

الشبهة التي دخلت على المرجئة والجهمية، والتي دخلت على من جعل الإرادة الجازمة مع القدرة التامة لا يكون بها شيء من الفعل، ولهذا كان الممتنعون من قتل هذا من الفقهاء بنوه على قولهم في مسألة الإيمان، وأن الأعمال ليست من الإيمان) (1).

الوجه الثاني: أنه على فرض أن الشيخ: لا يكفر بترك الصلاة والزكاة والصوم والحج، فهذا من أبلغ الرد على المخالف في زعمه أن مسألة ترك العمل راجعة إلى مسألة ترك الصلاة، خلافا ومأخذا، والحق أن الأولى مجمع عليها بين أهل السنة، بخلاف الثانية، والشيخ هنا: مع عدم تكفيره لتارك المباني الأربعة، يجزم بكفر تارك عمل الجوارح بالكلية، ويحكي الإجماع على هذا، فلله الحمد والمنة.

8 - أحد أئمة الدعوة، حيث قال في (التوضيح عن توحيد الخلاق): (فأهل السنة مجمعون على أنه متى زال عمل القلب فقط، أو هو مع عمل الجوارح: زال الإيمان بكليته. وإن وجد مجرد التصديق، فلا ينفع مجردا عن عمل القلب والجوارح معا، أو أحدهما (2)، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم سرا وجهرا) (3).

9 - الشيخ عبدالرحمن بن حسن، ت: 1285هـ، حيث قال: (قوله: ((من شهد أن لا إله إلا الله)) أي تكلم بها عارفا لمعناها، عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا (4)، كما قال تعالى: فاعلم أنه لا إله إلا الله [محمد:19]، وقوله: إلا من شهد بالحق وهم يعلمون [الزخرف:86] أما النطق بها من غير معرفة معناها، ولا يقين ولا عمل بمقتضاها، من نفي الشرك وإخلاص القول **والعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، فغير نافع بالإجماع) (5).

---

(1) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 616).

(2) فلا ينفع التصديق مع زوال العملين، أي عمل القلب وعمل الجوارح، ولا ينفع أيضا مع زوال أحدهما، بل لابد من اجتماع الثلاثة، فلا يجزئ أحدها عن الآخر.

(3) ((التوضيح عن توحيد الخلاق)) (ص: 139) والكتاب طبع منسوبا للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، وحقق الشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف نسبته إلى ثلاثة من أئمة الدعوة اشتركوا فيه، وهم: الشيخ محمد بن علي بن غريب (ت: 1209 هـ)، والشيخ حمد بن معمر (ت: 1225 هـ)، والشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب (ت: 1242 هـ). انظر: ((دعاوى المناوئين)) (ص: 59)، وانظر: ترجمة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، في ((الدرر السنية)) (16/ 3766) وجاء فيها: (وله مشاركة في كتاب ((التوضيح)).

(4) في إحدى النسخ بعد قوله: (وظاهرا): (فلابد في الشهادتين من العلم

واليقين والعمل بمدلولهما).
(5) ((فتح المجيد)) (1/ 119) ت: د. الوليد بن عبدالرحمن آل فريان.." [1]
"قال: (فالسلف يقولون: ترك الواجبات الظاهرة، دليل على انتفاء الإيمان الواجب من القلب، لكن قد يكون ذلك بزوال عمل القلب، الذي هو حب الله ورسوله، وخشية الله، ونحو ذلك، لا يستلزم ألا يكون في القلب من التصديق شيء.
وعند هؤلاء (1) كل من نفى الشرع إيمانه دل على أنه ليس في قلبه شيء من التصديق أصلا، وهذا سفسطة عند جماهير العقلاء) (2).
قلت: الإيمان الواجب هنا، هو الإيمان الصحيح المجزئ، بدليل قوله: (لكن قد يكون ذلك بزوال عمل القلب ... لا يستلزم ألا يكون في القلب من التصديق شيء).
وسياق الكلام يفيد بأن شيخ الإسلام يسلم للمخالف بأن إيمان القلب يذهب وينتفي، لكن ليس لذهاب التصديق فقط، بل قد يكون بذهاب عمل القلب، وهذا يدل على أن المراد بانتفاء الإيمان الواجب من القلب: انتفاء الإيمان الصحيح المجزئ، المترتب على (زوال عمل القلب).
(11) تصريحه بأنه لابد في الإسلام من الإتيان بأصل الطاعة في الظاهر:
قال: (فإذا قال أحد هؤلاء العالمين الجاحدين الذين ليسوا بمؤمنين: محمد رسول الله، كقول أولئك اليهود وغيرهم، فهذا خبر محض مطابق لعلمهم الذي قال الله فيه: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون [البقرة:146]، لكن كما لا ينفعهم مجرد العلم، لا ينفعهم مجرد الخبر، بل لابد أن يقترن بالعلم في الباطن مقتضاه من العمل الذي هو المحبة والتعظيم والانقياد ونحو ذلك، كما أنه لابد أن يقترن بالخبر الظاهر مقتضاه من الاستسلام والانقياد وأصل الطاعة) (3).
وهذا كما ترى صريح في اشتراط أربعة أمور، هي أركان الحقيقة **المركبة، قول القلب وعمله**، وقول اللسان وأصل عمل الجوارح، وسماه هنا: أصل الطاعة، وبين أنه لا ينفع الكافر وجود التصديق مع قول اللسان، ما لم يقترن التصديق بالعمل الباطن، ويقترن قول اللسان بالعمل الظاهر، وفي هذا أبلغ رد على من زعم أن التلازم بين الظاهر والباطن إنما هو في الإيمان المطلق أو الكامل لا في أصل الإيمان.
15 - الإمام ابن القيم رحمه الله، ت:751هـ
(1) تصريحه بأن تخلف العمل الظاهر دليل على فساد الباطن.
قال: (الإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته، فلا ينفع ظاهر لا باطن له وإن حقن به الدماء وعصم به المال والذرية.
ولا يجزئ باطن لا ظاهر له إلا إذا تعذر بعجز أو إكراه وخوف هلاك، فتخلف

[1] الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 7/131

العمل ظاهرا مع عدم المانع دليل على فساد الباطن وخلوه من الإيمان. ونقصه دليل نقصه. وقوته دليل قوته. فالإيمان قلب الإسلام ولبه، واليقين قلب الإيمان ولبه. وكل علم وعمل لا يزيد الإيمان واليقين قوة فمدخول، وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدخول) (4).

وقال: (فكل إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة، فليس بنافع، حتى يكون معه شيء من الإيمان الباطن. وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة، لا تنفع ولو كانت ما كانت، فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف، ولم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع، لم ينجه ذلك من النار، كما أنه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجه من النار) (5).

(2) تصريحه بأن من أمحل المحال أن يقوم بقلب العبد إيمان جازم لا يتقاضاه فعل طاعة ولا ترك معصية:

---

(1) أي: الأشعري – قبل رجوعه لمذهب أهل السنة والجماعة- والباقلاني ومن قبلهم ممن نصر قول جهم في الإيمان.

(2) ((مجموع الفتاوى)) (7/ 148).

(3) ((التسعينية)) (2/ 673).

(4) ((الفوائد)) (ص85).

(5) ((الفوائد)) (ص142).." [1]

"حقيقة الإيمان

Q هل الإيمان قول وعمل واعتقاد، أم قول واعتقاد، وما حكم الذي يقول: إن الإيمان اعتقاد وقول فقط؟

A هذا السؤال يحتاج إلى كلام طويل، والخلاصة أن الإيمان عند أهل الحق قول القلب، وقول اللسان، وتصديق القلب، وعمل القلب، وعمل الجوارح، ومرجئة الفقهاء -وهم طائفة من أهل السنة- يقولون: الإيمان قول باللسان، وتصديق بالقلب، وأما الأعمال فليست من الإيمان، لكنها مطلوبة، وأما المرجئة المحضة فيقولون: ليست مطلوبة، فأهل السنة من الأحناف وغيرهم من مرجئة الفقهاء يقولون: الأعمال ليست من الإيمان، لكنها مطلوبة، والواجبات واجبات، والمحرمات محرمات، لكن لا نسميها إيمانا، فالإنسان عليه واجبان: واجب الإيمان، وواجب العمل، أما المرجئة المحضة فقالوا: لا تؤثر الأعمال في الإيمان ولا تضر، وهذا هو الفرق بينهما، والصواب أن الإيمان قول باللسان، وقول بالقلب، وهو التصديق، وعمل القلب وعمل الجوارح، وكلها داخلة في مسمى الإيمان، والنصوص الدالة على هذا كثيرة.." [2]

---

[1] () الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 7/150

[2] () دروس في العقيدة - الراجحي، عبد العزيز الراجحي 6/22

"ترجيح الإمام ابن القيم رحمه الله
ساق العلامة ابن القيم رحمه الله الأدلة في هذه المسألة في كتابه (رسالة في الصلاة)، وساق أدلة القائلين بكفر تارك الصلاة كفرا أكبر يخرج من الملة، وساق أدلة القائلين بأنه يكفر كفرا أصغر لا يخرج من الملة، ثم عقد فصلا للحكم بينهم فقال: فصل في الحكم بين الفريقين، وفصل الخطاب بين الطائفتين.
يريد أن يحكم بينهم، ثم قال: معرفة الصواب في هذه المسألة مبني على معرفة حقيقة الإيمان والكفر، ثم يصح النفي والإثبات بعد ذلك، ثم ذكر رحمه الله كلاما تستخلص منه الأصول الآتية: الأصل الأول: أن الإيمان والكفر متقابلان، فمتى زال أحدهما خلفه الآخر، فإذا زال الإيمان خلفه الكفر، وإذا زال الكفر خلفه الإيمان، فالكفر والإيمان متقابلان، فمتى زال أحدهما خلفه الآخر.
الأصل الثاني: أن الإيمان أصل له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيمانا، والكفر أصل له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى كفرا.
الأصل الثالث: أن شعب الإيمان متفاوته، كما في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق)، فالأصل الثالث: أن شعب الإيمان متفاوتة، فأعلاها شعبة الشهادة، وأدناها شعبة إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة، منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى عن الطريق، وكذلك الكفر شعب متفاوتة.
الأصل الرابع: أن الإيمان قسمان: قول وعمل، وكذلك الكفر قسمان: قول وعمل، وأن الإيمان قد يحصل بشعبة قولية، كشعبة الشهادة، وقد يحصل بشعبة فعلية، كشعبة التصديق.
وكذلك الكفر قد يحصل بشعبة قولية، كالإتيان بكلمة الكفر اختيارا، وقد يحصل بشعبة فعلية، كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف.
الأصل الخامس: أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول **قسمان: قول القلب وهو** التصديق والاعتقاد، وقول اللسان: وهو التكلم بكلمة الإسلام، وعمل القلب: وهو نيته وإخلاصه واعتقاده، وعمل الجوارح، فحقيقة الإيمان مركبة من قول اللسان، وقول القلب، وعمل القلب، وعمل الجوارح، فإذا وجدت هذه الحقيقة المركبة من هذه الأمور الأربعة، وجد الإيمان بالاتفاق، وإذا فقدت هذه الأربعة، فقد الإيمان بالاتفاق، وإذا وجدت، وتخلف التصديق والاعتقاد، فإنه لا تنفع بقية الأجزاء؛ لأن التصديق شرط في صحتها، وإذا وجد التصديق، وانتفى عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه، ومحبته وانقياده، فهذا موضع الخلاف والمعركة، بين أهل السنة وبين المرجئة، فأهل السنة يقولون: لا يحصل الإيمان، والمرجئة يقولون: يحصل الإيمان.
الأصل السادس: أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد، أن

يسمى مؤمنا، وإن كان ما قام به إيمانا، ولا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر بالعبد، أن يسمى كافرا وإن كان ما قام به كفرا.

الأصل السابع: أن سلب اسم الإيمان عن تارك الصلاة، أولى من سلبه عن مرتكب الكبائر، فالنبي صلى الله عليه وسلم سلب الإيمان عن مرتكب الكبائر، فقال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) فسلبه عن تارك الصلاة أولى، وسلب اسم الإسلام عن تارك الصلاة أولى، من سلبه عمن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فالذي لم يسلم المسلمون من لسانه ويده سلب عنه الإسلام، فسلب الإسلام عن تارك الصلاة أولى.

الأصل الثامن: أنه إذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب -وهو المحبة والانقياد- فغير مستنكر أن يزول الإيمان بزوال أعظم أعمال الجوارح، وهي الصلاة.

ثم بعد ذلك عند التأمل قال: هل ينفع تارك الصلاة ما معه من التصديق، في عدم الخلود في النار أولا ينفعه؟ فتارك الصلاة معه شعبة واحدة من الإيمان، وهي شعبة التصديق، فهل ينفعه ما معه من الإيمان؟ وهل تنفعه هذه الشعبة -وهي التصديق- في عدم الخلود في النار أو لا تنفعه؟ والجواب أن يقال: تنفعه إن لم يكن المتروك شرطا في صحة الباقي واعتباره، أما إذا كان المتروك شرطا في صحة الباقي واعتباره فإنها لا تنفعه، ولهذا لم تنفع الشهادة لله بالوحدانية وأنه لا إله إلا هو، من أنكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن الشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة؛ شرط في صحة الشهادة لله بالوحدانية، ولم تنفع الصلاة لمن صلاها عمدا بغير وضوء؛ لأن الوضوء شرط في صحة الصلاة؛ لأن شعب الإيمان قد يتعلق بعضها ببعض؛ تعلق المشروط بشرطه، وقد لا يكون كذلك، فالصلاة هل تتعلق بالإيمان تعلق المشروط بشرطه؟ أي: هل هي شرط في صحته أو لا؟ هذا هو سر الاختلاف.

والأدلة الكثيرة التي سبقت وغيرها؛ تدل على أنه لا يقبل شيء من أعمال العبد إلا بفعل الصلاة، وأن الصلاة هي رأس مال ربح الإنسان، ومحال بقاء الربح؛ مع ضياع رأس المال، فإذ خسر الصلاة خسر أعماله كلها، كما أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (فإن ضيعها فهو لما سواها أضيع) وقوله: (أول ما ينظر من عمل العبد الصلاة، فإن جازت له نظر في سائر عمله، وإن لم تجز له لم ينظر في سائر عمله)، وهي أول ما يحاسب العبد عنه، إذا وضع في قبره، فالأدلة الكثيرة تدل على أن ترك الصلاة، ملزوم بعدم محبة القلب وانقياده، وعدم محبة القلب وانقياده، ملزوم بعدم التصديق الجازم، وعدم التصديق الجازم، ملزوم بالكفر، فيلزم من ترك الصلاة، عدم محبة القلب وانقياده، ويلزم من عدم محبة القلب وانقياده، عدم التصديق الجازم، ويلزم من عدم التصديق الجازم، الكفر.

هذا هو ترجيح الإمام العلامة ابن القيم، فقد توصل إلى أنه يلزم من ترك

الصلاة، عدم محبة القلب وانقياده، ويلـزم من عـدم محبـة القلب وانقيـاده، عـــدم التصـــديق الجـــازم، ويلـــزم من عـــدم التصـــديق الجـــازم، الكفـــر.

ثم يصور رحمه الله صورة واقعة لتارك الصلاة، فيقول فيمن يقول إن تارك الصـلاة لا يكفـر: ومن العجب أن يقـع الشـك في كفـر من أصـر على تـرك الصلاة، ودعي إلى فعلهـا على رءوس الملأ، وهـو يـرى بارقـة السـيف على رأسه، وعصبت عيناه، وشد للقتـل، وقيـل لـه: تصـلي وإلا قتلنـاك، فيقـول: اقتلوني ولا أصلي أبدا، فهل يقع الشك في كفـر هـذا؟! يقـول: أنـا مصـدق، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن الصلاة واجبة، ولكـني لا أصـلي، فـاقتلوني ولن أصلي أبدا، فهل يقع الشك في كفر هذا؟! يقول: ومن لا يكفر تارك الصلاة، ويقول في هذا الرجل الذي عصبت عيناه، وشد للقتل، ويرى بارقـة السـيف على رأسه، وقيل لـه: تصـلي وإلا قتلنـاك فيقـول: اقتلـوني ولا أصـلي أبـدا، يقول: هذا مسلم مؤمن، يغسـل ويصـلى عليـه، ويـدفن مـع المسـلمين في مقابرهم؟ ثم يقول: وبعضهم يقول: إنه مؤمن كامل الإيمان، فإيمانه كإيمان جبريل وميكائيل، فهؤلاء هم المرجئة، فالمرجئة يقولـون: إنـه مـؤمن كامـل الإيمان، إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل، وكإيمان أبي بكر الصديق وعمـر بن الخطـــاب.

ثم قال: أفلا يستحي من هذا قوله من إنكاره كفر من شـهد بكفـره الكتـاب والســـــــنة، واتفـــــــاق الصـــــــحابة؟! واللـــــــــه الموفـــــــق.

فهذه صورة لتـارك الصـلاة: رجـل عصـبت عينـاه، وشـد للقتـل، وامتنـع من الصلاة، فهل يكفر أو لا يكفـر؟ فمن لا يكفـر تـارك الصـلاة يقـول: لا يكفـر، وهل يعقل أن يكون شخص استقر الإيمـان في قلبـه، ويعـرف الوعيـد على تـرك الصـلاة، والفضـل العظيم على فعلهـا، ثم يبقى طـول دهـره، وبقيـة عمره، لا يصلي، ويكون في قلبه إيمان؟! هل يعقـل هـذا؟! لا فلـو كـان في قلبه إيمان لصلى لله، فأين الإيمـان؟! وهـل يعقـل أن يكـون هنـاك شـخص يقول: إنه مصدق، وإنـه في قلبـه إيمـان، ويعـترف بوجـود الصـلاة، ويعـرف الأدلة على وجوبها، والفضل العظيم لمن أدى هذه الصلاة، والوعيـد الشـديد على من تركها، ثم يبقى دهره لم يصل، ولم يسجد لله سجدة واحدة ويقول إنـــــه مـــــؤمن؟! هـــــل يعقـــــل هـــــذا؟! لا يمكن ولا يعقـــــل.

فلا ومن أقوى الأدلـة مـا ذكـره ابن القيم رحمـه اللـه وهـو حـديث الأمـراء، والنهي عن الخروج عليهم إلا عند الكفر البواح، أمـا حـديث عـوف بن مالـك الأشجعي في النهي عن الخروج عليهم مـا أقـاموا الصـلاة، وهـذا من أقـوى الأدلة، فنهى عن الخروج إلا عند الكفر البواح، وفي حـديث عـوف بن مالـك نهى عن الخروج مـا دامـوا يقيمـون الصـلاة، فـدل على أنهم: إذا لم يقيمـوا الصلاة؛ فقد أتوا كفرا بواحا، وكذلك حديث البخاري (من ترك صـلاة العصـر فقد حبط عمله) والذي يحبط عمله، هـو الكـافر، ثم إجمـاع الصـحابة أيضـا، وكذلك حديث: (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة) فقـد جعـل حـدا فاصـلا بين الكفـــر وبين الإيمـــان، فالبينيـــة تفصـــل بين الشـــيء وغـــيره.

ومن الأدلة أيضا: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي رواه الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة يوما فقال: (من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة يوم القيامة، وحشر مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف).

ففيه أن من لم يحافظ عليها يحشر مع أئمة الكفر، مع قارون، ومع فرعون الطاغية؛ الذي ادعى الربوبية والألوهية، {فقال أنا ربكم الأعلى} [النازعات:24] ومع هامان وزير فرعون، وقارون الذي خسف الله به الأرض، وأبي بن خلف تاجر الكفار بمكة، يحشر مع هؤلاء الكفرة، فالذي يحشر مع هؤلاء الكفرة هل هو مؤمن؟! لا يمكن ذلك، فدل على كفره، فلولا أنه كافر لما حشر مع هؤلاء الكفرة الذين هم رءوس الكفر، ففرعون هو الذي ادعى الألوهية، وهامان وزير فرعون، وقارون صاحب الأموال الكثيرة الذي خسف الله به الأرض، وأبي بن خلف تاجر كفار مكة. قال العلماء: إن كون تارك الصلاة يحشر مع هؤلاء الأربعة لأنه إما أن يتركها لأنه اشتغل بملكه، أو يتركها اشتغالا بماله، أو يتركها." [1]

"ثانيا: أن زوال الصلاة وهي جزء من أجزاء الإيمان مزيل لوصف الإيمان، وهذا من أدلة أهل السنة والجماعة على أن تارك الصلاة يعتبر كافرا كفرا أكبر مخرجا له من الملة، وهذا محل إجماع بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ومن الأدلة هذه التي مر معنا. أي صلاتكم الأولى إلى بيت المقدس، وهذا هو مراد السلف بأن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، إذا أطلق الفظ الإيمان فقد عرفه السلف بماذا؟ بأنه ما اجتمع فيه ركنان: القول، والعمل. **القول قول القلب واللسان**، والعمل عمل القلب والجوارح والأركان. حينئذ لا بد من هذه الأجزاء الأربعة على جهة التفصيل، والاثنان على جهة الاختصار. فنقول: الإيمان هو اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان. إخراج العمل الظاهر عن مسمى الإيمان مخالف للإجماع الذي ذكرناه سابقا، بمعنى أنه لا يعرف الإيمان إذا أطلق [بأنه القول] بأنه الاعتقاد وقول اللسان فحسب وبأن أعمال الجوارح ليست داخلة في مسمى الإيمان نقول: هذا قول محدث وهو بدعة وضلالة، لأنه مخالف لإجماع السلف وهو أن الإيمان مركب من شيئين: قول، **وعمل. قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح والأركان. وهذا هو مراد السلف بأن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان. قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان. وهذا حكاية إجماع: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان. يعني الإيمان هو العمل، والعمل هو الإيمان. لأن من خالف ممن انتسب إلى أهل السنة والجماعة خالف في دخول أعمال الجوارح في مسمى الإيمان، وأما الاعتقاد والقول باللسان

[1] () دروس في العقيدة - الراجحي، عبد العزيز الراجحي 14/9

هذا لا يقول أحد بأنه خارج عن مسمى الإيمان، وإنما من انتسب إلى السنة نازع في دخول الجزء الثالث وهو عمل الجوارح والأركان. وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إلى الأنصار أما بعد: فإن للإيمان فرائض وشرائع وحدود وسننا فمن استكملها فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. قال البخاري رحمه الله تعالى: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. إذا الإيمان إذا أطلق فسر بما ذكر وهو أنه اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان.." [1]

"مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة

قال المؤلف رحمه الله: [والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال الله تعالى: {فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا} [التوبة:124]، وقال عز وجل: {ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم} [الفتح: 4]، وقال عز وجل: {ويزداد الذين آمنوا إيمانا} [المدثر:31]، وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الإيمان بضع وسبعون -وفي رواية: بضع وستون- شعبة، والحياء شعبة من الإيمان)، ولـ مسلم وأبي داود: (فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)].

الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل ونية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فهو أربعة **أشياء: قول القلب وهو** تصديقه وإقراره، وقول اللسان وهو نطقه، وعمل القلب وهو النية والإخلاص والصدق والمحبة، وعمل الجوارح كالصلاة والصيام وغيرها.

هذا هو مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فإذا أطاع الإنسان ربه ازداد إيمانه، وإذا عصى نقص إيمانه، وللعلماء عبارات في هذا، منها: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان -يعني: الجوارح- يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. ومنها: الإيمان قول وعمل ونية، والقول **يشمل قول القلب وهو** تصديقه وإقراره، وقول اللسان وهو النطق، والعمل يشمل عمل القلب مع النية والإخلاص، وعمل الجوارح مع النية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فهو يزيد وينقص.

استدل المؤلف للزيادة بقوله عز وجل: {فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا} [التوبة:124] وقوله سبحانه: {ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم} [الفتح:4]، وقال عز وجل: {ويزداد الذين آمنوا إيمانا} [المدثر:31] وروى أبو هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الإيمان بضع وسبعون -وفي رواية: بضع وستون- شعبة، والحياء شعبة من الإيمان)، هذا يدل على أن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان، والحياء شعبة من الإيمان، فالحياء عمل قلبي، ولـ مسلم وأبي داود: (فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها

[1] () شرح الأصول الثلاثة المختصر، أحمد بن عمر الحازمي 5/9

إماطة الأذى عن الطريق)، إذا: الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون - والبضع من ثلاثة إلى تسعة- كلها داخلة في مسمى الإيمان، أعلاها كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وبين الأدنى والأعلى شعب متفاوتة، منها ما يقرب من شعبة الشهادة: كالصلاة والزكاة والصوم والحج؛ فالصلاة شعبة، والصوم شعبة، والزكاة شعبة، والحج شعبة، والأمر بالمعروف شعبة، والنهي عن المنكر شعبة، وبر الوالدين شعبة، وصلة الرحم شعبة وهكذا أعلاها كلمة التوحيد وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

(والحياء شعبة من الإيمان) أي: الحياء شعبة قلبية، والشعبة القولية مثل قول لا إله إلا الله، والشعبة العملية مثل إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة قلبية وهي من الإيمان، وخالف في ذلك المرجئة وهم أقسام، فأقربهم مرجئة الفقهاء ومنهم الإمام أبو حنيفة وأصحابه، والمشهور عن الإمام أبي حنيفة أن الإيمان شيئان: تصديق القلب والإقرار باللسان فقط، وأما عمل القلب والجوارح فليسا من الإيمان، ولكنهم يوافقون جمهور أهل السنة في أن الطاعات مطلوبة، ومرتكب الكبيرة يستحق العقوبة، إلا أنهم لا يسمونها إيمانا؛ إذ الأعمال لا تجتمع في مسمى الإيمان.

والرواية الثانية عن الإمام أبي حنيفة: أن الإيمان هو تصديق القلب، وأما الإقرار باللسان فهو ركن زائد، وهذا مذهب الماتريدية.

وذهبت الكرامية إلى أن الإيمان هو النطق باللسان فقط، فمن نطق بالشهادتين فهو مؤمن كامل الإيمان، وإن كان مكذبا في الباطن يكون منافقا مخلدا في النار، وهذا من تناقضهم، ويلزم على قولهم أن يكون المؤمن كامل الإيمان مخلدا في النار، فإذا نطق باللسان يقولون: هذا مؤمن كامل الإيمان، وإن كان مكذبا بقلبه يخلد في النار، فيجمعون بين متناقضين.

وأفسد منه مذهب الجهمية الذين يقولون: الإيمان هو معرفة الرب بالقلب، والكفر هو جهل الرب بالقلب، فعلى مذهب الجهمية يكون إبليس مؤمنا؛ لأنه يعرف ربه بقلبه، وفرعون مؤمن لأنه يعرف ربه بقلبه، إبليس يقول كما حكى الله عنه: {قال رب فأنظرني} [ص:79] فهو يعرف ربه بقلبه، وفرعون يعرف ربه بقلبه، يقول الله عن موسى أنه قال: {قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض} [الإسراء:102]، واليهود مؤمنون على مذهب الجهم قال تعالى: {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم} [البقرة:146]، وأبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم الذي مات على الشرك مؤمن على مذهب الجهم؛ لأنه القائل: ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا فتكون المرجئة أربع طوائف، أفسدها: مذهب الجهم القائلون بأن الإيمان معرفة الرب بالقلب، والكفر جهل الرب بالقلب، ويلزم على هذا المذهب أن يكون إبليس وفرعون واليهود وأبو طالب مؤمنين.

يليه في الفساد المذهب الثاني وهو مذهب الكرامية، وهو أن الإيمان هو النطق باللسان فقط، فإذا نطق بلسانه فإنه مؤمن كامل الإيمان، وهو مخلد في النار إذا كان مكذبا بقلبه.
المذهب الثالث: مذهب الماتريدية والأشاعرة: أن الإيمان هو تصديق بالقلب فقط، وهو رواية عن أبي حنيفة.
المذهب الرابع: مذهب مرجئة الفقهاء: أن الإيمان شيئان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان.." [1]

"دراسة موضوعية [11]
الإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، هذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وعليه سلف الأمة، وبما أن الإيمان ينقص بالمعصية فليس كل من ارتكب معصية يكون كافرا، بل من المعاصي ما هو كفر، ومنها ما ليس كفرا، فمن ارتكب مكفرا كفر، ومن لا فلا.." [2]

"حقيقة الإيمان
أجمع السلف الصالح رضوان الله عليهم على ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أن الإيمان قول وعمل، ومعنى (**قول): قول القلب وقول** اللسان، ومعنى (عمل) عمل القلب وعمل الجوارح.
نأخذ أولا القول: فالقول ينقسم إلى ركنين: أولا: قول القلب، ومعنى قول القلب: تصديق القلب بما أخبر الله سبحانه وتعالى به، وبما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة، من أمور العقائد والأحكام.
وقول اللسان: هو نطق الشهادتين، وذكر الله، ودعاء الله عز وجل، والدعوة إلى الله، ونحو ذلك من مسائل الإيمان.
الركن الثاني في الإيمان: العمل، والعمل ينقسم إلى قسمين: عمل القلب وعمل الجوارح، فأما عمل القلب فهو الخوف، والمحبة، والرضا، والتوكل، والإنابة، ونحو ذلك.
وأما عمل الجوارح: فمثل الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والجهاد في سبيل الله، ونحو ذلك، فهذا ما يتعلق بحقيقة الإيمان، وهذا الإيمان مطابق للدين كله، فنحن إذا أردنا أن نقسم الإيمان بناء على جوارح الإنسان نجد أن الإيمان ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم منه متعلق بلسان الإنسان، وهذه هي التي يكون فيها العبادات المشهورة مثل: نطق الشهادتين، وذكر الله عز وجل، والدعاء، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
والقسم الثاني: عمل الجوارح، وهي التي تتعلق بأعضاء الإنسان، مثل الصلاة التي يفعلها بجوارحه، والصيام، والزكاة، والجهاد في سبيل الله، وإعانة المحتاج، وبر الوالدين، ونحو ذلك مما يحتاج الإنسان فيه إلى جوارحه وأعضائه حتى يحقق هذه العبادة.

[1] شرح الاقتصاد في الاعتقاد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي 12/2
[2] دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي 11/1

القسم الثالث من جوارح الإنسان المتعلقة بالإيمان: القلب، والقلب فيه من الإيمان أمران: الأمر الأول: قول القلب، وهو تصديقه، والأمر الثاني: عمل القلب وهو قدر زائد على التصديق، يدخل فيه التوكل والمحبة والخشية ونحو ذلك، فمحبة الله قدر زائد على مجرد تصديق الخبر، وهذا التفصيل العلمي بهذه الطريقة هو عمل القلب، وهناك قاعدة فيما يتعلق بالمصطلحات والتقسيمات العلمية، فالمصطلحات والتقسيمات العلمية هي بحسب مدلولها، وبحسب معناها ومفهومها، فإن كان معناها ومفهومها معنى شرعيا ومفهوما شرعيا، فإنه حينئذ يكون هذا التقسيم وهذا المصطلح صحيحا بإضافة شرطين إليها: الشرط الأول: أن يكون مدلول المصطلح اللغوي منطبقا على ما استخدم فيه.

والأمر الثاني: أن يكون جامعا ومانعا، أو مطردا ومنعكسا على تعبير الأصوليين.

بهذه الطريقة يكون المصطلح صحيحا؛ ولهذا عندما ننكر مصطلحات علم الكلام أو مصطلحات الصوفية، أو بعض مصطلحات الفلاسفة وغيرهم، هذه المصطلحات نحن ننكرها لا لأنها مصطلحات جديدة أو أسماء جديدة، وإنما ننكرها لأنها تتضمن مفاهيم ومعاني نص الشرع على بطلانها.

فينبغي إدراك هذه القضية؛ لأن كثيرا من الناس مع الأسف يظلم أهل السنة السلفيين، ويقول: إن هؤلاء نصيون، لا يستخدمون العقل، ولا يستخدمون المصطلحات الجديدة ولا يتفهمون، وإذا أخرجت الواحد منهم عن القضايا النصية لا يستطيع أن يعطي جوابا.

وهذا من الظلم، فإن أهل السنة من أعلم الناس، ومن أصدقهم دينا، ومن أفهمهم وأقواهم استدلالا عقليا وعلميا؛ ولهذا فقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين)، من معانيها أن الظهور يكون بالحجة والبيان، فهم أشد الناس حجة، وأدق الناس حجة ومحجة، لكن الناس يظلمون أهل السنة ظلما كبيرا.

وقد يوجد في أهل السنة من هو مقصر؛ لكن منهج السلف ومنهج السنة الموجود في الكتاب، والموجود في السنة، والذي عليه عامة أهل السنة منهج منضبط يستدل بالعقل، ويستدل بالنص.

وللعقل مكانة عظيمة فيه؛ لأن العقل ممدوح، وأهل السنة لا يعيبون المصطلحات؛ لأنها جديدة، ولا يخافون من الإبداع، لكن الإبداع إذا كان مخالفا لأصول النص فهو مرفوض وغير مقبول؛ لأن مخالفة النصوص الشرعية هي مخالفة لله، ومخالفة للرسول صلى الله عليه وسلم، ونحن علمنا صدق الرسول وصدق ما جاء به، بناء على مقتضيات العقل، وبناء على اللوازم التي علمها الإنسان من صحة نبوته، ودلائل هذه النبوة، وبناء على هذا فكل ما أخبر به فهو عين الصواب وعين العقل وعين الحكمة، وهو صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يخبر إلا بالحق والصواب وما فيه صلاح

الإنسانية؛ لأنه يأتي بهذا الخبر من عند الله عز وجل الذي خلق الناس، إذا هذا تعليق على قضية المصطلحات.." [1]

"تعريف أهل السنة للإيمان

[ولا تعتقد رأي الخوارج إنه مقال لمن يهواه يردي ويفضح ولا تك مرجيا لعوبا بدينه ألا إنما المرجي بالدين يمزح وقل إنما الإيمان قول ونية وفعل على قول النبي مصرح وينقص طورا بالمعاصي وتارة بطاعته ينمي وفي الوزن يرجح].

هذه الأبيات تتعلق بموضوع الإيمان، وهي مشتملة على موضوعات متعددة سبق أن أشرنا إليها، منها تعريف الإيمان، ولهذا قال: (وقل إنما الإيمان قول ونية وفعل على قول النبي مصرح).

يعني: أنه عرف الإيمان بأنه قول ونية وفعل، وقلنا: هذا أحد التعريفات التي عرف بها السلف الإيمان، فإن هناك تعريفات متعددة للسلف في باب الإيمان.

قال بعضهم: إن الإيمان قول وعمل.

وقال بعضهم: الإيمان: قول وعمل ونية، وقصدوا بالنية عمل القلب.

وقال بعضهم: هو قول وعمل ونية واتباع للسنة.

وقال بعضهم: هو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان وكل هذه التعريفات صحيحة، فهي تعبر عن حقيقة واحدة، فمن قال: إن الإيمان قول وعمل، قصد قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح.

ومن قال: إن الإيمان قول وعمل ونية، خشي أن يفهم بعض الناس من قوله: عمل، عمل الجوارح، ويغفل عن عمل القلب فأفردها، وقال: قول وعمل ونية.

والذي قال: الإيمان قول وعمل ونية واتباع للسنة وزاد: اتباع السنة، أراد أن ينبه إلى أن القول بدون اتباع السنة لا يكون مقبولا، والعمل كذلك، والنية كذلك إذا كانت غير موافقة للسنة لا تكون مقبولة.

ومن عرف الإيمان بأنه قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، نظر إلى تعريف الإيمان باعتبار جوارح الإنسان، فمنه ما يتعلق بلسانه، ومنه ما يتعلق بقلبه، ومنه ما يتعلق بجوارحه، فهذه التعريفات كلها صحيحة، والمعنى واحد وهو: أن الإيمان لابد فيه من قول اللسان، ومن تصديق القلب، ومن عمل القلب مثل: الخشية، والتوكل، والمحبة والرجاء ونحو ذلك، وعمل الجوارح أيضا.

ونبه إلى زيادة الإيمان ونقصانه فقال: (وينقص طورا بالمعاصي وتارة بطاعته ينمي وفي الوزن يرجح) يعني: الإيمان ينقص بالمعاصي وينمو بالطاعة، فهو يزيد وينقص على نحو ما سبق وبيناه، لكن المعاصي لا تزيل الإيمان بالكلية، وهذا من الفوارق بين عقيدة أهل السنة والخوارج، فالخوارج يرون أن كبائر الذنوب إذا اقترفها الإنسان يكون كافرا، فهم

[1] () دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي 11/5

يكفرون من فعل الزنا أو السرقة أو شرب الخمر، ويرون أنه يكفر بمجرد النقص في العمل؛ بينما أهل السنة يرون أن عمل الجوارح وعمل القلوب واسع، منه ما هو واجب، ومنه ما هو مستحب، ومنه ما هو أصل في الإيمان، يزول الإيمان بزواله، فليس كله نوعا واحدا، ولهذا قال عن أصحاب المعاصي: (ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا فكلهم يعصي وذو العرش يصفح) يعني: أصحاب المعاصي عندنا مؤمنون بإيمانهم، فساق بمعاصيهم، ولهذا يسميهم بعض أهل العلم: الفاسق الملي، يعني: أن الشخص في ملة الإسلام، لكنه فسق بمعصيته، هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالذنوب والمعاصي، إلا نواقض الإيمان، فنواقض الإيمان ليست مثل الزنا، وليست مثل شرب الخمر، وليست مثل السرقة، نواقض الإيمان تخرج الإنسان عن دائرة الإسلام، مثل: الشرك بالله، ومثل: الاستهزاء بالدين، ومثل: سب الله أو سب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بغضهم أو بغض بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، أو التحاكم إلى شريعة أخرى غير شريعة الإسلام، أو نحو ذلك، فكل ذلك من الشرك الذي ينقل عن دائرة الإسلام إلى الكفر والعياذ بالله.

فهناك فرق بين نواقض الإيمان وبين الذنوب والمعاصي، فنواقض الإيمان حتى لو ارتكبها شخص من أهل القبلة فإنه بفعله هذا ينقض إيمانه؛ لأن نواقض الإيمان تزيل الإيمان بالكلية، إلا إذا كان له عذر، كأن يكون جاهلا أو متأولا، أو غافلا أو ناسيا، أو أيا من الأعذار التي تمنع التكليف عن الإنسان، فإنه يكون معذورا بهذه، ويكون قد ارتكب بفعله هذا كبيرة من كبائر الذنوب، ويحذر من هذا الفعل الخطير الذي هو ناقض من نواقض الإيمان.." [1]

"الفرق **بين قول القلب وعمل** القلب

ننتقل إلى العقيدة الواسطية في باب الإيمان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: [ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح].

قوله: (أن الإيمان قول وعمل) سبق أن بينا أن هذا تعريف من تعريفات الإيمان، وهناك تعريفات أخرى.

وقوله: (قول القلب واللسان) هذا تفصيل للتعريف وشرح له، وسبق أن قلنا: **إن قول القلب هو** تصديق القلب بما جاء في القرآن، وتصديق القلب بالرسول صلى الله عليه وسلم، وتصديق القلب بوجود الله وربوبيته وألوهيته واستحقاقه للعبادة، وتصديق القلب بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم الماضية والمستقبلية أيضا، هذا كله قول القلب.

وقوله: (واللسان) قول اللسان مثل شهادة أن لا إله إلا الله، والذكر، والدعوة إلى الله، والإصلاح ونحو ذلك.

وقوله: (وعمل القلب) ما هو الفرق بين تصديق القلب وعمله؟ التصديق هو

---

[1] () دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي 12/5

مجرد أن يعتقد أن هذا الكلام صدق وأنه كلام الله، ويعتقد أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم صدق، لكن عمل القلب قدر زائد على الصدق، وهذا القدر الزائد هو محبة الله، الخوف منه، التوكل عليه، ولهذا نلاحظ أن المحبة والخوف والتوكل والخشية فيها حركة نحو الله عز وجل. والحقيقة أن التفصيل **بين قول القلب وعمل** القلب لم يكن موجودا بهذه الدقة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، فقد كانوا يعتقدون أن ما في القلب هو الإيمان، مثل: محبة الله والإخلاص له، ويشمل ذلك التصديق والإخلاص والإنابة والخشوع ونحو ذلك، لكن مع تقدم العلم عبروا عن هذه المعاني بتفصيلات علمية، فمثله مثل علم النحو، فالعرب قديما كانوا يتكلمون باللغة العربية الفصحى بالسليقة بدون تكلف، ولا يعرفون الفاعل ولا المفعول به، ولا المفعول لأجله، ولا المصدر، ولا الحال، ولا الصرف، لكن كانوا يرفعون الفاعل وينصبون المفعول به والحال، فلما دخلت العجمة في الناس أصبح الناس يقعون في أخطاء لغوية، فقام أهل العلم بوضع علم النحو، ثم بدءوا بالتفصيلات العلمية الدقيقة، هذه التفصيلات العلمية كانت العرب تمارسها دون معرفة لهذه المصطلحات. وأيضا ما يتعلق بموضوع الإيمان، كان الصحابة رضوان الله عليهم يمارسون الإيمان ويعرفون أن في القلب إيمانا، وأن في الإيمان خشية وخوفا وتوكلا، لكن التفصيل **بين قول القلب وعمل** القلب بهذه الدقة جاء بعد ذلك، لأجل التعليم والتفصيل وإفهام الناس، ولأجل وجود الضلال عند المرجئة، حيث فرقوا **بين قول القلب وعمله**، فأخرجوا العمل من الإيمان، وجعلوا الإيمان هو تصديق القلب فقط.

قال: [وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج].

يعني: لا يكفرون بمطلق المعاصي، لكن يكفرون بنواقض الإيمان، أي: يمكن أن نقسم المعاصي إلى قسمين: الأول مطلق المعاصي مثل الكبائر، ومثل مخالفة أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذه لا يكفر الإنسان بها.

القسم الثاني: نواقض الإيمان، ومبطلات الإيمان، مثل: الشرك، والكفر ونحو ذلك من الأمثلة التي سبق أن ذكرناها، فنواقض الإيمان ومبطلات الإيمان تزيل الإيمان، ويصبح الإنسان كافرا، وأما بقية المعاصي فإنها لا تزيل الإيمان.

قال: [بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه: {فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف} [البقرة:178]].

يعني: اعتبر القاتل أخا للمقتول، ولو كان كافرا لانتفت عنه الأخوة الإيمانية.

قال: [وقال: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما} [الحجرات:9]].

قوله: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا} [الحجرات:9] يعني: مع أنهم

اقتتلوا وصفهم بالإيمان، فوجود الاقتتال لم ينف أصل الإيمان عندهم. قال: [وقال: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم} [الحجرات:9 - 10]. ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقول المعتزلة].

يعني: المعتزلة اتفقوا مع الخوارج في أن الفاسق أو صاحب الكبيرة مخلد يوم القيامة في النار لا يخرج منها، ولا يدخل الجنة، يعني: الخوارج اختلفوا مع أهل السنة في الفاسق الملي في قضايا متعددة من ضمنها: أنهم يكفرونه في الدنيا، ويقيمون عليه أحكام الكفر مثل: أنه لا يرث كذلك ما يتعلق بالأحوال الشخصية: فزوجته لا تبقى حلالا له، وأيضا: يرتبون عليه أنه في الآخرة يكون مخلدا، والمعتزلة اتفقوا معهم في أنه في." [1]

"قول القلب مجمع عليه كل المسلمين

Q هل نفى بعض أهل العلم قول القلب من الإيمان، فقد قرأت أن إشارة شيخ الإسلام إلى قول القلب في الواسطية هو زيادة من الناسخ، كما في فتاوى الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله، فما صحة ذلك؟

A قول القلب المقصود به: تصديق القلب، وتصديق القلب مجمع عليه عند كل المسلمين، فحتى الفرق الضالة مثل المرجئة والخوارج وغيرهم لا ينفون قول القلب وأنه جزء من الإيمان، فتبقى تسمية التصديق القلبي بالقول، والتفريق بين القول والعمل بالنسبة للقلب، وقد سبق أن أشرنا إلى أن هذا التفريق تفريق علمي، وإلا فإن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يجعلون ما في القلب كله أمرا واحدا، وهو عمل القلب، ويدخل فيه التصديق القلبي، لكن لما وجد من الفرق الضالة من أثبت نوعا من إيمان القلب وهو التصديق، ونفى نوعا آخر وهو العمل؛ بين أهل العلم الفرق بين القول والعمل واشتمال الإيمان على القول والعمل أيضا. وأما تنبيه الشيخ ابن إبراهيم على أن هذه الكلمة -وهي قول القلب- زيادة من الناسخ، فهذه مسألة علمية تتعلق بالنسخ لا علاقة لها بمسألة الإيمان كمسألة، فإن الشيخ ابن إبراهيم وغيره من المشايخ يعرفون أن القلب يشتمل على تصديق وعمل، وقد يسمي بعض أهل العلم التصديق قولا، ويسمي العمل بأنه عمل القلب، وقد يجعلها البعض جميعا عمل القلب فقط، لكن تصديق القلب وعمل القلب أمر ثابت لا إشكال فيه.." [2]

"أقوال السلف في الإيمان

قال ابن عبد البر: أجمع أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

1() دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي 12/8

2() دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي 15/10

وقال الشافعي: كل من أدركتهم من التابعين وتابعي التابعين يقولون: الإيمان قول وعمل ونية.
وقال الثوري: الإيمان قول وعمل وقصد واعتقاد.
أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد أجمل وقال: كل هذه التعريفات تساوي تعريف أن الإيمان قول وعمل، أي: قول باللسان وقول بالقلب، وعمل بالجوارح، وعمل بالقلب.
قوله: (قول باللسان) أي: كأن تقول: لا إله إلا الله، فلا يمكن أن تدخل في دائرة الإسلام حتى تشهد أن لا إله إلا الله، إلا الأخرس، فإن الإشارة تقبل منه، لكن إذا كان يستطيع النطق والكلام فإن الإسلام لا يقبل منه بحال من الأحوال إلا أن يقول: لا إله إلا الله، حتى وإن أقر في قلبه بالإيمان، قال الله تعالى: ((قولوا آمنا بالله)) يعني: قولوا باللسان.
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا -أي: باللسان-: لا إله إلا الله).
ولما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمه وهو على فراش الموت (قال: يا عم! قل: لا إله إلا الله -أي: باللسان- كلمة أحاج لك بها عند الله جل وعلا) فلا إله إلا الله هي قول اللسان.
أما القول الثاني فهو قول القلب: وهو التصديق التام والانقياد والإقرار والإذعان لله جل وعلا، قال تعالى: {والذي جاء بالصدق وصدق به} [الزمر: 33].." [1]

"المراد بالإيمان عند السلف
إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.
{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} [آل عمران:102].
{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا} [النساء:1].
{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما} [الأحزاب: 70 - 71].
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
إخواني الكرام، ما زلنا مع الإسلام والإيمان والعلاقة بينهما، وندخل بإذن الله في مسائل مهمة جدا في الإيمان.

[1] شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار 39/9

وقد تكلمنا سابقا عن معنى الإسلام والإيمان لغة وشرعا، والعلاقة بينهما، وقلنا: إن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا!! أي: إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى، وإذا افترقا في الذكر اجتمعا في المعنى، بمعنى: أن الإسلام والإيمان إذا جاءا معا كان للإسلام معنى وللإيمان معنى آخر، فمعنى الإسلام: الأعمال الظاهرة، والإيمان الأعمال الباطنة، أي: الأعمال القلبية، كما جاء في بعض الأحاديث، وإن كان في إسناد بعضها كلام، فالإسلام يكون علانية والإيمان في القلب، وقلنا: إن بينهما عموم وخصوص، فكل مؤمن مسلم ولا عكس، فالإيمان عام في ذاته وخاص في ناسه، وأما الإسلام فعام في ناسه خاص في ذاته.

والآن -إن شاء الله- نتكلم بالتوسعة عن أقوال أهل العلم والسلف في الإيمان: قلنا: إن ابن عبد البر نقل إجماع أهل العلم من السلف الصالح أن الإيمان قول وعمل، ورووا عن الشافعي أنه قال: قول وعمل ونية، وعن الثوري: قول وعمل ونية واعتقاد، وقال ابن عيينة: قول وعمل واعتقاد وسنة، وقلنا: معنى قول أهل العلم: قول وعمل، أي: قول باللسان وقول بالقلب، وعمل بالقلب وعمل بالجوارح.

فقول اللسان نحو: لا إله إلا الله، قال الله تعالى: {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون} [البقرة:136]، وفي الحديث الصحيح، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قل أمنت بالله ثم استقم)، وقال صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)، أي: حتى يقولوا بألسنتهم، ويشهدوا أن لا إله إلا الله، وأيضا: قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه: (يا عم! قل كلمة واحدة أحاج لك بها عند الله)، وهذه الكلمة هي: لا إله إلا الله، فهذا هو قول اللسان.

أما قول القلب: فهو الإقرار والتصديق، أي: بأن تستيقن في قلبك أن الله هو الخالق الرازق المدبر الآمر الناهي السيد المطاع، أنه لا معبود بحق إلا الله، ولا مستحق للعبادة على الإطلاق أحد إلا الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: {والذي جاء بالصدق وصدق به} [الزمر:33]، وقال جل وعلا: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا} [الحجرات:15].

أي: لا شك دخل في قلوبهم، بل آمنوا بيقين تام وأقروا بربوبية الله وألوهيته، جل وعلا.

وأما وعمل القلب: فهو الإخلاص، وهو أصل أعمال القلوب، قال الله تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين} [البينة:5]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)، وقال صلى الله عليه وسلم، كما جاء كل ذلك في الصحيحين: (عن الله جل وعلا أنه قال: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)، نعوذ بالله من الشرك ومن أدنى الرياء.

ومن أعمال القلوب: التوكل، قال الله تعالى: {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين} [المائدة:23].
ومنها: المحبة، قال الله تعالى: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله} [البقرة:165].
وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)، وليس هذا موضع البسط في الأعمال القلبية.
وأما عمل الجوارح، فكالصلاة والصيام، قال الله تعالى: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} [البقرة:43]، قال تعالى: {ولله على الناس حج البيت} [آل عمران:97]، أو (حج البيت من استطاع إليه سبيلا} [آل عمران:97]، قراءتان صحيحتان.." [1]
"أصناف الناس بالنسبة لتعريف الإيمان
فهذا هو مجمل الكلام بالنسبة لتعريف السلف للإيمان، أي: أنه قول وعمل، والناس بالنسبة لهذا التعريف على أربعة أصناف: الصنف الأول: من توفر عنده قول القلب، فاستقر في قلبه يقينا وجزما أن الله هو الخالق الرازق المدبر الآمر السيد المطاع، الناهي المستحق للعبادة وحده، لكنه لم يتلفظ بلسانه، ولم ينقد بجوارحه ولا بقلبه، فهذا الصنف، هو كافر ظاهرا وباطنا، نحاربه حتى يقول: لا إله إلا الله أو يدفع الجزية، وفي الآخرة هو خالد مخلد في نار جهنم؛ لأنه استيقن في قلبه وجحد ولم ينقد بجوارحه.
مثال ذلك: عم النبي صلى الله عليه وسلم، هو أول الأمثلة التي تقال في هذا الباب، فإنه استقر في قلبه يقينا بأن دين النبي صلى الله عليه وسلم هو خير الأديان، وأن النبي صلى الله عليه سلم صادق مصدوق، وأنه يوحى إليه، وأن الله هو المستحق للعبادة، وأن هذا الدين هو أفضل الأديان على الإطلاق، ومع ذلك لم ينقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم لا لشرع الله، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه في ضحضاح من نار جهنم.
المثل الثاني الذي يبين لنا أن من استقر في قلبه يقينا بالربوبية والإلهية وصدق بالرسول ولم ينقد له أنه من أهل النار: هو الوليد بن المغيرة، فقد جلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن، فلما سمع القرآن قال لـ أبي جهل: والله لقد جلست مع الشعراء وليس هذا بشعر، وجلست مع الكهنة وليس هذا بتكهن، ومدح القرآن بالكلمات المشهورة المعلومة عنه، فكان أبو جهل يعلم أن هذا الرجل يحب المال، انظروا إلى الذي استحب الدنيا على الآخرة، وقدم الدراهم المعدودة الفانية على الآخرة الباقية، فقال أبو جهل: يا عم أو يا خال، قد رجعت من عند الناس، وقد جمعوا لك الأموال حتى تتكلم لنا في محمد، أو تقول فيه قولا، فقال القول المشهور، كما جاء ذلك في سورة المدثر: {إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر

[1] () شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار 40/2

واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر} [المدثر:18 ـ 25]، فقال الله تعالى: {سأصليه سقر} [المدثر:26]، عقابا له؛ لأنه استيقن بقلبه أن هذا الكلام هو كلام الله، وليس من الشعر ولا من الكهانة في شيء، ومع ذلك طمس الله على قلبه، وطمس بصيرته، نعوذ بالله من ذلك، فإذا ختم الله على قلب أحد فقد انتهى أمره، وكانت نهايته إلى بوار، ولو اجتمع أهل الأرض على أن ينفعوه أو يهدوا قلبه فلن يفعلوا ذلك؛ لأن الأمر بيد الملك المقتدر.

المثل الثالث: أبو جهل نفسه، وإن وردت القصة التي سأذكرها لكم بأسانيد ضعيفة، لكنها تبين ما لـ أبي جهل من حقد دفين، وحسد كبير على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال: والله إني لأعلم أنه لصادق - أي: رسول الله صلى الله عليه وسلم- وأعلم أنه نبي، لكن كنا وبنو هاشم-يعني: نحن وبنو هاشم -كفرسي رهان، نتسابق في العلو والمنزلة والشرف، يقولون: منا كذا، ونقول: منا كذا، فقالوا: منا نبي، فأنى يكون لنا نبي، والله لا نصدقه أبدا.

فهذا يدل على الحقد الدفين الذي في قلبه، فقد استيقن بصدق الرسول، ومع ذلك جابه الرسول وقاتله قتالا عنيفا، وصدق فيهم قول الله تعالى: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا} [النمل:14]، نعوذ بالله من ذلك، فقد استقر في قلوبهم الحق ولكن لم ينقادوا له.

ورئيسهم في ذلك -وهو آخر مثل نضربه-: هو إبليس عليه لعنة الله، فقد استقر في قلبه بأن الله أمره أمرا، وهذا الأمر فيه مصلحه له، لكن الكبر والعناد جعلاه لم ينقد لله جل وعلا، وهو يعلم أن الله جل وعلا أمره بذلك ليختبر انقياده لأوامره جل وعلا، فإن هذا الأمر كان لتشريف آدم، لكن الأصل هو أن الله جل وعلا أراد أن يكشف المعلوم في إبليس، كما قال ابن كثير في تفسير قول الله جل وعلا: {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون} [البقرة:30]، قال: يعلم الله من إبليس أنه يجحد أمره وأنه يتكبر، فابتلاه بالسجود، فإبليس كان مستيقن بربوبية الله جل وعلا، وكان مستيقن بأن الرسول الذي بعث في الأمة حق، ومع ذلك يغوي الناس، وجحد بآيات الله جل وعلا.

الصنف الثاني بالنسبة للإيمان: صنف أتى بقول اللسان، بل وانقاد بالجوارح، ولكن خلا قلبه من التصديق من الانقياد، نعوذ بالله أن نكون كذلك، وهؤلاء هم المنافقون، وقد وصفهم الله بقوله: {فهم في ريبهم يترددون} [التوبة:45]، شك كبير، كما قال تعالى حاكيا قولهم: {وإننا لفي شك مما تدعونا إليه} [هود:62]، وقال عنهم: {مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء} [النساء:143].

فهؤلاء لهم ما لنا وعليهم ما علينا، في الدنيا، أي: أن لهم الأمان، وعصمة الدم، وعصمة المال، والغنائم والفيء تقسم عليهم، ولهم المناكحة منا

والتوارث، ولنا المناكحة منهم والتوارث، ولكن في الآخرة هم في الدرك الأسفل من النار، قال الله تعالى: {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار} [النساء:145].
فهؤلاء توفر فيهم قول اللسان، فقد قالوا: لا إله إلا الله، وكثير من الناس ممن تتعايشون معهم، قد طفح النفاق من قلوبهم، ونضح حتى في أعينهم، وعلى ألسنتهم بالكلام، فهؤلاء قد قالوا: لا إله إلا الله، بل وانقادوا، فهم يصلون معنا، ويستقبلون قبلتنا، ويذبحون كما نذبح، ويسبحون كما نسبح، وينفقون كما ننفق، وهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم لا يتحاكمون إلى الله جل وعلا، وإذا خلوا إلى بمحارم الله انتهكوها، وهم لا يقومون إلى الصلاة إلا كسالى، قال الله عنهم: {ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم} [البقرة:8 - 9]، وقال في آية أخرى: {يخادعون الله وهو خادعهم} [النساء:142].
الصنف الثالث بالنسبة للإيمان -الذي هو قول وعمل-: أناس توفر فيهم قول القلب، وهو التصديق والإقرار، وتوفر فيهم قول اللسان، لكن لم تنقد الجوارح ولم ينقد القلب، فقالوا: لا إله إلا الله باللسان، أقروا وبالقلب بأنه لا معبود بحق إلا الله، فهؤلاء هم الذين حدث فيهم الاختلاف، وهؤلاء هم الذين ندخل مع أهل البدع المعترك الدامي في الخلاف فيهم: هل هم مسلمون أم منافقون أم كفار؟ وسوف نرجئ هذا الخلاف العريض حتى نتكلم عن مرجئة الفقهاء، وكيفية نرد عليهم.
الصنف الرابع: هؤلاء الذين حباهم الله ومنحهم: {وما بكم من نعمة فمن الله} [النحل:53]، منحهم الله قول اللسان، وقول القلب: التصديق والإقرار، وعمل الجوارح، وعمل القلب أيضا، وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام، وجاء تقسيمهم هذا في آية واحدة من كتاب الله، وهي قوله تعالى: {ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات} [فاطر:32]، فأكثر المفسرين قالوا: الظالم لنفسه: هو الذي اقترف الذنوب والآثام، ومع ذلك هو مقر بخطيئته، ويعمل عملا صالحا.
والمقتصد: هو الذي أدى الفرائض، وترك المحرمات ولم يرتق بالسنن.
أما السابقون بالخيرات: فهم الذين أدوا الأوامر والفرائض، وارتقوا بالنوافل المطلقة والنوافل الراتبة، وانتهوا عن المحرمات.
هذا تفسير أكثر المفسرين لهذه الآية، لكن عائشة رضي الله عنها وأرضاها فسرت الآية بطريقة أخرى، بأن السابق للخيرات: هو الذي ينفق ويصلي ويصوم، وقلبه وجل أن لا يقبل عمله عند الله جل وعلا، أي: يخشى من مكر الله جلا وعلا.
والمقتصد: هو الذي يسارع أيضا في الخيرات لكن أقل من الأول، ثم قالت لـ عروة: أما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك، هذا الكلام تقوله عائشة رضي

الله عنها وأرضاها لـ عروة، الذي يعتبر أحد الفقهاء السبعة، وهو أكثر من روى عن عائشة، وهو الذي وقف أمام الكعبة وقال: اللهم اجعل الناس تحمل عني الحديث، فحمل الناس عنه الحديث، وكان من الفقهاء المعدودين، ومع ذلك قالت له عائشة: أما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك، نسأل الله العفو والعافية.
نحن الآن في زمن الذي يصلي فيه الفرائض ويجتنب المحرمات دون المكروهات، ويترك النوافل، فهذا من أولياء الله الصالحين، فبحق: نحن أصلا نحتقر أنفسنا أمام القوم الذين سبقونا، نسأل الله جل وعلا أن لا يفضحنا أمامهم.
المقصود: أن الصنف الرابع من أهل الإيمان هم المؤمنون الذين توفر فيهم قول اللسان وقول القلب، وعمل الجوارح وعمل القلب، ولابد أن نعرف العلاقة بين عمل الجوارح وعمل القلب؛ لكي نقوى على فهم الخلاف فيما بعد، فإن هذه العلاقة إما علاقة تباين، أي: لا توجد علاقة بينهما، وإما علاقة تلازم وارتباط وثيق، بحيث لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر، فإذا زال عمل القلب زال عمل الجوارح، وكل إناء بما فيه ينضح، إن كان فيه خير نضح بالخير، وإلا فلا، والعلاقة بحق: هي علاقة تلازم وارتباط، وعلى ذلك أدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف.." [1]

"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - الإيمان يزيد وينقص
من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن الناس يتفاوتون في التصديق والإيمان، والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح.
أما مسألة الاستثناء في الإيمان فأهل السنة مختلفون فيها على أقوال عدة.." [2]

"صور من الخلاف الحقيقي بين مرجئة الفقهاء وبين أهل السنة في الإيمان
لقد صرح شيخ الإسلام ابن تيمية بأن الخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين مرجئة الفقهاء خلاف لفظي، يعني: صوري، بحيث إذا نظرت إلى المعنى والحقيقة وجدت الاتفاق بين أهل السنة والجماعة وبينهم.
لكن هناك خلاف حقيقي، فمثلا: أهل السنة والجماعة يقولون: الإيمان يزيد وينقص، والمرجئة يقولون: الإيمان شيء واحد لا يتجزأ ولا يتبعض فلا يزيد ولا ينقص، لكن في الحقيقة هم يقرون بالتفاوت بين أهل الإسلام، فمنهم من يكون في الفردوس الأعلى، ومنهم من يكون في أنزل درجة، ولا شك أن الذين في الفردوس الأعلى هم أعلى إيمانا من الذين هم في أنزل درجة، فتكون النتيجة واحدة، وهي أن الإيمان يتفاوت بين الناس.
كذلك المرجئة يقولون: مرتكب الكبيرة، مستحق للوعيد، وأهل السنة

[1] () شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار 40/3
[2] () شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار 42/1

والجماعة يقولون: هو فاسق بكبيرته، وهو داخل تحت مشيئة الله جل وعلا إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، فالخلاف هنا حقيقي؛ لأن المرجئة يجعلون أصل الإيمان واحد، وليس هذا بصحيح، بل هناك تفاوت في أصل الإيمان، فأصل الإيمان عند إبراهيم عليه السلام غير آحاد آمته.
أيضا: المرجئة حصروا الكفر في التكذيب والاستحلال، فعندهم إذا أتى إنسان بمكفر، فإنه لا يكفر إلا إذا استحل بقلبه؛ لأن التكذيب والاعتقاد محله القلب، فقالوا: لو سجد لصنم، أو سب الله، أو سب الرسول صلى الله عليه وسلم، فليس بكافر حتى يستحل بقلبه.
وقد قلنا: إن هذه الأعمال كفر مستقل، لكن المرجئة لا يقولون بأن الأعمال فيها كفر مستقل، وإنما يقولون: إن الأعمال علامة على الكفر القلبي، فأداروا مسألة الإيمان والكفر وقالوا: محلها القلب، ويقول: أهل السنة والجماعة محل الإيمان والكفر القلب واللسان والجوارح، فالإيمان في القلب الإقرار والتصديق، وهو قول القلب، وعمل القلب من توكل وخوف ورجاء، أيضا الكفر فيه محله القلب، كالاستكبار، والإيذاء، والإعراض، وعدم الانقياد، والخوف من غير الله جل وعلا كالخوف منه سبحانه إلى آخر هذه.
والإيمان محله الجوارح، كالصلاة والصيام والحج والصدقة، كذلك الكفر محله الجوارح، فمن صلى لغير الله جل وعلا فقد كفر، وكذا من سجد لصنم.
أيضا اللسان، فمحل الإيمان فيه بالنطق بكلمه بالتوحيد: لا إله إلا الله، والكفر بالنطق بكلمة الكفر، إلا المكره، كما قال تعالى: {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان} [النحل:106].." [1]

"الرد على الشبهة الثانية من شبه المرجئة
الشبهة الثانية أنهم قالوا: الإيمان واحد لا يتبعض، فلازم القول لذلك أن كمال الإيمان شيء واحد لو انتفى منه جزء انتفى باقيه، فنقول: هذا المقدمة مخالفة ومصادمة لصريح الكتاب، وصريح السنة، وصريح الآثار التي وردت عن السلف والتابعين، أما المصادمة لصريح الكتاب فإن الله جل وعلا بين وأثبت للمرء إيمان وكفر، وإيمان ونفاق في كتابه وأيضا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه دلالتها أن الإيمان يتبعض، إذ هو شعب كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (الإيمان بضع وستون) وفي رواية: (بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)، وذكر ابن القيم أن شعبة الإيمان القريبة من لا إله إلا الله تأخذ حكم لا إله إلا الله، فالذي يكفر بعدم قول لا إله إلا الله يكفر بالشعبة التي قربت من لا إله إلا الله مثل الصلاة، حيث يكفر لتركها، وإذا نزلت الشعبة إلى مرتبة الأذى أخذت حكمها، وتارك هذه الشعبة إيمانه ناقص غير كامل.
ونقول: الإيمان حقيقة مركبة من قول **وعمل، قول القلب واللسان**،

---
[1] () شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار 46/4

وعمل القلب والجوارح، ونقل الشافعي الإجماع على ذلك، ونقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع من أدرك من التابعين ومن بعدهم من الصحابة على أن الإيمان قول وعمل ونية، فعمل القلب: هو تحركه إذا سمع أمرا من أوامر الله جل وعلا، ويعزم عزما صادقا على فعله، أما قول القلب: فهو التصديق والإقرار، فهو التصديق والجزم بأن الله هو خالق السماء، وخالق الأرض، وأنه الرازق الأوحد، وأنه المعطي المانع، الضار النافع، إلى غير ذلك.

والمرجئة تتفق مع أهل السنة والجماعة في ذلك، أما قول اللسان وعمل الجوارح فهو ما فسره النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة).

ومن أعمال القلوب: الانقياد والخوف والحياء والرجاء، وهي داخلة في مسمى الإيمان.

ومن أعمال الجوارح: الصلاة، والزكاة، والحج، فمنها عبادات بدنية كالصلاة، ومنها عبادات مالية كالزكاة، ومنها عبادات بدنية مالية كالحج، وهذه كلها تدخل في مسمى الإيمان بإجماع السلف.

وهناك آيات كثيرة تدل على ذلك منها قوله تعالى: {الذين آمنوا وعملوا الصالحات} [البقرة:277]، وقول الله تعالى: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون} [الأنفال:2]، فكل هذه من أعمال القلب، ثم قال: {الذين يقيمون} [المائدة:55]، وهذه أيضا أعمال، ثم ختم الآية بقوله: {أولئك هم المؤمنون حقا} [الأنفال:4]، فهنا صريح الكتاب يثبت أن المؤمن الحق هو من أتى بأعمال القلوب وأعمال الجوارح، ضاما إلى ذلك تصديق القلب وقول اللسان بالشهادتين.

أما الأحاديث فمنها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت) ـ يعني بالإيمان وعمرت ـ (صلح الجسد) فالجوارح تابعة للقلب.

فالقول بأن الإيمان حقيقة مركبة من قول وعمل مضاد لما قالته المرجئة: بأنه جزء واحد لا يتبعض.." [1]

"الإيمان في الشرع

الإيمان في الشرع: هو التصديق المقرون بالإذعان والقبول والاستسلام، أما المرجئة فيقولون: الإيمان هو التصديق فقط.

قال: (الإيمان قول)، أي: قول اللسان، (وعمل) أي: عمل الجوارح، (ونية) إذا: **هو قول القلب وعمل** القلب.." [2]

"قول وعمل اللسان والقلب

الأصل الآخر هو: أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول

[1] () شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار 48/7

[2] () شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار 5/4

قسمان: قول القلب وقول اللسان، قول القلب: بالاعتقاد والتصديق، يعني: تصديقك بأن محمدا عليه الصلاة والسلام رسول الله، والقرآن كتاب الله، وهذه الأوامر هي أوامر الله، وهذه النواهي هي نواهي الله، فهذا هو التصديق الذي هو جزء من حقيقة الإيمان.

إذا: حقيقة الإيمان: قول وعمل، القول: قول بالقلب وهو التصديق، وقول باللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.

أما العمل فعملان أيضا: عمل القلب وعمل الجوارح، عمل القلب: بأن يعمل الأعمال الصالحة بنية وإخلاص ومحبة وانقياد في العمل.

إذا: حقيقة الإيمان تتركب من قول وعمل، لكن عندما نفصلها تتركب من أربعة: قول بالقلب وقول باللسان، وعمل بالقلب وعمل بالأركان أو بالجوارح.

قول القلب: التصديق والاعتقاد.

وعمل القلب: انقياد القلب لهذه الأوامر وهذه التكاليف، والمحبة والانقياد لحكم الله تبارك وتعالى، فإذا زالت هذه **الأربع: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح زال الإيمان كله، أما إذا زال من إنسان تصديق القلب لكن تكلم بكلمة الإسلام، وعمل بعمل الجوارح، وأتى بعمل القلب، فهل تنفعه باقي الأجزاء؟ لا.

هذا هو المنافق.

وأما إذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، كمن يصدق بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومؤمن بأن الأمر بالصلاة من عند الله، وأن القرآن من عند الله، وأن محمدا عليه الصلاة والسلام رسول الله حقا، ولا ينطق عن الهوى، ولكنه لم ينقد لشريعته، ولا لأحكامه، فهذه المسألة من المعارك الكبرى بين أهل السنة وبين المرجئة، فإن المرجئة يقولون: إن الإيمان هو مجرد المعرفة! أما أهل السنة فهم مجمعون على زوال الإيمان إذا انتفى عمل القلب مع وجود التصديق، لماذا؟ لأن إبليس حينما أمره الله تبارك وتعالى بالسجود كان عنده تصديق بأن الأمر بالسجود من عند الله، وكان يعلم أن الذي يأمره بالسجود هو الله تبارك وتعالى، لكن عمل قلبه وانقياد قلبه لهذا الحكم لم يتواجد، وزال عمل القلب مع وجود التصديق، فلم ينفعه وصار إمام الكافرين.

فرعون هل كان مصدقا بموسى أم لم يكن مصدقا بأن موسى رسول الله؟ نعم كان مصدقا، والدليل: قوله تبارك وتعالى في سورة النمل في شأن فرعون وقومه: (وجحدوا بها) أي: بالآيات {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا} [النمل:14]، هذا القرآن يخبرنا أنهم كانوا على يقين كامل من صدق موسى عليه السلام، لكن كفرهم كان كفر جحود وعناد واستكبار، لكن في قلوبهم كانوا يصدقون.

مشركو قريش أيضا كانوا يصدقون أن الرسول عليه الصلاة والسلام من عند الله؛ ففي قلوبهم **وجد قول القلب باعتقاد** الصدق، والدليل قوله

تبارك وتعالى: {قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون} [الأنعام:33]، يعني: من وصفهم إياك بأنك كذاب {فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون} [الأنعام:33]، كان يشق على النبي صلى الله عليه وسلم حينما يسمع أذية المشركين له وهم يتهمونه بالكذب صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله القرآن لإخباره بهذه الحقيقة التي يعلمها الله وحده تبارك وتعالى، (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون)، من اتهامك بهذه التهمة الشنيعة الكذب على الله والعياذ بالله، (فإنهم لا يكذبونك)، اعلم أنهم في الحقيقة لا يكذبونك (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)، فمشركو قريش كانوا على يقين بأن محمدا رسول الله حقا، فالتصديق الذي **هو قول القلب بالاعتقاد** كان موجودا لكن لم يوجد عمل القلب بالانقياد لهذا الدين، ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم نفي عنهم الإيمان.

كذلك أهل الكتاب كانوا كذلك، والدليل قوله تبارك وتعالى: {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم} [البقرة:146]، وآيات أخرى كثيرة تدل على أن أهل الكتاب كانوا على يقين أن النبي صلى الله عليه وسلم صادق فيما يبلغه عن الله، لكن انتفى عمل القلب بالانقياد، وجد عمل القلب بالتصديق أن هذا من عند الله، لكن لم يشفعوه بانقياد القلب ومحبة وامتثال ما أمر به صلى الله عليه وآله وسلم.

أيضا عمل القلب داخل في حقيقة الإيمان، وحقيقة التصديق يدخل فيها العمل، والدليل على ذلك: قوله تبارك وتعالى في حق إبراهيم عليه السلام: {فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين} [الصافات:103 ـ 105]، فمتى وصفه الله تبارك وتعالى بتصديق الرؤيا؟ إبراهيم عليه السلام لما استيقظ من نومه بعد أن أوحي إليه في المنام أن يذبح ابنه كان مصدقا بذلك، ولو لم يكن مصدقا لما أقدم على ذبح ولده؛ لأنه يعلم أن هذا وحي من الله تبارك وتعالى؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي، ومع ذلك لما امتثل قلبه وجوارحه لهذا الأمر الإلهي الذي أريه في منامه حينئذ وصف بالتصديق: {وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا} [الصافات:104 ـ 105]، لما انضم إليه انقياد القلب والعمل.

خلاصة الكلام: أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، القول: قول القلب: وهو اعتقاد الصدق.

وقول باللسان: وهو النطق بكلمة التوحيد.

ثم عمل: وهو عمل القلب بالنية والإخلاص والمحبة والانقياد، ثم عمل الجوارح، وإذا زالت هذه الأربع زال الإيمان كله بكماله، وإذا زال تصديق القلب زال الإيمان ولم تنفع بقية الأجزاء.." [1]

"عقيدة أهل السنة إذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق هذا هو موضع المعركة بين أهل السنة والمرجئة، حيث إن أهل السنة مجمعون على زوال الإيمان إذا انتفى عمل القلب مع وجود التصديق،

[1] () سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم 3/6

وذكرنا أمثلة إبليس وفرعون واليهود والمشركين، هؤلاء جميعا كانوا يعتقدون صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينفون عنه الكذب، لكن قالوا: لا نتبعه ولا نؤمن به، وما كانوا بذلك مؤمنين.
الخلاصة: ليس الإيمان مجرد معرفة الحق وتبينه، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه، كما أن اعتقاد التصديق -وإن سمي تصديقا- ليس هو التصديق المستلزم للإيمان، والدليل قوله عز وجل: {يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا} [الصافات:104 - 105].
إذا: معرفة الحق وتبينه هذا نوع من الهدى، فمن رأى الحق حقا لكن لم يرزقه الله اتباعه، فهذا في المرتبة الثانية من الهداية، لكن هل هذه المرتبة تستلزم الاهتداء؟ كلا، أما الهدى الذي يترتب عليه الانقياد والعمل والامتثال فهذه هي المرتبة الثالثة التي تستلزم الاهتداء، فهؤلاء الذين ذكرنا أمثلتهم من المشركين أو فرعون أو إبليس أو غير ذلك من اليهود أو النصارى؛ عرفوا الحق ولكنهم لم ينقادوا له، فبذلك لم يصيروا مؤمنين.
يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تبارك وتعالى: وها هنا أصل آخر، وهو: أن حقيقة الإيمان مؤكدة بالقول والعمل، والقول قسمان: قول القلب: وهو الاعتقاد، وقول اللسان: وهو التكلم بكلمة الإسلام.
والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به، مثل أبي طالب لما قال: ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فـ أبو طالب كان يعلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام رسول من عند ربه، لكنه لم ينقد بقلبه لشرائعه؛ فلم ينفعه ذلك.." [1]
"أصول أهل السنة والجماعة في الإيمان والكفر
أما عن أصول أهل السنة والجماعة في قضية الإيمان فهي متعلقة بمعنى كلمة الإسلام والإيمان، وخلاصة الكلام في تعريف الدين أنه عبارة عن قول وعمل، قول بالقلب وقول باللسان، وعمل بالقلب وعمل باللسان والجوارح.
والقول بالقلب هو التصديق، وأن يوقن الإنسان بأحقية هذا الذي يؤمن به ويصدقه، وقول اللسان هو النطق بالشهادتين.
أما عمل القلب فهو ما لا يؤدى إلا بالقلب كالنية، الإخلاص، الخوف، الرجاء،

[1] () سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم 3/7

المحبة، الإنابة، الإخبات، التوكل، الانقياد، الإقبال على الله، ولوازم هذه الأعمال القلبية.
أما عمل اللسان فهو ما لا يؤدى إلا باللسان من العبادات، كالذكر، وقراءة القرآن، والاستغفار، والتهليل، والحوقلة، والحلف، والنذر وهكذا.
وعمل الجوارح فهو ما لا يؤدى إلا بالجوارح، كالصيام، والصلاة، والركوع، والسجود، والجهاد وغير ذلك، فهذا هو جماع معنى الدين، قول وعمل، قول بالقلب وقول باللسان، وعمل بالقلب وعمل باللسان والجوارح.
أما الكفر فهو على أنواع أربعة مقابلة لأنواع الإيمان التي هي: قول بالقلب وقول باللسان، وعمل بالقلب، وعمل بالجوارح، فإذا انتفى التصديق الذي هو قول القلب؛ فسوف يكون هذا هو النوع الأول من الكفر، وهو كفر الجهل والتكذيب؛ لأنه انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق.
النوع الثاني: كفر الجحود، وهو كتم الحق مع العلم بصدقه، هذا نوع آخر من الكفر، فهو يعلم أن هذا حق؛ لكنه يكتمه، وهذا هو كفر الجحود: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا} [النمل:14].
النوع الثالث: كفر العناد والاستكبار، فينفي في هذا الكفر عمل القلب والجوارح مع المعرفة للقلب والاعتراف باللسان، فهو يعرف أن هذا حق؛ لكن ينتفي عمل القلب من الانقياد والمحبة، والخوف والرجاء إلى آخر أعمال القلب، فينفي عمل القلب، وينتفي عن صاحبه عمل الجوارح مع وجود المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان أن هذا حق، هذا مثل كفر إبليس وأغلب اليهود لعنهم الله، ومثل كفر من ترك الصلاة عنادا واستكبارا، ويوضع السيف على رقبته ويقال له: إما أن تصلي أو تقتل فيختار القتل، فما من شك أن هذا لا يمكن أن يكون في قلبه تصديق؛ لأن الصلاة فرض من فروض الدين؛ ولأنه إذا وجد التصديق في القلب لوجد العمل، فإذا انتفى مع وجود هذه الحالة يخير بين القتل وبين الصلاة، فيختار القتل على الصلاة، فحصل هذا العناد منه بسبب غياب التصديق في قلبه.
النوع الرابع: كفر النفاق، وفي هذا النوع ينتفي عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة، ففي النفاق تنقاد الجوارح الظاهرة؛ لأن المنافق يظهر شعائر الإسلام، يصلي ويصوم ويزكي ويفعل جميع الأفعال الظاهرة؛ لكن ينتفي عمل قلبه.
إذا: أنواع الكفر كل منها على حدة يخرج من الملة بالكلية، فإذا انضمت كلها ووجدت في شخص واحد فهي ظلمات بعضها فوق بعض وزيادة في الكفر، كفر الجهل والتكذيب، كفر الجحود، كفر العناد والاستكبار، كفر النفاق.." [1]

"الركن الأول: قول القلب

إن قول القلب هو تصديقه وإيقانه، قال الله تبارك وتعالى: {والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون * لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء

[1] () سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم 5/3

المحسنين} [الزمر:33 ـ 34]، وقال تعالى: {وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين} [الأنعام:75]، وقال تعالى: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا} [الحجرات:15]، يعني: صدقوا بالله ورسوله ثم لم يشكوا في هذا التصديق، وفي حديث الدرجات العلى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن قوم على منابر من نور يوم القيامة يغبطهم عليها الأنبياء والمرسلون، ثم قال عليه الصلاة والسلام: (بلى والذي نفسي بيده! رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين)، والشاهد قوله: (وصدقوا المرسلين)، وقال تبارك وتعالى: {الذين يؤمنون بالغيب} [البقرة:3]، أي: يصدقون بالغيب، وقال تعالى: {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم} [البقرة:136]، وقال تعالى: {وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب} [الشورى:15]، وغير ذلك من الآيات التي فيها بيان أن من **الإيمان قول القلب بالتصديق** واليقين.

وفي حديث الشفاعة يقول عليه الصلاة والسلام: (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة)، وفي الحديث الآخر فيقال: (انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان، ثم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ثم من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان)، فالشاهد هنا قوله: (في قلبه).

وقال تبارك وتعالى في المكذبين: {سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون} [البقرة:6]، يعني: لا يصدقون، وقال تعالى في المرتابين الشاكين: {يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم} [آل عمران:167]، وقال فيهم: {يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم} [المائدة:41]، وقال تعالى: {إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون} [المنافقون:1] لأنهم يقولون هذا بلسانهم، أما قلوبهم فليس فيها تصديق ولا يقين: ((والله يشهد إن المنافقين لكاذبون))، أي: في قولهم: نشهد، فهم كذبوا لا يشهدون بذلك بقلوبهم، وإنما هو بألسنتهم تقية ونفاقا ومخادعة.

فهذا هو الركن الأول من الدين وهو قول بالقلب.

هذه الأركان لابد من وجودها جميعا في كل مؤمن، قول بالقلب وقول باللسان، وعمل بالقلب وعمل بالأركان.." [1]

"الركن الثالث: عمل القلب

هناك فرق **بين قول القلب وبين** عمل القلب؛ **لأن قول القلب هو** التصديق واليقين، أما عمل القلب فهو العبادات القلبية التي لا تؤدى إلا بالقلب، مثل: النية، الإخلاص، المحبة، الانقياد، الإقبال على الله عز وجل،

[1] () سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم 5/8

التوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه، يقـول تبـارك وتعـالى: {ولا تطـرد الـذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه} [الأنعـام:52] عمـل القلب في قوله: ((يريدون وجهه))، وقال عز وجل: {وما لأحد عنده من نعمة تجـزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى} [الليل:19 ـ 20]، هـذا هـو عمـل القلب، وقـال تبارك وتعالى: {إنما نطعمكم لوجه اللـه} [الإنسـان:9]، هـذه أيضـا أعمـال القلب، النية والإخلاص لله، وقال تبارك وتعالى: {الذين إذا ذكـر اللـه وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانـا وعلى ربهم يتوكلـون} [الأنفـال: 2] فهنا ذكر من أعمال القلب وجل القلب والخوف من اللـه تبـارك وتعـالى وذلـــــــــــك من أركـــــــــــــان الإيمـــــــــــــان.

وقال تعالى: {والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعـون} [المؤمنون:60] ومعلوم أن السيدة عائشـة رضـي اللـه عنهـا سـألت النـبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الذين يؤتون ما آتوا فقالت: (هل هم الـذين يسرقون ويزنون ويفعلون المحرمات ويشربون الخمر، فقـال عليـه الصـلاة والسلام: لا يا ابنة الصـديق! بـل هم الـذين يصـومون ويصـلون ويتصـدقون، ويخافون ألا يتقبل منهم)، فهذا هو تفسير النبي عليه الصلاة والسلام لقولـه تعالى: ((والذين يؤتون ما آتوا))، يعني: من الأعمال الصالحة، ومـع ذلـك هم خائفون وجلون ألا يتقبل منهم؛ لقوله تعالى: {إنما يتقبل اللـه من المتقين} [المائـــدة:27].

فالشاهد هنـا في قولـه: ((وقلـوبهم وجلـة))، فالوجـل والخـوف من أعمـال القلب.

وقال عز وجل: {الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثـاني تقشـعر منـه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر اللـه} [الزمـر: 23]، وقال أيضـا: {الـذين آمنـوا وتطمئن قلـوبهم بـذكر اللـه ألا بـذكر اللـه تطمئن القلوب} [الرعـد:28]، وقـال عـز وجـل: {ألا للـه الـدين الخـالص} [الزمر:3]، والإخلاص عمل قلبي، وقال أيضـا: {ومـا أمـروا إلا ليعبـدوا اللـه مخلصين له الدين} [البينة:5]، وهذا عمل قلبي: {قل الله أعبـد مخلصـا لـه ديني} [الزمر:14]، والنية عمل قلبي، وقال أيضا: {والذين آمنـوا أشـد حبـا لله} [البقرة:165]، {فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه} [المائدة:54] والحب عمـــــــــــــــــــل قلـــــــــــــــــــــــــبي.

فهناك أعمال في القلب لابد أن تـؤدى، وحـتى تحقـق التوحيـد في الأعمـال القلبية ينبغي ألا توجهها إلا إلى الله تبارك وتعالى، كما أن من أعمال البـدن السجود، الركوع، الصيام، الجهاد، هذه كلهـا من أعمـال البـدن، حـتى توحـد الله بأعمـال البـدن لا توجـه هـذه العبـادات إلا إلى اللـه تبـارك وتعـالى، فلا تسجد ولا تركع إلا لله تبارك وتعالى؛ كذلك أعمـال القلب ينبغي ألا توجـه إلا إلى الله عز وجل، فلا تخاف إلا الله، ولا تحب إلا الله عز وجل وفي الله، ولا تتوكل إلا على الله، فإن وجهت التوكل إلى غير الله ففي هذه الحالة تكـون اتخذته شريكا مع الله تبـارك وتعـالى, يقـول اللـه عـز وجـل: {قـل إن كنتم

تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم} [آل عمران:31] وقال عز وجل: {ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون} [الحجرات:7]، وقال أيضا: {ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن} [النساء:125]، وقال: {ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى} [لقمان:22]، وقال: {فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين} [الحج: 34]، وقال: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} [النساء:65]، هذا الدليل واضح جدا في اشتراط عمل القلب في الإيمان، ولا يتحقق الإيمان حتى تجتمع هذه الأشياء: ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت))، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه).

قوله: (إنما الأعمال بالنيات)، يعني: الأعمال الصالحة بالنيات الخالصة، ونحتج بالحديث على أن من يعمل عملا مخالفا للشرع ثم يقول: نيتي صحيحة؛ كمن يسرق ليتصدق، نقول له: لابد أن يكون العمل صالحا، إنما الأعمال الصالحة بالنيات الخالصة، ولو عمل عملا صالحا يريد به غير وجه الله لا ينفعه أيضا، فلابد من الاثنين أن يكون العمل صالحا موافقا للشرع، وأن يكون خالصا يبتغى به وجه الله تبارك وتعالى، وتقدم الكلام على ما ينافي الإخلاص من الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر.

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أحبوا الله من كل قلوبكم)، وقال صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)، هذا أيضا عمل قلبي، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربني إلى حبك)، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)، فهذا غاية الانقياد؛ إذ لم يكن له هوى غير ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما التوكل والخوف والرجاء والخشية والخضوع وغير ذلك من أعمال القلوب فأدلتها كثيرة جدا يطول الكلام بإحصائها واستقصائها.

الشاهد: كما **أن قول القلب هو** بالتصديق واليقين بالحق؛ كذلك لابد أن ينضم إليه: قول اللسان بالنطق بالشهادتين.." [1]

"أنواع الكفر المخرجة من الملة

إن أصل أصول الدين هو أن الإيمان قول وعمل؛ قول بالقلب وباللسان،

[1] () سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم 5/10

وعمل بالقلب وبالأركان بما فيها اللسان، فإذا حقق الإنسان هذه الأمور الأربعة تحقيقا بالغا، وعرف ما يراد بها معرفة تامة، وفهم فهما واضحا، ثم أمعن النظر في أضدادها ونواقضها، تبين له أن أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة: كفر جهل وتكذيب، وكفر جحود، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق، وكل واحد منها يخرج من الملة بالكلية، وإن اجتمعت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك؛ لأنه إما أن تنتفي هذه الأمور كلها فلا يكون عنده قول القلب ولا عمله، ولا قول اللسان ولا عمل الجوارح، أو ينتفي بعضها، فإن انتفت كلها فقد اجتمعت أنواع الكفر غير النفاق، قال الله تعالى: {إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم} [البقرة:6 -ـ 7]، فإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق، فهذا كفر الجهل والتكذيب، قال الله تعالى: {بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله} [يونس:39]، فلما انتفى تصديق القلب مع الجهل بالحق فهذا هو كفر الجهل والتكذيب، وقال تبارك وتعالى: {أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما} [النمل:84]، كذب وجهل بالحق، فهو جمع بين التكذيب والجهل: {ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون * حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون} [النمل:83 ـ 84] فإذا كتم الحق مع العلم به وبصدقه فهذا كفر الجحود والكتمان، يعني: قلبه يعلم بالحق لكنه يكتمه ويجحده، كما قال عز وجل في فرعون وقومه: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين} [النمل:14]، وقال تعالى: {فلما جاءهم} [البقرة:89]-اليهود- {ما عرفوا كفروا به} [البقرة:89]، هم يعرفون أن الرسول حق، وأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا وصدقا؛ لكنهم جحدوا واستكبروا، وقال عز وجل: {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * الحق من ربك فلا تكونن من الممترين} [البقرة:146 -ـ 147]. أما إذا انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح، فهو يصلي ويصوم ويزكي ويشهد الشهادتين؛ لكن انتفى عمل القلب، فلا نية ولا إخلاص ولا محبة ولا إذعان بالقلب، فهذا هو كفر النفاق؛ سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى، وسواء انتفى بتكذيب أو شك، يقول عز وجل: {ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا} [البقرة:8 - 10] إلى قوله تبارك وتعالى: {ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير} [البقرة:20].
وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان، كمن لا يوجد له عمل بالقلبس ولا عمل بالجوارح؛ لكن عنده

معرفة بالقلب واعتراف باللسان؛ فهذا كفر العناد والاستكبار، ككفر إبليس؛ لأن قلبه لم ينقد لأمر الله تبارك وتعالى، وانتفى عمل الجوارح؛ لأنه لم يمتثل الأمر بالسجود، مع معرفته بقلبه أن هذا الأمر بالسجود صادر من الله تبارك وتعالى، فهو يصدق أن هذا أمر الله. وكذلك كفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه، أمثال حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهم من اليهود هو من هذا الباب، وكذا كفر من ترك الصلاة عنادا واستكبارا.." [1]

"معنى قول أهل السنة: الإيمان هو التصديق محال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب). فمن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في تعريف الإيمان: هو التصديق، فعلى ظاهر اللغة، كما قال الله: {وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين} [يوسف:17] فهو إنما يقصد التصديق الذي يستلزم الانقياد والإذعان لا مجرد المعرفة كما يقول المرجئة؛ كما في قوله تبارك وتعالى: {فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا} [الصافات:103 - 105] ومعلوم أن هذه الرؤيا كانت وحي من الله فقط، وما أطلق عليها تصديقا حتى انضم إليها الانقياد بأن أسلم هو وولده وتله للجبين حينئذ لما انضاف إلى التصديق العمل والانقياد والإذعان، فالقلب هو ملك البدن، فإذا وجد عمل القلب بالإذعان، فلابد أن يذعن في الظاهر بأعمال الجوارح، والدليل هذا الحديث: (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله)، يعني: إذا وجد عمل القلب من الإذعان والخضوع والانقياد والمحبة إلى غير ذلك، ينعكس ذلك على الجوارح، فهذا عكس ما يردده أغلب الناس ويسيئون تطبيق هذا الحديث بعد أن يسيئوا فهمه، فيقولون: الإيمان في القلب، وهذا الحديث حجة عليه، كما قال شيخ الإسلام: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية وحديث لإثبات باطله إلا وكان في نفس الآية والحديث ما يدل على نقيض ما ذهب إليه، وهذه من آيات الله أنك إذا عكست الدليل عليه تجد الحجة قائمة عليه تماما؛ فكذلك هنا قوله: (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله)، فالقلب يؤثر في البدن، والظاهر أيضا يؤثر في القلب، هناك تفاعل مشترك بين الأمرين؛ فمثلا الذي يحلق لحيته ويقول: إن الأعمال بالنيات، وإن قلبي سليم! نقول له: كذبت وخالفت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: إذا صلح القلب صلح الجسد، وانعكس على ظاهره الأعمال الصالحة سواء من إعفاء اللحية والتمسك بسنة النبي عليه الصلاة والسلام، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وسائر الأعمال الظاهرة، فهذه تكون عنوانا على سلامة هذا القلب؛ كذلك القلب السليم ينضح بهذه

1() سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم 5/12

الأعمال الصالحة.
فالمقصود أن من قال من أهل السنة والجماعة: إن الإيمان هو التصديق؛ فإنما أراد التصديق على أساس أصل اللغة؛ لكن الإيمان في الاصطلاح هو التصديق المستلزم للانقياد.
وهذا مقياس في الظاهر والباطن ليس فقط في الظاهر، فلم يعنوا مجرد التصديق، والدليل: أن إبليس لعنه الله لم يكذب ولم يشك في أن الأمر له بالسجود هو من عند الله تبارك وتعالى، وإنما الذي تخلف عن إبليس هو عمل القلب وهو بالانقياد في هذا الأمر، لذا كان إباؤه كفرا واستكبارا.
كذلك اليهود كانوا يعتقدون صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتبعوه جحودا وعنادا، وفرعون كان يؤمن أن موسى رسول الله حقا، والأدلة على ذلك موجودة في القرآن الكريم وهي كثيرة، منها: قوله تبارك وتعالى: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا} [النمل:14]، ويقول تبارك وتعالى في آخر سورة الإسراء: {ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا} [الإسراء:101]، فماذا أجاب موسى وموسى صادق مصدوق عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام؟ {قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا} [الإسراء:102]، فهذا دليل على أن فرعون كان عنده يقين ومعرفة أن هذا رسول الله حقا وصدقا؛ لكنه لم ينقد له.
وهناك آيات أخرى في سورة الأعراف وغيرها من السور فيها إثبات أن القوم لما كان ينزل بهم سخط الله وعذابه كانوا يهرعون إلى موسى، يقول: {يا أيها الساحر ادع لنا ربك} [الزخرف:49]، ثم ينقضون العهد بعد ذلك كما هو معلوم في سورة الزخرف والأعراف أيضا.
فالشاهد أن هؤلاء كانوا يعرفون صدق الرسول؛ لكن لم ينقادوا إليه، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولم ينقد له، بل جحد بآيات الله ظلما وعلوا، فأين هذا التصديق من تصديق من قال الله تعالى فيه: {والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون} [الزمر:33]؟ وحتى تتمثل الأمر بوضوح؛ لأنه ربما يلتبس على الإنسان الفرق **بين قول القلب وعمله**، نقول: فرعون كان عنده القول بالقلب؛ وإبليس كان عنده القول بالقلب، واليهود الذين صدقوا بنبوة النبي عليه الصلاة والسلام كان عندهم القول بالقلب، لكن لم يوجد عندهم عمل القلب، وهو الانقياد والإذعان والمحبة وغير ذلك من الأعمال القلبية.
إذا: تذكر قوله عز وجل في حق فرعون وقومه: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا} [النمل:14]، وقارن هذا التصديق الذي كان عليه فرعون وقومه بالتصديق الذي جاء في قوله تبارك وتعالى: {والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون} [الزمر:33]، قارن أيضا تصديق اليهود الذين قالوا: {سمعنا وعصينا} [النساء:46]، و: {قالوا أتحدثونهم بما

فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم} [البقرة:76]، فقارن بين هذا التصديق وتصديق الذين قالوا: {سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير} [البقرة:285]، فلابد أن نفرق **بين قول القلب وبين** عمل **القلب، قول القلب هو** التصديق واليقين، أما عمل القلب فهو الانقياد والمحبة والإذعان لما أمر الله تبارك وتعالى به، فهذا خلاصة شرح قول صاحب سلم الوصول إلى الأصول: اعلم بأن الدين قول وعمل فاحفظه وافهم ما عليه ذا اشتمل يعني: ما اشتمل عليه هذا الكلام من أن الإيمان قول وعمل، قول بالقلب وقول باللسان، وعمل بالقلب وعمل باللسان والجوارح.." [1]

"مرتبة الإيمان

الإيمان لغة: التصديق، ودليل ذلك قوله تعالى: {وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين} [يوسف:17]، يعني: ما أنت بمصدق لنا.

أما في الشريعة فللإيمان أيضا حالتان: الحالة الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام، فحينئذ يراد به الدين كله، كقوله عز وجل في الذين آمنوا: {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور} [البقرة:257]، (فآمنوا) هنا تشمل الظاهر والباطن.

وقوله تبارك وتعالى: {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله} [الحديد:16]، وقوله عز وجل: {وعلى الله فليتوكل المؤمنون} [آل عمران:122]، تشمل أيضا الظاهر والباطن، {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين} [المائدة:23].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة)، هنا تشمل الظاهر والباطن؛ لأنها مفردة غير مقيدة بالإسلام؛ ولهذا حصر الله الإيمان فيمن التزم الدين كله باطنا وظاهرا، في قول الله عز وجل: {إنما المؤمنون} [الأنفال:2]، يعني: لا يوجد الإيمان إلا في هؤلاء؛ فانظر إلى صفتهم وأفعالهم، وسوف تجد أفعالهم وأعمالهم باطنة وظاهرة: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم} [الأنفال:2] هذه باطنة: {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا} [الأنفال:2]، أيضا باطنة: {وعلى ربهم يتوكلون} [الأنفال:2]، أعمال باطنة بالقلب: {الذين يقيمون الصلاة} [الأنفال:3]، ظاهرة: {ومما رزقناهم ينفقون} [الأنفال:3]، {أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم} [الأنفال:4] فأطلق الإيمان وحصره فيمن جمع بين الظاهر والباطن، وقال عز وجل: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا} [الحجرات:15]، هذه أعمال قلبية: {وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون} [الحجرات:15]، (في سبيل الله)، عمل قلبي بالنية؛ لأنه يريد إعلاء كلمة الله.

وقال عز وجل: {إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون * تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم

---

[1] () سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم 5/13

خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون} [السجدة:15 - 17]، فسرهم بمن اتصف بذلك كله أيضا في قوله عز وجل: {ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون} [البقرة:2 - 5]، ووصفهم أيضا بالإيمان في قوله: {وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين} [آل عمران:133] إلى آخر الآيات، وقال عز وجل: {ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون} [الأعراف:156]، إلى آخر الآيات.

ثم قال جل وعلا: {فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون} [الأعراف:157]، وقال أيضا -وهي من أوضح الأدلة في ذلك-: {قد أفلح المؤمنون} [المؤمنون:1]، الذين من صفاتهم: {الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون} [المؤمنون:2 ـ 11]، وقال أيضا: {هدى وبشرى للمؤمنين * الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون} [النمل:2 - 3]، وغير ذلك من الآيات.

بل أتى أيضا نصا صريحا جدا فسر الإيمان بهذه الأعمال كلها، كما في قوله: {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون} [البقرة: 177].

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن أبا ذر رضي الله عنه سأله فقال له: (ما الإيمان؟ فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب)) [البقرة:177] إلى آخر الآية)، فأتى بهذه الآية جوابا عن سؤاله عن الإيمان، ثم قال له أيضا: (ما الإيمان؟ فتلاها عليه، فقال: إذا عملت حسنة أحبها قلبك، وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك)، يعني: هذه أيضا علامة من علامات الإيمان، كما قال عليه الصلاة والسلام: (إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن)، هذه علامة من علامات الإيمان.

وأيضا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بالباطن والظاهر، كما في

حديث وفد عبد القيس في الصحيحين وغيرهما: (آمركم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم)، هذه عادة الصحابة في الجواب حينما يسألون أن يقولوا: الله ورسوله أعلم، بعض الناس يكررون هذه الكلمة الآن في غير موضوعها، تسأله عن الشيء الفلاني حصل أو لم يحصل؟ يقول: الله ورسوله أعلم لو قلت له: أين الكتاب الفلاني؟ قال: الله ورسوله أعلم. كلا.

كيف: الله ورسوله أعلم؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام في حياته كان ينزل عليه الوحي فيخبره بهذه الأشياء؛ لذلك كان يقول الصحابة: الله ورسوله أعلم، لكن هل الرسول يعلم كل شيء؟ نعم، حتى بعد موته صلى الله عليه وسلم لا يجوز أبدا أن تقول: الله ورسوله أعلم في كل شيء. (قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تؤدوا من المغنم الخمس)، فهذه أعمال ظاهرة دخلت في مسمى الإيمان، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام رمضان إيمانا واحتسابا من الإيمان، وكذا قيام ليلة القدر، وأداء الأمانة، والجهاد والحج، واتباع الجنائز، وغير ذلك، يقول عليه الصلاة والسلام: (الإيمان بضع وسبعون شعبة)، تماما مثل كلمة الإسلام في قوله: {إن الدين عند الله الإسلام} [آل عمران:19]، تشمل الظاهر والباطن؛ لأنها غير مقترنة بالإسلام وقد أتت مفردة: (الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)، وهذه الشعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة في مواضع متفرقة، منها ما هو من قول القلب، ومنها ما هو من عمل القلب، ومنها ما هو من قول اللسان، ومنها ما هو من عمل اللسان أو الجوارح، ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمل القلب، وقول اللسان وعمل اللسان وعمل الجوارح، سماها الله تعالى إيمانا، كما في قوله تبارك وتعالى: {وما كان الله ليضيع إيمانكم} [البقرة: 143]؛ لأن الصلاة مشتملة على جميع أنواع الإيمان، فقد روى سعيد بن منصور، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنا عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به، فقال عبد الله (إن أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بالغيب، ثم قرأ: {ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذي يؤمنون بالغيب} [البقرة:2 ـ 3])، فهنا حمل معناها عل." [1]

"تعريف الإيمان والإسلام إذا اجتمعا

قلنا: الإيمان لغة: التصديق، وشرعا له حالتان: الأولى: إما أن يأتي مفردا، فبالتالي يشمل كل أمور الدين، والحالة الثانية: أن يطلق الإيمان مقرونا

[1] () سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم 5/16

بالإسلام، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حـديث جبريـل ومـا في معناه، وكمـا في قـول اللـه عـز وجـل: {الـذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات} [البقرة:25]، حيث اقترن الإيمان بالعمل الصالح، فدل على أن الإيمـان هـو الأمور الباطنة، وكما في قول النبي صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم في دعـاء الجنازة: (اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسـلام، ومن توفيتـه منـا فتوفـه على الإيمــان)، ومــا الحكمــة في التعبــير عن الشــخص الحي بالإســلام، والمتوفى بالإيمـان؟ الحكمـة أن الإسـلام إذا كـان مجـرد الأعمـال الظـاهرة كالصلاة والصيام والحج والزكاة إلى آخره، فعند الوفاة وعند خروج الروح لا يوجد متسع لعمل البدن، وإنما يوجد متسع لأعمـال القلب، وأن يمـوت على الإيمان الكامل، فالأعمال المتعلقـة بـالجوارح إنمـا يتمكن منهـا في الحيـاة، فأما عنـد المـوت فلا يبقى **غير قـول القلب وعمله**, لحـديث أنس عنـد أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال: (الإسـلام علانيـة، والإيمـان في القلب).

فهنـــــا اجتمعـــــا في النطـــــق فيفترقـــــان في المعـــــنى.

الحاصل: أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئـذ، بل كل منهما على انفـراده يشـمل الـدين كلـه، وإن فـرق بين الاثـنين كـان الفرق بينهما بمـا في هـذا الحـديث: (الإسـلام علانيـة والإيمـان في القلب). والمجموع مع الإحسان هو الدين، أي: أن الإسلام مع الإيمـان مـع الإحسـان هو الدين، كما سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله دينـا فقـال: (هـذا جبريـــــــــــــــــل أتـــــــــــــــــاكم يعلمكم دينكم).

وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإســـــــــــــلام، والإســـــــــــــلام بالإيمـــــــــــــان.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وأما وجه الجمع بين هـذه النصـوص وبين حديث جبريل عليـه السـلام وسـؤاله عن الإسـلام والإيمـان، وتفريـق النـبي صلى الله عليـه وسـلم بينهمـا، وإدخالـه الأعمـال في مسـمى الإسـلام دون الإيمان، فإنـه يتضـح بتقريـر أصـل، وهـو: أن من الأسـماء مـا يكـون شـاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن الاسم بغيره صار دالا على بعض تلـــك المســـميات، والاســـم المقـــرون بـــه دال على باقيهـــا. كالفقير مع المسكين، إذا أفرد أحدهما دخـل فيـه كـل من هـو محتـاج، فـإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخـر على باقيهـــــا، فهكـــــذا اســـــم الإســـــلام والإيمـــــان.

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى: ما أكثر ما يغلط النـاس في هذه المسألة، فأمـا الزهـري فقـال: الإسـلام الكلمـة، والإيمـان العمـل، واحتج بقوله تعالى: {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولـوا أسـلمنا ولمـا يـدخل الإيمـان في قلـوبكم} [الحجـرات:14]، وذهب غـيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، واحتج بقوله تعـالى: {فأخرجنـا من كـان فيهـا من المؤمنين * فما وجدنا فيهـا غـير بيت من المسـلمين} [الـذاريات:35 -

36].
يقول الخطابي: والصحيح أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الأحوال، ولا يكون مؤمنا في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا، يعني: كما فعل بعض السلف: نرسم دائرة كبيرة تمثل الإسلام، وفي داخلها دائرة أصغر منها هي دائرة الإيمان، فكل من كان في دائرة الإيمان فهو أيضا داخل في دائرة الإسلام، لكن ليس كل من كان في دائرة الإسلام يكون في دائرة الإيمان، فمن خرج عن الإيمان بقي في دائرة الإسلام، وقد يخرج عن الإيمان بالمعاصي، ولا يخرج عن الإسلام إلا بالكفر، فالمعاصي تخرج من الإيمان إلى الإسلام، والأحاديث معروفة في ذلك، مثل: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)، نعم الإيمان موجود في قلبه، والتصديق بأن هذا الفعل حرام، لكن يغيب عنه حضور هذا الشعور، وتجنب هذا الذنب ساعة هذا الفعل، فيخرج الإيمان من قلبه ولا يبقى في قلبه، فإذا نزع وتاب دخل ثانية في الإسلام.
يقول: وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات، واعتدل القول فيها، ولم يختلف شيء منها.." [1]
"الفرق بين استحلال المعاصي والإصرار عليها
Q ما الفرق بين استحلال المعاصي والإصرار عليها؟
A اتفق أهل السنة على تكفير المستحل للمعاصي أو المحرمات، أما الإصرار فلا يكفر صاحبه، بل اتفق أهل السنة على تبديع من قال: إن الإصرار يكفر فاعله.
والإيمان حقيقة مركبة من جزأين: قول وعمل، والقول منقسم إلى قسمين: قول بالقلب، وقول باللسان، والعمل عمل بالقلب وعمل بالأركان، وفيها اللسان.
فقول القلب بالنسبة لأصول الدين أو أصول العقيدة هو التصديق، وقول اللسان هو النطق بكلمة الشهادة، وعمل القلب غير قول القلب، فقول القلب هو الإقرار والتصديق، أما عمل القلب فهو شيء آخر من أركان الإيمان، الذي وهو محبة هذا الشيء، والانقياد له، والتوكل على الله وحده إلى آخر هذه الأعمال القلبية.
فالإيمان حقيقة مركبة من جزأين: تصديق الخبر، والانقياد للأمر، حتى من قال من أهل السنة والجماعة: إن الإيمان هو التصديق إنما عنى بذلك التصديق المستلزم للانقياد، فإذا كان الإيمان هو التصديق بالخبر والانقياد للأمر أو الحكم فمن كذب بالخبر صار كافرا كفر تكذيب، ومن صدق الخبر ولكن رد الأمر ولم ينقد له صار كافرا كفرا الرد والإباء والامتناع، مثال ذلك: إبليس لما أمره الله تبارك وتعالى بالسجود، فقد كان مصدقا بأن هذا الأمر صادر من الله، ومع ذلك كفره الله تعالى فقال: {وكان من الكافرين}

[1] () سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم 6/4

[البقرة:34]، لأنه وقع في نوع آخر من الكفـر، حيث وجـد عنـده التصـديق، فهو يعلم ويصدق بأن الله أمره بالسجود، وما قال: أنا أشك في هـذا الأمـر. ويعلم أن الآمر هو الله، إذا: وجد التصديق، لكن لم يوجد الانقيـاد للأمـر، لم **يوجد قول القلب الذي** هو قبول الخبر، وصار إبليس كافرا كفر رد وإباء وامتناع، ومثله من يقول: الشـريعة الإسـلامية شـريعة اللـه، لكن لا أطبقهـا وأرفضها.

فيمتنع إباء أو إعراضا أو استكبارا، وكلهـا غـير امتنـاع الجحـود؛ لأن الجحـود كفر تكذيب.

أما الذي لا ينقاد قلبه ولا يتقبل الحكم بقلبه، بل يعرض عنـه ويرفضـه فهـذا كافر كفر إباء وامتناع وإعراض.

ثم لا بـد من أن نعلم أن الانقيـاد الـذي يـؤثر في أصـل الإيمـان ليس هـو الامتثال العملي للأحكام؛ إذ الانقياد نوعان: الانقياد العملي، والانقياد القلبي، فالانقيـاد القلـبي كفعـل القلب، وذنـوب القلب أعظم من ذنـوب الجـوارح، فامتناع القلب عن الانقياد الذي يـؤثر ويقـدح في أصـل الإيمـان ويرتبـط بـه ليس هو الامتثال العملي بالجوارح في الأحكام كما تزعم الخوارج، وإنما هـو قبول الأحكام والـتزام الشـرائع جملـة كمـا هـو مـذهب أهـل السـنة، وحـتى نوضح هذه الحقيقة ونجليها أكثر نذكر الأحـوال الثلاثـة: الحالـة الأولى: حـال رجل لا يشرب الخمر، لكنه يعتقد بقلبه أنها حلال، فهـذا كـافر كفـر تكـذيب؛ لأن الله تعالى قال: {فاجتنبوه لعلكم تفلحون} [المائـدة:90] فهـو لا يعتقـد تحريم الخمر، ويقـول: هي حلال فهـذا مكـذب بحكم اللـه عـز وجـل، جاحـد لمعلوم من الدين بالضرورة، ولا شك في كفره حقيقة عنـد اللـه عـز وجـل.

الحالة الثانية: رجل شرب الخمر وداوم على شربها، وعقـد قلبـه على عـدم تركها أبدا معتقدا بقلبه أنها حلال، فهذا كافر -أيضا- كفر تكذيب، وفاقد لأحد ركني الإيمان الذي هو تصديق الخبر.

وهذان الشخصان لا سبيل للحكم عليهما بالكفر في الظاهر إلا إذا قام دليل قطعي صريح على هذا الاستحلال القلبي، فإذا قام دليل على أن في القلب جحودا وتكذيبا فهذا يكفر، كـأن ينطـق بلسـانه ويقـول: أنـا لا أعتقـد تحـريم الخمر.

فهذا اللسان هو الذي يغرف مما في القلب، فترجمـان القلب هـو اللسـان، فإذا دل دليل قطعي صريح على هذا الاستحلال القلبي كـأن يصـرح بلسـانه بهذا الاعتقاد فإنه يكفر بذلك.

الحالة الثالثة: مؤمن بأن حكم الله عز وجل في الخمـر هـو تحـريم شـربها، لكنه لا يقبل هـذا الحكم اقتـداء بقلبـه، فيقـول: هـو حكم الملـك، ولكنـني لا أقبله ولا ألتزمه.

ويرده ويرفضه، بل قد يعترض عليه وينتقده ويعيبـه، ويعقـد قلبـه على عـدم ترك شرب الخمر أبدا، فهذا الاسـتحلال يئـول إلى كفـر الـرد والإبـاء وعـدم القبول، فهذا القلب لم ينقد أصلا للحكم، فهو مثل كفر إبليس؛ إذ هـو عـالم

بأن الخمر حرمها الله، لكن لم يحصل الانقياد القلبي الذي هو كـون الإيمـان قـــولا وعملا، وقـــــولا بـــــالقلب وقـــــولا باللســــان.
أي أن القلب لم ينقد ولم يقبل هذا الحكم، ومثل هذا الرد حتى مع التصديق بأن هذا حكم الله يكفر به صاحبه، ومصداق ذلك في قولـه عـز وجـل: {ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلـك يريـدون أن يتحاكموا إلى الطـاغوت وقـد أمـروا أن يكفـروا بـه ويريـد الشـيطان أن يضـلهم ضـلالا بعيـدا} [النسـاء:60]، إلى أن قـال عـز وجـل: {فلا وربـك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسـهم حرجـا ممـا قضيت ويسلموا تسليما} [النسـاء:65] فهـذا عـرف أنـه حكم اللـه لكنـه لم يحكم شـرع اللـه، واللـه تعـالى قـال: {ثم لا يجـدوا في أنفسـهم حرجـا} [النساء:65] وهذا وجد حرجا، ولم يسلم تسليما لحكم الله، فهذا نـوع أكـبر من الكفــــــــــــــــــــــــــــــــــــر.
ونحن نعلم حديث ابن مظعون لما شرب هو وطائفـة الخمـر وتـأولوا الآيـة: {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنـاح فيمـا طعمـوا إذا مـا اتقـوا وآمنوا} [المائدة:93] إلى آخر الآية، فـأفتى الصـحابة رضـي اللـه عنهم في ذلك بمحضر ابن عمر رضي الله عنه بأنهم إن أقروا به جلدوا، وإن لم يقروا بـــــــــــــــــــــــــه كفـــــــــــــــــــــــــــــروا.
وعلى أي الأحوال فهذا الشخص الذي يرد ويرفض الانقياد لحكم الله يرتكب نوعا آخر من الكفر غير كفر التكذيب، وهو كفر الرد والإعراض والإباء، مثـل اليهود الذين أتوا إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشهدوا له بأنــه رســـول اللــــه، وقـــالوا: نشـــهد أنـــك رســـول اللـــه.
لكن قالوا هذه العبـارة على سـبيل الإخبـار عمـا في قلـوبهم لا على سـبيل الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد، فلم يصيروا مسـلمين بمجـرد ذلـك، مـع أنهم معتقدين أن الرسول حق، بل قد قال الله عـز وجـل عنهم: {يعرفونـه كما يعرفون أبناءهم} [البقـرة:146]، وليس هنـاك أحـد يخطئ في معرفـة أولاده، فهم يعرفونه كما يعرفون أبنـاءهم، ويؤمنـون أنـه رسـول اللـه حقـا، لكن لم ينقـادوا لحكمـه، فكفـرهم كفـر عنـاد وإبـاء ورفض وعـدم تحكيم.
فهذه الصور الثلاثة السابقة: صورة الشـخص الـذي لا يشـرب الخمـر، لكنـه يعتقد بقلبه أنها حلال، وصورة رجل آخر يشرب الخمر ويـداوم على شـربها، ويعقد قلبه على عدم تركها أبدا معتقدا -أيضا- بقلبه أنها حلال، وصورة رجل يصدق بأن حكم الله في الخمر هو تحـريم شـربها، لكنـه يـرفض بقلبـه هـذا الحكم ولا ينقاد لـه قلبيـا، هـذه الصـور الثلاث يصـدق على أصـحابها ضـابط الاستحلال، وهؤلاء مستحلون لما حرم الله، فهـذا الاسـتحلال يكفـرهم، ولـه صورتان: الأولى: عدم اعتقاد الحكم الشرعي، وهـذا يرجـع ويئـول إلى كفـر التكذيب، الثانية: عدم التزام هذا الحكم وقبوله والانقيـاد لـه بقلـوبهم، فهـذا يرجع إلى كفر الرد وعدم القبول.." [1]

[1] سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم 29/4

"حكم تحكيم القـــــــــــــــــوانين الوضـــــــــــــــــــعية

Q هـــل تحكيم القـــوانين الوضـــعية كفـــر أكـــبر أم كفـــر دون كفـــر؟

A هذا السؤال بعبارة أخرى هو: هل تحكيم شريعة غـير شـريعة اللـه تبـارك وتعالى يـدخل في الاسـتحلال أم في الإصـرار؟ ومن ثم فهـل فاعلـه يكـون كـافرا كفـرا أكـبر، أم يكـون كـافرا كفـرا دون كفـر؟ إن هـذه الشـريعة هي الدستور الأعلى، والقانون الأوحد المهيمن، لكن الحاكم بغـير مـا أنـزل اللـه إذا عـرض عليـه قضـية أو قضـيتان أو عشـر قضـايا أو أغلب القضـايا الـتي تعرض عليه، فحكم في قضايا عارضة جزئية بغـير مـا أنـزل اللـه، لا بسـبب التكذيب، ولا بسبب الرد والرفض، وإنما بسبب مجاملة لصديقه أو قريبه، أو رشوة أغـري بهـا، أو محسـوبية، أو هـوى، فهـذا كلـه كفـر دون كفـر، وهـذا معصية، وليس كفرا يخرج من الملة، لكنـه ينقص إيمانـه؛ لأن هـذا انحـراف عـــــــــــــارض في التطـــــــــــــبيق وليس في المبــــــــــــدأ.

وبعبارة أخـرى نقـول: من رغب عن تطـبيق الشـريعة الإسـلامية واسـتبدلها بالقوانين الوضعية فهذا الاستبدال له صور عدة: فإما أنـه يكـون رافضـا لهـا بقلبه، وحينها لم **يوجد قول القلب الذي** هو الانقياد والإقرار والقبول، أو يكون كارها لها، أو معتقدا أن القوانين الوضعية أفضل من الأحكـام الإلهيـة، باعتبار أنها أحكام رجعية جامدة لا تناسـب العصـر، كمـا يقـع من العلمـانيين وخصوم الإسلام، أو يفعل ذلك عنـادا ومكـابرة، فيـؤمن بأنـه حكم اللـه لكن يعاند ويكابر ولا يقبله ولا ينقاد له، فهـذا كـافر خـارج عن ملـة الإسـلام، ولـو كان مصدقا بها مقرا بأنها شريعة الله عز وجل، وكفـره ككفـر إبليس الـذي ما شك في أن الأمر بالسجود صادر عن اللـه تبـارك وتعـالى، لكنـه رد حكم الله ولم يلتزمه، ففي حق مثل هذا نستدل بقوله تبارك وتعالى: {فلا وربـك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} [النساء:65]، فالمسألة هنـا ليسـت مسـألة خطـأ في التطبيق أو خطأ عارض، بل هي مسألة مبـدأ، فحين يحصـل التخلي عن أصـل تحكيم الشـريعة وإبطـال تحكيمهـا في أغلب شـئون الحيـاة والدولـة، وتنكيس رايـة الشـريعة تمامـا، ثم اسـتبدال رايـة الشـريعة برايـة القـوانين الوضعية الجاهلية لتصبح هي بدل الشـريعة الإسـلامية مـع أن الشـريعة هي المظلة ذات السيادة، وهي المهيمنة على المجتمع، فإن ذلك لا يتضمن عدم الحكم بما أنزل الله بتعطيله وإبطاله فحسب، بل يتضمن جريمة أخـرى هي الإباحـــــــة العامـــــــة للحكم بغــــــير مــــــا أنــــــزل اللــــــه.

فما بالك لو انضم إليه الإلزام القسـري، أي: إلـزام الأمـة جميعهـا بالتحـاكم إلى هذه القوانين الجاهلية؟! وليس الأمر إلى هـذا الحـد، بـل يفتن كـل من تمـــرد على هـــذه القـــوانين أو حـــاول تغييرهـــا حـــتى ولـــو كـــان قاضـــيا.

ما أكثر ما يتردد في سـاحات المحـاكم الوضـعية من عبـارات تقشـعر منهـا الجلود وتشمئز لبشاعتها النفوس لما تتضمنه من رد الدفاع الشرعي، حينما يدافع المدافع بأدلة الشرع الإسلامي القـائم على كتـاب اللـه وسـنة رسـول

الله صلى الله عليه وسلم يبطل القاضي الوضعي الحكم الشرعي والدفاع الشرعي، لا لشيء إلا لأنه يخالف القوانين الوضعية. فيرد حكم رجم الزاني، أو جلد الشارب، أو قطع يد السارق؛ لأنه يخالف القوانين، وهذا فصل بين الخلق والأمر، وقد يكون هذا الشخص مؤمنا بأن هذا حكم الله، لكنه لا ينقاد إليه قلبيا، ويجعل عدم تطبيق الشرعية مبدأ عاما، فيلزم كل الناس بتعطيل الشريعة أولا، ثم باستباحة الحكم بغير ما أنزل الله إباحة عامة يلزم بها سائر الناس ويمتحن ويفتن من خالفها أو تمرد عليها، فالله عز وجل له الخلق والأمر، كما قال تعالى: {ألا له الخلق والأمر} [الأعراف:54]، فالذي يخلق هو الذي يأمر ويحكم، فكما أنه لا يخلق إلا الله، كذلك لا يأمر ولا يشرع إلا الله عز وجل.

ونشير بهذه المناسبة إلى عبارة (الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع)، فهذه العبارة تنافي العقيدة الإسلامية تماما؛ إذ إنها تساوي القول بأن الله عز وجل هو الخالق الرئيس لهذا الكون.

فهل يقبل أن الله هو الخالق الرئيس؟! إن الله تعالى كما له الخلق له -أيضا- الأمر، فكما أنه لا يصح أن تقول: الله هو الخالق الرئيس، كذلك لا يصح أن تقول: شريعة الله هي الشريعة الرئيسة للقوانين.

وقد حصل أن جنكيز خان ملك التتار استبدل أحكام القرآن وأحكام الشريعة بكتابه (الياسق) أو (اليافا)، وجعله خليطا من الشريعة الإسلامية مع بعض القوانين الأخرى من الملل الأخرى، ووقفت الأمة منه موقفا عظيما خطيرا لإبائه ورده ورفضه الشريعة الإسلامية.

فأرجو أن يكون بهذا اتضح الفرق بين الإصرار وبين الاستحلال، وبعض العلماء يقولون: الحكم بالكفر الأكبر نتيجة الاستحلال له صورتان: تكذيب الخبر، أو رد الحكم وإبطاله وعدم الانقياد له والتزامه، وفي الحالة الثانية قالوا: هو كفر، لكن لا يحكم على قائله أو فاعله بالكفر حتى يتثبت من وجود أفعال أو شروط معينة، وانتفاء موانع تمنع من الحكم بالكفر على الشخص، لكن يقال: من فعل كذا فهو كافر.

ولا يجزم بأن فلانا بعينه كافر حتى نتأكد من زوال العوارض الأهلية من إكراه أو جهل أو تأويل.." [1]

"تعريف الإيمان

أصل الإيمان في اللغة: التصديق والإقرار والمعرفة، وهو تصديق القلب وإقراره واعترافه.

وشرعا: تصديق القلب، وإقرار اللسان، وعمل القلب والجوارح.

فيشمل أربعة أشياء: تصديق القلب ويسمى قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح.

فقول القلب: هو التصديق والإقرار والمعرفة.

وقول اللسان: هو النطق، كالنطق بالشهادتين، والأمر بالمعروف، والنهي

[1] () سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم 29/6

عن المنكـــــــر، والـــــــدعوة إلى اللــــــه، والـــــــذكر، وتلاوة القـــــــرآن.
وعمل القلب: كالنية والإخلاص والصدق والمحبة والتوكل والرغبـة والرهبـة.
وعمـــــــل الجـــــــوارح: كالصـــــــلاة والصـــــيام والزكـــــــاة والحج.
ولهذا يقول العلماء: الإيمـان قـول باللسـان، واعتقـاد بالجنـان -وهـو القلب- وعمـــــــل بالأركـــــــان، يزيـــــــد بالطاعـــــــة وينقص بالمعصـــــــية.
ومن عبارات السلف في هذا: الإيمان عمـل ونيـة، أي: عمـل القلب وعمـل الجوارح، والنية التصديق والإقـرار، ويـدخل في العمـل أيضـا قـول اللسـان.
وبهذا ينفصـل أهـل السـنة عن المرجئـة بجميـع طـوائفهم وعن أهـل البـدع جميعـــا.
والعلماء والسلف والأئمة من الصحابة والتابعين وأهل السـنة قاطبـة ومنهم الأئمة الأربعة يقـررون أن الإيمـان تصـديق القلب، وإقـرار اللسـان ونطقـه، وعمل القلب وعمل الجوارح، وقرروا أنـه يزيـد بالطاعـة وينقص بالمعصـية، وبهـذا انفصـلوا عن جميـع الطوائـف، فانفصـلوا عن الخـوارج، والمعتزلـة، والمرجئة، والشيعة، والكرامية، والجهمية وغيرهم، فالمرجئة الذين يرون أن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان، من أعظم من خـالف أهـل السـنة في مسمى الإيمان.." [1]

"وجوارحـه وتؤكـد أفعالـه فهـذا المنـافق. أمـا الـذي ذُكـر في الحـديث فمسلم مصدق قلبه وجوارحه ومؤكدة أفعاله يعني التوحيد لكنه يـأتي بعض الكبـــــائر فليس كالمنـــــافق الكـــــاذب في قـــــول لا إلـــــه إلا اللـــــه.
فقد تبيّن أن النطق بالشهادة من غير معرفـة لمعناهـا ولايقين ولاعمـل بمـا تقتضـيه من الـبراءة من الشـرك وإخلاص القـول **والعمـل قـول القلب واللسـان** وعمـل القلب والجـوارح فغـير نـافع بالإجمـاع. وهـذا لا يـوجب التكذيب بأحاديث الشـفاعة الثابتـة لأنهـا للموحـدين الـذين يعرفـون معناهـا ويعملـــــون بمقتضـــــاها ولكن لهم ذنـــــوب أوْجبت لهم دخـــــول النـــــار.
ومما جاء في بيان كلمـة لا إلـه إلا اللـه في (قـرّة عيـون الموحـدين) قولـه: وأنت تجد أكثر من يقول لا إله إلا الله ويَدَّعي الإسـلام يفعـل الشـرك باللـه في عبادتـه بـدعوة من لايضـر ولاينفـع من الأمـوات والغـائبين والطـواغيت والجن وغيرهم ويحبهم ويُوَاليهم ويخافهم ويرجوهم ويُنكر على من دعـا إلى عبادة الله وحده وتَرْك عبادة ماسِواه ويزعم أن ذلك بدعـة وضـلالة ويُعـادي من عمل به وأحَبّه وأنكر الشرك وأبغضه. وبعضهم لا يَعـدّ التوحيـد علمـاً ولا يلتفت إليه لجهله به وعدم محبته والله المستعان ..." [2]

"مـــــــــــــراتب الإيمـــــــــــــان بالمقارنـــــــــــــة إلى العمل
الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسـوله، وبعـد:

[1] () شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي 3/2
[2] () الشناعة على من رد أحاديث الشفاعة، عبد الكريم الحميد ص/10

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أما بعد: فلا زال الكلام موصولا في إثبات أن الأعمال من الإيمان، وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، والصلاة من الإيمان، والزكاة من الإيمان، والصيام من الإيمان، والجهاد من الإيمان، وسائر الأعمال من الإيمان.

فمن الأعمال ما هو أصل في الإيمان، ومن الأعمال ما هو واجب في الإيمان، ومن الأعمال ما هو مستحب في الإيمان.

وهذا يعني أن الأعمال التي هي من أصل الإيمان من تركها فقد خرج من الإيمان بالكلية وصار كافرا؛ كالصلاة على المذهب الراجح، ومن ترك الأعمال الواجبة في الإيمان فإنما أخل بالإيمان الواجب، ومن ترك الأعمال التي هي مستحبة في الإيمان فقد ترك ذروة الإيمان وكماله وتمامه المستحب.

ولذلك قال الله عز وجل في الحديث القدسي: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها) أي: فلا يبصر إلا بي، ولا يسمع إلا بي، ولا يمشي إلا بي، فإذا حقق العبد هذه الدرجة وهي الكمال المستحب، يكون قد بلغ ذروة الإيمان وكماله وتمامه، وذلك بأن يأتي بالأعمال المستحبة بعد الأعمال الواجبة والأعمال الأصيلة في الإيمان، فالإيمان بالمقارنة إلى العمل على ثلاث مراتب: إيمان أصلي، ثم إيمان واجب، ثم إيمان مستحب.

ولكل مرتبة من مراتب الإيمان أعمال تخصه، فمن فرط في أصل العمل الذي هو أصل الإيمان فلا يكون مؤمنا قط، بل لا يثبت له الإسلام.

وإذا قلنا: الإيمان قول وعمل، فالقول قول اللسان، بمعنى أن من كان قادرا على النطق بالشهادتين ولم ينطق بهما مختارا؛ فإنه لا يثبت له إسلام، لأن الإيمان قول وهو لم يتلفظ مع القدرة على القول والتلفظ، ولكنه ترك ذلك مختارا غير مكره.

والعمل عمل القلب من المحبة والرضا والقيام بمقتضيات هذه الكلمة وغير ذلك، ولذلك لو قال إنسان: لا إله إلا الله، فقد حقق القول، **أما قول القلب فمحبة** هذه الكلمة والرضا بها، والإيمان والتصديق والإقرار الجازم بها ولو أن ذلك كله انتفى عنده لا يثبت له الإسلام عند الله، ولذلك فالمنافقون في زمن النبوة قالوا كلمة الإسلام، فشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولكنهم أبغضوا هذه الكلمة، ومع هذا حققوا العمل، فكانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحجون، بل ويجاهدون مع النبي عليه الصلاة والسلام، ولكنهم عند الله في الدرك الأسفل من النار، فهم أشد عذابا من الكفار، أما في حكم الدنيا فهم مسلمون؛ لأنهم نطقوا بكلمة الإسلام ظاهرا.

فالإيمان قول وعمل، هذا القول وهذا العمل هو قول اللسان وعمل القلب وهو يزيد وينقص، فزيادة الإيمان ونقصانه متعلقة بالعمل.
أي: أن سبب زيادة الإيمان في قلب العبد هو عمل الجوارح، ولذلك إذا كان المرء محافظا على الصلاة في الجماعة، محافظا على أداء الزكاة، محافظا على الحج في كل عام إن استطاع ذلك، محافظا على النوافل وقيام الليل وقراءة القرآن وغير ذلك يشعر أن قلبه يحلق في السماء السابعة، ولو أنه فرط في شيء أو فاتته مثلا صلاة الفجر وهو معتاد عليها في جماعة، فإنه يقوم في النهار وقد حشرج صدره، وضاق جدا، وشعر بالغم والهم طيلة النهار، وظن أن الدنيا قامت ولم تقعد؛ لأنه شعر بنقصان الإيمان في قلبه بفوات الطاعة التي اعتاد عليها، هذا الأمر يشعر به كل إنسان منا، والإيمان يزداد كما قال تعالى: {ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم} [الفتح:4].
هذه الآية تقول: إن أصل الإسلام لا بد أن يكون معه أصل الإيمان، ولذلك حينما عاب الله تعالى على الأعراب قال: {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا} [الحجرات:14]، هذا الإسلام لا بد أن يكون معه ما يسمى بأصل الإيمان، لأن الإسلام لا يصح للعبد إلا إذا كان معه الإقرار والإذعان والمحبة والرضا.
ولذلك لو أن واحدا نطق بالشهادتين الآن ثم مات بعدها فورا، نقول إن هذا مسلم معه أصل الإيمان؛ لأن الإسلام لا يصح إلا بأصل الإيمان، وهي المرتبة الأولى من مراتب الإيمان، حتى يكون هناك فارق بينه وبين المنافقين؛ لأن المنافق لو شهد بالشهادتين وهو منافق ومات، يكون في النار؛ لأنه قالها نفاقا.
كما يحدث للروس الآن؛ فهم قد عرفوا أصلا من أصول الجهاد عند المسلمين، وهو أن واحدا منهم إذا وقع في عداد الأسر في جيش الإسلام نطق بالشهادتين فورا، فهب أنه نطق بالشهادتين، ولنفترض أنه نطقها نفاقا، فهو في النار؛ لأنه ما نطق الشهادة عن إيمان، وإنما نطقها نفاقا، فهناك فرق بينه و." [1]

"نقل النووي لكلام الإمام الأصفهاني في معنى الإيمان وزيادته ونقصه وأما الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل التميمي الأصبهاني الشافعي في كتابه التحرير في شرح صحيح مسلم فقال: الإيمان في اللغة هو التصديق، فإن عمل به ذلك فلا يزيد ولا ينقص.
فهو يريد أن يعرف الإيمان في اللغة: بأنه التصديق، وهو على هذا التعريف ليس فيه زيادة ولا نقصان، وهذا كلام يحتاج إلى نظر وتحرير، حتى لو عرفنا أن الإيمان في اللغة هو التصديق، فنقول: كذلك التصديق يقبل الزيادة والنقصان، فلو أن واحدا أخبرني خبرا وكان ثقة صدقته، ولو دخل رجل آخر وأخبرني بنفس الخبر وهو ثقة ازددت تصديقا لخبر الأول، حتى لو عرفنا الإيمان في اللغة بأنه التصديق فنقول: كذلك التصديق في اللغة يقبل

[1] () شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري 26/2

الزيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــادة والنقصـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــان.
قال: لأن التصديق ليس شيئا يتجزأ حـتى يتصـور كمالـه مـرة ونقصـه مـرة، وهـــــــــــــــذا الكلام قـــــــــــــد رددنـــــــــــــا عليـــــــــــــــه.
قال: أما الإيمان في لسان الشرع فهو التصـديق بـالقلب والعمـل بالأركـان.
إن الكلام في مسائل الإيمان والكفر محـل نـزاع عظيم جـدا على السـاحة، فاســــــــــــــــــــــــــــــــــمعوا كلام أهــــــــــــــــــــــــــــــــــل العلم.
قــال الإمــام الأصــبهاني: والإيمــان في لســان الشــرع -يعــني: الإيمــان الاصطلاحي- هو التصديق بالقلب والعمل بالأركـان، والأركـان هي الجـوارح.
إذا: الأعمــــال داخلــــة في ماهيــــة الإيمــــان وحقيقتــــه ومســــماه.
وإذا فسـر بهـذا، أي: إذا اعتبرنـا أن الإيمـان قـول **وعمـل، قـول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح؛ فلابد أن نتصور تطـرق الزيـادة والنقص إليه؛ لأنه إذا كان هو إقرار القلب وعمل الجـوارح، فمعنى ذلـك أن الإيمـان يتوقف عليهما، فلو أن الإيمـان ضـعف في القلب نقص، ولـو زاد في القلب ارتفع، كما أن العامل لو عمل بطاعتين ازداد إيمانا على قدر هذه الطاعات، ولـو أنـه نقص من هـذه الطاعـات نقص إيمانـه على قـدر نقصـان عملـه.
إذا: زيادة الإيمان ونقصانه متعلقة بالعمل، ومن الأعمـال مـا ينقض الإيمـان من أصله، ومن الأعمال ما يؤثر على الإيمان الواجب، ومن الأعمال ما يـؤثر على كمــــــــــــــــــال الإيمــــــــــــــــــان وتمامــــــــــــــــــــه.
فعندي الآن ثلاث مراتب: إيمان أصلي، وهـو أصـل الإيمـان في القلب، لابـد من توفر هذا القدر من الإيمان حتى يثبت به الإسلام، ولو كان ذلك قبـل أن أعمل عملا مطلقا، ولذلك من نطق بالشهادتين مؤمنـا بهمـا ثم مـات يكـون مؤمنا، لكنه لم يحقـق كمـال الإيمـان وتمامـه، لأن ارتبـاط الكمـال والتمـام بالعمل، وهو لم يعمل، ربما يجازيه اللـه عـز وجـل فضـلا من عنـده درجـات الكمـل الـذين أتـوا بالأعمـال على وجههـا وزيـادة، وهـذا فضـل اللـه تعـالى ورحمتــــــــــــــه يؤتيهــــــــــــــا من يشــــــــــــــاء من عبــــــــــــــاده.
أما هذا فقد حقق أصل الإيمان الذي يـدخل بـه في مسـمى الإيمـان وإن لم يكن بلغ تمامه وكماله؛ لأن ذلك مرهون بالعمـل، وهنـاك أعمـال واجبـة في الإسلام يقابلها الإيمان الواجب، فإذا أدى العبـد هـذه الأعمـال الواجبـة فقـد حقــق الإيمــان الــواجب، وهــذه المرحلــة الوســطى من مراحــل الإيمــان.
وإذا أتى العبد بالنوافل والمستحبات والمندوبات وغير ذلك، وحافـظ عليهـا، فقــــد حقــــق كمــــال الإيمــــان وتمامــــه، وهــــو الإيمــــان المطلــــق.
إذا: فمــــراتب الإيمــــان ثلاث، يقابــــل هــــذه المــــراتب أعمــــال.
المرتبة الأولى: وهي مرتبة مطلق الإيمان وأساس الإيمان وقاعدة الإيمـان، وجزؤه الذي لا يثبت للمرء الإيمان إلا به، وهو المصاحب لنطقه بالشـهادتين وإقراره واعتقاده القلبي بما نطق به لسانه، وبغير هذا الجزء من الإيمـان لا يكـــــون مؤمنـــــا على الحقيقــــــة، بــــــل يكــــــون منافقــــــا.
المرتبة الثانية: مرتبة الإيمان الواجب، يقابلها الأعمال الواجبـة في الإسـلام،

إذا أداها فقد حقق الإيمان الواجب الذي يأثم المرء بتركه. أما كمال الإيمان وتمامه ومطلقه فإن ذلك متعلق بالمستحبات والمندوبات وغير ذلك من أعمال النوافل.
قال: والإيمان في لسان الشرع: هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان، وإذا فسر بهذا تطرق إليه الزيادة والنقصان، وهو مذهب أهل السنة، أن العمل داخل في مسمى الإيمان.
قال: فالخلاف في هذا على التحقيق إنما هو: أن المصدق بقلبه إذا لم يجمع إلى تصديقه العمل بموجب الإيمان، هل يسمى مؤمنا مطلقا أم لا؟ والمختار عندنا: أنه لا يسمى به، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)؛ لأنه لم يعمل بموجب الإيمان فيستحق هذا الإطلاق.
هذا آخر كلام صاحب كتاب التحرير.
ولو سلمنا أن الإيمان هو التصديق فإنه يتطرق إليه الزيادة والنقصان، وهذا غير مقصود في الشرع.
والمرجئة قالوا: الإيمان هو التصديق.
وإذا كان الإيمان هو التصديق فلا يتصور نزول التصديق إلا إلى الشك، فيقولون: الشاك ليس مؤمنا، وهو كذلك، لكن التصديق يتصور فيه الزيادة أو النقص، وقد ضربت لذلك مثلا، وكذلك جاء في كتاب الله عز وجل أمثلة عن سيدنا إبراهيم وكيف مات وغير ذلك، ولا يتصور مسلم أن إبراهيم عليه السلام كان كافرا، ومع هذا قال: {رب أرني كيف تحي الموتى} [البقرة: 260]، فإبراهيم عليه السلام سأل عن الكيفية، هل إبراهيم عليه السلام لا يوقن أن الله تعالى يحيي الموتى؟ فإبراهيم يوقن ذلك، ويوقن أن الله ت." [1]

"بيان أن الإيمان اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالجوارح والأركان، ولا يكون العبد مؤمنا إلا بهذه الثلاث
إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.
هذا بداية الكلام عن الإيمان، والكلام في الإيمان ومسائله كلام خطير وشائك، والمعصوم من عصمه الله عز وجل، ومنهج أهل السنة والجماعة في بيان مسائل الإيمان، والفرق بينها وبين مسائل الكفر أوضح من الشمس في رابعة النهار، ولكن يعمى على بعض الدعاة وطلاب العلم -ومن ينتسبون إليه بل هم من أهله حقيقة- بعض هذه المسائل، وإن شئت فقل: أصول الإيمان أحيانا مما أوقع شباب الصحوة في حيرة شديدة جدا.

1 () شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري 28/12

فالإمام ابن بطة -كغيره من أئمة السلف- عقد أبوابا متعددة في بيان ماهية الإيمان، وبيان مسائله، وأعظم مسألة فيه: هل العمل من الإيمان أو ليس من الإيمان؟ وهل هو شرط فيه؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فهل هو شرط كمال أو شرط صحة؟ وإذا كان شرط كمال فهل الكمال هنا المقصود به الكمال الواجب، أم الكمال المستحب؟ وإذا كان الإيمان شرط صحة، فهل يكفر من ترك هذا العمل؟ هذه بعض مسائل الإيمان، وهي أخطر المسائل التي تثار إذا ذكرنا مسائل الإيمان والكفر.

والإمام قد عقد بابا عظيما جدا في كتاب الإبانة فقال: [باب بيان الإيمان وفضله، وأنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح والحركات، لا يكون العبد مؤمنا إلا بهذه الثلاث]، فقد بوب الإمام بهذا التبويب؛ ليثبت بداءة أن الإيمان قول وعمل، **هو قول القلب واللسان**، فاللسان ينطق بالشهادتين، والقلب يحب هذه الكلمة ويرضاها ويصدق بها ويذعن لها وينقاد، فهذا قول القلب.

فالإيمان قول، أي: قول باللسان والقلب.

وعمل، أي: عمل القلب والجوارح.

ومنهم من زاد فقال: الإيمان قول وعمل ونية، أي: وإخلاص لله عز وجل، ولا تعارض بين هذا التعريف وبين التعريف السابق: أن الإيمان قول وعمل، والمقصود بكونه قولا وعملا، أي: وإخلاصا؛ لأن القول إذا لم يكن صاحبه مخلصا لله عز وجل، وكذا العمل؛ فإنه لا يقبل منه، بل يرد عليه، ولكن زيادة (ونية) للدلالة على أن الإخلاص أمر لازم في الإيمان، وأن العبد لا يقبل منه العمل ولا القول إلا إذا كان مخلصا لله عز وجل.

فقال: (باب بيان الإيمان وفضله)، أي: وفضائل الإيمان، ثم قال: (وأنه تصديق بالقلب) هذه واحدة، (وإقرار باللسان) هذه الثانية، (وعمل بالجوارح والحركات)، أي: الأبدان، وهذه هي الثالثة.

ثم قال: (ولا يكون العبد مؤمنا إلا إذا حقق هذه الثلاث).

أما قوله: (لا يكون العبد مؤمنا)، فهل يستلزم نفي الإيمان عنه بالكلية، أو أنه أراد بذلك نفي الكمال؟ على تفصيل سيرد معنا بإذن الله تعالى.

قال المحشي: ما ذهب إليه المصنف -وهو ابن بطة - من أن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان هو مذهب عامة السلف في الحقيقة، فلم يقل: هو إجماع السلف؛ لأن الأحناف خالفوا في هذا، فكان محقا أن قال: وهذا التعريف والتبويب أطبق عليه عامة السلف، وخالف بعضهم، وليس في خلافه لعامة السلف حجة، بل كل من خالف السلف في أصل الإيمان ومسائله فقوله مردود عليه.

قال: وهو من شعائر أهل السنة، بل وقع الإجماع عليه، أي: وقع الإجماع على أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال: بل وقع الإجماع عليه، وحكاه غير واحد، كما في كتاب الأم للإمام الشافعي، قال: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركنا

يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، ولا تجـزئ واحـدة من الثلاث إلا بـالأخرى. فلو قال قائل: قول وعمل، أي: بغير نية؛ فقوله مردود عليه، ولو قال: قـول ونية بغير عمل؛ فمردود عليه، ولو قال: عمل ونية بغير قول؛ فقولـه مـردود عليـه، وهـذا معـنى قولـه: لا يكـون مؤمنـا إلا إذا حقـق هـذه الثلاث.
وفي كتاب الإيمان لـ ابن تيمية نقلا عن الإمام البخاري أنه قـال: لقيت أكـثر من ألف رجـل من العلمـاء بالأمصـار، فمـا رأيت أحـدا منهم يختلـف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والمعلوم أن الإيمان لو قبل الزيادة فلا بـد أن يقبـل النقصـان، بـل هـو قبـل أن يكـون زائـدا كـان ناقصـا.
وكذلك الإمام اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة قال بعنـوان: سـياق مـا روي عن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم في أن الإيمـان تلفـظ باللسـان واعتقـاد بـالقلب وعمـل بـالجوارح.
وقد جمع الثلاث، وأثبت أن العمل من الإيمان، ثم أورد عشرات الأدلـة على ذلك من الآيات والأحاديث، وذكر ابن جرير في عقيدته بسنده إلى الوليد بن مسلم قال: سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبد العزيز رحمهم الله ينكرون قول من يقول: إن الإيمان إقرار بلا عمل، ويقولون: ل." [1]
"الإجمـاع على أن الإيمـان قـول واعتقـاد وعمل
قد حكى غير واحد إجماع الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين على ذلـك، ومن هـؤلاء الإمـام الشـافعي، فقـد حكى الإجمـاع على أن **الإيمان قـول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح، وكذلك البغـوي، قـال ابن تيميـة في كتاب الإيمان من مجموع الفتاوى نقلا عن الإمام الشافعي رحمـه اللـه: وكـان الإجمـاع من الصـحابة والتـابعين ومن بعـده ومن أدركنـاهم يقولـون: الإيمان قول وعمـل ونيـة، لا يجـزئ واحـد من الثلاث إلا بـالآخر، أي: إلا مـع الآخـر، فكيـف يقـال لمن تـرك العمـل بالكليـة أو تـرك عملا أثبت النص أن تاركه كافر أو انعقد الإجماع عليه إنه مـؤمن؛ لأن الضـابط لمسـائل الإيمـان والكفـر هـو النص أو الإجمـاع.
وقال البغوي في شرح السـنة: اتفقت الصـحابة والتـابعون ومن بعـدهم من علمـاء السـنة على أن الأعمـال من الإيمـان، لكن منهـا مـا هـو أصـل في الإيمـان، ومنهـا مـا هـو في الإيمـان الـواجب، ومنهـا مـا هـو في الإيمـان المسـتحب.
قال: وقـالوا: إن الإيمـان قـول وعمـل وعقيـدة، وكـذلك نقـل ابن عبـد الـبر الإجماع على ذلك، فقال في التمهيـد: أجمـع أهـل الفقـه والحـديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، بل أصـبح هـذا ممـا يمـيز أهـل السـنة والجماعة عن أهل البدع، فإذا كان هذا من الأمور المقطـوع بهـا وهي محـل إجماع السلف، فكذلك من المقطوع به عندهم أن من الأقوال والأعمال مـا هو كفر أكبر؛ لأنه في الحقيقة محفوظ عند الإخـوة أن الكفـر كفـران: كفـر أكبر وكفر أصغر، أما الكفر الأكبر فهو المتعلق بمسائل الاعتقاد، وأما الكفر

[1] () شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري 35/2

الأصغر فهو المتعلق بمسائل العمل، وهذا الإطلاق يحتاج إلى نظر، بل من مسائل الاعتقاد الصغيرة ما لا يكفر بها قائلها، ومن مسائل العمل الكبيرة ما يكفر بها فاعلها.." [1]

"فإن المراد بالسنة الطريقة المحمدية التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام وتابعوهم بإحسان قبل ظهور البدع وفشوها, فمن تأثر بشيء من الأهواء واستمسك بها لم يصح إطلاق هذا الوصف الجليل عليه. فإنه لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ((أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)) (1) , وفي حديث آخر أنه قال: ((هم من كان مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) (2). صار المتمسكون بالإسلام الخالص من الشوائب والأهواء هم أهل السنة والجماعة ومن سواهم أهل البدعة والضلالة. قال شيخ الإسلام: "وأئمة السنة ليسوا مثل أئمة البدعة, فإن أئمة السنة تضاف السنة إليهم لأنهم مظاهر بهم ظهرت, وأئمة البدعة تضاف إليهم لأنهم مصادر عنهم صدرت ... " (3)

وبهذا يعلم أن الأشاعرة والماتريدية ليسوا من أهل السنة والجماعة, كيف ومذاهبهم مخالفة لأهل السنة والجماعة في أمور كثيرة خطيرة, فهم مخالفون لأهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات وفي الإيمان وفي القدر وغير ذلك من كبار مسائل الاعتقاد, وإنما هم يعدون من مبتدعة أهل القبلة ومن محدثة المسلمين وعندهم من الخير والموافقة لأهل السنة والجماعة في بعض المسائل ما كانوا به أقرب من غيرهم ممن توغل في الإحداث والابتداع كالجهمية والمعتزلة وغيرهم.

هدانا الله وإياهم وجميع المسلمين إلى الحق بإذنه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ثم إن هذه المسألة على الخصوص جرى فيها مناظرة بين شيخ الإسلام ابن تيمية وبين خصومه الأشاعرة, حيث أنكروا عليه قوله في العقيدة الواسطية: "ومن أصول الفرقة الناجية: أن الإيمان والدين قول وعمل يزيد **وينقص قول القلب واللسان**, وعمل القلب واللسان والجوارح".

قالوا: فإذا قيل إن هذا من أصول الفرقة الناجية خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل بذلك مثل أصحابنا المتكلمين الذين يقولون إن الإيمان هو التصديق ومن يقول الإيمان هو التصديق والإقرار, وإذا لم يكونوا من الناجين لزم أن يكونوا هالكين. فأجابهم رحمه الله بقوله: "إن قولي اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالنجاة حيث قال: ((تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) (4).

---

(1) رواه أبو داود (4597) , وأحمد (4/ 102) (16979) , والدارمي (2/

[1] شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري 38/8

314) , والحاكم (1/ـ 218). والحديث سكت عنه أبي داود. وقال الحاكم: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. ووافقه الذهبي. وصحح إسناده أبو الحق الإشبيلي في ((الأحكام الصغرى)) (96) – كما أشار لهذا في المقدمة -. وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)): حسن. وانظر كلامه في ((السلسلة الصحيحة)) (204).
(2) رواه الترمذي (2641) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما, وقال: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، قال الحافظ العراقي في ((المغني)) (3/ـ 284): أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه, ولأبي داود من حديث معاوية, وابن ماجه من حديث أنس وعوف ابن مالك, (وهي الجماعة) وأسانيدها جياد, وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)).
(3) ((درء التعارض) (5/ـ 5ـ 6)
(4) رواه الترمذي (2641) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما, وقال: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، قال الحافظ العراقي في ((المغني)) (3/ـ 284): أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه, ولأبي داود من حديث معاوية, وابن ماجه من حديث أنس وعوف ابن مالك, (وهي الجماعة) وأسانيدها جياد, وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي))..." [1]

"المبحث الأول: العلاقة بين إيمان القلب وإيمان الجوارح

إن العلاقة بين إيمان القلب وإيمان الجوارح لمن أهم قضايا الإيمان، ومن عدم فهمها دخل الضلال على المرجئة بل على أكثر المسلمين، حين ظنوا أنه يمكن أن يكون إنسان كامل الإيمان في القلب مع عدم عمل الجوارح مطلقا. كما ظنوا أن تماثل الناس في أعمال الجوارح يقتضى تماثل إيمانهم وأجورهم، ولم يدركوا أنه بحسب علاقة عمل الجارحة بعمل القلب يكون الحكم على العمل والثواب عليه، فقد يتفق العملان في المظهر والأداء، وبينهما مثل ما بين السماء والأرض في الدرجة والأجر.

وأساس فهم هذه القضية أن نعلم حقيقة الترابط بين أجزاء الإيمان على ضوء مذهب السلف.

فقد قررنا أن الإيمان قول وعمل وأن ذلك يشمل القلب والجوارح معا، وتفصيل ذلك يتضح بهذا الشكل المبسط:

القول

إقرار القلب وتصديقه إقرار اللسان وتصديقه

الإيمان المجمل شهادة أن لا إله إلا الله

العمل

انقياد القلب وإذعانه انقياد الجوارح وامتثالها

بتحقيق أعمال القلوب بفعل الأوامر وترك النواهى

---
[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 2/137

فهذان الركنان - القول والعمل - أو الأربعة الأجزاء **- قول القلب وعمله** وقول اللسان وعمل الجوارح - يتركب منهما هيئة مجتمعة أو حقيقة جامعة لأمور، هذه الهيئة والحقيقة هي "الإيمان الشرعي" كما أن حقيقة الإنسان مركبة من الجسد والروح أو العقل والوجدان، وكما أن الشجرة تتركب من الجذور الضاربة في الأرض والساق والأغصان الظاهرة.

ومما يوضح ذلك تشبيه تركيب الإيمان بالتركيب الكيميائى: مثلما يتركب الملح مثلا من الكلور والصوديوم أو يتركب جزيء الماء من ذرتى هيدروجين وذرة أكسجين بحيث لو انتفى التركيب لانتفت الحقيقة مطلقا وتحولت الأجزاء إلى أشياء مختلفة تماما.

ولكن لا يقف التركيب عند هذا الحد، بل يجب أن نضيف إليه أن هذه الأجزاء أو الهيئة المركبة تتكون تفصيلا من بضع وسبعين شعبة، وكل شعبة منها قابلة للتفاوت بين أعلى درجات الكمال وأدنى درجات النقص أو الاضمحلال والعدم.

وبهذا نفهم اندراج كل الأعمال والطاعات فرضا أو نفلا في مسمى الإيمان المطلق ودخولها في حقيقته الجامعة، كما يظهر تفاوت الناس في الإيمان ودرجاته، ومن أظهر الأدلة على هذا التركيب والامتزاج أنه قد وردت النصوص بتسمية الإيمان عملا وتسمية العمل إيمانا:

فأما تسمية الأعمال إيمانا فنصوص كثيرة جدا، حتى أن البخارى رحمه الله عقد في كتاب الإيمان من الصحيح تراجم كثيرة لذلك: مثل (باب الجهاد من الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، باب صوم رمضان من الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، باب اتباع الجنائز من الإيمان) ونحو ذلك , وأورد في ذلك الأحاديث الصحيحة التى شاركه في إخراجها كتب السنة الأخرى.." [1]

"وأما تسميه الإيمان عملا فقد عقد أيضا له (باب من قال أن الإيمان هو العمل، لقوله تعالى: وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون [الزخرف:72]. وقال عدة من أهل العلم في قوله تعالى: فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون [الحجر:92 - 93]: عن قول لا إله الله. وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون [الصافات:61]).ثم روى البخاري بسنده عن أبى هريرة ((أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل فضل؟ فقال " إيمان بالله ورسوله " قيل: ثم ماذا؟ قال: " الجهاد في سبيل الله "، قيل: ثم ماذا؟ قال:"حج مبرور)) (1).وهذا الحديث رواه الإمام أحمد عن عبيدالله بين أسلم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (2). وعن عبدالله بن حبشى الخثعمى (3) ورواه أبو داود الطيالسى عن أبى هريرة (4) أيضا ورواه غيرهم عن أبى ذر (5).

ومن ذلك قوله تعالى: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/91

الغرفـــــــــــــات آمنـــــــــــــون [ســـــــــــبأ: 37].
فقوله: بما عملـوا يشـمل إيمـانهم بقلـوبهم وأعمـالهم الصـالحة بجـوارحهم المذكورين قبل. وهذا ما فهمه السـلف الصـالح وأجمعـوا على معنـاه، قـال الوليد بن مسلم: " سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسـعيد ابن عبـدالعزيز ينكرون قـول من يقـول: إن الإيمـان قـول بلا عمـل. ويقولـون: لا إيمـان إلا بعمــــــــــــل ولا عمــــــــــــل إلا بإيمــــــــــــان " (6).
وقد سبق إيراد قول الإمام الأوزعي رحمه الله: " كان من مضى من سـلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان اسـمها، ويصـدقه العمـل "، وقـول الشافعي رحمه الله: " وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ أحد الثلاثـة إلا بـالآخر " (7).
ولنوضـح ذلـك بمثـالين: أحـدهما من أعمـال الجـوارح والأخـر من أعمـال القلـوب، يظهـر في كـل منهـا حقيقـة العلاقـة التلازميـة وحقيقـة التفـاوت:
1 - الصلاة: وهي من أعمال الجوارح، وقد ورد تسـميتها إيمانـا في القـران، قال تعالي: وما كان الله ليضيع إيمانكم [البقـرة:143] أي صـلاتكم إلى بيت المقـدس (8). وهي بلا ريب أعظم شـعب الإيمـان العمليـة الظـاهرة بعـد الشهادتين، فلو تأملنا لوجدنا أنها تشمل أجـزاء الإيمـان الأربعـة، وهي قـول القلب: وهو إقراره وتصديقه بوجوبها، وعمل القلب: وهـو الانقيـاد والإذعـان بالإرادة الجازمة وتحريك الجوارح لفعلها والنية حال أدائهـا، وعمـل اللسـان: وهو القراءة والأذكار الـواردة فيهـا، وعمـل الجـوارح: وهـو القيـام والركـوع والســــــــــــــــــجود وغيرهــــــــــــــا.

---

(1) رواه البخــــــــــاري (1519) ومســــــــــــلم (83).
(2) ((المســــــــــــند)) (4:ـــــــــــــ 342)
(3)ــــــــــــــــــــــــــــــــ (3:412)
(4) (بـــــــــــــــــــــــــرقم 2518) (ص329)
(5) انظــــــر .. ((سلســــــلة الأحـــــاديث الصـــــحيحة)) (1490).
(6) ((اللالكـــــــــــــــــــــــــــــائي)) (ص: 848)
(7) (ص188) وانظر ((جامع العلوم والحكم)) (1/ـ 57) و ((الإيمـان)) لابن تيميــة (ص280).
(8) انظر ((الفتح)) (1/ـ 95) كما ورد تسـميتها إيمانـا في حـديث وفـد عبـد الفيس السابق وغيره، ومع ذلك أخـرج المرجئـة الصـلاة من الإيمـان وأولـو الآية بأن المراد ليس صلاتكم بل التصديق بها، انظر المواقــف (ص 386)." [1]

---

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/92

"2 - الحياء: وهو عمل قلبي، وقد صح تسميته إيمانا في حديث الشعب وغيره، ومع ذلك فلا يمكن تصور وجوده في القلب إلا بظهور أثره على اللسان والجوارح، وبمقدار حياء الجوارح يقاس حياء القلب. وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة، منها في الأفعال قصة الثلاثة الذين دخلوا علي النبي صلي الله عليه وسلم وهو في الحلقة، فدخل أحدهم فيها وأعرض الثالث، وأما الأوسط فتردد ثم جلس خلفهم، فقال عنه النبي صلي الله عليه وسلم ((وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه)) (1).، أي إنما منعه من الذهاب حياؤه , فشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالحياء بناء على فعله، فلو ذهب لقال فيه ما قال فيمن ذهب.

وأما الحياء في القول، فمنه قول علي رضي الله عنه: (كنت رجلا مذاء، فاستحييت إن أسال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله) (2)، فما في قلب علي رضي الله عنه من الحياء منعه من السؤال بنفسه، وهذا مما يعلمه كل إنسان في نفسه، أي متي يستحي وممن يستحي بحسب ما في قلبه.

ثم يأتي بعد هذا مسألة التفاوت في الصلاة والتفاوت في الحياء، فصلاة يقترن بها الخشوع وحضور القلب وحسن الأداء لا تكون كأخرى منقورة نقر الغراب، وكذلك حياء مقرون به زيادة التقوى وحسن السمت وورع اللسان لا يكون كحياء رجل ليس لديه إلا ما يمسكه عما يفعله أو يقوله من لا حياء له.

ومثل هذا التفاوت هو الواقع في الإيمان كله بحسب كمال الشعب جميعها أو كمال بعضها دون بعض أو فقدان بعضها بالكلية.

هذا في الأفعال، والحال في التروك كذلك، فلنمثل لها أيضا بمثالين:

1 - ترك الزنا:

وهو عمل الجارحة، وهو من الإيمان بدليل نفي الشارع الإيمان عمن فعله، وهو يشمل قول القلب، أي الإقرار بحرمته وتصديق الشارع في ذلك؛ وعمل القلب، وهو الانقياد والإذعان بالكره والنفور والإرادة الجازمة لامساك الجوارح عنه؛ وعمل الجوارح، وهو الكف عن فعله ومقدماته. فمن ارتكب هذه الفاحشة بجوارحه فإن عمل قلبه مفقود بلا شك - خاصة حين الفعل -، لأن الإرادة الجازمة على الترك يستحيل معها وقوع الفعل، فمن هنا نفى الشارع عنه الإيمان تلك اللحظة " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن "، لكن **وجود قول القلب عنده** منع من الحكم بخروجه من الإيمان كله خلافا للخوارج، فلو أظهر ما يدل على انتفاء إيمان القلب واستحلاله له لكان خارجا من الملة عند أهل السنة والجماعة، أما مجرد الفعل فإنما يدل على انتفاء عمل القلب لا قوله.

2 - ترك الحسد: وهو من أعمال القلب، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يجتمع والإيمان في قلب (3) , فلا يتصور خلو القلب من الحسد مع وجود آثاره ودلائله على الجوارح، كما لا يستطيع أحد أن يدعي

أن فلانـــا حســـود مـــع عجـــزه عن الإتيـــان بـــدليل ظـــاهر من عملـــه.
وقد أخبرنا الله تعالى عن أخوة يوسف وما صنعوا بأخيهم حسدا له على مكانته من أبيه، ومن المحال أن يصدر منهم هذا مع خلو قلوبهم من الحسد، إذ إن أعمال الجوارح إنما هي تنفيذ وتحقيق لإرادة القلب الجازمة، فوجودها في الحالة السوية - أي حالة عدم الإكراه ونحوه - يقطع بوجود أصلها القلبي.
وهذا بخلاف اتهام المنافقين للصحابة رضي الله عنهم، الذي أخبر الله عنه بقوله فسيقولون بل تحسدوننا [الفتح: 15] , لأن المنافقين ادعوا أن مانع المؤمنين من استصحابهم إياهم إلى المغانم هو الحسد، وهي تهمة لم يأتوا عليها بدليل إلا المنع نفسه، والله تعالى أمر المؤمنين إن يقولوا لهم: لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل [الفتح: 15].

(1) رواه البخاري (474) ومسلم (2176).
(2) رواه البخاري (178) ومسلم (303).
(3) رواه النسائي (6/ 12) وهو صحيح.." [1]

"فإذا تبين أن قول: لا إله إلا الله إنشاء للالتزام بقول القلب وعمله وتحقيقهما، فلنوضح هذه القضية المهمة قائلين:
إن القلب: هو متعلق التوحيد الخبري الاعتقادى ...
وعمل القلب: وهو متعلق التوحيد الطلبي الإرادي.
فإن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر يتضمن توحيد الأسماء والصفات، وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر عن ربه من الكتب وما فيها، والملائكة وأعمالهم وصفاتهم، والنبيين ودعوتهم وأخبارهم، وأحوال البرزخ والآخرة، والمقادير وسائر المغيبات. فالإقرار بهذا والتصديق به مجملا أو مفصلا هو قول القلب، وهو التوحيد الخبرى الاعتقادى. وعمل القلب - الذى سيأتى تفصيل طرف منه في البحث التالى - يتضمن توحيد الله عز وجل بعبادته وحده حبا وخوفا ورجاء ورغبة ورهبة وإنابة وتوكلا وخشوعا واستعانة ودعاء وإجلالا وتعظيما وانقيادا، وتسليما لأمره الكونى وأمره الشرعى، ورضا بحكمه القدرى والشرعى، وسائر أنواع العبادة التى صرفها لغير الله شرك. (1).
وهذان هما نوعا التوحيد الذى جاءت به الرسل وأنزل الله به الكتب، وشهادة أن لا إله إلا الله - التى هى رأس الأعمال وأول واجب على العبد - إنما هى إنشاء للالتزام بهذين النوعين ومن ثم سميت كلمة التوحيد، ومن هنا كان أجهل الناس بالتوحيد من ظن أن المطلوب بقول: لا إله إلا الله هو التلفظ بها باللسان فقط.
وقد سبق في فصل " حقيقة النفس الإنسانية " ما يدل على أن كل عمل من أعمال الإنسان الظاهرة - على اللسان أو الجوارح - لا بد أن يكون

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/93

تعبيرا عما في القلب وتحقيقا لـه ومظهـرا لإرادتـه وإلا كـان صـاحبه منافقـا النفاق الشـرعى أو العـرفى وأخص من ذلـك العبـادات، فكـل عبـادة قوليـة وفعليـة لا بـد أن يقـترن بهـا من عمـل القلب ومـا يفـرق بينهـا وبين أفعـال الجمـــــادات أو الحركـــــات اللاإراديـــــة أو أفعـــــال المنـــــافقين.

فما بالك برأس العبادات وأعظمها، بل أعظم شئ في الوجود، الـذى يـرجح بالسـموات والأرض وعـامرهن غـير اللـه تعـالى: وهى شـهادة أن لا إلـه إلا اللـــه؟!

ولهذا يتفاوت قائلوا هذه الكلمة تفاوتا عظيما بحسب تفاوت ما في قلـوبهم من التوحيـــد.

فلولا تفاوت أقوال القلوب وأعمالها - ولو أن المراد من كلمة الشـهادة هـو نطقها- لما كان لموحد فضل على موحد ولما كـان لصـاحب البطاقـة- الآتى حديثه - فضل على سواه من قائليها، ولما كـان لقائلهـا باللسـان فضـل عن قائلها بالقلب واللسان، ولمـا كـان لمن قالهـا من خيـار الصـحابة السـابقين فضـل عن من قالهـا يتعـوذ بهـا من السـيف في المعركـة. وانظـر إلى هـذا الحوار بين العزيز الحكيم وبين عبده موسى الكليم، حيث (قـال موسـى: يـا رب علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله، قـال كل عبادك يقولون هذا!!! - زاد في رواية: إنما أريد أن تخصنى به - قال: يـا موسى، لو أن السموات السـبع - وعـامرهن غـيرى - والأرضـون السـبع في كفـــة، ولا إلـــه إلا اللـــه في كفـــه مـــالت بهن لا إلـــه إلا اللـــه " (2).

فكل المسلمين يقولون (لا إله إلا الله)، ولكن مـا قائـل كقائـل، لأن مـا في القلوب يتفاوت مثل تفاوت السماوات والأرض، والـذرة الـتى لا تكـاد تـرى.

---

(1) كما يتضمن عمل القلب أعمالا دون ذلك مما افترضها اللـه وجعلهـا من واجبـات الإيمـان، كمحبـة المؤمـنين والنصـح لهم، والتواضـع، والشـفقة، واجتنـــــاب الكـــــبر والحســـــد، ونحـــــو ذلـــــك.

(2) فى سنده رجل ضعيف عند أبن حبان (2324)، لكن روى الإمـام أحمـد بسند صحيح ما يشهد له من حديث نوح عليه السلام وابنه، ((المسـند)) (2/ 169).." [1]

"يقول الإمـام ابن القيم رحمـه اللـه: " اعلم أن أشـعة (لا إلـه إلا اللـه) تبدد من ضـباب الـذنوب وغيومهـا بقـدرة قـوة الشـعاع وضـعفه، فلهـا نـور، وتفـاوت أهلهـا في ذلـك النـور قـوة وضـعفا لا يحصـيه إلا اللـه تعـالى، فمن الناس: نـور هـذه الكلمـة في قلبـه كالشـمس، ومنهم: من نورهـا في قلبـه كـالكوكب الـدرى، ومنهم: من نورهـا في قلبـه كالمشـعل العظيم، وأخـر: كالســـــراج المضـــــىء، وأخـــــر كالســـــراج الضـــــعيف.

ولهذا تظهـر الأنـوار يـوم القيامـة بأيمـانهم وبين أيـديهم على هـذا المقـدار، بحسب ما في قلـوبهم من نـور هـذه الكلمـة، علمـا وعملا، ومعرفـة وحـالا.

---

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/97

وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة ولا ذنبا إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده الذى لم يشرك بالله شيئا فأي ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد حرست بالنجوم من كل سارق لحسناته فلا ينال منها السارق إلا على غرة وغفلة لا بد منها للبشر، فإذا استيقظ وعلم ما سرق منه استنفذه من سارقه , أو حصل أضعافه بكسبه، فهو هكذا أبدا من لصوص الجن والإنس، ليس كمن فتح لهم خزانته وولى الباب ظهره "." وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه - كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له وكمال الانقياد لطاعته، واخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع، والعطاء، والحب، والبغض - ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصى والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبى صلى الله عليه وسلم: ((إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله)) (1). وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التى أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود وقال: المعنى لا يدخلها خالدا، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة ".

" والشارع - صلوات الله وسلامه عليه - لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم , وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، فلا بد **من قول القلب وقول** اللسان.

وقول القلب: يتضمن معرفتها، والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنه من النفى والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التى يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب، علما ومعرفة ويقينا وحالا - ما يوجب تحريم قائلها على النار، وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام - كقوله صلى الله عليه وسلم: ((من قال في يوم: سبحان الله وبحمده مائه مرة حطت عنه خطاياه - أو غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر)) (2) وليس هذا مرتبا على مجرد اللسان. نعم من قالها بلسانه، غافلا عن معناها، معرضا عن تدبرها، ولم يواطئ قلبه لسانه، ولا عرف قدرها وحقيقتها، راجيا من ذلك ثوابها حطت من خطاياه بحسب ما في قلبه، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

وتأمل حديث البطاقة التى توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلا، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يعذب. ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذى ثقل بطاقة ذلك الرجل، وطاشت لأجله السجلات، لما لم

يحصــل لغــيره من أربــاب البطاقــات انفــردت بطاقتــه بالثقــل والرزانــة.

(1) رواه البخـــــــــــــاري (425) مســـــــــــــــــلم (33).
(2) رواه البخاري (6405) مسلم (2691).." [1]

"المبحث الســـــــابع: نمــــــــاذج من أعمـــــــــال القلـــــــوب
ونبدأ ذلك ببيان موجز لما تعرض له عمـل القلب من إعـراض أو إسـقاط أو خفـــــاء لــــدى الأمـــــة الإســـلامية في عصـــــور الانحـــــراف، فنقـــول:

1 - المتكلمـــون:

وهؤلاء أهملوا أعمال القلوب بالكلية جاعلين الإيمان قضية عقلية بحتة، ولم يثبتوا من أعمال القلب سوى التصديق الخبرى الذى هو في الحقيقـة أشـبه بالعمـــــــــــل الـــــــــــذهنى الخــــــــــالص - وإن نســـــــــبوه للقلب.

وأصـل هـذا المـذهب هـو ذلـك المبتـدع الضـال " الجهم بن صـفوان " (1) والمؤسـف جـدا أن أكثريـة متكلمى الأمـة - وهم الأشـاعرية والماتريـة - اعتنقوا هذا المذهب مع إطباق أئمة السـلف العاصـرين لنشـأته على تكفـير جهم وأصحابة، واعتبار الجهمية فرقـة خارجـة عن فـرق أهـل القبلـة الثلاث والســـبعين (2).

ومن أغرب التناقضات عند هؤلاء أن يكون مت نقلـه أبـو الحسـن الأشـعرى نفسه في المقالات عن جهم والصالحى وبشر المريسـى اليهـودى هـو ذات عقيدتهم التى صرح بها البـاقلانى والجويـنى وسـائر أئمتهم إلى الإيجى ومن جـــاء بعــده.

وليس هذا موضع المقارنة بين الجهمية والأشاعرية، وحسبنا إن ننقل مذهب جهم كمـا سـطره الأشـعرى نفسـه، ثم نقارنـه بكلام أكـبر أئمـة الأشـاعرة المتقـــــــدمين وناشـــــــر مـــــــذهبهم (3) - القاضـــــــى البـــــــاقلانى.

يقـول الأشـعري في أول حديثـه عن فـرق المرجئـة واختلافهم: " فالفرقـة الأولى منهم يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله وبجميـع مـا جـاء من عند الله فقط، وان مـا سـوى المعرفـة من الإقـرار باللسـان والخضـوع بالقلب والمحبة لله ولرسوله والتعظيم لهما والخوف منهمـا "كـذا" والعمـل بالجوارح فليس بإيمان قال: وهذا قول يحكى عن الجهم بن صـفوان " (4).

ويقول الباقلاني - في بيان ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به - " وأن يعلم أن الإيمان بالله عز وجل هو التصديق بـالقلب والـدليل هـو الإقـرار بـالقلب والتصديق قوله عز وجل: وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين [يوسـف:17] وقد أتفق أهل اللغة قبل نزول القران وبعث الرسول عليه السـلام على أن الإيمان في اللغة هو التصـديق دون سـائر أفعـال الجـوارح والقلـوب " (5).

فهذا اتفاق بينهما على أن أعمال القلب والجـوارح غـير داخلـه في الإيمـان. صحيح أن الجهمية تقول أن الإيمان المعرفة، والأشـاعرية يقولـون: الإيمـان التصديق، ولكن ما تمحله الأشاعرة وتكلفوه من التفريق بين المعرفـة وبين

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/98

التصديق المجرد أمر لا يقبله العقلاء، ولهذا رد عليه شيخ الإسلام ابن تيميه قائلا: " إن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالى عن الانقياد - الذى **يجعل قول القلب -** أمر دقيق، وأكثر العقلاء ينكرونه، وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد معرفة القلب وتصديقه، ويقولون، إن ما قاله ابن كلاب والأشعرى من الفرق كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق."

(1) وقد أشار الإمام ابن جرير إلى فرقة أخرى تنكر عمل القلب، وبمراجعة فرق المرجئة فى ((المقالات)) وجدت أنها الغسانية، انظر: (ص 284). وانظر ((تهذيب الآثار)) (2/ 199) و ((المقالات)) (1/ 137)

(2) [4368] انظر ((كتاب الايمان)) لأبي عبيد.

(3) [4369] انظر ((تبيين كذب المفتري)).

(4) [4370] ((مقالات الإسلاميين)) (1/ 130)

(5) [4371] ((الأنصاف))، (ص 22)، وعن الرد على الأشاعرة فى هذا، انظر: ((الإيمان)) لابن تيميه مواضع كثيرة منها: (ص 141 - 143)، و (ص 178 - 180).." [1]

"ثم يقول الشيخ " ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح فيما يرويه عن ربه ((ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه)).

قال: والمحب التام لا يؤثر فيه لوم اللائم وعذل العاذل، بل ذلك يغريه بملازمة المحبة - كما قد قال الشعراء في ذلك (1)، وهؤلاء هم أهل الملام المحمود، وهم الذين لا يخافون من يلومهم على ما يحب الله ويرضاه من جهاد أعدائه، فإن الملام على ذلك كثير، وأما الملام على فعل يكرهه الله أو ترك ما أحبه فهو لوم بحق، وليس من المحمود الصبر على هذا الملام، بل الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

وبهذا يحصل الفرق بين " الملامية " الذين يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك، وبين " الملامية " الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله، ويصبرون على الملام في ذلك " (2).

أقول: يطول الحديث في التفصيل في هذا العمل القلبي العظيم، وبيان درجاته، وأدلة كل درجة، وأثر ذلك في أعمال الإيمان من صلاة وزكاة ونحوها ولكن ضيق المجال والرغبة في الاختصار بتجاوز ما قد سطر ولعل في الحديث عن الأعمال القلبية الأخرى ما يكمل الفائدة مجتمعة، والله

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/107

المستعان.
3 - اليقين:
لليقين معنيان وإن شئت فقل: هو معنى واحد منظور له من جهتين:
1 - اليقين من حيث هو أصل للإيمان، إذ لا إيمان مع الشك.
2 - اليقين من حيث هو درجة عليا من درجات الإيمان.
فبالنظر للمعنى الأول يكون كل مؤمن موقنا وإلا لم يستحق أسم الإيمان، وبالنظر للمعنى الآخر - ليس كل مؤمن موقنا، بل الموقنون طائفة خاصة من المؤمنين.
فأما اليقين بالمعنى الأول فهو شرط من شروط شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أي إن الإيمان المجمل **- قول القلب واعتقاده** - لا يتحقق إلا به، فمن شك في الله أو في رسوله وما جاء به عن الله، فهو كافر لا شهادة له ولا إيمان.
بذلك أخبر الله تعالى الكفار حين قالوا لرسلهم:
ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض [إبراهيم:9 - 10].
وأخبر أنهم إذا طلب منهم الإيمان بالبعث قالوا: ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين [الجاثية:32]
لكن إذا كان يوم القيامة يقولون:
ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون [السجدة:12]
ولهذا جاء وصف القرآن أكثر من مرة بأنه لا ريب فيه هدى.

(1) [4410] كقول القائل: أجد الملامة فى هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوم
(2) [4411] وهم فرقة من الصوفية، ألف عنهم أبو عبد الرحمن السلمى كتاب: ((الملامية))..".[1]
"وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في مآ آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بمآ أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون [المائدة: 48 - 50].
وقال جل ذكره:

[1] موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/122

ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون [الجاثية: 18 ـ 20].

فكما سبق بيانه من أن تحكيم شرع الله هو الإسلام، فإذا بلغ من العبد إلى حد انتفاء الحرج والمعارضة بالرضا الكامل فهو الإحسان، فكذلك اعتقاد بطلان ما عداه، وأنه وحده الحق الذي لا أحسن منه ولا أهدى هو درجة الإسلام، فإذا رسخ هذا حتى لا تزعزعه شبهه ولا يعتريه شك فهو اليقين وقد ضرب الصحابة - رضى الله عنهم - من اليقين في أمر الله أعظم الأمثال، مما لا يتسع المقال للتطويل به، وحسبك أن ينزل الله تحريم الخمر والقوم مدمنون على شربها، مدخرون لها، مغالون في أثمانها، فما يكاد الأمر ينزل حتى تسيل بها أزقة المدينة أنهارا!!

وأن ينزل الله الأمر بالحجاب والقوم مختلطون متعارفون، فما يكاد ذلك يبلغهم حتى تغدو نساؤهم كأنهن الغربان.

فهاتان عادتان إحداهما نفسية، والأخرى اجتماعية، وهما من أشد العادات وطئا وأشقها تغييرا، تذهبان دفعة واحدة، وتستأصلان من أعماق النفوس في لحظة واحدة، وما ذلك إلا باليقين الذي ليس وراءه في الأمم يقين.

4 - الصدق والإخلاص:

هذان عملان قلبيان من أعظم أعمال القلوب وأهم أصول الإيمان.

فأما الصدق فهو الفرقان بين الإيمان والنفاق، وأما الإخلاص فهو الفرقان بين التوحيد والشرك - **في قول القلب واعتقاده**، أو في إرادته ونيته.

والأعمال - التي رأسها وأعظمها " شهادة أن لا إله إلا الله " - لا تقبل إلا بتحقيق الصدق والإخلاص.

ومن هنا كان شرطين من شروطها، وأكذب الله المنافقين في دعوى الإيمان وقول الشهادة لانتفاء الصدق فقال: إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون [المنافقون:1].

وقال: ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين [العنكبوت: 3]

ثم قال بعد آيات وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين [العنكبوت: 11]

وقال: ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما [الأحزاب: 24].." [1]

"3 - أعمال القلب عندهم ليست من الإيمانمما أورده شيخ الإسلام على مرجئة الفقهاء أنهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول جهم، وإن أدخلوها في الإيمان لزمهم دخول أعمال الجوارح، فإنها لازمة لها (1).

[1] موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/125

والذي عليه هؤلاء المرجئة هو إخراج أعمال القلوب من الإيمان، فقد قال شيخ الإسلام: "والمرجئة ثلاثة أصناف: الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب.

ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب، وهم أكثر فرق المرجئة، كما قد ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه، وذكر فرقا كثيرة يطول ذكرهم، لكن ذكرنا جمل أقوالهم.

ومنهم من لا يدخلها، كجهم ومن اتبعه، كالصالحي، وهذا هو الذي نصره هو - يعني الأشعري - وأكثر أصحابه.

والقول الثاني: من يقول هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية. والثالث: تصديق القلب، وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم" (2).

وهذا التصنيف لهذه الفرق يفيد أن الفقهاء يحصرون الإيمان في التصديق والقول.

ويفيد كذلك أن الذين يدخلون أعمال القلوب في الإيمان هم الفريق الأول من الصنف الأول، وهم أكثر فرق المرجئة الذين يرون الإيمان مجرد ما في القلب، وأن من عداهم - ومنهم الفقهاء - لا يدخل هذه الأعمال في الإيمان.

ويزيد الأمر وضوحا قول شيخ الإسلام على قوله تعالى: ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر [محمد: 26]، قال: "ولهذا فسر السلف هؤلاء الذين كرهوا ما نزل الله الذين كانوا سبب نزول هذه الآية بالمنافقين، واليهود (3).

قالت الوعيدية: الله تعالى إنما وصفهم بمجرد كراهة ما نزل الله، والكراهة عمل القلب.

وعند الجهمية: الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، هذا قول جهم، والصالحي، والأشعري في المشهور عنه، وأكثر أصحابه.

وعند فقهاء المرجئة هو: قول اللسان، مع تصديق القلب.

وعلى القولين: أعمال القلوب ليست من الإيمان عندهم، كأعمال الجوارح.

فيمكن أن يكون الرجل مصدقا بلسانه، وقلبه، مع كراهة ما نزل الله، وحينئذ فلا يكون هذا كافرا عندهم، والآية تتناوله، وإذا دلت على كفره دلت على فساد قولهم" (4).

فقول شيخ الإسلام "على القولين" المراد بهما كما هو ظاهر: قول الجهمية ومن وافقهم، وقول فقهاء المرجئة.

وعليه، فالفقهاء وافقوا هؤلاء المرجئة في إخراج عمل القلب، وزادوا عليهم بإدخال قول اللسان.

وكذلك قوله: "دلت على فساد قولهم" يعني في إخراجهم عمل القلب من الإيمان.

وقال شيخ الإسلام أيضا: "ومن هنا غلطت الجهمية، والمرجئة، فإنهم جعلوا الإيمان من باب القول.

إما قول القلب الذي هو علمه، أو معنى غير العلم عند من يقول بـذلك، وهذا قول الجهمية، ومن تبعهم، كـأكثر الأشعرية، وبعض متـأخري الحنفيـة. **وإما قول القلب واللسان**، كالقول المشهور عن المرجئـة. ولم يجعلـوا عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، ومثل خوف اللـه من الإيمـان، فغلطـوا في هـذا الأصـل" (5).

وقـول شـيخ الإسـلام هـذا أفـاد: اتفـاق المرجئـة - المتكلمين منهم والفقهـاء - على حصـر الإيمـان في بـاب القـول.

---

(1) انظـر: ((الإيمـان)) (ص183) ((الفتـاوى)) (7/ـ 194).
(2) ((الإيمـان)) (ص184) ((الفتـاوى)) (7/ـ 195).
(3) انظـر: ((جـامع البيـان)) (26/ـ 70)؛ و ((زاد المسـير)) (7/ـ 409).
(4) ((منهاج السنة)) (5/ـ 287 ـ- 288)، وانظر: ((الفتـاوى)) (7/ـ 636 - 637).
(5) شرح حديث: "لا يزني الزاني حين يـزني وهـو مـؤمن"، لشـيخ الإسـلام ابن تيميـة، تحقيـق دغش العجمي، الطبعـة الأولى 1422هــ، دار ابن حـزم بيروت، ص30، و ((جامع المسائل)) (5/ 246).." [1]

"ثم اختلافهم بعد هذا الاتفاق في أي القول يدخل في الإيمـان، وفقهـاء المرجئـة **جعلـوا قـول القلب وقـول** اللسـان كلـه من الإيمـان. وأفاد أيضا اتفاق مرجئة الفقهاء والجهمية ومن تبعهم على إخراج العمل من الإيمـان، فـأخرجوا عمـل القلب وعمـل اللسـان من الإيمـان. ومع ما تقدم من نقول تفيد إخراج فقهاء المرجئة عمـل القلب من الإيمـان، فقـد جـاء التصـريح بـذلك في كلام شـارح العقيـدة الطحاويـة. ومعلـوم أن صاحب الشـرح، وصـاحب المتن كلاهمـا على مـذهب أبي حنيفـة، والعقيـدة الطحاوية مصـنفة أسـاس لتقريـر معتقـد أبي حنيفـة وصـاحبيه أبي يوسـف ومحمد، كما جاء في مقدمتها، حيث يقول الطحاوي: "هذا ذكر بيـان عقيـدة أهل السنة والجماعة، على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبدالله محمـد بن الحسـن الشـيباني رضـوان اللـه عليهم أجمعين، ومـا يعتقـدون من أصـول الـدين، ويـدينون بـه رب العـالمين" (1)، ثم ذكـر معتقـدهم، ومنـه قولـه: "ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم، ولا نفـرط في حب أحـد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نـذكرهم إلا بخـير، وحبهم دين وإيمـان وإحسـان، وبغضـهم كفـر ونفـاق وطغيان".قال ابن أبي العز معلقا على ذلك: "وتسـمية حب الصـحابة إيمانـا مشكل على الشيخ رحمه الله - يعـني الطحـاوي -؛ لأن الحب عمـل القلب، وليس هو التصديق، فيكون العمل داخلا في مسمى الإيمان، وقـد تقـدم في

---

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/149

كلامه أن: الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان (2)، ولم يجعل العمل داخلا في مسمى الإيمان، وهذا هو المعروف من مذهب أبي حنيفة، إلا أن تكون هذه التسمية مجازا" (3).وقد بين من قبل رحمه الله أن مرجئة الفقهاء لا ينازعون في القول - الذي هو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان -، وإنما ينازعون في شمول اسم الإيمان للعمل (4)، ثم ذكر أن العمل قسمان: عمل القلب، وعمل الجوارح (5).
4 - إخراج العمل الظاهر - عمل الجوارح - من الإيمان: يمكن عندهم حصول الإيمان التام في القلب بدون العمل الظاهر، فقد ذكر شيخ الإسلام أن من الأغلاط التي يقول بها المرجئة جميعا "ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون العمل الظاهر" (6).ويقول: "والمرجئة المتكلمون منهم، والفقهاء يقولون: إن الأعمال قد تسمى إيمانا مجازا؛ لأن العمل ثمرة الإيمان ومقتضاه؛ ولأنها دليل عليه" (7).وهذا لا يعني أنهم لا يقيمون للأعمال وزنا، بل عندهم أن الأعمال المفروضة واجبة، ويرون أن الإيمان بدون العمل المفروض، ومع فعل المحرمات، يكون صاحبه مستحقا للذم والعقاب (8).
لكنهم مع ذلك يعدون فعل الواجبات وترك المحرمات ليس من الإيمان. يقول شيخ الإسلام: "وقابلتهم - يعني الخوارج والمعتزلة - المرجئة، والجهمية، ومن اتبعهم من الأشعرية، والكرامية، فقالوا: ليس من الإيمان فعل الأعمال الواجبة، ولا ترك المحظورات البدنية.

---

(1) ((العقيدة الطحاوية))، للطحاوي، تعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، طبعة سنة 1409هـ، (ص3).
(2) يقول الطحاوي: "والإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان". ((العقيدة الطحاوية))، (ص19)، وشرحها (2/ 459).
(3) ((شرح العقيدة الطحاوية)) (2/ 698).
(4) انظر: ((شرح الطحاوية)) (2/ 463).
(5) انظر: ((شرح الطحاوية)) (2/ 478)، وراجع ما تقدم (ص174، 179).
(6) ((الإيمان)) (ص347) ((الفتاوى)) (7/ 364).
(7) ((الإيمان)) (ص184) ((الفتاوى)) (7/ 195).
(8) انظر: ((الإيمان)) (ص281 - 282) ((الفتاوى)) = (7/ 297)؛ و ((الفتاوى)) (13/ 39).." [1]

"ولكن ثمة وقفة مهمة حول موقف مرجئة الفقهاء من الشاتم والساب، فإنهم وإن كفروا الشاتم ظاهرا وباطنا، فإن مأخذهم في ذلك فاسد، إذ هم يرجعون ذلك إلى أن وقوعه في السب والشتم دليل على أنه لم يعتقد أنه حرام، فردوا الكفر إلى الاستحلال. وهذا مخالف لما عليه

---

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/150

سلف الأمة من "أن سب الله، أو رسوله، كفر ظاهرا وباطنا، وسواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلا له، أو كان ذاهلا عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء، وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل" (1).

يقول شيخ الإسلام في فسر مأخذ فرق المرجئة في تكفير الساب: "ومنشأ هذه الشبهة التي أوجبت هذا الوهم من المتكلمين، أو من حذا حذوهم من الفقهاء:

أنهم رأوا الإيمان هو تصديق الرسول فيما أخبر به، ورأوا أن اعتقاد صدقه لا ينافي السب والشتم بالذات، كما أن اعتقاد إيجاب طاعته لا ينافي معصيته، فإن الإنسان قد يهين من يعتقد وجوب إكرامه، كما يترك ما يعتقد وجوب فعله، ويفعل ما يعتقد وجوب تركه.

ثم رأوا أن الأمة قد كفرت الساب، فقالوا: إنما كفر؛ لأن سبه دليل على أنه لم يعتقد أنه حرام، واعتقاد حله: تكذيب للرسول، فكفر بهذا التكذيب لا بتلك الإهانة، وإنما الإهانة دليل على التكذيب.

فإن فرض أنه في نفس الأمر ليس بمكذب، كان في نفس الأمر مؤمنا، وإن كان حكم الظاهر إنما يجري عليه بما أظهره.

فهذا مأخذ المرجئة ومعتضديهم، وهم الذين يقولون: الإيمان هو الاعتقاد، والقول.

وغلاتهم، وهم الكرامية، الذين يقولون: هو مجرد القول، وإن عري عن الاعتقاد. وأما الجهمية الذين يقولون: هو مجرد المعرفة والتصديق فقط، وإن لم يتكلم بلسانه، فلهم مأخذ آخر، وهو: أنه قد يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فإذا كان في قلبه التعظيم والتوقير للرسول، لم يقدح إظهار خلاف ذلك بلسانه في الباطن، كما لا ينفع المنافق إظهار خلاف ما في قلبه في الباطن" (2)، ثم أفاض رحمه الله في الرد على هذه المقالة.

وبعد، فتلك هي معالم مسمى الإيمان عند فقهاء المرجئة، والتي ملخصها أنهم يحصرون الإيمان في القول دون **العمل، قول القلب وقول** اللسان، دون عمل القلب وعمل الجوارح، وأنهم يحكمون بكفر من لم يتكلم بلسانه مع قدرته عليه، وكفر إبليس وفرعون وغيرهما مع تصديق قلوبهم، وكفر الساب والشاتم. بل أن المرجئة الفقهاء جاء عنهم ذم الإرجاء، والتحذير منه، إذ ذكر شيخ الإسلام أن أبا حنيفة وأصحابه يذمون المرجئة (3).ونقل رحمه الله قول أبي يوسف: "دعوا قول أهل الخصومات، وأهل البدع في الأهواء، من المرجئة، والرافضة، والزيدية، والمشبهة، والشيعة، والخوارج، والقدرية، والمعتزلة، والجهمية" (4).

فمن المرجئة التي يحذر منها هؤلاء؟ أجاب شيخ الإسلام عن ذلك، حيث بين أن المرجئة عندهم هم الذين لا يوجبون الفرائض، ولا اجتناب المحارم (5).

¤آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية لعبدالله محمد السند - ص 183

(1) انظر: ((الصارم المسلول)) (3/ 955)، وانظر منه (3/ 964).
(2) ((الصارم المسلول)) (3/ 965 - 966).
(3) ((الفتاوى)) (13/ 41).
(4) ((الفتاوى)) (16/ 476).
(5) ((الفتاوى)) (13/ 14)؛ وأما القول بأن ترك العمل لا يضر، فكما قال شيخ الإسلام إن هذا كفر صريح، لا يعرف له قائلا، ولعله قول الغالية. انظر: ((الإيمان)) (ص172) ((الفتاوى)) (7/ 181).." [1]

"يقول شيخ الإسلام: "وعند الجهمية: الإيمان: مجرد تصديق القلب وعلمه. هذا قول جهم، والصالحي، والأشعري - في المشهور عنه -، وأكثر أصحابه" (1).ويقول: "وعند الجهمية إذا كان العلم في قلبه، فهو مؤمن كامل الإيمان، إيمانه كإيمان النبيين" (2).ويقول رحمه الله: "ومن هنا غلطت الجهمية والمرجئة، فإنهم جعلوا الإيمان من باب القول، **إما قول القلب الذي** هو علمه، أو معنى غير العلم عند من يقول بذلك (3)، وهذا قول الجهمية، ومن تبعهم، كأكثر الأشعرية، وبعض متأخري الحنفية" (4).وذكر رحمه الله عن الجهم أنه جعل الإيمان مجرد تصديق في القلب، يتساوى فيه العباد، وأنه إما أن يعدم وإما أن يوجد، لا يتبعض (5).
2 - أعمال القلوب ليست من الإيمان عند الجهمية: يقول شيخ الإسلام: "والمرجئة ثلاثة أصناف: الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب، وهم أكثر فرق المرجئة"، ثم قال:"ومنهم من لا يدخلها في الإيمان، كجهم، والصالحي، وهذا الذي نصره هو - يعني الأشعري -، وأكثر أصحابه" (6).
ولما ساق شيخ الإسلام ما حكاه الأشعري عن فرق المرجئة في الإيمان، علق على ذلك بتعليقات، منها: قوله: "فهذه الأقوال التي ذكرها الأشعري عن المرجئة يتضمن أكثرها أنه لابد في الإيمان من بعض أعمال القلوب عندهم، وإنما نازع في ذلك فرقة يسيرة، كجهم، والصالحي" (7).فالجهمية تظن "أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط، دون أعمال القلوب" (8).
3 - إخراج قول اللسان من الإيمان: فعند الجهمية أن "الإيمان مجرد معرفة القلب، وإن لم يقر بلسانه" (9).يقول شيخ الإسلام: "وأما جهم فكان يقول: إن الإيمان مجرد تصديق القلب، وإن لم يتكلم به" (10).ويقول رحمه الله: "ولهذا كان القول الظاهر من الإيمان الذي لا نجاة للعبد إلا به عند عامة السلف والخلف، من الأولي والآخرين، إلا الجهمية: جهما، ومن وافقه" (11).فالجهمية "جعلوا من لا يتكلم بالإيمان قط مع قدرته على ذلك، ولا أطاع الله طاعة ظاهرة، مع وجوب ذلك عليه وقدرته، يكون مؤمنا بالله،

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/152

تـــــــام الإيمــــــــان، ســــــــعيدا في الـــــــدار الآخـــــــرة" (12).

(1) ((منهاج السنة)) (5/ـ 288)؛ ونحـوه في: ((الإيمـان)) (ص178،ـ 370) ((الفتاوى)) (7/ 188 ـ 386)؛ و ((الجواب الصحيح)) (6/ 36)؛ و ((شرح كلمات من فتـوح الغيب))، ضـمن: ((الفتـاوى)) (2/ـ 94)؛ وضـمن: ((جـامع الرســائل)) (2/ــ 184 -ــ 185)، وانظـــر: ((الفتـــاوى)) (20/ــ 86).
(2) ((الإيمــان)) (ص137) ((الفتــاوى))؛ (7/ــ 143)؛ وانظــر: ((الإيمـــان الأوسـط))، ضـمن: ((الفتـاوى)) (7/ـ 583، ص949 ة) ط. ابن الجـوزي؛ و ((منهـــاج الســـنة)) (5/ــــ 284)؛ و ((الفتـــــاوى)) (20/ــــ 86).
(3) كبعض الأشـــاعرة: انظـــر: ((التســعينية))؛ (2/ـــ 650 -ـــ 651).
(4) شــرح حـديث: (لا يــزني الــزاني حين يــزني وهــو مــؤمن)، (ص30).
(5) انظر: ((الإيمان الأوسـط))، ضـمن: ((الفتـاوى))؛ (7/ـ 582)، (ص493) ط. ابن الجـــــــــــــــــــــــــــــــوزي.
(6) ((الإيمـان)) (ص184) ((الفتـاوى))؛ (7/ـ 195)؛ ونحـوه في: ((الإيمـان الأوسـط))، ضـمن: ((الفتـاوى)) (7/ـ 543،ـ 550)، (ص430،ـ 44) ط. ابن الجـــــــــــــــــــــــــــــــوزي.
(7) ((الإيمان الأوسـط))، ضـمن: ((الفتـاوى)) (7/ـ 548، ص439) ط. ابن الجـــــــــــــــــــــــــــــــوزي.
(8) ((الإيمـان)) (ص192) ((الفتـاوى))؛ (7/ـ 204)؛ وانظـر منـه، (ص368، 370) ((الفتـــــــــــاوى)) (7/ــــــــــ 385 -ــــــــــ 387).
(9) ((الإيمان الأوسط))، ضمن: ((الفتاوى))؛ (7/ 508)، (ص376 ـ 377) ط. ابن الجـــوزي؛ وانظـــــر: ((الصـــــارم المســــلول))؛ (3/ــــ 966).
(10) ((الفتـــــــــــــــــــــــاوى))؛ (13/ـــــــــــــــــــــــ 47).
(11) ((الإيمـان)) (ص207) ((الفتـاوى)) (7/ـ 219)؛ ونحـوه في: ((شـرح الأصـــــــــــبهانية)) (2/ـــــــــ 585)، (ص143) ت مخلـــــــــــوف.
(12) ((الإيمـان الأوسـط))، ضـمن: ((الفتـاوى)) (7/ـ 583)، (ص494) ط. ابن الجوزي.." [1]

"فإنهم قالوا: هذا كفر في الظاهر، وأما في الباطن، فلا يكـون كفـرا إلا إذا اسـتلزم الجهـل، بحيث لا يبقى في القلب شـيء من التصـديق بـالرب. وهذا بناء على أن الإيمـان في القلب لا يتفاضـل، ولا يكـون في القلب بعض من الإيمــــــــــــــــــــــــــــــان" (1).

وخلاصـة قـول الجهميـة في الإيمـان أنهم يحصـرونه في مجـرد المعرفـة، ويخرجـــون منـــه عمـــل القلب، وقـــول اللســـان، وعمـــل الجـــوارح. وأن من لم يأت بالشهادتين، أو أتى بكل مكفـر، من غـير إكـراه، فهـو كـافر في الظاهر، مع احتمال كونه مؤمنا في الباطن، إذ لا يتصـور ذهـاب الإيمـان عندهم إلا بـذهاب المعرفـة من القلب. وهـذا المقالـة الجهميـة في مسـمى

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/160

الإيمـــــان تقـــــوم على أصـــــلين من الضـــــلال همـــــا (2):
الأول: ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط، ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة، ومحبة وخشية في القلب، وبالتالي يكون الإيمان تاما بدون شيء من الأعمال الباطنة والظاهرة. وهذا الظن مبني على تصور فاسد لحقيقة الإيمان، وسيأتي بعون الله تعالى تحقيق القول بأنه يمتنع غاية الامتناع حصول أحد أجزاء الإيمان مع تخلف بقيتها، وأنه إذا **وجد قول القلب فلابد** من حصول عمله إذا سلم من المعارض، **ووجود قول القلب وعمله** يلزم منه ضرورة وجود الظاهر قولا وعملا (3).
الثاني: ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كفر مخلد في النار؛ فإنما ذاك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق.
وهـــــذا الظن باطـــــل من وجهين:
الوجه الأول: أنه أمر مخالف للشرع، والعقل، والحس، وإجماع العقلاء.
يقول شيخ الإسلام رحمه الله بعد أن ذكر أن من أغلاط الجهمية ظنهم أن من حكم الله بكفرهم؛ فلزوال التصديق من قلوبهم، قال: "وهذا مكابرة للعقـــــل، والحســـــن" (4).
وقال: "وهذا أمر خالفوا به الحس، والعقل، والشرع، وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة، وجماهير النظار.
فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره، ومع ذلك يجحد ذلك؛ لحسده إياه، أو لطلب علوه عليه، أو لهوى النفس، ويحمله ذلك الهوى أن يعتدي عليه، ويرد ما يقول بكل طريق، وهو في قلبه يعلم أن الحق معه.
وعامة من كذب الرسل يعلم أن الحق معهم، وأنهم صادقون؛ لكن إما لحسدهم، وإما لإرادتهم العلو والرياسة، وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه، وما يحصل لهم به من الأغراض، كأموال ورياسة وصداقة وغير ذلك، فيرون في أتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم، أو حصول أمور مكروهة إليهم، فيكذبونهم ويعادونهم، فيكونون من أكفر الناس، كإبليس وفرعون، مع علمهم بأنهم على الباطل، والرسل على الحق.

---

(1) ((منهـــاج الســـنة)) (5/ 251 - 252).
(2) انظر: ((الإيمان)) (ص179 - 180) ((الفتاوى)) (7/ 190 - 191)، ونحوه في (ص192)، 347) ((الفتاوى)) (7/ 204)، (363 - 364)؛ وفي ((الإيمان الأوسط))، ضمن ((الفتاوى)) (7/ 554)، (583 - 584)، (ص 446، 493 - 494) ط. ابن الجوزي؛ و ((الرد على المنطقيين))، (ص 146)؛ و ((الفتاوى)) (9/ 137)؛ والمقصود هنا ما ترتب على المقالة الجهمية من ضلال في مسمى الإيمان، وأما في مسائل الإيمان الأخرى، فتبيانه والبحث فيه في موضعه من الكتاب بإذن الله تعالى.
(3) انظـــر: نقض الحجـــة الخامســـة من حجج المرجئـــة.

(4) ((الإيمان الأوسط))ـ ضمن: ((الفتـاوى))ـ (7/ـ 583)، (ص493) ط. ابن الجوزي.." [1]

"وهذا الجواب سيأتي بعون الله عرضه مفصلا في نقض هذه الشبهة الإرجائية، والمقصود هنا تبيان مبلغ موافقة الأشاعرة للجهمية في مسمى الإيمان، وأنه لم يخرجهم من هذه الموافقة ما جاء عنهم من اضطراب في تفسير التصديق، أو ما أضافوه من شروط إلي التصديق.

فأما ما أضافوه من شروط، فمرده يعود إلى قول الجهمية، وأنه لا كفر إلا بزوال التصديق من القلب.

وأما ما فسروا به التصديق، وأنه المعرفة، أو هو قول النفس المتضمن للمعرفة، أو هو العلم، أو كلام النفس، ولا يثبت إلا بالعلم.

فالذي اشتهر عنهم هو دعوى التفريق بين المعرفة والتصديق، ومع ذلك فإنهم لا يسلمون من النقد الكاشف لفساد مقالتهم. يقول شيخ الإسلام: "والأشعري وأصحابه يفرقون بين معرفة القلب وبين تصديق القلب، فإن تصديق القلب قوله، وقول القلب عندهم ليس هو العلم، بل نوعا آخر" (1)، ثم قال في نقد ذلك:

"فإن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الانقياد - الذي **يجعل قول القلب -** أمر دقيق، وأكثر العقلاء ينكرونه، وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما. وأكثر الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه، ويقولون إن ما قاله ابن كلاب والأشعري من الفرق كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق. وعمدتهم من الحجة إنما هو خبر الكاذب، قالوا: ففي قلبه خبر بخلاف علمه، فدل على الفرق (2).

فقال لهم الناس: ذاك بتقدير خبر وعلم ليس هو علما حقيقيا، ولا خبرا حقيقيا، ولما أثبتوه **من قول القلب المخالف** للعلم والإرادة، إنما يعود إلى تقدير علوم وإرادات، لا إلى جنس آخر يخالفها.

ولهذا قالوا: إن الإنسان لا يمكنه أن يقوم بقلبه خبر بخلاف علمه، وإنما يمكنه أن يقول ذلك بلسانه، وأما أن يقوم بقلبه خبر بخلاف ما يعلمه، فهذا غير ممكن"، ثم أطال شيخ الإسلام في شرح ذلك، وختم ذلك بقوله:"والمقصود هنا أن الإنسان إذا رجع على نفسه عسر عليه التفريق بين علمه بأن الرسول صادق وبين تصديق قلبه تصديقا مجردا عن انقياد وغيره من أعمال القلب بأنه صادق" (3).

وبعد هذا التحقيق، وبيان ضعف ما اعتمده الأشاعرة في كون الإيمان هو التصديق، يرد عليهم وجه آخر يزيد قولهم ضعفا، وهو أن الإيمان إن صح أنه التصديق، فهو في كونه دليلا على قول الكرامية وفقهاء المرجئة أولى من أن يكون دليلا على قولهم الذي وافقوا فيه الجهمية.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله شارحا ذلك: "ومما يعارضون به أن يقال:

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/164

هذا الذي ذكرتموه إن كان صحيحا، فهو أدل على قول المرجئة، بل على قول الكرامية منه على قولكم.
وذلك أن الإيمان إن كان كما ذكرتم، فالتصديق نوع من أنواع الكلام، فاستعمال لفظ الكلام والقول ونحو ذلك في المعنى واللفظ، بل في اللفظ الدال على المعنى أكثر في اللغة من استعماله في المعنى المجرد عن اللفظ، بل لا يوجد قط إطلاق اسم الكلام ولا أنواعه، كالخبر أو التصديق والتكذيب والأمر والنهي على مجرد المعنى من غير شيء يقترن به من عبارة ولا إشارة ولا غيرهما، وإنما يستعمل مقيدا.
وإذا كان الله إنما أنزل القرآن بلغة العرب، فهي لا تعرف التصديق والتكذيب وغيرهما من الأقوال، إلا ما كان معنى ولفظا، أو لفظا يدل على معنى.
ولهذا لم يجعل الله أحدا مصدقا للرسل، بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم حتى يصدقوهم بألسنتهم.

---

(1) ((الإيمان)) (ص379) ((الفتاوى)) (7/ 396).
(2) وقد أقر بعض الأشاعرة – كالرازي – بفساد هذه الحجة. انظر: ((التسعينية)) (2/ 641 - 642).
(3) ((الإيمان)) (ص381 - 383) ((الفتاوى)) (7/ 398 - 400)؛ وانظر: ((التسعينية)) (2/ 661).." [1]

"فإن أهل السنة مجمعون على ما دلت عليه النصوص من أن الإيمان شعب وأجزاء، وأنه يتكون من أقوال وأعمال، باطنة وظاهرة، وهذا الذي أجمعوا عليه هو الذي تقتضيه الصلة بين أجزاء الإيمان الباطنة والظاهرة.
فهذان جوابان في تقرير هذا المقام:
الجواب الأول: في تحرير مذهب أهل السنة والإيمان.
فمما أجمع عليه السلف أن الإيمان قول وعمل، ظاهر وباطن، وهذا بحمد الله تقدم بسط الكلام عليه.
الجواب الثاني: في بيان الصلة بين أجزاء الإيمان الباطنة والظاهرة.
وفقه العلاقة بين الباطن والظاهر، والقول والعمل، مانع للغلط في مسائل الإيمان، وناقض مهم لمقالة المرجئة على اختلاف فقهم في حقيقة الإيمان.
فإن "من عرف الملازمات التي بين الأمور الباطنة والظاهرة زالت عنه شبهات كثيرة في مثل هذه المواضع التي كثير اختلاف الناس فيها" (1).والمرجئة إنما أتوا من جهة ظنهم انتفاء التلازم بين الباطن والظاهر، فوقعوا في الغلط (2).وهذا أصل اعتنى شيخ الإسلام بشرحه، وأطال النفس في تقريره، إذ بين أن "الإيمان قول وعمل، أي: قول القلب، واللسان، وعمل القلب، والجوارح" (3).فالإيمان "قول وعمل: قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر" (4).وقول السلف: الإيمان قول وعمل،

---

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/184

يريدون **به قول القلب وعمل** القلب، وهذا هو الباطن، وقول اللسان وعمل الجوارح، وهذا هو الظاهر (5).والأصل هو القلب، والبدن تابع، أي أن الأصل هو الباطن، والظاهر تابع (6).و "لابد في أصل الإيمان من قول وعمل القلب" (7)، إذ "أصل **الإيمان قول القلب وعمله**" (8).
والقلوب مفطورة على قول القلب، وعمله.
ولا يتخلف عمل القلب إلا في حالة وجود معارض في القلب يحول بينه وبين ما فطر عليه.
وما دام أن القلب سليم، والمعارض مفقود، **فإن قول القلب وعمله** موجود.
ثم إذا **وجد قول القلب وعمله** لزم ضرورة حصول الظاهر من قول اللسان وعمل الجوارح، ولا يمكن أبدا أن يوجد في القلب تصديق وحب وخشية، ولا يحصل له أثر في الظاهر، من قول اللسان وعمل الجوارح.
وقد أكثر شيخ الإسلام جدا من تقرير هذه الحقيقة، ويتطلب الأمر نقل كثير مما جاء عنه في ذلك، ومنه قوله رحمه الله رحمة واسعة:"والله سبحانه فطر عباده على شيئين: إقرار قلوبهم به علما، وعلى محبته والخضوع له عملا وعبادة واستعانة، فهم مفطورون على العلم به والعمل له، وهو الإسلام الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ((كل مولود يولد على الفطرة)) (9)".
ويقول: "وأصل الإيمان قول القلب، وعمله، أي علمه بالخالق، وعبوديته للخالق، والقلب مفطور على هذا، وهذا. وإذا كان بعض الناس قد خرج عن الفطرة؛ بما عرض له من المرض، إما بجهله، وإما بظلمه، فجحد بآيات الله، واستيقنتها نفسه ظلما وعلوا، لم يمنع أن يكون الخلق ولدوا على الفطرة" (10).
ويقول: "من المعلوم أن معرفة الشيء المحبوب تقتضي حبه، ومعرفة المعظم تقتضي تعظيمه، ومعرفة المخوف تقتضي خوفه.

---

(1) ((الفتاوى)) (7/ 646)، وانظر منها (7/ 616).
(2) انظر: ((الفتاوى)) (7/ 646).
(3) انظر: مجموعة ((الفتاوى الكبرى)) (2/ 271).
(4) انظر: ((الإيمان)) (ص177) ((الفتاوى)) (7/ 187).
(5) انظر: ((الفتاوى)) (7/ 672).
(6) انظر: ((جامع الرسائل)) (1/ 243).
(7) ((الإيمان الأوسط))، ضمن: ((الفتاوى)) (7/ 529، ص413) ط. ابن الجوزي، وانظر: شرح حديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، (ص 31)؛ و ((جامع المسائل)) (5/ 247).
(8) ((درء التعارض)) (3/ 173).
(9) رواه البخاري (1385) , ومسلم (2658) , من حديث أبي هريرة رضي

اللـــــــــــــــــــــــــــه عنـــــــــــــــــــــــــــــــه.
(10) ((درء التعارض)) (3/ 137).." [1]
"فنفس العلم والتصديق بالله وما له من الأسـماء الحسـنى، والصـفات العلى يوجب محبة القلب له وتعظيمه وخشيته، وذلـك يـوجب إرادة طاعتـه وكراهية معصيته. والإرادة الجازمة مع القدرة تستلزم وجود المـراد، ووجـود المقدور عليه منه، فالعبد إذا كان مريدا للصلاة إرادة جازمة مع قدرته عليها صـلى، فـإذا لم يصـل مـع القـدرة دل ذلـك على ضـعف الإرادة" (1)، ثم قال:"وأما الإرادة الجازمة فلابد أن يقترن بها مع القدرة فعل المقدور، ولــو بنظرة، أو حركة رأس، أو لفظة، أو خطوة، أو تحريك بدن (2).وبهـذا يظهـر معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار)) (3)، فإن المقتـول أراد قتـل صـاحبه، فعمـل مـا يقـدر عليه من القتال، وعجز عن حصول المراد، وكذلك الذي قال: لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل فلان، فإنه أراد فعمل ما يقدر عليه، وهــو الكلام، ولم يقدر على غير ذلك، ولهـذا كـان من دعـا إلى ضـلالة كـان عليـه مثل أوزار من اتبعه، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا؛ لأنه أراد ضـلالهم، ففعــــل مـــا يقـــدر عليـــه من دعـــاتهم، إذ لا يقـــدر إلا على ذلـــك.
وإذا تبين هذا في الإرادة والعمل، فالتصديق الذي في القلب وعلمه يقتضي عمــــل القلب، كمــــا يقتضــــى الحس: الحركـــــة الإراديـــــة.
لأن النفس فيهـــــــــــــــــا قوتـــــــــــــــــــان:
قوة الشعور بالملائم والمنافي، والإحساس بـذلك، والعمـل، والتصـديق بـه.
وقوة الحب للملائم، والبغض المنافي، والحركة عن الحس بالخوف والرجاء والموالاة والمعاداة. وإدراك الملائم يوجب اللذة والفـرح والسـرور، وإدراك المنافي يوجب الألم والغم، وقد قال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: ((كـل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصـرانه أو يمجسـانه، كمـا تنتج البهيمـــة بهيمـــة جمعـــاء هـــل تحســـون فيهـــا من جـــدعاء)) (4).
فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقا به، ودينا له، لكن يعرض لها مــا يفســـدها.
ومعرفـة الحـق تقتضـي محبتـه، ومعرفـة الباطـل تقتضـي بغضـه؛ لمـا في الفطرة من حب الحق وبغض الباطل، لكن قد يعرض لهـا مـا يفسـدها، إمـا من الشبهات الـتي تصـدها عن التصـديق بـالحق، وإمـا من الشـهوات الـتي تصـــــــــــــــــــــــــــدها عن أتباعـــــــــــــــــــــــــــــه".
ثم قال: "فالإيمان الذي في القلب لا يكون إيمانا بمجرد تصـديق ليس معـه عمل القلب ومجبه؛ من محبـة اللـه ورسـوله ونحـو ذلـك، كمـا أنـه لا يكـون إيمانا بمجرد ظن وهوى، بل لابد في أصل الإيمـان من قـول القلب، وعمـل القلب".
ثم قـال: "وليس مجـرد التصـديق والعلم يسـتلزم الحب، إلا إذا كـان القلب

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/198

سليمان من المعارض، كالحسد، والكبر؛ لأن النفس مفطورة على حب الحق، وهو الذي يلائمها، ولا شيء أحب إلى القلوب السليمة من الله، وهذا هو الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام الذي اتخذه الله خليلا، وقد قال تعالى: يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم [الشعراء: 88 - 89]. فليس مجرد العلم موجبا لحب المعلوم إن لم يكن في النفس قوة أخرى تلائم المعلوم، وهذه القوة موجودة في النفس. وكل من القوتين تقوى بالأخري، فالعلم يقوى العمل، والعمل يقوى العلم. فمن عرف الله، وقلبه سليم: أحبه، وكلما ازداد له معرفة ازداد حبه له، وكلما زاداد حبه له ازداد ذكره له، ومعرفته بأسمائه وصفاته. فإن قوة الحب توجب كثرة ذكر المحبوب، كما أن البغض يوجب الإعراض عن ذكر المبغض.

---

(1) وانظر: ((الفتاوى)) (6/ 574)؛ و ((منهاج السنة)) (1/ 163).
(2) انظر: ((جامع المسائل)) (4/ 266).
(3) رواه البخاري (31) , ومسلم (2888) , من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.
(4) رواه البخاري (1385) , ومسلم (2658) , من حديث أبي هريرة رضي الله عنه, واللفظ لمسلم.." [1]

"فكذلك التصديق الجازم إذا حصل في القلب، تبعه عمل من القلب لا محالة، لا يتصور أن ينفك عنه، بل يتبعه الممكن من عم الجوارح. فمتى لم يتبعه شيء من عمل القلب، علم أنه ليس بتصديق جازم، فلا يكون إيمانا. لكن التصديق الجازم قد لا يتبعه عمل القلب بتمامه؛ لعارض من الأهواء، كالكبر، والحسد، ونحو ذلك من أهواء النفس، لكن الأصل أن التصديق يتبعه الحب، وإذا تخلف الحب كان لضعف التصديق الموجب له" (1).

ويقول رحمه الله تعالى: "الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين: تصديق بالقلب، وإقراره، ومعرفته، ويقال لهذا قول القلب. قال الجنيد بن محمد: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب (2). فلابد فيه **من قول القلب وعمله**، ثم قول البدن وعمله. ولابد فيه من عمل القلب، مثل: حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان. ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا

---

[1] موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/199

صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد، ألا وهي القلب)) (3).
وقال أبو هريرة: القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده. وقول أبي هريرة تقريب، وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحسن بيان، فإن الملك وإن كان صالحا، فإن الجنود لهم اختيار قد يعصون به ملكهم، وبالعكس، فيكون فيهم صلاح مع فساده أو فساد مع صلاحه، بخلاف القلب، فإن الجسد تابع له، لا يخرج عنه إرادته قط، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد)) (4).
فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علما وعملا قلبيا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أهل الحديث: قول وعمل: قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر. والظاهر تابع للباطن، لازم له، متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد" (5).
وفي موضع آخر لما ذكر حديث أبي هريرة المتقدم علق عليه بقوله: "فبين - يعني الرسول صلى الله عليه وسلم - أن صلاح القلب مستلزم لصلاح الجسد، فإذا كان الجسد غير صالح دل على أن القلب غير صالح، والقلب المؤمن صالح، فدل على أن من يتكلم بالإيمان، ولا يعمل به، لا يكون قلبه مؤمنا.
حتى إن المكره إذا كان في إظهار الإيمان فلابد أن يتكلم مع نفسه، وفي السر مع من يأمن إليه، ولابد أن يظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه، كما قال عثمان.
وأما إذا لم يظهر أثر ذلك لا بقوله، ولا بفله قط، فإنه يدل على أنه ليس في القلب إيمان.
وذلك أن الجسد تابع للقلب، فلا يستقر شيء في القلب إلا ظهر موجبه ومقتضاه على البدن، ولو بوجه من الوجوه.
وإن لم يظهر كل موجبه لمعارض، فالمتقضي لظهور موجبه قائم، والمعارض لا يكون لازما للإنسان لزوم القلب له، وإنما يكون في بعض الأحوال متعذرا إذا كتم ما في قلبه، كمؤمن آل فرعون، مع أنه قد دعا إلى الإيمان دعاء ظهر به من إيمان قلبه ما لا يظهر من إيمان من أعلن إيمانه بين موافقيه، وهذا في معرفة القلب وتصديقه.

---

(1) ((شرح الأصبهانية)) (2/ 583).
(2) وانظر: ((مجموعة الفتاوى الكبرى)) (2/ 271).
(3) رواه البخاري (52) , ومسلم (1599) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
(4) رواه البخاري (52) , ومسلم (1599) من حديث النعمان بن بشير

رضـــــــــــــــــي اللـــــــــــــــه عنـــــــــــــــه.
(5) ((الإيمان)) (ص176 – 177) ((الفتاوى))، (7/ 186 - 187).." [1]
"ومنها قصد القلب وعزمه، إذا قصد الفعل وعزم عليه مـع قدرتـه على مـا قصـده: هـل يمكن أن لا يوجـد شـيء ممـا قصـده وعـزم عليـه؟ فيه قولان: أصحهما: أنه إذا حصـل القصـد الجـازم مـع القـدرة وجب وجـود المقدور، وحيث لم يفعل العبد مقدوره دل على أنه ليس هناك قصد جـازم، وقد يحصل قصد جازم مع العجـز عن المقـدور، لكن يحصـل معـه مقـدمات المقدور. وقيل: بل قد يمكن حصـول العـزم التـام بـدون أمـر ظـاهر، وهـذا نظير قول من قال ذلك في المعرفة والتصديق، وهما من أقوال أتبـاع جهم الذين نصروا قولـه في الإيمـان، كالقاضـي أبي بكـر وأمثالـه، فـإنهم نصـروا قولـه، وخـالفوا السـلف، والأئمـة، وعامـة طوائـف المسـلمين" (1).
ويقـول شـيخ الإسـلام: "أصـل الإيمـان في القلب، **وهـو قـول القلب وعمله**، وهـــــو إقـــــرار بالتصـــــديق والحب والانقيـــــاد. وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبـه ومقتضـاه على الجـوارح، وإذا لم يعمـل بموجبـه ومقتضـاه دل على عدمـه، أو ضـعفه. ولهـذا كـانت الأعمـال الظاهرة من موجب إيمـان القلب ومقتضـاه، وهي تصـديق لمـا في القلب، ودليل عليه، وشاهد له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلـق وبعض لـه، لكن مـــا في القلب هـــو الأصـــل لمـــا على الجـــوارح" (2).
ويقول: "والإيمـان الـذي كتب في القلب ليس هـو مجـرد العلم والتصـديق، قبـــل هـــو تصـــديق القلب وعمـــل القلب"، ثم قـــال: "فالسلف يقولون ترك الواجبات الظاهرة دليل على انتفاء الإيمـان الـواجب من القلب، لكن قد يكون بزوال عمـل القلب الـذي هـو حب اللـه ورسـوله، وخشـية اللـه، ونحـو ذلـك، لا يسـتلزم أن لا يكـون في القلب من التصـديق شيء. وعند هؤلاء - يعني الجهمية وموافقتهم - كـل من نفى الشـرع إيمانـه دل على أنه ليس في قلبه شـيء من التصـديق أصـلا، وهـذا سفسـطه عنـد جمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــاهير العقلاء" (3).
والحاصـــــــــل من هـــــــــذا التقريـــــــــر المطـــــــــول: **أن قول القلب إما** أن يكون ضعيفا بحيث لا يستلزم عمل القلب، وحينئذ لا يكون هذا التصديق إيمانـا، وإمـا أن يكـون جازمـا، وحينئـذ يسـتلزم عمـل القلب لا محالـــة.
والإنسان مفطور **على قول القلب المقتضي** لعمله، مـادامت الفطـرة صـحيحة، والقلب سـليمان من المعـارض المـانع من عملـه واستسـلامه وانقياده، من الشبهات أو الشهوات، كالكبر، أو الحسـد، أو الغفلـة، أو طلب علو ورياسة أو كراه الإلف والعادة، ونحو ذلك من الأمراض الـتي مانعـة من استســــــــــــلام القلب، وانقيــــــــــــاده، ومحبتـــــــــــه.
فإذا **وجد قول القلب وعمله** لزم ضرورة أن يكـون لـه أثـر في الظـاهر

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/202

من القول والعمل. وقد قرر شيخ الإسلام أن "المؤثر التام يستلزم أثره، فمتى لم يحصل أثره لم يكن تاما، والفعل إذا صادف محلا قابلا تم، وإلا لم يتم" (4).

وهذا معناه أن التام هو الذي يكون له أثر، وبتطبيق هذا على الإيمان يكون الإيمان التام هو الذي له أثر، فإذا لم يحصل له أثر فليس بتام.

والذي تحرر مما تقدم أن الإيمان الذي يستلزم أثرا هو ما اجتمع **فيه قول القلب وعمله**، وسلم من المعارض، فإنه حينئذ يستلزم أثرا في الظاهر من القول والعمل.

وعلى هذا فإن الإيمان الباطن يكون تاما إذا كان فيه أصل الإيمان - **وهو قول القلب وعمله** -، السالم من موانع الانقياد.

(1) ((الفتاوى)) (14/ 121 - 122)، وانظر منها (14/ 120).
(2) ((الفتاوى)) (7/ 644).
(3) ((الإيمان)) (ص142) ((الفتاوى)) (7/ 148).
(4) ((الإيمان)) (ص22) ((الفتاوى)) (7/ 25)، وساق رحمه الله أمثلة كثيرة على هذه القاعدة. انظر: ((الإيمان)) (ص16 - 29) ((الفتاوى)) (7/ 20 - 31)؛ و ((الإيمان الأوسط))، ضمن ((الفتاوى)) (7/ 539)، (ص425 ط. ابن الجوزي؛ و ((الفتاوى)) (16/ 179 - 180).." [1]

"وشيخ الإسلام يصف هذا الإيمان الذي يقتضي أثرا في الظاهر بالإيمان الجازم، وبالإيمان القلبي التام، وبالإيمان التام في القلب، وبالإيمان المقبول، وبإيمان القلب التام، وبالإيمان الواجب في القلب، وبإيمان القلب الواجب، وبالإيمان الباطن، وبالإيمان الواجب، وبالإيمان الصحيح، وبالإيمان الثابت في القلب، وبالإيمان الحقيقي.

فكل هذه الأوصاف أطلقها شيخ الإسلام على الإيمان المقتضي قولا وعملا في الظاهر، وهذا لا يكون إلا من الإيمان الذي حصل **فيه قول القلب وعمله**، وسلم من الشبهات والشهوات، وبحسب سلامته في الباطن يكون استسلامه في الظاهر.

يقول رحمه الله: "وبهذا تعرف أن من آمن قلبه إيمانا جازما امتنع أن لا يتكلم بالشهادتين مع القدرة، فعدم الشهادتين مع القدرة مستلزم انتفاء الإيمان القلبي التام".ثم قال: "إذ لا يحصل الإيمان التام في القلب إلا ويحصل في الظاهر موجبه بحسب القدرة" (1).ثم ذكر أن من الغلط ظن الظان أن الإيمان المقبول يمكن تخلف القول الظاهر، والعمل الظاهر عنه (2).

ويقول: "فمن أراد الطاعة، وعلم أنها تنفعه أطاع قطعا، إذا لم يكن عاجزا، فإن نفس الإرادة الجازمة للطاعة مع القدرة توجب الطاعة، فإنها مع وجود القدرة والداعي التام توجب وجود المقدور. فإذا كانت الطاعة بالتكلم

[1] موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/203

بالشهادتين، فمن أراد ذلك إرادة جازمة فعله قطعا؛ لوجود القدرة والداعي التام، ومن لم يفعله علم أنه لم يرده" (3).ويقول: "جنس الأعمال من لوازم إيمان القلب، وأن إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع" (4).
وذكر أن من أكبر غلط المرجئة "ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون شيء من الأعمال؛ ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه، بمنزلة السبب مع المسبب، ولا يجعلونها لازمة له. والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر" (5).وذكر أيضا أن الإيمان الذي في القلب من التصديق والحب وغير ذلك يستلزم الأمور الظاهرة من الأقوال الظاهرة والأفعال الظاهرة، كما أن القصد التام مع القدرة يستلزم وجود المراد، وأنه يمتنع مقام الإيمان الواجب في القلب من غير ظهور موجب ذلك ومقتضاه (6).ويقول: "أصل الإيمان هو ما في القلب، والأعمال الظاهرة لازمة لذلك، لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب، فصار الإيمان متناولا للملزوم واللازم، وإن كان أصله ما في القلب" (7).ويقول: "فالسلف يقولون ترك الواجبات الظاهرة دليل على انتفاء الإيمان الواجب من القلب" (8).وذكر رحمه الله أن مذهب السلف وأهل السنة أنه متى وجد الإيمان الباطن وجدت الطاعات (9).

---

(1) ((الإيمان الأوسط)) (7/ 553)، (ص444 - 445) ط. ابن الجوزي.
(2) ((الإيمان الأوسط)) (7/ 554)، (ص445) ط. ابن الجوزي.
(3) ((منهاج السنة)) (3/ 69 – 70)، ويلحظ أنه هنا مثل على الطاعة بالتكلم بالشهادتين، وقد سبق أنه مثل بالصلاة، فمن أراد جازما أن يصلي صلى، وهكذا الحكم في بقية الطاعات. راجع (ص295).
(4) ((الإيمان الأوسط))، ضمن: ((الفتاوى)) (7/ 616)، (ص567) ط. ابن الجوزي.
(5) ((الإيمان)) (ص192) ((الفتاوى)) (7/ 204)؛ ونحوه فيه، (ص20) ((الفتاوى)) (7/ 23 - 24).
(6) ((الإيمان الأوسط))، ضمن ((الفتاوى)) (7/ 575)، (ص481) ط. ابن الجوزي.
(7) ((الإيمان)) (ص186 - 187) ((الفتاوى)) (7/ 198).
(8) ((الإيمان)) (ص142) ((الفتاوى)) (7/ 148).
(9) انظر: ((الإيمان)) (ص 347) ((الفتاوى)) (7/ 363)، و ((الإيمان الأوسط)) (7/ 609) (ص552) ط ابن الجوزي.." [1]

---

[1] موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/204

"فبمجموع هاتين الشهادتين يتم الإقرار، فلما كان التصديق لابد منه في كلا الشهادتين، وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول، ظن من ظن أنه أصل لجميع الإيمان، وغفل عن أن الأصل الآخر لابد منه، وهو الانقياد. وإلا فقد يصدق الرسول ظاهرا وباطنا، ثم يمتنع عن الإقرار للأمر، إذ غايته في تصديق الرسول أن يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله سبحانه وتعالى، كإبليس" (1).ومن ترك الانقياد كان مستكبرا، وصار من الكافرين، وإن كان مصدقا، فالكفر أعم من التكذيب، ولهذا لم يوصف إبليس إلا بالكفر والاستكبار دون التكذيب (2).والحاصل أن "السعادة مشروطة بشرطين: بالإيمان والعمل الصالح، بعلم نافع وعمل صالح، بكلم طيب وعمل صالح، وكلاهما مشروط بأن يكون على موافقة الرسل" (3).وأنه لابد من التزكي بفعل المأمور وترك المحظور، فهذان لابد منهما، ومقصود الرسالة هو فعل الواجبات والمستحبات جميعا (4).وإذ تبين ما تقدم، وأن الظاهر لابد من وجوده لصحة الباطن، وأن النجاة لا تحصل إلا بذلك، فمما يختم به هذا المقام ما نبه عليه شيخ الإسلام من أن الظاهر يكون لازما للباطن من وجه، وملزوما له من وجه، وهو دليل عليه من جهة كونه ملزوما لا من جهة كونه لازما (5).

والمراد أن الظاهر إنما يكون لازما وملزوما ودليلا على الباطن في حال صحة الباطن، وهو لا يكون كذلك إلا إذا وجد **فيه قول القلب وعمله**، وسلم من الموانع، كما تقدم. وأما مجرد وجود الظاهر فلا يعني صلاح الباطن، فإن اللازم لا يدل إلا إذا كان ملزوما، ومن المعلوم أن الظاهر يفعله المؤمن والمنافق، فلا يدل على صلاح الباطن (6)،ولذا فإن الإيمان الظاهر الذي يجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان الباطن المنجي يوم القيامة (7)؛ "لأن الظاهر إنما يكون دليلا صحيحا معتمدا إذا لم يثبت أن الباطن بخلافه، فإذا قام دليل على الباطن لم يلتفت إلى ظاهر قد علم أن الباطن بخلافه" (8).

المقام الثاني في نقض الأصل الإرجائي: إبطال دعواهم أن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله. فهم "قالوا: إن الحقيقة المركبة من أمور، متى ذهب بعض أجزائها انتفت تلك الحقيقة، كالعشرة المركبة من آحاد، فلو قلنا: إنه يتبعض؛ لزم زوال بعض الحقيقة مع بقاء بعضها" (9)، وفي هذا إخراج مرتكب الكبيرة من الإيمان كما تقوله الخوارج والمعتزلة، فوجب إخراج الأعمال من الإيمان؛ لئلا يكفر المؤمن (10).وفي الجواب عن هذه الحجة بين شيخ الإسلام رحمه الله أن (نصوص الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه تدل على ذهب بعضه وبقاء بعضه، كقوله: ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)) (11)ـ "ـ (12).

---

(1) ((الصارم المسلول)) (3/969).

(2) انظر: ((الصارم المسلول)) (3/968).

(3) ((الصـــــــــــــــــــــــفدية)) (2/ـــــــــــــــــ 248).
(4) ((الفتـــــاوى)) (15/ـــ 390)؛ وانظـــر: ((الاســـتقامة)) (2/ــ 136).
(5) انظـــــــــــــــر: ((الفتـــــــــــــاوى)) (18/ــــــــــــــ 273).
(6) انظـر: ((الإيمـان)) (ص250) ((الفتـاوى)) (7/ـ 263)؛ و ((الفتـاوى)) (13/ــ 268).
(7) انظــــر: ((الإيمــــان)) (ص197 -ـــ 198)؛ وانظـــر منـــه، (ص5).
(8) ((الصارم المسلول)) (3/ـ 648)، ويقول شيخ الإسلام: "كـل عمـل في الظاهر من مؤمن لابـد أن يصـحبه عمـل القلب، بخلاف العكس، فلا يتصـور عمـــل البـــدن منفـــردا إلا من المنـــافق". ((المســـتدرك)) (3/ــ 100).
(9) ((الفتـــــــــــــــــاوى)) (18/ـــــــــــــــــــــــ 276).
(10) وانظــــــــــــــر: ((الفتــــــــــــاوى)) (11/ـــــــــــــ 137).
(11) رواه الترمـذي (2593) , من حـديث أبي سـعيد الخـدري رضـي اللـه عنه, وقال حديث حسن صحيح, وصححه الألباني, وقـال في ((السلسـلة)) (2450): صـــــــــــحيح على شـــــــــــرط الشـــــــــــيخين.
(12) ((الإيمان)) (ص210) ((الفتاوى)) (7/ 223).." [1]

"المبحث الرابع: فتوى اللجنة الدائمـة في التحـذير من مـذهب الإرجـاء وتحقيـــــــــــق النقـــــــــل عن شـــــــيخ الإســــــــلام فيه

الحمـــــد للـــــه والصـــــلاة والســـــلام على من لا نـــــبي بعـــــده ... وبعــد:

فقد أطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من عدد من المستفتين، المقيـدة اسـتفتاآتهم بالأمانـة العامـة لهيئة كبار العلماء، برقم (5411) وتاريخ (7/ـ 11/1420هـ). ورقم (1026) وتاريخ (17/ـ 2/1421هـ). ورقم (1016) وتاريخ (7/ـ 2/1421هــ). ورقم (1395) وتاريخ (8/ـ 3/1421هـ). ورقم (1650) وتاريخ (17/ـ 3/1421هـ). ورقم (1893) وتـــاريخ (25/ــ 3/1421هـــ). ورقم (2106) وتـــاريخ (7/ 4/1421هـــ). وقـــد ســـأل المســـتفتون أســـئلة كثـــيرة مضـــمونها:

"ظهرت في الآونة الأخيرة فكرة الإرجـاء بشـكل مخيـف، وانـبرى لترويجهـا عدد كثير من الكتاب، يعتمدون على نقولات مبتورة من كلام شـيخ الإسـلام ابن تيمية؛ مما سبب ارتباكا عند كثير من الناس في مسـمى الإيمـان، حيث يحاول هؤلاء الـذين ينشـرون هـذه الفكـرة أن يخرجـوا العمـل عن مسـمى الإيمان، ويرون نجاة من ترك جميع الأعمال، وذلك ممـا يسـهل على النـاس الوقوع في المنكـرات وأمـور الشـرك وأمـور الـردة، إذا علمـوا أن الإيمـان متحقـق لهم، ولـو لم يـؤدوا الواجبـات ويتجنبـوا المحرمـات ولـو لم يعملـوا بشـــــــراع الـــــــدين بنـــــــاء على هـــــــذا المـــــــذهب.

ولا شـك أن هـذا المـذهب لـه خطورتـه على المجتمعـات الإسـلامية وأمـور العقيدة والعبادة، فالرجاء من سماحتكم بيان حقيقـة هـذا المـذهب، وآثـاره

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/207

السيئة، وبيان الحق المبني على الكتاب والسنة، وتحقيق النقل عن شيخ الإسلام، حتى يكون المسلم على بصيرة من دينه، وفقكم الله وشدد خطاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".
وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بما يلي:
هذه المقالة المذكورة هي: مقالة المرجئة الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان، ويقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب، أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط، وأما الأعمال فإنها عندهم شرط كمال فيه فقط وليست منه، فمن صدق بقلبه، ونطق بلسانه؛ فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم، ولو فعل ما فعل من ترك الواجبات وفعل المحرمات، ويستحق دخول الجنة ولو لم يعمل خيرا قط، ولزم على ذلك الضلال لوازم باطلة؛ منها: حصر الكفر بكفر التكذيب والاستحلال القلبي، ولا شك أن هذا قول باطل وضلال مبين، مخالف للكتاب والسنة، وما عليه أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا، وأن هذا يفتح بابا لأهل الشر والفساد، للانحلال من الدين، وعدم التقيد بالأوامر والنواهي، والخوف والخشية من الله سبحانه. ويعطل جانب الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسوي بين الصالح والطالح، والمطيع والعاصي، والمستقيم على دين الله، والفاسق المتحلل من أوامر الدين ونواهيه، ما دام أن أعمالهم هذه لا تخل بالإيمان كما يقولون.
ولذلك اهتم أئمة الإسلام - قديما وحديثا - ببيان بطلان هذا المذهب، والرد على أصحابه، وجعلوا لهذه المسألة بابا خاصا في كتب العقائد، بل ألفوا فيها مؤلفات مستقلة، كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وغيره.
قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في "العقيدة الواسطية": "ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول **وعمل. قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية".
وقال في "كتاب الإيمان": "ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية وأتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح".." [1]
"وقال - رحمه الله -: "والسلف اشتد نكيرهم على المرجئة لما أخرجوا العمل من الإيمان، ولا ريب أن قولهم بتساوي إيمان الناس من أفحش الخطأ، بل لا يتساوى الناس في التصديق ولا في الحب ولا في الخشية ولا في العلم، بل يتفاضلون من وجوه كثيرة.
وقال - رحمه الله -: "وقد عدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، واعتمدوا على رأيهم وعلى

[1] () موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/317

مـــا تـــأولوه بفهمهم للغـــة، وهـــذه طريقـــة أهـــل البـــدع". انتهى.
ومن الأدلة على أن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، وعلى زيادته ونقصانه بها، قوله تعالى: إنما المؤمنون الذين إذا ذكر اللـه وجلت قلـوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلـون الـذين يقيمـون الصـلاة وممـا رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنـون حقـا لهم درجـات عنـد ربهم ومغفـرة ورزق كريم [الأنفال:2 ـ 4]، وقوله تعالى: قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فـاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمـانهم فـإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والـذين هم لأمانـاتهم وعهدهم راعون والـذين هم على صـلواتهم يحـافظون [المؤمنـون: 1 ـ)]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون شـعبة. أعلاهـا قول: لا إله إلا اللـه. وأدناهـا إماطـة الأذى عن الطريـق. والحيـاء شـعبة من الإيمـــان".
قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في "كتاب الإيمان" أيضـا: "وأصـل الإيمـان في القلب، **وهـو قـول القلب وعمله**. وهـو إقـرار بالتصـديق والحب والانقياد. وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجـوارح. وإذا لم يعمـل بموجبـه ومقتضـاه دل على عدمـه أو ضـعفه. ولهـذا كـانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضـاه، وهي تصـديق لمـا في القلب، ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من الإيمان المطلـق وبعض لـه". وقال أيضا: "بل كل من تأمل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان، علم بالاضـطرار أنـه مخـالف للرسـول، ويعلم بالاضـطرار أن طاعـة اللـه ورسـوله من تمـام الإيمـان، وأنـه لم يكن يجعـل كـل من أذنب ذنبـا كـافرا. ويعلم أنه لو قدر أن قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: نحن نؤمن بمـا جئتنا به بقلوبنا من غير شك، ونقر بألسنتنا بالشهادتين. إلا أنا لا نطيعـك في شـيء ممـا أمـرت ونهيت عنـه؛ فلا نصـلي ولا نصـوم ولا نحج ولا نصـدق الحديث، ولا نؤدي الأمانة ولا نفي بالعهد ولا نصل الرحم ولا نفعل شـيئا من الخير الذي أمتر به. ونشـرب الخمـر، وننكح ذوات المحـارم بالزنـا الظـاهر، ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك ونأخـذ أمـوالهم، بـل نقتلـك أيضـا ونقاتلك مع أعدائك. هل كان يتوهم عاقل أن النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم يقول لهم: أنتم مؤمنون كاملوا الإيمان، وأنتم أهـل لشـفاعتي يـوم القيامـة، ويرجى لكم أن لا يدخل أ؛ د منكم النار. بل كل مسـلم يعلم بالاضـطرار أنـه يقول لهم: أنتم أكفر الناس بما جئت به، ويضـرب رقـابهم إن لم يتوبـوا من ذلك" انتهى.." [1]

"الفـــــرق بين الشـــــرك في النـــــذر والمعصـــــية به

المثال الثاني: النذر عبادة، ومعروف مشهور بين العامة أنهم يقولون: نذرت للسيدة زينب شمعا لنجاح ابنتي، فهل هذا يجـوز أو لا؟ نرجـع للقاعـدة قبـل

1() موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين 3/318

أن نقول: يجوز أو لا يجوز، ونضبط المسألة أولا ونقول: هل النذر عبادة أو لا؟

A النذر عبادة، الدليل على ذلك قوله تعالى: {يوفون بالنذر} [الإنسان:7] ووجه الدلالة سنعرفه من خلال بيان تعريف العبادة، والعبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

وبعد هذا التعريف نقول: إن الله تعالى إذا مدح شيئا فقد أحبه، وسياق آية النذر سياق مدح؛ لأن الله إذا مدح عباده بفعل شيء فقد دل ذلك على أن هذا الشيء عبادة؛ لأن الله يحبه وقد مدحه، فالله لا يمدح إلا ما يحب، وهذا هو وجه الدلالة استنباطا.

أما التأصيل الصريح فهو في قول الله تعالى: {إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا} [مريم:26]، ووجه الدلالة في ذلك هو إقرار الله لها على النذر، فدل ذلك على أنه عبادة.

وأيضا في الآية الأخرى قال تعالى: {إني نذرت لك ما في بطني محررا} [آل عمران:35]، وهي نذرت هنا للمسجد، وهذا فيه دلالة على أن النذر عبادة، فإذا: النذر عبادة فصرفها لله توحيد وصرفها لغير الله شرك.

مثال آخر: رجل قال: إن ابني مريض فإن شفي الله ابني فسأتصدق بألف درهم.

والثاني قال: إن ابني إن نجح لأذبحن عند البدوي ذبيحة وأفرقها على الفقراء.

والثالث قال: إن أتى أبي ورأيته بعيني، فامرأتي طالق.

فالصحيح في ذلك أن نقول: إن النذر الأول توحيد؛ لأنه عبادة صرفه لله جل في علاه.

والنذر الثاني فيه توحيد وفيه شرك، والنبي صلى الله عليه وسلم بين أن الذبح في مكان يعبد فيه غير الله جل في علاه منهي عنه، ولما رأى رجلا يذبح إبلا ببوانة نهاه صلى الله عليه وسلم عن ذلك؛ لأنه قد كان فيها صنم يعبد، وإنما نهاه لأنه ذريعة للشرك ولا يقال له: شرك؛ لأنه لم يصرف عبادة لغير الله جل في علاه، بل هو نذر أن يذبح لله، فإذا نذر أن يذبح لله فهو توحيد لله وليس شركا، لكنه وقع في منهي عنه وهو أنه ذبح في مكان يعبد فيه غير الله جل في علاه.

وأما الثالث فهو نذر ينزل منزلة اليمين المعلقة، على قول الجمهور، وأما على قول شيخ الإسلام ابن تيمية فينظر في نيته: إن كانت نيته تهديدا فلا تطلق زوجته، وإن كانت نيته الطلاق فتطلق امرأته.

ختاما لهذه المسألة نقول: إن العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

قال ابن القيم: وتدور رحى العبادة على خمسة عشر أمرا، وذلك أن المكلف يتكون من لسان وقلب وجوارح، وأحكام الشرع التكليفية خمسة: واجب، ومستحب، ومباح، ومكروه، ومحرم.

فيتعلق بكل عضو من الأعضاء سواء القلب أو اللسان أو الجوارح خمسة أحكام.
فالحاصل من ضرب ثلاثة أعضاء في خمسة أحكام يساوي خمسة عشر أمرا.
فيجب على القلب التصديق، وهو قول القلب، ويجب عليه التوكل والإنابة والخوف والرجاء فكل ذلك من واجبات القلب، أما واجب اللسان فهو قول لا إله إلا الله، فلن يدخل أحد الإسلام إلا بقوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله.
وأما واجبات الجوارح فالصلاة والجهاد وغيرها، فالثلاثة الأعضاء لكل عضو منها خمسة أحكام، فتكون الجملة خمسة عشر أمرا كما قال الإمام ابن القيم.
وللعبادة ركنان: غاية الذل مع غاية المحبة.
وشروط العبادة: الإخلاص ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم.
والعبادة عبادتان: عبادة عامة وعبادة خاصة.
أو: عبادة القهر: وهي عبادة الربوبية.
وعبادة الاختيار: وهي عبادة الإلهية، إذا العبادة عبادتان: عبادة عامة ويدخل فيها المؤمن والكافر والمشرك, وعبادة خاصة وهي لا تكون إلا من المؤمن وهي العبادة الاختيارية.
فعبادة القهر هي عبادة الربوبية التي قال الله عنها: {إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا} [مريم:93] فسواء كنت طويلا أو قصيرا، أو أبيض أو أسمر، إذا أراد الله أن يقدر عليك المرض فلا تستطيع أن ترد هذا القدر، بل أنت فيه عبد لله رغم أنفك، قال الله تعالى: {وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها} [آل عمران:83]، فهذه هي عبادة القهر.
والعبادة الثانية خاصة بالمؤمنين: وهي عبادة الإلهية التي قال الله فيها: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} [الإسراء:23]، فهل كل الناس عبدوا الله جل في علاه؟ لا، بل منهم من عبد ومنهم من لم يعبد الله جل في علاه، فهذه هي العبادة الاختيارية.." [1]

"العمل، لأن العلم الذي يتعلق بالقلب لا يكون علما صحيحا إلا إذا ظهر أثره على الجوارح، العلم الذي يكون في القلب من التصديق والإقرار والمعرفة بالرب جل وعلا وبالدين والشريعة .. ونحو ذلك جملة وتفصيلا لا يكون له أثره ولا اعتبار به إلا إذا ظهر أثره على الجوارح، فإن لم يظهر له أثر على الجوارح فحينئذ هذا العلم وجوده وعدمه سواء، لا فرق بينهم، فنقول: لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، يعني: عمل الجوارح، لا خلاف هذا نقل لإجماع، ومعلوم أن الأمة اختلفت في مفهوم الإيمان، ولكن عند أهل السنة والجماعة قول واحد وقع الإجماع

[1] () شرح كتاب الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق لابن تيمية - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار 1/9

عليه، حينئذ قول المصنف: (لا خلاف) لأهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة (لا خلاف) بين فرق الأمة؟ لا، وقع الخلاف المرجئة لهم تعريف والمعتزلة والخوارج والجهمية كل يدلي بما عنده، وأما أهل السنة والجماعة فلهم قول واحد وإن اختلف التعبير في الدلالة على هذا القول، يعني: منهم من عبر بكذا، ومنهم من عبر بكذا، واتفقت هذه الأقوال على أن التوحيد والإيمان والإسلام لا يكون معتبرا إلا باجتماع ثلاثة أركان أو ثلاثة أجزاء، وهي التي قال المصنف فيها: (لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب) توحيد القلب، (واللسان) توحيد اللسان، (والعمل) توحيد العمل توحيد الجوارح، فهذه الأركان الثلاثة لا بد من اجتماعها، وكما ترى أن هذا تعريف الإيمان المشهور عند أهل السنة والجماعة: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان. اعتقاد بالقلب أو بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، هذه ثلاثة أركان، ثلاثة أجزاء، لا يكون الشخص مسلما مؤمنا إلا إذا اجتمعت في حقه كلها الثلاث، فإن وجد منها اثنان دون الثالث، أو واحد دون اثنين لا يصدق عليه أنه مسلم، ولذلك قال: (فإن اختل شيء من هذا) هذه الأجزاء الثلاثة المذكورة (لم يكن الرجل مسلما). يعني: لا يحكم عليه بأنه مسلم لماذا؟ لانتفاء ركن من أركان الإيمان. إذا: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان. هذا ما تضمنه تعريف الأركان، والمصنف هنا لم يعبر بالإيمان لأن المقام هنا مقام ذكر ما يتعلق بالتوحيد، وذكرنا فيما سبق أن هذه الألفاظ الشرعية: التوحيد، والإسلام، والإيمان والتقوى، وطاعة الله تعالى، وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، والإحسان كلها إذا أفرد واحد منها دخل فيه جميع الدين كل أفراد الدين. حينئذ صار الإيمان مرادفا للإسلام مرادفا للإحسان مرادفا للتقوى مرادفا للطاعة لطاعة الرب جل وعلا ونحو ذلك فهي مترادفة، فحينئذ ذكر التوحيد هنا لا يلزم منه أن يكون للتوحيد تعريف، وللإيمان تعريف آخر بل هو داخل فيه. إذا: هذه ثلاثة أركان. **الأول: قول القلب وعمله. قول القلب وعمله**، فأما قول القلب، قول القلب، القلب له قول وله عمل، واللسان له عمل. وهل له قول أو لا؟ الظاهر لا ليس له قول لأنه هو قول، فإن سمي عمل وإنما وقع خلاف هل يطلق عليه أنه فعل أو لا والجوارح لا شك أنها عمل. إذا: القلب له قول وله عمل. ما قوله وما عمله؟." [1]

"**فأما قول القلب فهو** التصديق والعلم والمعرفة والاعتقاد. كلها متقاربة لكن هذا شيء يكون في القلب. العلم محله القلب، والمعرفة محلها القلب، وكذلك الاعتقاد قلنا: افتعال من العقد وهو الجزم ومحله يكون في القلب. إذا: هذه أطلق عليها أهل العلم بأنها قول، قيل: من باب الاصطلاح، ليقابل قول اللسان، ولذلك سيأتي قول ابن تيمية: ما يقال له قول القلب، فإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأركان، إذا زال تصديق

[1] () شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي 18/13

القلب يعني لم يكن مصدقا بالشرع لم، يكن مصدقا بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، لم يكن مصدقا بأن هذا قرآن من عند الله، لم يكن مصدقا بالفرائض والأركان، لا تنفع بقية الأركان لا عمل القلب، ولا قول اللسان، ولا عمل الجوارح.." [1]

"وأما عمل القلب فهو: الإخلاص والحب والخوف والرجاء والتعظيم وغير ذلك من أعمال القلوب، كل أعمال القلوب السابقة التي مرت معنا وخاصة الأصول الثلاثة فهي داخلة في عمل القلب. وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق زال عمل القلب مع وجود قول القلب. يعني: عندنا شيئان، **أمران. قول القلب وهو** التصديق أن يكون مصدقا بالشريعة. عمل القلب الإخلاص والمحبة ونحو ذلك. إذا زال عمل القلب لم يوجد، ووجد التصديق بإجماع أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزول، لا خلاف بين أهل السنة والجماعة أنه إذا **وجد قول القلب وهو** التصديق ومعرفة الرب جل وعلا ومعرفة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، واعتقاد أنهما حق مع انتفاء وعدم وجود عمل القلب من المحبة والخوف والرجاء والإخلاص والتوكل والخشية والإنابة أنه ليس بمسلم لزوال ركن من أركان الإيمان، وهو عمل القلب، وهذا التصديق وجوده كعدمه لأنه علم، وقلنا: العلم إذا لم يثمر العمل سواء كان في الجوارح أو عمل القلب فوجوده وعدمه سواء، لا بد أن يثمر وإن لم يثمر فلا أثر له، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فبإجماع أهل السنة والجماعة على زوال الإيمان، إجماع على زوال وانتفاء الإيمان، فلا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب. يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى مبينا ذلك: إن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب. أصله الذي يكون في القلب، وابن تيمية رحمه الله تعالى دائما يعبر بمثل هذا يظن الظان أن ابن تيمية رحمه الله تعالى يرى أن عمل الجوارح ليس داخل في مسمى الإيمان لكن هذا ليس الأمر كذلك، لأنه ينص في مواضع كثيرة أن الإيمان إذا أطلق في الكتاب والسنة إنما يشمل الأعمال وهي داخلة فيه كدخول القول وعمل القلب، حينئذ يفسر كلامه بكلام في مواضع أخر. ثم لا شك أن الإيمان له أصل وفرع، ولا يعنى بالفرع هنا ما يمكن الاستغناء عنه، لا، قد يكون في عدم الاستغناء عن الفرع كعدم الاستغناء عن الأصل، لا شك في هذا فإذا عبر عن القلب أنه أصل وعمل الجوارح فرع، ليس معنى هذا أنه فرع كفرع الشجرة ونطبق التعاريف التي تكون في أصول الفقه أنه ما يمكن أن يزال ويستغنى عنه. نقول: لا، النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله». هذا هو الأصلية والفرعية، أن الثاني تابع للأول وجوده بوجود الأول، لا يمكن أن يوجد الثاني مع انتفاء الأول، ولا يمكن أن يدعى وجود الأول وهو عمل القلب مع انتفاء الثاني. هذا المراد. إذا: قوله رحمه الله: إن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب ليس المراد منه أن الأعمال ليست داخل في

[1] () شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي 18/14

مسمى الإيمان؟ لا، ليس كذلك، ولا بد فيه من شيئين: تصديق بالقلب، وإقراره ومعرفته. لا بد أن يقر وهذا عمل والتصديق بالقلب وإقراره ومعرفته - يعني: ومعرفته بالرب جل وعلا وبالرسول - صلى الله عليه وسلم - ويقال لهذا قول القلب، هذا فيه بيان أن **إطلاق قول القلب على** التصديق فيه نوع تجوز، ولذلك قال: ويقال لهذا التصديق والإقرار قول القلب.." [1]

"قال الجنيد بن محمد: التوحيد وقول القلب، التوحيد - يعني: اعتقاد وحدانية الرب جل وعلا - ليس التوحيد بالمفهوم الذي ذكره المصنف هنا، وإنما التوحيد يعني: اعتقاد وحدانية الرب جل وعلا تصديق بأن الله تعالى واحد قول القلب، والتوكل عمل القلب، فلا بد فيه **من قول القلب وعمله**، اجتماع الأمرين، ثم قول البدن وعمله. قول البدن وعمل، يعني: إقرار باللسان، وعمله يعني: بالجوارح، ولا بد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان يعني: بعضا وجزء من الإيمان يفوت الإيمان بفواتها.

إذا: عمل القلب وقول القلب أصل في الإيمان.

ثانيا الركن الثاني: قول اللسان، والمراد به النطق بالشهادتين قول لا إله إلا الله والإقرار بلوازمهما، يقول ابن حزم رحمه الله تعالى: من اعتقد الإيمان بقلبه. يعني: جاء بماذا؟

بالتصديق، ولم ينطق بلسانه دون تقية. تقية يعني يقصد به المكرة فهو كافر عند الله تعالى وعند المسلمين. إذا اعتقد بقلبه صدق، ولكن لم ينطق بلسانه فهو كافر عند الله تعالى وعند المسلمين، يعني: هذا حكاية للإجماع، ذكره في ((المحلى)) - الجزء الأول، صفحة 50.

ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: " من لم يصدق بلسانه مع القدرة لا يسمى في لغة القوم مؤمنا، كما اتفق على ذلك سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ". إذا لا بد من قول اللسان، لا كما قال من الجهمية ونحوهم نقول: هذا لا عبرة بهم، إذا وقع الإجماع على ذلك ودلت النصوص على ذلك فحينئذ لا عبرة بهم، ولذلك قال تعالى: {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا} [الحجرات: 14] {قالت الأعراب}، {قالت} القول إنما يكون بماذا؟ باللسان {قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا} لأنهم ذكروا أو أتوا بالشهادتين.

ثالثا: عمل الجوارح هذا قلنا: محل إجماع ووفاق بين السلف أنه داخل في مسمى الإيمان، لكن يقع خلاف في التعبير عنه، هل نقول هو ركن أم شرط صحة؟ الخلاف المنبني على هذا خلاف لفظي فقط، لأن كلا من الفرقتين

[1] () شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي 18/15

من قال: بأنه شرط صحة أو أنـه ركن قـال: بـأن انتفـاء العمـل ينبـني عليـه انتفاء الإيمان. إذا: لا نتيجة حكمية لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا ثمـرة لهـذا الخلاف في الدنيا ولا في الآخـرة تنبـني عليـه، وسـواء قلنـا شـرط صـحة أو ركن حينئـذ نقـول: ليس بمـؤمن وليس بمسـلم في الـدنيا، وإذا كـان كـذلك حينئذ حكمنا عليه بنقيض الإيمان وهو: الكفر،، والصواب أن يعـبر بأنـه ركن، لأن هذا ظاهر النصوص وظاهر كلام السلف، قالوا الإيمان قـول وعمـل وإذا كان كذلك فالشرط إذ كان المراد به الحقيقة الأصولية حينئـذ يكـون خارجـا ولو كان لازما، يعني: الصلاة لا تصح إلا بالطهارة إذا صحة الصلاة مبنية على وجود الطهارة، هل تصح الصلاة بـدون طهـارة؟ لا. هـل تصـح الصـلاة بـدون طهارة مع القدرة عليها؟ لا.." [1]

"قول وعمل. قول باطن وظاهر، وعمـل بـاطن وظـاهر، والظـاهر تـابع للباطن لازم له متى صلح الباطن صلح الظاهر، صلح صلح فيه وجهـان، وإذا فسد، فسـد هكـذا قـال ابن تيميـة رحمـه اللـه تعـالى تبعـا للحـديث، وعـدم الأعمال الظاهرة الجوارح يستلزم نفي الإيمان الباطن، عنـدنا إيمـان بـاطن وإيمان ظاهر، إيمان بـاطن **هو قـول القلب وعمله**، وإيمـان ظـاهر هـو قول اللسان وعمل الجـوارح. قلنـا: عـدم الأعمـال الظـاهرة بـأن الـذي في القلب ما نطلع عليه، لكن نستدل عليه بالظاهر، نستدل عليه بما يظهر منه، عدم الأعمال الظاهرة يستلزم نفي الإيمان الباطن، ولهـذا ينفي الـرب جـل وعلا الإيمـان عمن انتفت عنـه لوازمـه، فـإن انتفـاء اللازم يقتضـي انتفـاء الملـــــــــــــــــــــــــــزوم. أين اللازم؟ أنتم معي أو لا؟

نحن نقرر عقيدة السلف ما ذكرنا أقوال المبتدعة ولا أدلتهم، عقيدة السلف أن العمل لازم الظاهر، والذي في القلب ملزوم، انتفاء اللازم الظـاهر يـدل على أو يستلزم انتفاء الملزوم، فإن انتفـاء اللازم الـذي هـو العمـل الظـاهر يقتضي انتفاء الملزوم كقوله: {ولو كانوا يؤمنون بالله} [المائدة: 81] {ولو كانوا يؤمنون} إذا: لا يؤمنون، هذا نفي {ولو كانوا يؤمنون بالله والنـبي ومـا أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء}. وقال ابن تيميـة رحمـه اللـه تعـالى بعـد كلام طويل ذكرنا شيئا منه: وقد تـبين أن لفـظ الإيمـان حيث أطلـق في الكتـاب والسنة دخلت فيه الأعمال. إذا له حقيقة شرعية. وقـال أيضـا موضـع آخـر: ولهذا كان القول إن الإيمان قول وعمل عند أهل السنة ومن شعائر السـنة. من شعائر السنة ولهذا كان القول إن الإيمان قول وعمل هذا التعبـير وهـذا الاعتقاد بأن العمل داخل في مسمى الإيمان وأنه ركن صار هذا القـول عنـد أهل السنة يعني خاصا بهم أهل السـنة والجماعـة، ولا يشـمل المرجئـة، ولا الجهمية، ولا الخوارج، ولا المعتزلة، ومن شعائر السنة يعني: مما يـدل على أن صاحبهم من أهل السنة إذا قال بأنه قول وعمـل، وإذا قـال: بـأن العمـل ليس داخل في مسمى الإيمان لم يكن من أهل السنة البتة، وحكا غير واحد الإجمـاع على ذلـك، غـير واحـد حكـا الإجمـاع على ذلـك، وقـد ذكرنـا عن

[1] () شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي 18/16

الشافعي ما ذكـره من الإجمـاع على ذلـك قولـه: في ((الأم))، إيش الأم أو الأب؟ كتـاب، قولـه في ((الأم)) - هـذا الشـافعي رحمـه اللـه تعـالى: وكـان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن أدركنـاهم يقولـون: الإيمـان قول وعمل ونية. الإيمان قول وعمل ونية، نية هذا داخل في عمل القلب، لا يجزئ واحد من من الثلاثة إلا بالآخر، حينئذ هذا النص الذي حكـاه الشـافعي إذا قال: لا يجزئ واحد من هذه الثلاثة إلا بالآخر يدل على أن العمـل شـرط كمال أو ركن، ركن لأنه لو كان شرط كمـال **لأجزأ قـول القلب وقـول** اللسان عن العمـل الظـاهر، وهـو يقـول: لا يجـزئ واحـد دون الآخـر إلا مـع قرينه، حينئذ نقول العمل ركن وداخل في مسمى الإيمان.." [1]

"إذا قول المصنف هنا (لا خلاف) يعني: عند أهل السنة والجماعة، وهـو الـذي ذكرنـاه من عقيـدة أهـل السـنة والجماعـة، وأمـا النظـر في أقـوال المبتدعة وأدلتهم هذا قد يأتينا إن شاء اللـه في محلـه في ((الواسـطية)) لا خلاف عند أهل السنة والجماعة أن التوحيد لا بد أن يكون بـالقلب واللسـان والعمـل، إذا قسـم المصـنف هنـا التوحيـد باعتبـار محلـه إلى ثلاثـة أقسـام:
الأول: توحيد القلب، وهذا أهم الأقسام وأعظمها ولا يسـقط أبـدا، لا يتصـور العقل أن هذا يسقط، لأنه لا يدخله إكراه ولا عذر أبدا، ولذلك قـال: {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمـان} [النحـل: 106] أكـره على مـاذا؟ إذا اسـتثنى القلب ماذا بقي؟ القـول والعمـل، إذا يمكن أن يقـع الإكـراه في القـول في اللسان #1.03.16 القـرآن أكـره ففعلـه يكـون معـذورا، بشـرط أن يكـون الإكراه ملجئا **سواء قول القلب وهو** التصـديق والإقـرار أو عمـل القلب وهو الإخلاص والمحبة والخوف الخشية .. إلى آخره، وعمل القلب أكـثر من قولـه: أليس كـذلك؟ أيهمـا أكـثر؟ عمـل القلب أكـثر.
الثاني: توحيد اللسان، وهـو قـول: لا إلـه إلا اللـه، وهـو فـرض لا يسـقط ولا يعـذر فيـه إلا بـالإكراه.
الثالث: توحيد الجوارح وهو العمـل بلا إلـه إلا اللـه كالتوجـه إلى اللـه تعـالى وحـده والاسـتغاثة بـه وحـده والـذبح للـه وحـده، هـذا من عمـل الجـوارح.
قال هنا: (فإن اختل شئ من هـذا لم يكن الرجـل مسـلما). قـال: (مسـلما) ولم يقـل مؤمنـا، لمـاذا؟
هـل هـو مقصـود أم لا؟
ومـا وجـه القصـد؟
هل لديكم أقوال أخرى؟ لم يقل لم يكن الرجل مسلما دفعا للإيهام لأنـه إذا قال: لم يكن مؤمنا قد يقـال بأنـه موافـق لآيـة الحجـرات {قـالت الأعـراب آمنا} [الحجرات: 14] ماذا قال الله تعالى: {لم تؤمنوا} نفى عنهم الإيمان، هـل نفي الإيمـان يسـتلزم نفي الإسـلام؟ لا، ولـذلك قـال: {ولكن قولـوا أسلمنا} إذا (لم يكن الرجل مسلما) لم يكن مؤمنا دفعا للإيهام، لئلا يستدل مستدل بآية الحجرات فيثبت له الإسلام مع انتفاء الإيمان، نقول هذا باطـل،

[1] () شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي 18/19

لو قال: لو لم يكن الرجل مؤمنا، حينئذ يحتمل أنه بقي على إسلامه للنص. (فإن عرف التوحيد) هذا شروع من المصنف بعد تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو أراد أن يقرر الحق أولا، ثم قسم الناس باعتبار العمل بالتوحيد أن الكلام في العمل القسم الأول قال: (فإن عرف التوحيد ولم يعمل به)، (يعمل) بالإسكان (فإن عرف) محل المعرفة تكون في القلب، (فإن عرف التوحيد ولم يعمل به) المنفي هنا عمل اللسان والجوارح، إذا عرف بقلبه أن التوحيد حق، وأن الله واحد أحد لا شريك له، وأنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه، أقر بهذا، فجاء بقول واعتقاد القلب وهو المعرفة (ولم يعمل به) يعني: لم يأت بعمل اللسان والجوارح وعمل القلب، ما حكمه؟ هذا القسم الأول، عرف التوحيد ولم يعمل به ما حكمه؟

مطلقا. ما هو المانع؟ [أحسنت]. إذا قوله: (فإن عرف التوحيد ولم يعمل به) هذا نوعان، تحته قسمان.
الأول: من حكمنا بكفره.." [1]

"إذا من لم يعرف ولم يعمل فليس معه شيء من القلب ولا اللسان ولا الجوارح فانتفى الإيمان فثبت الكفر، لكنه سببه الجهل، هذا قسم ثالث، وكل ما سبق تقريره في المقدمة هو القسم الأول، وهو من أتى بالتوحيد وعمل به، وهو المؤمن الخالص الذي أقر بقلبه ووجده **عنده قول القلب وعمل** القلب وأقر بلسانه الشهادتين وعمل بجوارحه، حينئذ تكون الأقسام أربعة، من جمع بينهما فهو المؤمن لم يذكره المصنف لأنه معلوم مما سبق، وإنما ذكر هذين الصنفين لعموم البلوى بهما.." [2]

"تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة
قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله، وينقص حتى لا يبقى منه شيء].
هذا معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان، فهم يقولون: الإيمان قول وعمل، والقول المراد **به: قول القلب وهو** التصديق والإقرار، وقول اللسان وهو النطق.
والعمل المراد به: عمل القلب وهو النية والإخلاص والصدق والمحبة والخشية، وعمل الجوارح، فيكون الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول باللسان وقول بالقلب، وعمل بالقلب وعمل بالجوارح.
والسلف لهم عبارات في تعريف الإيمان، منها أنهم يقولون: الإيمان إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.
ولهم من العبارات: الإيمان قول **وعمل، قول القلب وقول** اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح، ومنها قولهم: الإيمان قول وعمل ونية.
وقوله: (يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء) الصواب أنه لا بد

[1] () شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي 18/20
[2] () شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي 18/26

أن يبقى منه شيء؛ لأنه إذا لم يبق منه شيء فقد وصل إلى الكفر، فهذه العبارة ليست سليمة، وهي قوله: (لا يبقى منه شيء) بل لا بد أن يبقى منه شيء، إلا إذا أراد ذلك بالنسبة للكافر فإن ذلك صحيح، فإنه ينتهي حتى لا يبقى منه شيء بالنسبة للكافر، أما المؤمن فلا بد أن يبقى منه شيء، فإذا كثرت المعاصي والجرائم ضعف الإيمان، حتى لا يبقى منه إلا مثقال ذرة، أو أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، لكن صاحبه لا يخلد في النار. ولا ينتهي إلا إذا وصل إلى الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر، أما المعاصي ولو عظمت فإنها لا تقضي على الإيمان، وهذه البقية من الإيمان هي السبب في خروج العصاة من النار، وفي حديث الشفاعة قال صلى الله عليه وسلم: (يخرج من النار من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان).." [1]

"ما يخرج به المسلم من ضلالات الفرق الأربع

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليا على جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم في الباقين إلا بخير ودعا لهم فقد خرج من التشيع أوله وآخره.

ومن قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره.

ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره.

ومن قال: المقادير كلها من الله عز وجل، خيرها وشرها، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره، وهو صاحب سنة].

(من قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليا) في الفضيلة وفي الخلافة، (ولم يتكلم في الصحابة إلا بخير)، فهذا من أهل السنة وخرج من التشيع؛ لأن الشيعة والرافضة يرون أن أبا بكر وعمر وعثمان اغتصبوا الخلافة، وأن الخليفة الأول هو علي، وأن النبي صلى الله عليه وسلم نص على اثني عشر إماما أولهم علي وآخرهم محمد بن الحسن الذي دخل في سرداب سامراء في العراق سنة مائتين وستين هجرية، وأن الصحابة كفروا وارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأخفوا النصوص التي فيها النص على الأئمة، وولوا أبا بكر زورا وظلما وعدوانا، ثم ولوا عمر زورا وظلما وبهتانا، ثم ولوا عثمان زورا وبهتانا، ثم وصلت إلى الخليفة الأول وهو علي.

(ولم يتكلم في الباقين من الصحابة إلا بخير، ودعا لهم، فقد خرج من التشيع أوله وآخره).

أما من تكلم في الصحابة وسب الصحابة وسب أبا هريرة فهذا شيعي.

ومن سب أبا بكر وعمر وعثمان وعلي فهو رافضي.

[1] () شرح كتاب السنة للبربهاري - الراجحي، عبد العزيز الراجحي 5/2

وهذه علامة السني الذي يخرج من التشيع، وهي أن يقدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليا على جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يتكلم في الباقين من الصحابة إلا بخير، ويدعو لهم، فهذا يخرج من التشيع أوله وآخره.

(ومن قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء كله أوله وآخره).

من قال: **الإيمان قول القلب وهو** التصديق والإقرار، وقول اللسان وهو النطق، وعمل القلب وهو النية والإخلاص والصدق والمحبة، وعمل الجوارح، ومن قال: إن الإيمان يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء كله وآخره.

ومن قال: إن تصديق القلب، والأعمال ليست من الإيمان، فهو من المرجئة.

ومن قال: الإيمان هو معرفة الرب بالخلق، فهذا قول مرجئة الجهمية، وهذا أفسد قول قيل في الإيمان، فالجهمية يقولون: الإيمان معرفة الرب بالقلب، والكفر جهل الرب بالقلب، فمن عرف ربه بقلبه فهو مؤمن، ومن جهل ربه بقلبه فهو كافر، والجهمية هم أشد الناس إرجاء، وألزمهم العلماء على هذا التعريف: أن يكون إبليس مؤمنا؛ لأنه يعرف ربه بقلبه، وأن فرعون مؤمن؛ لأنه يعرف ربه بقلبه، وأن اليهود مؤمنون؛ لأنهم يعرفون ربهم بقلوبهم، وأن أبا طالب مؤمن؛ لأنه يعرف ربه بقلبه، وهذه الطائفة الأولى من المرجئة.

والطائفة الثانية من المرجئة وهم الكرامية الذين يقولون: إن الإيمان هو النطق باللسان فقط، فإذا نطق بلسانه الشهادتين فهو مؤمن كامل الإيمان، ولو كان مكذبا في قلبه، فجمعوا بين متناقضين. فيلزم على قولهم أن يكون المؤمن كامل الإيمان يخلد في النار. هذا قول الطائفة الثانية من المرجئة.

والطائفة الثالثة من المرجئة يقولون: الإيمان تصديق القلب فقط، وهذا قول الماتريدية والأشاعرة، وهو رواية عن الإمام أبي حنيفة.

الطائفة الرابعة: هم مرجئة الفقهاء ويقولون: الإيمان تصديق القلب والإظهار باللسان.

وكل المرجئة بطوائفهم الأربعة يقولون: الأعمال ليست من الإيمان.

قال: (ومن قال بصحة الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة ولا يرون الخروج على السلطان بالسيف، ويدعون له بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره)؛ لأن الخوارج لا يرون الصلاة خلف أئمة الجور، بل يرون أن الإمام إذا فعل كبيرة كفر وحل دمه وماله ووجب قتله. ولا يصلون خلف الإمام الفاجر الفاسق ولا يجاهدون معه، ويخرجون عليه بالسيف ولا يدعون له.

قال المؤلف: (ومن قال: المقادير كلها من الله عز وجل خيرها وشرها؛

يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة)؛ لأن القدرية يقولون: الخير من الله والشر من العبد، بل يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة للعبد غير مخلوقة لله، فالعبد هو الذي يخلق فعل نفسه، خيرها وشرها، طاعة أو معصية، كفرا أو إيمانا. ولهذا يقولون: يجب على الله أن يثيب المطيع وهو يستحق الأجر من الله، كما يستحق الأجير أجرته؛ لأنه هو الذي خلقه فعلا، وأن الله يجب عليه أن يعذب العاصي؛ لأن الله توعده والله لا يخلف الميعاد.." [1]

"الجواب: لا. وإنما نظرنا إلى أن الله عز وجل قسم الناس وطوائف الناس في أول سورة البقرة إلى ثلاثة أنواع، وذكر منهم من قال لا إله إلا الله، ثم قال: {وما هم بمؤمنين} [البقرة: 8] إذا بنص آخر منفصل عن هذه النصوص، واضح هذا؟ إذا النظر في هذه النصوص ليس على إطلاقه، وإنما هو نظر في بقيتها. ولذلك قال رحمه الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط (فلا بد من قول القلب، وقول اللسان، وقول القلب يتضمن من معرفتها، والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته - من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب علما ومعرفة ويقينا، وحالا – ما يوجب تحريم قائلها على النار، وكل قول) هذه قاعدة مرت معنا (وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام) يعنى الذي يجمع بين اللفظ وما يقوم بالقلب، وهنا نعم كذلك، ولكن ما يقوم بالقلب وما يتضمنه القول التام إنما هو من بمجموع النصوص ليس بالنص الذي ذكره رحمه الله تعالى.

إذا هذه تتمة لما ذكرناه سابقا.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (فيه مسائل) يعنى في هذا الباب (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب). (فيه مسائل) والضمير هنا يعود على الباب، و (مسائل) كما ذكرنا جمع مسألة، وهي ما يبرهن عليه في العلم، وهذه المسائل أشبه ما تكون بالشرح للأحاديث أو الفوائد المأخوذة من الآية والنصوص المذكورة معها من السنة النبوية.

(الأولى: - المسألة الأولى - سعة فضل الله). الله عز وجل يثبت له الفضل وأنه واسع الفضل، وهذا أخذه المصنف من قوله صلى الله عليه وسلم («أدخله الله الجنة على ما كان من العمل») وعرفنا أن قوله: («ما كان من العمل») يعنى من صلاح أو فساد، حينئذ من كان عمله فيه فساد ومع ذلك قال: (لا إله إلا الله) وآمن بالخمس المذكورة في الحديث نقول: هذا فضل من الله عز وجل تكرم به على هذا العاصي. إذا فيه (سعة فضل الله) تعالى لقوله: («أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»)، ولحديث أنس بحيث أتاه العبد بملء الأرض خطايا، خطايا هذا عام يشمل كبائر وصغائر ثم

[1] () شرح كتاب السنة للبربهاري - الراجحي، عبد العزيز الراجحي 16/4

لقيه لا يشرك به شيئا لقيه بمثلها مغفرة فما أعظمه من فضل. (الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله). يعنى التوحيد له ثواب عند الله، وهو حسنة، وهو أكبر الحسنات وأكملها، لقوله: («مالت بهن لا إله إلا الله») يعنى لو وضعت السماوات السبع في كفة ومعها الأرضون السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله، ولكونه من مات على التوحيد دخل الجنة وحرم على النار، وكلمته ترجح بجميع المخلوقات. إذا (كثرة ثواب التوحيد عند الله) لقوله: («مالت بهن لا إله إلا الله»). (الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب). (مع ذلك) يعني المشار إليه هنا تكفيره مع ذلك للذنوب يعنى ما سبق من المسألتين، أو مع (كثرة ثواب) كذلك يكفر الذنوب، يعنى له ثواب حسنات رفعة درجات، ومع ذلك يكفر الذنوب (تكفيره مع ذلك للذنوب) لقوله: («لأتيتك بقرابها مغفرة») فحسنة التوحيد تكفر عنه جميع الخطايا إذا لقي الله بهن، فمن مات على التوحيد بالقيد الذي في حديث أنس ليس مطلقا لا يشرك بالله شيئا غفر الله ذنوبه لأنه يتضمن الإخلاص، وهو كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى يمنع صاحبه أن يصر على الذنوب بل يتوب منها فتكفر عنه.." [1]

"قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له، والعبودية له. كذا قال أهل اللغة، الإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له، والاستسلام والخضوع إنما يكون بالقلب، إذا الإسلام ولو كان يفسر في بعض الأحاديث بالأعمال الظاهرة لا يمكن أن ينفك عن المعنى الباطن، لا يمكن أن ينفك، لأن الإسلام هو الاستسلام لله والخضوع لله عز وجل والعبودية لله، وهذه أصلها ومحلها القلب، إذا ليس بأمر ظاهر، ولذلك هنا أطلقه فدخل فيه الإيمان، وفي ((المفردات)): والإسلام الدخول في السلم - الإسلام الدخول في السلم - وهو أن يسلم كل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه. ثم قال: والإسلام في الشرع على ضربين - نوعين -: أحدهما: دون الإيمان. يعني يفسر بشيء هو أقل من الإيمان، وهو الاعتراف باللسان دون الإيمان، يعني لا يجتمع معه الإيمان، وهو الاعتراف باللسان، ما فائدة هذا الاعتراف؟ قال: وبه يحقن الدم. وهو ما يسمى عند أهل السنة والجماعة بالإسلام الحكمي، إذا أسلم الكافر وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله. أثبتنا أنه قد دخل في الإسلام، لكن نحكم له بالإسلام الحكمي، لماذا؟ لأن الشهادتين لها مقتضى وهو عمل لا بد أن يعمل، حينئذ إذا أسلم بعد صلاة الفجر وخرج الوقت فقال: لا إله إلا الله. ننتظر حتى يأتي وقت صلاة الظهر، فإن صلى الظهر قبل منه الإسلام ظاهرا وباطنا، وإن لم يصل حينئذ نفينا عنه الإيمان الباطن وإن قال كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله ولا تنفعه لأنها مجرد لفظ فحسب، ولذلك قال هنا: دون الإيمان وهو اعتراف باللسان، وبه يحقن الدم. حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل، لأنه أمر غيبي، وإياه قصد بقوله جل وعلا: {قالت الأعراب آمنا قل لم

---
[1] () شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي 12/6

تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا} [الحجرات: 14]. لوجود العمـل الظـاهر ويحكم عليه بأنه مسلم وتجري عليه أحكام المسلمين، وأما الباطن فأمره إلى الله إلا إذا ظهر مـا يـدل على فسـاد باطنـه، وهـو مـا يسـمى بنـواقض الإسـلام.

والثـاني: فـوق الإيمـان.

الأول: دون الإيمـان.

والثـاني: فـوق الإيمـان.

وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر، بمعنى أن الإسلام النـوع الثـاني يكـون كالإيمـان لا بـد فيه من اعتقاد، ولا بد فيه من قول اللسـان، ولا بـد في من عمـل الجـوارح والأركـان.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: ودين الإسلام الـذي ارتضـاه اللـه وبعث بـه رسله هو الاستسـلام للـه وحـده. فأصـله في القلب، الاستسـلام للـه وحـده فأصله في القلب، والخضوع لـه وحـده بعبادتـه وحـده دون مـا سـواه، فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، وهذا أتى بالشـرك لم يكن مسـلما وإن ادعى أنه مسلم، فإذا جاء بالاستسلام للـه وادعى أنـه خاضـع للـه وأنـه عابد لله وأن ذلك قام بقلبه ثم عبد الله وعبـد غـيره لم يكن مسـلما، وهـذا محـل إجمـاع بين السـلف، ومن اسـتكبر عن عبادتـه، اسـتكبر هـذا لم يكن مسلما، وفي الأصل هو من باب العمـل، يعـني الإسـلام في الأصـل هـو من باب العمل الظاهر، وفي الأصل هو من باب العمل عمـل القلب والجـوارح، وأما الإيمان فأصله تصـديق القلب وإقـراره ومعرفتـه فهـو من **باب قـول القلب المتضمن** عمل القلب، محل الإشكال هنـا أمـرهم بالإسـلام فقـط ولم يأمرهم بالإيمان، ومعلوم أن الإيمـان عبـادة مسـتقلة، والإسـلام عبـادة مسـتقلة، ومعلـوم أن الإسـلام وحـده لا يكفي فكيـف أمـرهم بالإسـلام ولم يـأمرهم بالإيمـان؟

نقـول: الجـواب كمـا قيـل مـرارا أن هـذين اللفظين إذا اجتمـع افترقـا، وإذا افترقا اجتمعا، هذا أصح مـا يقـال في المسـألة، حينئـذ لا يقـال بأنـه أمـرهم بالإسلام ولم يأمرهم بالإيمان، لماذا؟ لأنه أطلق الإسلام هنـا قـال: («ادعهم إلى الإسلام»). إذا دخل فيه الإيمان، إذا ادعهم إلى أقوال وأعمال القلـوب، وكذلك اللسان والجوارح فلا فرق بين هـذا وذاك فصـار مـترادفين، فيطلـق لفظ الإسلام هنـا في مثـل هـذه المواضـع ويـراد بـه العلم علم القلب قـول القلب، وعمل القلب، وكذلك قول اللسان، وأعمال الجوارح والأركان.." [1]

"سـبب تـأليف الرسـالة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [أما بعـد: فإنـك كنت تسـألني عن الإيمـان، واختلاف الأمة في استكماله، وزيادته ونقصه، وتذكر أنـك أحببت معرفـة مـا عليه أهل السنة من ذلك، وما الحجة على من فارقهم فيه، فإن هذا رحمـك الله خطب قد تكلم فيه السلف في صـدر هـذه الأمـة وتابعيهـا ومن بعـدهم

1() شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي 24/11

إلى يومنا هذا، وقد كتبت إليك بما انتهى إلي علمه من ذلك مشروحا ملخصا، وبالله التوفيق].

إذا موضوع الرسالة هو الجواب عن هذا Q ما الإيمان؟ وما حقيقته؟ وما الخلاف في استكماله وزيادته ونقصه؟ وهل من خالف أهل السنة والجماعة ومن خالف السلف من الصحابة والتابعين له حجة أو دليل؟ وقول المؤلف رحمه الله: (فإن هذا رحمك الله) هذا من نصح المؤلف رحمه الله أنه يعلمك ويدعو لك، وهذه طريقة العلماء الربانيين، يعلمون الناس ويدعون لهم.

قوله: (خطب) يعني: أمر عظيم ليس بالأمر الهين، فلابد من تحقيقه.

قوله: (وقد تكلم فيه السلف) أي: أن خير هذه الأمة وتابعيها تكلموا في مسألة الإيمان: هل العمل من الإيمان؟ وهل الإيمان يزيد وينقص؟ فإن هذا الأمر عظيم، ولابد من تحقيقه؛ لأن فيه سلامة دين المرء وإيمانه واعتقاده في ربه ونبيه ودينه، والمؤلف يقول: قد تكلم فيه السلف من الصحابة ومن بعدهم، كما سيأتي أن المؤلف رحمه الله ساق الأدلة والنصوص عن الصحابة كقول معاذ بن جبل: (اجلس بنا نؤمن ساعة) يعني: يزيد إيماننا. فالسلف من الصحابة والتابعين والأئمة ومن بعدهم بينوا حقيقة الإيمان، وأنه إقرار باللسان وتصديق بالقلب، وعمل بالقلب وعمل بالجوارح، فهذه هي حقيقة الإيمان التي دلت عليها النصوص من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبينها أهل العلم من الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم.

إذا: حقيقة الإيمان تشمل هذه الأمور الأربعة: قول اللسان وهو النطق، فلابد أن يتلفظ المسلم بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ولابد **من قول القلب وهو** الإقرار والاعتراف والتصديق، ولابد من عمل القلب، وهو النية والإخلاص والصدق والمحبة والانقياد، ولابد من عمل الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحج وبر الوالدين، وصلة الرحم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والإحسان إلى الجيران، وكف المسلم نفسه عن المحرمات التي أعظمها وأغلظها الشرك بالله عز وجل، والعدوان على النفس في الدماء، والعدوان على الناس في الأموال، والعدوان على الناس في الأعراض، فينتهي عن المحرمات تدينا وإيمانا بالله، وبما جاء عن الله وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك المحرمات، فهذه هي حقيقة الإيمان التي دلت عليها النصوص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وقد قال كثير من السلف: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان، يعني: القلب، وعمل بالأركان، يعني: الجوارح.

وقال بعضهم: الإيمان عمل ونية، عمل القلب وعمل الجوارح، وهذه هي حقيقة الإيمان، ولهذا قال المؤلف رحمه الله: (إن هذا خطب قد تكلم فيه

السلف في صدر الأمة وتابعيها ومن بعدهم إلى يومنا هذا) يعني: هذا أمر واضح، ليس أمرا خفيا؛ لأن الإيمان هو الذي أراده الله تعالى من عباده وخلقهم من أجله، فالله خلق الخلق ليعبدوه ويؤمنوا به ويوحدوه، ويمتثلوا أمره ويجتنبوا نهيه، ويلتزموا شرعه ودينه، ويقفوا عند حدوده، ويستقيموا على شرعه ودينه، فهذا الأمر لا بد أن يكون واضحا وجليا، ولهذا فإن النصوص من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واضحة في هذا، قال الله تعالى: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون} [الأنفال:2]، {الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون} [الأنفال:3]. {أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم} [الأنفال:4].

فبين الله سبحانه وتعالى أن من صفات المؤمنين حقا أنهم الذين توجل قلوبهم عند ذكر الله، ويزدادون إيمانا عند تلاوة آياته، ويتوكلون على الله، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وهذه الأعمال شملت أعمال الجوارح وأعمال القلوب، فوجل القلب عند ذكر الله من أعمال القلوب، وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فهذه أعمال، وكلها داخلة في مسمى الإيمان، {أولئك هم المؤمنون حقا} [الأنفال:4]، وقال سبحانه: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون} [الحجرات:15]، فهؤلاء هم الصادقون في إيمانهم، آمنوا بالله وبرسوله، ولم يرتابوا ولم يشكوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، فدل على أن من لم يأت بالأعمال ليس صادقا في إيمانه، فيقال: ليس بصادق الإيمان، ليس بمؤمن حقا، فالفاسق والعاصي والمرتكب للكبيرة، وإن كان داخلا في اسم الإيمان، إلا أنه لا يطلق عليه الإيمان، بل لابد من النفي، نفيا وإثباتا، فلا يقال: مؤمن بإطلاق، ولا يقال: ليس بمؤمن بإطلاق، بل لابد أن يقيد في النفي وفي الإثبات، في الإثبات تقول: مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن ضعيف الإيمان، مؤمن فاسق بإيمانه، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وفي النفي تقول: ليس بمؤمن حقا، ليس بصادق الإيمان؛ لأنك إذا أثبت له الإيمان قلت: هو مؤمن بإطلاق، وهو عاص يرتكب الكبائر، فقد وافقت المرجئة، وإذا قلت: ليس بمؤمن ونفيت عنه الإيمان، فقد وافقت الخوارج والمعتزلة، فلابد من التقييد في النفي والإثبات، مؤمن ناقص الإيمان، وفي النفي ليس بصادق الإيمان، قال سبحانه: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} [النساء:65]، وثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة)، وهذه رواية مسلم، وفي رواية البخاري: (الإيمان بضع وستون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان).

فهذا الحديث دل على أن الإيمان شعب متعددة كثيرة كلها داخلة في مسمى الإيمان، ومثل النبي صلى الله عليه وسلم لأعلاها وأدناها، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، أي: كلمة التوحيد، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وبين الأعلى والأدنى شعب متفاوتة منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة الإماطة، والصلاة شعبة، والزكاة شعبة، والصوم شعبة، وبر الوالدين شعبة، وصلة الرحم شعبة، والأمر بالمعروف شعبة، والنهي عن المنكر شعبة، والإحسان إلى الجيران شعبة، والإحسان إلى اليتامى والأرامل والمساكين والحيوانات كلها من شعب الإيمان وهكذا. ومثل النبي صلى الله عليه وسلم للشعبة القولية بكلمة التوحيد، والشعبة العملية بإماطة الأذى عن الطريق، والشعبة القلبية بالحياء، فدل على أن أعمال الجوارح وأعمال القلوب وأقوال اللسان كلها داخلة في المسمى، وهذا هو الذي أقره أهل السنة والجماعة، ومنهم الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد وغيرهم من أهل العلم كـ سفيان الثوري وسفيان بن عيينة وإسحاق بن راهويه، وهو الذي عليه الصحابة والتابعون والأئمة. وفي حديث وفد عبد القيس: (لما جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: إنه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، ولا نستطيع أن نخرج إليك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر فصل نعمل به ونخبر به من وراءنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، آمركم بأربع: شهادة أن لا إله إلا الله، أتدرون ما شهادة أن لا إله إلا الله؟ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمس ما غنمتم)، وفي اللفظ الآخر: (آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم)، ففسر الإيمان بهذه الأمور الخمسة، بالشهادة: أي: بكلمة التوحيد، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأداء الخمس، وهذه أعمال، فدل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان، والأدلة في هذا كثيرة، وأقوال العلماء في هذا كثيرة، كما بين أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله وبينه غيره من أهل العلم، وقد ألف أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتابا في الإيمان، كتابا كبيرا وكتابا صغيرا، وكلاهما عظيم في بيان الإيمان وما يكون في مسمى الإيمان وبيان من خالفه.." [1]

"الفرق بين القول والعمل في القلب واللسان

Q ما الفرق **بين قول القلب وعمله**، وقول اللسان وعمله؟

A **قول القلب التصديق** والإقرار، وعمل القلب النية والإخلاص، والصدق والمحبة، وقول اللسان النطق، وقد يسمى قول اللسان عملا.." [2]

"خلاصة معتقد أهل السنة في الإيمان

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فالأمر الذي عليه السنة عندنا ما نص عليه

---

[1] () شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي 1/7

[2] () شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي 2/12

علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا، وأنه درجات بعضها فوق بعض، إلا أن أولها وأعلاها الشهادة باللسان، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي جعله فيه بضعة وسبعين جزءا، فإذا نطق بها القائل وأقر بما جاء من عند الله لزمه اسم الإيمان بالدخول فيه، لا بالاستكمال عند الله، ولا على تزكية النفوس، وكلما ازداد لله طاعة وتقوى ازداد به إيمانا].

هذه الأسطر الستة خلاصة لمعتقد أهل السنة والجماعة تكتب بماء الذهب، ولو كتبت بماء الذهب لم يكن فيها كثيرا، وفيها بيان القاعدة العظيمة عند أهل السنة والجماعة في الإيمان، فجدير بالمسلم أن يكتب هذه الأسطر في ورقة ويجعلها في جيبه دائما؛ حتى يتبين له مذهب أهل السنة والجماعة ويرد على المرجئة في هذا.

يقول المؤلف رحمه الله: [فالأمر الذي عليه السنة عندنا] يعني معشر أهل السنة والجماعة والأئمة والعلماء [ما نص عليه علماؤنا] يقول صاحب الحاشية: أي ما مضى عليه علماؤنا، يعني: ما استمروا عليه واعتقدوه وقرروه [مما اقتصصنا في كتابنا هذا] يعني: مما ذكرنا في كتابنا هذا من الأدلة والنصوص [أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا] فيكون ثلاثة أجزاء: النية، والقول، والعمل، فلابد من النية في الصلاة، وفي الزكاة، وفي الصوم، وفي الحج وفي سائر العبادات؛ لحديث: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرء ما نوى)، فلا تصلح الأعمال إلا بالنية، فالنية من الإيمان، والقول يشمل قول اللسان وهو النطق، وقول القلب، وهو التصديق والإقرار، والعمل يشمل عمل القلب وعمل الجوارح، فيكون الإيمان مكونا من النية والقول والعمل.

فيقول الإمام أبو عبيد رحمه الله: [أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا، وإنه درجات بعضها فوق بعض] خلافا للمرجئة الذين يقولون: الإيمان شيء واحد ولا يوجد درجات ولا نية ولا عمل، ولا يوجد **إلا قول القلب وتصديق** القلب فقط قال: [وأنه درجات بعضها فوق بعض، إلا أن أولها وأعلاها] أي: أول الدرجات وأعلاها [الشهادة باللسان] وهي كلمة التوحيد؛ لأنها أصل الدين وأساس الملة، وأول درجات الإيمان وأصلها وأسها الذي تنبني عليه الأعمال، وهي الشهادة لله تعالى بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، وجملتها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله).

قال: [كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي جعله فيه بضعة وسبعين جزءا] والضمير يعود إلى الإيمان، يشير إلى الحديث الذي في الصحيحين: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) فإذا نطق القائل بكلمة التوحيد، وقال: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) وأقر بما جاء من عند الله والترم واعترف وصدق بالأوامر والنواهي [لزمه اسم الإيمان بالدخول فيه] أي أنه يسمى مؤمنا [لا بالاستكمال عند الله]، فلا نقول: إن

إيمانـه مسـتكمل حـتى يمتثـل الأوامـر ويجتنب النـواهي، [ولا على تزكيـة النفوس] أي: وليس له أن يقول: أنا مؤمن، فيزكي نفسه، ولكن يقـول: أنـا مـؤمن إن شـاء اللـه أرجـوه، كمـا قـال بعض السـلف، وكمـا سـيأتي. قـال: [وكلمـا ازداد للـه طاعـة وتقـوى ازداد إيمانـا] أي: إذا أدى الإنسـان الفرائض فهو مـؤمن، لكن إذا زاد عليهـا السـنن الـرواتب والضـحى، وتحيـة المسجد، وسنة الوضوء، وصلاة الليـل، وكـذلك زاد في الصـيام فصـام ثلاثـة أيام من كل شهر، والإثنين والخميس، وتسـع ذي الحجـة، وسـتا من شـوال، والتاسـع والعاشـر من محـرم زاد تقـواه وإيمانـه، وكـذلك الزكـاة إذا أداهـا وتصدق من غيرها زاد إيمانه، خلافا للمرجئة الذين يقولـون: الإيمـان لا يزيـد ولا ينقص.." [1]

"تأويـــل المرجئـــة للأدلـــة الـــتي تـــدل على زيـــادة الإيمـــان
قال المؤلف رحمه الله: [وأما الذين رأوا الإيمان قولا ولا عمل فـإنهم ذهبـوا في هذه الآيـات إلى أربعـة أوجـه: أحـدها: أن قـالوا: أصـل الإيمـان الإقـرار بجمل الفرائض، مثل الصلاة والزكاة وغيرها، والزيادة بعد هـذه الجمـل: هـو أن تؤمنـوا بـأن هـذه الصـلاة المفروضـة هي خمس، وأن الظهـر هي أربـع ركعــــات والمغــــرب ثلاث، وعلى هــــذا رأوا ســــائر الفــــرائض. والوجـه الثـاني: أن قـالوا: أصـل الإيمـان: الإقـرار بمـا جـاء من عنـد اللـه، والزيــــــــــــادة تمكن من ذلــــــــــــك الإقــــــــــــرار. والوجه الثـالث: أن قـالوا: الزيـادة في الإيمـان: الازديـاد من اليقين والوجـه الرابـع: أن قـالوا: إن الإيمـان لا يـزداد أبـدا، ولكن النـاس يـزدادون منـه]. ذكر المؤلف رحمه الله في هـذا مـذهب المرجئـة وتـأويلهم لهـذه النصـوص التي فيها التصريح بزيادة الإيمان، فقـال: وأمـا الـذين رأوا الإيمـان قـولا ولا عمل -وهم المرجئة- فقد قالوا: إن الإيمان هـو قـول القلب، وهـو التصـديق والإقــرار. وقـــــولهم: (ولا عمـــــل) يعـــــني: ولا يـــــدخل العمـــــل في مســـــماه. فقـالوا: إن الإيمـان **هـو قـول القلب وتصـديقه** وإقـراره بـدون عمـل، وذهبوا بهذه الآيات إلى أربعة أوجه، أي: تأولوا هذه الآيات الخمس الصريحة في أن الإيمان يزيد على أربعة تأويلات: التأويل الأول: قـالوا: أصـل الإيمـان الإقرار بجمل الفرائض، مثل الصلاة والزكـاة وغيرهـا فقـالوا: أصـل الإيمـان هو: أن يقر المسلم بجمل هذه الفرائض، أي: يؤمن بها إيمانا مجملا، فيؤمن بأن الله فرض الصلاة، وفرض الزكاة وفرض الصـوم وفـرض الحج، ثم بعـد ذلك جاءت نصوص أخرى تفصل هذه النصـوص المجملـة، ففصـلت الصـلاة، بأنها خمس صـلوات مفروضـة في اليـوم والليلـة، وبـأن صـلاة الظهـر أربـع ركعات، وصلاة العصر أربع ركعات، وصلاة المغرب ثلاث ركعات، إلى آخـره. وكـذلك أيضـا الزكـاة جـاءت النصـوص بتفصـيلها وبيـان أنصـبتها، واشـتراط الحول للأموال، وما يشترط له الحول، وهكذا الصوم جاء تفصيله بأنه صـوم

[1] () شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي 5/6

شهر رمضان، وبأنه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وهكذا الحج جاء تفصيله بأنه لا يجب في العمر إلا مرة.
فتأولوا الزيادة في الإيمان على أن المراد بها تفصيل النصوص المجملة فقالوا: النصوص المجملة جاءت بوجوب الصوم والصلاة والزكاة والحج، فآمن بها المسلمون، ثم جاء تفصيلها بعد ذلك، فالتفصيل هو الزيادة، فتأولوا الزيادة على أنها هذا التفصيل.
التأويل الثاني: قالوا: إن أصل الإيمان هو: الإقرار بما جاء من عند الله والتصديق، وأما الزيادة في قوله تعالى: (ليزدادوا إيمانا) فتأولوها على أنها التمكن من ذلك الإقرار, فقالوا: معنى قوله تعالى: (ليزدادوا إيمانا) ليتمكنوا من الإقرار، ويثبت في قلوبهم ويرسخ فعلى هذا يكون الإيمان: التصديق والإقرار.
وقوله: ((ليزدادوا إيمانا)) يعني: ليتقوى الإيمان، ويرسخ ويثبت في قلوبهم.
التأويل الثالث: تأولوا الزيادة على أنها: الزيادة من اليقين فقوله تعالى: {ويزداد الذين آمنوا إيمانا} [المدثر:31] يعني: يزدادون يقينا، فالإيمان واحد والزيادة هنا المراد بها: الازدياد من اليقين، وإلا فالإيمان موجود واليقين حاصل.
التأويل الرابع: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولكن الناس هم الذين يزدادون منه.
فهذه تأويلاتهم للنصوص، وسيتعقبها المؤلف رحمه الله ببيان بطلانها.." [1]
"بيان تناقض القائل بأن الإيمان قول دون العمل
قال المؤلف رحمه الله: [وزعم من خالفنا أن القول دون العمل، فهذا عندنا متناقض؛ لأنه إذا جعله قولا فقد أقر أنه عمل، وهو لا يدري بما أعلمتك من العلة الموهومة عند العرب في تسمية أفعال الجوارح عملا].
قوله: [وزعم مخالفنا] أي: المرجئة [أن الإيمان هو القول دون العمل]. ويقصدون **بالقول: قول القلب وإقراره** وتصديقه, أي: زعمت المرجئة أن الإيمان: هو تصديق القلب وإقراره، وأن العمل لا يدخل في مسماه.
يقول المؤلف رحمه الله: هذا متناقض؛ لأنه إذا جعله قولا فقد أقر أنه عمل؛ **لأن قول القلب وإقراره** وتصديقه عمل من أعمال القلب، وذلك لأن العرب تسمي أفعال الجوارح عملا، وبه استدل المؤلف رحمه الله على تسمية قول اللسان عملا، فيقول: إن المرجئة متناقضون بقولهم: إن الإيمان هو القول دون العمل؛ لأن القول الذي هو التصديق والإقرار هو عمل للقلب وقول اللسان ونطقه عمل وقد جاءت النصوص بتسمية النطق باللسان عملا, وكذلك العرب تسمي أفعال الجوارح عملا، فأفعال الجوارح تسمى عملا، وقول اللسان يسمى عملا وإقرار القلب وتصديقه يسمى عملا.." [2]

[1] شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي 7/3
[2] شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي 8/3

"تحذير السلف من مجالسة أهل الإرجاء

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: ذكر ما عابت به العلماء من جعل الإيمان قولا بلا عمل، وما نهوا عنه من مجالسهم.

قال أبو عبيد: حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو السيباني قال: قال حذيفة: (إني لأعرف أهل دينين، أهل ذينك الدينين في النار: قوم يقولون: الإيمان قول وإن زنى وإن سرق، وقوم يقولون: ما بال الصلوات الخمس؟ وإنما هما صلاتان، قال: فذكر صلاة المغرب أو العشاء وصلاة الفجر) قال: وقال ضمرة بن ربيعة يحدثه عن يحيى بن أبي عمرو السيباني عن حميد المقرائي عن حذيفة قارن حديث حذيفة هذا قد قرن الإرجاء بحجة الصلاة].

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب لبيان الآثار الواردة عن السلف والصحابة والتابعين فمن بعدهم في عيب المرجئة وذمهم والنهي عن مجالستهم، وهم الذين يقولون: إن الإيمان قول بلا عمل، **أي: قول القلب وتصديقه** وإقراره بلا عمل، وأن أعمال الجوارح وأعمال القلوب لا تدخل في مسمى الإيمان، ثم ذكر أثر حذيفة رضي الله عنه قال: [إني لأعرف أهل دينين أهل ذينك الدينين في النار: قوم يقولون: الإيمان قول وإن زنى وإن سرق]، يعني: المرجئة يقولون: إيمان العاصي كامل مثل إيمان المطيع، سواء بسواء.

قوله: [وقوم يقولون: ما بال الصلوات الخمس؟ وإنما هما صلاتان. قال: فذكر صلاة المغرب أو العشاء وصلاة الفجر، قال: وقال ضمرة بن ربيعة يحدثه عن يحيى بن أبي عمرو السيباني عن حميد المقرائي عن حذيفة، قارن حديث حذيفة هذا قد قرن الإرجاء بحجة الصلاة] هذا الأثر فيه بعض السقط، لكن كأنه يقول: إن حذيفة رضي الله عنه عقد مقارنة بين المرجئة الذين يقولون: الإيمان قول بالقلب وتصديق بالقلب ولا ينقص الإيمان ولو زنى ولو سرق، وبين من يقول: الصلاة الواجبة صلاتان في اليوم والليلة لا خمس صلوات؛ وإنما هما صلاة المغرب وصلاة الفجر، أو صلاة العشاء وصلاة الفجر فقط، فهذا دليل على ذم المرجئة وعيبهم، وأن مذهبهم مذهب مذموم.

فمن أنكر وجوب الصلوات الخمس فإنه يكفر والعياذ بالله، ومن قال: لا يجب في اليوم والليلة إلا صلاتان فقد كفر، ومن قال: إن الإيمان قول والأعمال مطلوبة لا يكفر، لكنه قرن بهؤلاء في الذم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وبذلك وصفهم ابن عمر أيضا.

قال أبو عبيد: حدثنا علي بن ثابت الجزري عن ابن أبي ليلى عن نافع عن ابن عمر قال: (صنفان ليس لهم في الإسلام نصيب: المرجئة، والقدرية)].

هذا -أيضا- فيه ذم المرجئة، والحديث موقوف على ابن عمر لكنه ضعيف؛ لأن فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وهو ضعيف من جهة حفظه، لكن المرجئة لا شك أن مذهبهم مذموم من جهة أنه خالف النصوص،

وكذلك القدرية الـذين يقولـون: إن أفعـال العبـاد مخلوقـة لهم، ولم يقـدرها اللـــه.
قال المؤلف رحمه الله تعالى: [حدثنا أبو عبيد قال: حدثنا عبـد الـرحمن عن سفيان عن سلمة بن كهيـل قـال: اجتمـع الضـحاك وميسـرة وأبـو البخـتري فـــأجمعوا على أن الشـــهادة بدعـــة، والإرجـــاء بدعـــة، والـــبراءة بدعـــة].
هذا فيـه ذم الشـهادة والإرجـاء والـبراءة، وهـذا الأثـر يقـول المحشـي فيـه: إســـناده إلى ســـلمة بن كهيـــل صـــحيح، وهـــو من صـــفوة التـــابعين.
فـ أبو البختري والضحاك وميسـرة أجمعـوا على بدعيـة هـذه الأمـور الثلاث: الشهادة والإرجاء والـبراء، أي: الشـهادة على معين من المسـلمين أنـه من أهـل النـار أو أنـه كـافر بـدون العلم بمـا ختم اللـه لـه، ويحتمـل أن المـراد الشهادة لمؤمن معين بالجنة، إلا لمن شهدت له النصـوص، فكـون الإنسـان يشهد على شخص معين بأنه من أهل النار بدون دليل وبـدون علم بمـا ختم الله به بدعة، أما من علم أن الله ختم لـه بالنـار -كـ أبي جهـل وأبي لهب - فإنه يشهد عليه بالنـار، ويحتمـل أن المـراد الشـهادة لمـؤمن معين بالجنـة، وإنما يشهد للمؤمنين بالعموم، فيقال: كل المؤمنين في الجنة، أمـا فلان بن فلان فلا يشهد له بالجنة، لكن نرجو للمحسن ونخـاف على المسـيء، وهـذا هو مـذهب أهـل السـنة والجماعـة، إلا من شـهدت لـه النصـوص، كالعشـرة المبشرين بالجنة، والحسن والحسين، وكذلك بلال وابن عمـر، وعكاشـة بن محصـــن.
فالقول بأن الأعمال ليست داخلـة في مسـمى الإيمـان بدعـة وإرجـاء، لكن المرجئة طائفتان: الأولى: المرجئة المحضـة، يقولـون: الأعمـال ليسـت من الإيمـــــــــــــــان وليســـــــــــــــت مطلوبـــــــــــــــة.
والثانيـة: مرجئـة الفقهـاء، يقولـون: الأعمـال مطلوبـة ولكنهـا ليسـت من الإيمـــان.
قوله: [والبراءة بدعة] لعل المراد بالبراءة الـبراءة من أبي بكـر وعمـر كمـا تقـــــــول الـــــــــروافض، يقولـــــــــون: لا ولاء إلا بـــــــــالبراء.
أي: لا يتولى أهل الـبيت إلا بـالبراءة من أبي بكـر وعمـر، فعنـدهم لا يتـولى المرء عليا إلا إذا تبرأ من أبي بكر وعمر، وهذا باطل، بل أهل السنة يتولون الجميع، يتولون أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وأهـل الـبيت جميعـا، ويـنزلونهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها بالإنصاف والعدل لا بالهوى والتعصـب، فقـول الروافض: لا ولاء إلا بالبراء، ولا يتولى أحد أهل البيت ولا يتولى أحد عليـا إلا بـــــــــالبراءة من أبي بكـــــــــر وعمـــــــــر بدعـــــــــة وباطـــــــــل.
قال المؤلف رحمه الله تعـالى: [قـال أبـو عبيـد: حـدثنا محمـد بن كثـير عن الأوزاعي عن الزهري قال: ما ابتدعت في الإسلام بدعة أعز على أهلها من هـــــــــــــــــــــــــــــــــــــذا الإرجـــــــــــــــــــــــــــــــــــــاء].
هـــــــذا فيـــــــه ذم الإرجـــــــاء؛ لأنـــــــه ســـــــمي بدعـــــــة.
قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال أبو عبيـد: حـدثنا إسـماعيل بن إبـراهيم

عن مهدي بن ميمون عن الوليد بن مسلم قال: دخل فلان -قد سماه إسماعيل، ولكن تركت اسمه أنا- على جندب بن عبد الله البجلي فسأله عن آية من القرآن فقال: أحرج عليك إن كنت مسلما لما قمت، أو قال: أن تجالسني.
أو نحو هذا القول].
هذا فيه ذم المرجئة، وأن جندب بن عبد الله الصحابي الجليل لما دخل عليه هذا المرجئ وسأله عن آية قال: أحرج عليك إن كنت مسلما لما قمت من مجلسي، فنهاه عن مجالسته، وهذا فيه ذم المرجئة وأن العلماء من الصحابة والتابعين يعيبونهم ويذمونهم وينهون عن مجالستهم.
قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب قال: قال لي سعيد بن جبير غير سائله ولا ذاكرا له شيئا: لا تجالس فلانا، وسماه أيضا فقال: إنه كان يرى هذا الرأي].
يعني: يرى هذا الرأي الذي هو الإرجاء، فنهى عن مجالسته، وهذا فيه دليل على أن العلماء ينهون عن مجالسة المرجئة ويذمونهم.
قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والحديث في مجانبة الأهواء كثير، ولكنا إنما قصدنا في كتابنا لهؤلاء خاصة].
يعني: الأحاديث والآثار في النهي عن مجالسة أهل البدع وذمهم كثيرة، لكن المقصود في كتابنا هذا النهي عن مجالسة المرجئة خاصة، أما النهي عن بقية أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والجهمية وغيرهم من أهل البدع فالنصوص والآثار عن الصحابة والتابعين كثيرة في ذلك.
قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعلى مثل هذا القول كان سفيان والأوزاعي ومالك بن أنس ومن بعدهم من أرباب العلم وأهل السنة، الذين كانوا مصابيح الأرض وأئمة العلم في دهرهم من أهل العراق والحجاز والشام وغيرها، زارين على أهل البدع كلها، ويرون الإيمان قولا وعملا].
يعني أن الأئمة والعلماء من الصحابة والتابعين كلهم كانوا يذمون أهل البدع وينهون عن مجالستهم ويعيبونهم، منهم سفيان والأوزاعي ومالك بن أنس من أهل العلم وأرباب العلم من أهل السنة الذين هم مصابيح الأرض وأئمة العلم من أهل العراق والحجاز، فهؤلاء كلهم ينهون عن مجالسة أهل البدع ويذمونهم، ويرون أن الإيمان قول وعمل خلافا للمرجئة الذين يرون أن الإيمان قول بلا عمل.." [1]

"قواعد في الإيمان والكفر
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وآله، ورضي الله عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: يقول المؤلف حفظه الله تعالى: [رابعا: الإيمان: أولا: الإيمان لغة: التصديق،

1() شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي 10/2

وفي الشرع: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، **فهو قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، فقول القلب اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان إقراره، وعمل القلب تسليمه وإخلاصه وإذعانه وحبه وإرادته للأعمال الصالحة، وعمل الجوارح: فعل المأمورات وترك المنهيات].

موضوع الإيمان من أهم المواضيع التي يجب أن يعنى بها كل مسلم؛ لأنه ينبني عليها دينه، والإيمان له مفهوم لغوي عام، وله مفهوم شرعي اصطلاحي، وهو المقصود بإطلاق الإيمان في الكتاب والسنة.." [1]

"شرح مختصر الصارم المسلول على شاتم الرسول - بيان ما يتضمنه الكتاب مع بيان حكم من سب النبي

إن تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم واحترامه وتوفيره يعتبر من أصول الإيمان، وبالعكس فإن الاستهزاء والسب له صلى الله عليه وسلم أو لأزواجه يعتبر كفرا مخرجا من الملة؛ لأن سبه صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به يدل على عدم احترامه وإكرامه، وهذا يعني أن عمل القلب غير موجود، فمن زعم الإيمان بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو منافق معلوم النفاق؛ لأن أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة **هي: قول القلب وقول** اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح، فمن فقد أحد هذه الأركان فإن إيمانه غير صحيح.." [2]

"قول القلب وقول اللسان

والإيمان قول وعمل ونية، والقول قولان: قول اللسان وقول القلب، والعمل عملان: عمل القلب وعمل الجوارح، أما قول اللسان فإنه لا يدخل أحد الإسلام وهو يستطيع أن يتكلم بكلمة الإيمان إلا أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولو اعتقد اعتقادا جازما بأن الخالق الرازق المدبر هو الله، وأن المستحق للإفراد بالعبادة هو الله، ولو اعتقد اعتقادا جازما بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الرسول الحق وأنه الصادق المصدوق، ولم ينطق بلسانه، فإنه لا يدخل الإسلام، ولا يمكن أن يحكم له بإسلام قط، فقد قال الله تعالى: (({قولوا آمنا بالله} [البقرة:136]، والقول يكون باللسان، والنبي صلى الله عليه وسلم -كما في الصحيحين- يقول: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا)، وفي الرواية الأخرى: (حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأني رسول الله).

وفي الصحيح أيضا: (لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم على عمه أبي طالب وعنده أبو جهل وعبد الله بن ربيعة قال له: يا عم! قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله).

ووجه الدلالة على أن القول ركن من أركان الإيمان: أن أبا طالب كان مصدقا أن ابن أخيه كان على الحق، وأن دينه هو الدين الحق، ولكن سبب

---

[1] () مجمل أصول أهل السنة، ناصر العقل 8/2

[2] () شرح مختصر الصارم المسلول - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار 3/1

عدم إيمانه به هو مخافة المهانة بين الناس، وأن يقولوا: ترك دين عبد المطلب وأخذ بدين ابن أخيه.

فهذا التصديق الذي كان عند أبي طالب لا ينفعه يوم القيامة بين يدي الله سبحانه وتعالى؛ لأنه امتنع عن التلفظ بالشهادة مع قدرته على ذلك، فليس له حجة عند الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قل لا إله إلا الله قال كلمة أحاج لك بها عند الله)، يعني: ليس لك حجة عند الله إذا لم تتلفظ بهذه الكلمة.

أما قول القلب فهو: التصديق، وغلاة الجهمية والمرجئة حصروا الإيمان في التصديق بالقلب، ونحن **نقول: قول القلب هو** التصديق، قال الله تعالى: {والذي جاء بالصدق وصدق به} [الزمر:33] وقال تعالى: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا} [الحجرات:15] أي: لم يشكوا.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من قال لا إله إلا الله صادقا بها قلبه دخل الجنة)، فقول القلب هو التصديق، وهذا هو أصل الإيمان.." [1]

"(قول باللسان) زاد في ((الواسطية)) شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله **تعالى: قول القلب واللسان**. قول اللسان مر معنا واضح **هذا، قول القلب هل** القلب له قول؟ المراد بقول القلب هو اعترافه وتصديقه، وعمله عبارة عن تحركه وإرادته كالإخلاص ونحوه، حينئذ القلب يكون له قول ويكون له عمل، المراد **بالقول قول القلب التصديق**، والمراد بعمل القلب حركته، لأن الإخلاص عمل، زيادة على مجرد التصديق والقبول والتسليم، وكذلك حركة القلب بالخوف وهو الذعر أو التوكل وهو الاعتماد والثقة، هذه كلها حركات قلبية وهي عمل، إذا إذا زيد في كلام **السلف قول القلب وعمل** القلب، فالمراد بقول القلب هو اعترافه وتصديقه، والمراد بعمل القلب هو حركته إرادته كالإخلاص والتوكل ونحو ذلك، فزاد على المصنف هنا قول القلب، وكذلك عمل القلب واللسان، عمل القلب واضح الإخلاص، وأما عمل اللسان، هل اللسان له عمل؟ عندنا قول اللسان وعمل اللسان، المراد بقول اللسان النطق التلفظ، وعمل اللسان حركته إذا زيدت هذه العبارة فالمراد به تحرك اللسان كونه يطبق على المخارج مثلا نقول: هذه حركة اللسان فهي المراد بالعمل، ويسمى في الشرع كذلك قول اللسان فعل يطلق على أنه فعل {زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه} [الأنعام: 112]، أي: ما قالوه، فأطلق على القول بأنه فعل يسمى في اللغة كذلك، فزاد على المصنف عمل اللسان، قول اللسان هو النطق وهذا واضح، وعمل اللسان هو حركاته، والنطق ناشئ عنه، فالإيمان الشرعي يشتمل على هذه الأركان الثلاثة، وحكى الشافعي الإمام الشافعي رحمه الله تعالى على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم، ولو حكى الشافعي رحمه الله تعالى

[1] () شرح مختصر الصارم المسلول - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار 3/7

الإجماع علي مسألة من مسائل الفروع لجعل هذا الإجماع حجة، وكل من خالف قيل أجمع السلف على كذا وحكاه الشافعي، ولكن تجدهم هنا في هذا الموضع لا يلتفتون إلى إجماع السلف الذي حكاه الشافعي، وهذا يدل على أن المسألة مبنية على أو مبنية على هواه، إذا حكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم، وذكر المصنف دليلين على أن الإيمان هو هذه الأركان الثلاثة من الكتاب والسنة، فأما الكتاب فهو قوله تعالى: ({وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة} [البينة: 5]). قال: (فجعل).دد." [1]

"المبحث الحادي عشر: مذهب أهل السنة في الإيمان والدين الدين والإيمان عند أهل السنة هو: قول، وعمل، واعتقاد. قول بالقلب واللسان، وعمل بالقلب واللسان، والجوارح. وأنّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص **بالمعصية. قول القلب تصديقه** وإيقانه، وقول اللسان: النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما، وعمل القلب: النِّيّة، والإخلاص والمحبة، والانقياد والإقبال على الله، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه، وكل ما هو من أعمال القلوب. وعمل اللِّسان: هو ما لا يُؤدَّى إلا به كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار من التسبيح، والتحميد، والتكبير، والدعاء، والاستغفار، وغير ذلك. وعمل الجوارح هو ما لا يُؤدَّى إلا بها مثل القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر (1).

وأما زيادة الإيمان ونقصانه؛ فلقوله تعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} (2)، وقوله - صلى الله عليه وسلم -: ((يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة)) (3).

ومن الأدلة لزيادة الإيمان ونقصانه أن الله قسّم المؤمنين ثلاثة أقسام، قال تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ

---

(1) معارج القبول، 2/ 17.

(2) سورة الأنفال، الآية: 2.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، برقم 44، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم 193/ 325.." [2]

"[مذاهب الفِرَق في مسمى الإيمان]

وقوله: (والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان). هذا هو تعريف الإيمان عند مرجئة الفقهاء، وهو يقتضي أن أعمال الجوارح كلها ليست من الإيمان؛ بل وأعمال القلوب.

---

[1] شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي 14/10

[2] شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/52

وهو خلاف ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة: أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، أو هو: قول **وعمل، قول القلب وهو**: اعتقاده، وقول اللسان: وهو إقراره، وعمل: وهو عمل القلب، وعمل الجوارح، فالإيمان يشمل كل هذه الجوانب، وهذا هو الذي دلت عليه النصوص، قال الله تعالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)) [الأنفال: 2]، وقال الله في الصلاة التي صلاها المسلمون إلى بيت المقدس ومات من مات قبل نسخ القبلة: ((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ)) [البقرة: 143] إي: صلاتكم إلى بيت المقدس، وعقد البخاري ـ رحمه الله ـ أبوابا عديدة في كتاب الإيمان تَرْجم بها لمختلف الأعمال: باب: الجهاد من الإيمان، (1) باب: صوم رمضان احتسابا من الإيمان، ... (2) باب: اتباع الجنائز من الإيمان، (3) باب: أداء الخمس من الإيمان (4)، ومن الأحاديث الجامعة قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع

(1) ـــــــــــــــــــ 1/ ـــــــــــــــــــ 16.
(2) ـــــــــــــــــــ 1/ ـــــــــــــــــــ 16.
(3) ـــــــــــــــــــ 1/ ـــــــــــــــــــ 18.
(4) 1/ 20.." [1]

"[الإيمان بالأصول الخمسة، وتفصيل الإيمان باليوم الآخر]
وقوله: (والإيمان: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر). فسر الطحاوي الإيمان في هذا الموضع بما فسره به النبي - صلى الله عليه وسلم -، في حديث جبريل (1)، فهذه الأصول الستة هي: أركان الإيمان، أو أصوله، أو أصول الاعتقاد: الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة, والإيمان بالكتب, والإيمان بالرسل, والإيمان باليوم الآخر, والإيمان بالقدر، وهذا هو الإيمان بالمعنى الخاص، فإن الإيمان يُطلق إطلاقين: إطلاقا عاما يشمل جميع أمور الدين العلمية والعملية، فهو اعتقاد، وقول، **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح. ويطلق إطلاقا خاصا ويراد به هذا الأصول الستة. وهذا هو ما يفسر به الإيمان إذا قرن بالإسلام، كما في حديث جبريل حينما سأله عن الإسلام، ثم سأله عن الإيمان، ففسر الإسلام بمبانيه الخمس، وفسر الإيمان بأصوله الست، وقال الطحاوي فيما تقدم: (الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان) (2)، وهنا قال: (الإيمان هو الإيمان بالله ...) فيما تقدم أراد أن يبين مسمى الإيمان،

[1] شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/227

(1) تقـــــــــــــــــــــــدم تخريجـــــــــــــــــــــــــــــه في ص 201.
(2) ص 227.." [1]
"* نفي الإيمان عن مرتكب الكبـيرة، وخلـوده في النـار مـع الكـافرين.
ووقـــــــــــــــــــــــع الخلاف بينهم في موضـــــــــــــــــــــــعين:
* الخوارج سموه في الدنيا كافرا، والمعتزلة قالوا في منزلة بين المنزلتين:
فهـــــــــو خـــــــــرج من الإيمـــــــــان ولم يـــــــــدخل في الكفـــــــــر.
والخـــوارج اســـتحلوا دمـــه ومالـــه والمعتزلـــة لم يســـتحلوا ذلـــك.
3 - المرجئة قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهم يقولون: إن الإيمان مجرد التصديق بالقلب فمرتكب الكبـيرة عنـدهم كامـل الإيمان ولا يستحق دخول النار، وهذا يـبين أن إيمـان أفسـق النـاس عنـدهم كإيمـــــــــــــــــــــان أكمـــــــــــــــــــــل النـــــــــــــــــــــاس.
4 - الجهمية وافقوا المرجئـة في ذلـك تمامـا، فـالجهم قـد ابتـدع التعطيـل، والجـــــبر، والإرجـــــاء كمـــــا قـــــال ابن القيم رحمـــــه اللـــــه.
5 - أما أهل السـنة فـوفقهم اللـه للوسـطية بين هـذين المـذهبين البـاطلين فقـالوا: الإيمـان قـول **وعمـل: قـول القلب واللسـان**، وعمـل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصـية، فقـول القلب تصـديقه وإيقانه، وقول اللسان النطق بالشهادتين والإقـرار بلوزامهـا، وعمـل القلب: النية، والإخلاص، والمحبة، والانقياد، والإقبال على الله - عز وجل -، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه، وكل ما هو من أعمال القلـوب، وعمـل اللسـان، ما لا يؤدى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكـار، والأمـر بـالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى اللـه - عـز وجـل -، وغـير ذلـك، وعمـل الجـوارح: القيام بالمأمورات، واجتناب المنهيات، ومن ذلك." [2]
"المحسنين، ولا يظلم مثقال ذرة: {فمن يعمل مثقال ذرة خـيرا يـره * ومن يعمــــــــــل مثقــــــــــال ذرة شــــــــــرا يــــــــــره} (1).

المبحث الحـــادي عشـــر: مـــذهب أهـــل الســـنة في الإيمـــان والـــدين
الدين والإيمان عند أهـل السـنة هـو: قـول، وعمـل، واعتقـاد. قـول بـالقلب واللسان، وعمـل بـالقلب واللسـان، والجـوارح. وأن الإيمـان يزيـد بالطاعـة وينقص **بالمعصية. قول القلب تصديقه** وإيقانه، وقول اللسان: النطـق بالشـهادتين والإقـرار بلوازمهـا، وعمـل القلب: النيـة، والإخلاص والمحبـة، والانقياد والإقبال على الله، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه، وكل ما هـو من أعمال القلوب. وعمـل اللسـان: هـو مـا لا يـؤدى إلا بـه كتلاوة القـرآن، وسائر الأذكار من التسبيح، والتحميد، والتكبير، والـدعاء، والاسـتغفار، وغـير ذلك. وعمل الجوارح هو ما لا يؤدى إلا بها مثل القيام، والركـوع، والسـجود، والمشـي في مرضـاة اللـه، والأمـر بـالمعروف، والنهي عن المنكـر (2).

[1] () شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/239
[2] () عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني 1/144

وأما زيادة الإيمان ونقصانه؛ فلقوله تعالى: {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا} (3)، وقوله - صلى الله عليه وسلم -: ((يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة)) (4).

---

(1) سورة الزلزلة، الآيتان: 7 - 8.
(2) معارج القبول، 2/ 17.
(3) سورة الأنفال، الآية: 2.
(4) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، برقم 44، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم 193/ 325.." [1]

"وحقيقة الإيمان: أنه مركب من قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب، واللسان، والجوارح. فهذه أربعة أمور جامعة لأمور دين الإسلام:

الأول: قول القلب: وهو تصديقه، وإيقانه، واعتقاده.

الثاني: قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والإقرار بلوازمها.

الثالث: عمل القلب: وهو النية، والإخلاص، والمحبة، والانقياد، والإقبال على الله - عز وجل -، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه.

الرابع: عمل اللسان والجوارح: فعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار، والدعاء، والاستغفار، وغير ذلك. وعمل الجوارح ما لا يؤدى إلا بها، مثل: القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، كنقل الخطا إلى المساجد، وإلى الحج، والجهاد في سبيل الله - عز وجل -، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الإيمان (1).

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: ((الإيمان ... التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به،

---

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص373، ومعارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي، 2/ 587 - 591، وأصول وضوابط في التكفير، للعلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ص 34، وكتاب الإيمان لابن منده، 1/ 300 - 341.." [2]

"والانقياد ظاهرا وباطنا، فهو تصديق القلب، واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب، وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدين كله؛ ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون: **الإيمان: قول القلب واللسان**، وعمل القلب

---

[1] عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني 1/193
[2] عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني 2/641

واللسان والجوارح، وهو: قول، وعمل، واعتقاد، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فهو يشمل عقائد الإيمان، وأخلاقه، وأعماله)) (1).

ثانيا: الفرق بين الإيمان والإسلام:
في الشرع: أن الإيمان على حالتين:
الحالة الأولى: أن يطلق الإيمان على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام، فحينئذ يراد به الدين كله، كقوله - عز وجل -: {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور} (2)، وهذا المعنى هو الذي قصده السلف بقولهم رحمهم الله: ((إن الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل، وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان)).
والحالة الثانية: أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام، وحينئذ يفسر الإيمان بالاعتقادات الباطنة: كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، كقوله - عز وجل -: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات} (3).

(1) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ص9، وانظر: كتاب الإيمان لابن منده، 1/341، وفتاوى ابن تيمية، 7/505.
(2) سورة البقرة، الآية: 257.
(3) سورة النساء، الآية:57.." [1]
"كلها من شعب الإيمان، ولا يسوى بينهما في الأسماء والأحكام. وفرق بين من أشرك بالله أو استهان بالمصحف وبين من يسرق ويزني، أو يشرب الخمر، فمن سوى بين شعب الكفر في ذلك فهو مخالف للكتاب والسنة، خارج عن سبيل سلف الأمة، داخل في عموم أهل البدع والأهواء.

3 - إن الإيمان مركب من قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، هذه أربعة أمور جامعة لأمور الإسلام:
الأول: قول القلب: وهو تصديقه وإيقانه واعتقاده.
الثاني: قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمهما.
الثالث: عمل القلب: وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد، والإقبال على الله - عز وجل -، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه.
الرابع: عمل اللسان والجوارح: فعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار والدعاء والاستغفار وغير ذلك، وعمل الجوارح ما لا يؤدى إلا بها مثل: القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، كنقل الخطى إلى المساجد، وإلى الحج والجهاد في سبيل الله تعالى ... وغير ذلك (1).
فإذا زال تصديق القلب ورضاه ومحبته لله زال الإيمان.

[1] عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني 2/642

(1) انظر: أصول وضوابط في التكفير، ص34، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي رحمه الله، 2/ 588 - 591.." [1]

"فقالوا: الإيمان قول **وعمل: قول القلب واللِّسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقول القلب تصديقه وإيقانه، وقول اللسان النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمها، وعمل القلب: النِّيّة، والإخلاص، والمحبة، والانقياد، والإقبال على الله - عز وجل -، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه، وكل ما هو من أعمال القلوب، وعمل اللسان، ما لا يُؤدَّى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله - عز وجل -، وغير ذلك، وعمل الجوارح: القيام بالمأمورات، واجتناب المنهيات، ومن ذلك الركوع والسجود وغير ذلك.

فمرتكب الكبيرة عند أهل السنة مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا ينفون عنه الإيمان أصلاً كالخوارج والمعتزلة، ولا يقولون: بأنه كامل الإيمان كالمرجئة والجهمية، أما حُكْمُهُ في الآخرة فهو تحت مشيئة الله - عز وجل - إن شاء أدخله الجنة من أول وهلةٍ رحمةً منه وفضلاً وإن شاء عذبه بقدر معصيته عدلاً منه سبحانه ثم يخرجه بعد التطهير ويدخله الجنة. هذا إن لم يأتِ بناقض من نواقض الإسلام (1).

خامساً: أهل السُّنّة وسط في أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين الروافض والخوارج: الرافضة غلوا في علي - رضي الله عنه - وأهل البيت، ونصبوا العداوة لجمهور الصحابة كالثلاثة، وكفَّروهم ومن والاهم، وكفَّروا من قاتل

(1) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للهراس، ص131، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية، ص502، وشرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، بقلم الكاتب، ص53 - 56.." [2]

"حقيقة الإسلام والكفر:

يقول ابن القيم رحمه الله (الكفر والإيمان متقابلان، إذا زال أحدهما خلفه الآخر, ولما كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيماناً: فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والحج والصيام، والأعمال الباطنة كالحياء، والتوكل، والخشية من الله، والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق فإنه شعبة من شعب الإيمان. وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادتين, ومنها ما لا

[1] عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني 2/797

[2] بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/33

يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق, وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً, منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب. وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر , والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر, والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان وتركها من شعب الكفر والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية. ومن شعب الإيمان القولية شعب يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية , فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياراً – وهي شعبة من شعب الكفر – فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل.

وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب: هو الاعتقاد. وقول اللسان: وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله , وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق: فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة فأهل السنة: مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سراً وجهراً ويقولون: ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به.

وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ولا سيما إذا كان ملزوماً لعدم محبة القلب وانقياده، والذي هو ملزم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره، فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، وهو حقيقة الإيمان, فإن الإيمان ليس مجرد التصديق – كما تقدم – وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة

الحق وتبيينه، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه، وإن سمي الأول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء، كما أن." [1]

"- وقال: وأما 'الإيمان بالرسول' فهو المهم، إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه، إذ هو الطريق إلى الله سبحانه؛ ولهذا كان ركنا الإسلام: 'أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله'. ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار، لا مجرد التصديق. والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد- تصديق الرسول فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر، كما أن الإقرار بالله هو الاعتراف به والعبادة له؛ فالنفاق يقع كثيرا في حق الرسول، وهو أكثر ما ذكره الله في القرآن من نفاق المنافقين في حياته. والكفر: هو عدم الإيمان، سواء كان معه تكذيب أو استكبار، أو إباء أو إعراض؛ فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر. ثم هنا "نفاقان": نفاق لأهل العلم والكلام، ونفاق لأهل العمل والعبادة-. فأما النفاق المحض الذي لا ريب في كفر صاحبه: فأن لا يرى وجوب تصديق الرسول فيما أخبر به، ولا وجوب طاعته فيما أمر به، وإن اعتقد مع ذلك أن الرسول عظيم القدر -علما وعملا- وأنه يجوز تصديقه وطاعته؛ لكنه يقول: إنه لا يضر اختلاف الملل إذا كان المعبود واحدا، ويرى أنه تحصل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول وبغير متابعته؛ إما بطريق الفلسفة والصبو، أو بطريق التهود والتنصر، كما هو قول الصابئة الفلاسفة في هذه المسألة وفي غيرها؛ فإنهم وإن صدقوه وأطاعوه فإنهم لا يعتقدون وجوب ذلك على جميع أهل الأرض؛ بحيث يكون التارك لتصديقه وطاعته معذبا؛ بل يرون ذلك مثل التمسك بمذهب إمام أو طريقة شيخ أو طاعة ملك؛ وهذا." [2]

"- وقال: فالطاعن في شيء من حكمه أو قسمه -كالخوارج- طاعن في كتاب الله مخالف لسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، مفارق لجماعة المسلمين، وكان شيطان الخوارج مقموعا لما كان المسلمون مجتمعين في عهد الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، فلما افترقت الأمة في خلافة علي رضي الله عنه، وجد شيطان الخوارج موضع الخروج، فخرجوا وكفروا عليا ومعاوية ومن والاهما، فقاتلهم أولى الطائفتين بالحق علي بن أبي طالب، كما ثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «تمرق مارقة على حين فرقة من الناس، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق» (1).اهـ (2)

- قال: والخوارج إنما تأولوا آيات من القرآن على ما اعتقدوه، وجعلوا من خالف ذلك كافرا؛ لاعتقادهم أنه خالف القرآن، فمن ابتدع أقوالا ليس لها أصل في القرآن، وجعل من خالفها كافرا، كان قوله شرا من قول الخوارج.

---

[1] الولاء والبراء والعداء في الإسلام، أبو فيصل البدراني ص/11

[2] موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي 8/75

(3)
- وقال: ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج. (4)
- وقال: والخوارج المارقون الذين أمر النبي بقتالهم، قاتلهم أمير المؤمنين

(1) أحمد (3/ 32،97) ومسلم (2/ 745/1065 (150)) وأبو داود (5/ 50/4667).
(2) مجموع الفتاوى (19/ 88 - 89).
(3) مجموع الفتاوى (20/ 164).
(4) مجموع الفتاوى (3/ 151).." [1]

"السلطان بأمر هو لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة، وليس لك أن تخرج عليه. (1)

موقفه من المرجئة:
- قال رحمه الله: **والإيمان قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، مطابقا للكتاب والسنة والنية لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (2).
والإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، قال الله تعالى: {فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا} (3) وقال تعالى: {ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم} (4) وقال تعالى: {ويزداد الذين آمنوا إيمانا} (5). وفي الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» (6). فجعل القول والعمل جميعا من الإيمان. (7)
- وقال أيضا: والاستثناء في الإيمان جائز غير أن لا يكون للشك، بل هي سنة ماضية عند العلماء، ولو سئل الرجل أمؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، أو مؤمن أرجو الله، أو يقول آمنت بالله وملائكته

(1) قطف الثمر (132 - 133).
(2) تقدم تخريجه ضمن مواقف الشافعي سنة (204هـ).
(3) التوبة الآية (124).
(4) الفتح الآية (4).
(5) المدثر الآية (31).
(6) تقدم تخريجه ضمن مواقف أبي إسحاق الفزاري سنة (186هـ).
(7) قطف الثمر (ص.80).." [2]

[1] موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي 8/145
[2] موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي 9/156

"الإيمـــــــــان قـــــــــول وعمـــــــــل يزيـــــــــد وينقص
قال رحمه الله تعالى: [والإيمان بأن الإيمان قول وعمل، وعمل وقول ونيــة وإصابة، يزيد وينقص، يزيد ما شاء اللــه، وينقص حــتى لا يبقى منـه شـيء].
يبدو لي أن هذا من باب تنويع العبارة لتأكيدها قولـه: (الإيمـان بـأن الإيمـان قـول) المقصـود **بـه قـول القلب وقـول** اللسـان، فاللسـان معـبر عن القلب.
(وعمل) يعني: عمل القلب وعمل الجوارح لا عمـل الجـوارح فقـط؛ فعمـل القلب هو المتمثل بالمحبة والرجاء والخوف واليقين والإنابة والتوكـل، هـذه كلها تسمى أعمال القلوب، فدخلت في العمـل، وهي تزيـد وتنقص، وكـذلك عمـل الجـوارح يسمى عملا، وأعمـال الجـوارح تزيـد وتنقص، فيبـدو لي أن التقـــــديم والتـــــأخير هنـــــا لإحكـــــام المســـــألة.
ثم قال بعد ذلك: و (نية) والمقصود بالنية الإخلاص، لأن النية هنا موجهة إلى العمل المطلوب، والصحيح أن: (لكل امرئ ما نوى)، فمن نوى وجه الله عز وجل فله ذلك، ومن نوى غير وجه الله خسر دينـه وإن كسـب مـا ينويـه من أمور الدنيا، لكن المقصود هنا النيـة الخالصـة، وذلـك أن الإيمـان لا يصـح إلا بـالإخلاص، فكمـا أنـه قـول وعمـل فهـو كـذلك إخلاص للـه عـز وجـل.
قوله: (وإصابة) أي: موافقة للسـنة، وهي أيضـا من شـرائط صـحة الإيمـان.
ثم قـال: (يزيـد وينقص) أي: كـل ذلـك يزيـد **وينقص قول القلب عمل** القلب وعمـل الجـوارح، فالزيـادة والنقصـان تشـمل جميـع هـذه الأقـوال.
كذلك النية، النية قد تكون خالصة وقد تكون مشـوبة، فالنيـة الخالصـة يزيـد بها الإيمان والنية المشوبة ينقص بها الإيمان، وكذلك الإصابة الكاملـة يكمـل بها الإيمان، والإصابة المشوبة التي فيهـا شـيء من الجهـل أو نحـو ذلـك، أو الإصابة التي تكون خاطئـة لكنهـا عن اجتهـاد قـد ينقص بهـا الإيمـان، وليس كمالهـــــــــــا ككمـــــــــــال الإصـــــــــــابة الكاملـــــــــــة.
إذا: كل هذه الأمور تعتبر من الإيمان، وكل ذلك يزيـد مـا شـاء اللـه، وينقص حتى لا يبقى منه شيء، فيزيد بقدر ما يسدد اللـه العبـد من أعمـال الآخـرة والنيـــــــات والصـــــــدق والإخلاص في الأعمـــــــال الظـــــــاهرة.
قوله: (وينقص) أي: الإيمان (حتى لا يبقى منـه شـيء) أي: في حالـة مـا إذا خرج الإنسان من الإيمان بالكلية نسأل اللـه العافيـة، وهي الـردة أو النفـاق الخـــالص أو الشـــرك، فهـــذه لا يبقى معهـــا من الإيمـــان شـــيء.
وكـذلك قـد لا يبقى من أثـر الإيمـان شـيء في لحظـات كمـا فسـره بعض السلف في حديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، قـال بعضـهم: لا يبقى عنده من الإيمان شيء إلا الأصل، لكن ثمرة الإيمـان تنمحي في ذلـك الوقت من المؤمن.." [1]
"المبحث الأول: نـــــــــــــــــــور الإيِمـــــــــــــــــــان
المطلب الأول: مفهـــــــــــــــــــوم الإيِمـــــــــــــــــــان

[1] () التعليق على شرح السنة للبربهاري - ناصر العقل، ناصر العقل 3/4

أولاً: مفهـــــــــــوم الإيمـــــــــــــان: لغـــــــــــةً واصـــــــــــطلاحاً:
الإِيمان لغةً: التصديق، قال إخوة يوسف لأبيهم: {وَمَا أَنتَ بِمُـؤْمِنٍ لِّنَـا} (1) أي بمصـــــــــــــــــــــــــــــــــدّق لنـــــــــــــــــــــــــا.
وحقيقة الإِيمان: أنـه مُـركّب من قـولٍ **وعمل: قـول القلب واللسـان**، وعمـل القلب، واللسـان، والجـوارح. فهـذه أربعـة أمـور جامعـة لأمـور دين الإســـلام:
الأول: قـــــول القلب: وهـــــو تصـــــديقه، وإيقانـــــه، واعتقـــــاده.
الثاني: قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين: شـهادة أن لا إلـه إلا اللـه وأن محمـــــــــــداً رســـــــــول اللـــــــــه، والإقـــــــــرار بلوازمهـــــــــا.
الثالث: عمل القلب: وهو النيّة، والإخلاص، والمحبّة، والانقياد، والإقبـال على اللـــــه - عـــــز وجـــــل -، والتوكـــــل عليـــــه، ولـــــوازم ذلـــــك وتوابعـــــه.
الرابع: عمـل اللسـان والجـوارح: فعمـل اللسـان مـا لا يـؤدَّى إلا بـه: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار، والدعاء، والاستغفار، وغير ذلك. وعمل الجوارح ما لا يؤدَّى إلا بها، مثل: القيام، والركـوع، والسـجود، والمشـي في مرضـاة اللـه، كنقل الخطا إلى المساجد، وإلى الحج، والجهاد في سبيل الله - عز وجـل -، والأمـــر بـــالمعروف والنهي عن المنكـــر، وغـــير ذلـــك ممـــا يشـــمله

(1) سورة يوسف، الآية: 17.." [1]
"حـــــــــــــــديث شـــــــــــــــعب الإِيمـــــــــــــــان (1).
قـال العلامـة عبـد الـرحمن بن ناصـر السـعدي رحمـه اللـه: ((الإِيمـان ... التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر اللـه ورسـوله بالإِيمـان بـه، والانقيـاد ظـاهراً وباطنـاً، فهـو تصـديق القلب، واعتقـاده المتضـمن لأعمـال القلوب، وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالـدين كلـه؛ ولهـذا كـان الأئمـة والسـلف يقولـون: **الإِيمـان: قـول القلب واللسـان**، وعمـل القلب واللسـان والجـوارح، وهـو: قـول، وعمـل، واعتقـاد، يزيـد بالطاعـة، وينقص بالمعصـــية، فهـــو يشـــمل عقائـــد الإِيمـــان، وأخلاقـــه، وأعمالـــه)) (2).

ثانيـــــــــــاً: الفـــــــــــرق بين الإِيمـــــــــــان والإســـــــــــلام:
في الشـــــــــــرع: أن الإِيمـــــــــــان على حـــــــــــالتين:
الحالـة الأولى: أن يُطلـق الإِيمـان على الإفـراد غـير مقـترن بـذكر الإسـلام، فحينئـذٍ يـراد بـه الـدين كلـه، كقولـه - عـز وجـل -: {اللـه وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ} (3)، وهذا المعنى هو الذي قصده السلف بقولهم رحمهم الله: ((إن الإِيمان اعتقاد، وقول، وعمـل، وإن الأعمـال كلهـا داخلة

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص373، ومعارج القبـول

[1] نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/6

شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي، 2/ 587 - 591، وأصول وضوابط في التكفير، للعلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ص 34، وكتاب الإيمان لابن منده، 1/ 300، 341.
(2) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ص9، وانظر: كتاب الإيمان لابن منده، 1/ 341، وفتاوى ابن تيمية، 7/ 505.
(3) سورة البقرة، الآية: 257.." [1]

"تقسيم التوحيد عند أهل السنة
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، وعلى صحابته والتابعين وسلم تسليما كثيرا، وبعد: أهل العلم قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام باعتبار النظر إلى الله عز وجل، وإلى قسمين باعتبار النظر إلى العبد.
وباعتبار النظر إلى الله عز وجل يقسم التوحيد إلى: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وباعتبار النظر إلى العبد يقسم إلى قسمين: توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد القصد والطلب.
هذا التقسيم الذي هو المعرفة والإثبات والقصد والطلب أو التوحيد العلمي والعملي، موافق لتعريف الإيمان، فالإيمان عند علماء السلف -كما سيأتي شرحه تفصيلا-: هو قول وعمل، **والقول قول القلب وقول** اللسان، والعمل عمل القلب وعمل الجوارح.
وبالنسبة إلى نشاط الإنسان فإن له نشاطين: نشاط علمي، ونشاط عملي، أو نشاط ظاهر ونشاط باطن، فالنشاط العلمي يشمل الإقرار والاعتقاد، والنشاط العملي يشمل العمل سواء عمل القلب أو عمل الجوارح، والتوحيد جاء في جميع أنشطة الإنسان العلمية والعملية، والإيمان كذلك جاء في جميع أنشطة الإنسان العلمية والعملية.." [2]

"اتفاق السلف وأتباعهم على تعريف الإيمان بأنه قول وعمل
والسلف الصالح عرفوا الإيمان بتعريف منضبط دقيق، ومن أعجب الأمور في تعريف السلف للإيمان هو اتفاقهم على تعريف واحد دقيق مع اختلاف أقطارهم، ومع اختلاف أماكنهم، ومع اختلاف السنوات التي عرف فيها هذا المصطلح الشرعي، وهو: أن الإيمان قول وعمل، فقد اتفق المسلمون في شرق البلاد الإسلامية وغربها وشمالها وجنوبها ووسطها على أن الإيمان قول وعمل، والمقصود بالقول قول القلب، وقول القلب: هو تصديقه وإقراره بما جاء في القرآن والسنة، أو هو تصديقه بالخبر والمخبر به.
والقول يشمل أيضا قول اللسان، فيدخل في قول اللسان شهادة التوحيد: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويدخل فيه أيضا ذكر الله، ويدخل فيه قراءة القرآن، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والنصيحة، وكل العبادات

[1] () نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/7
[2] () أصول العقيدة - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي 3/2

القوليـــة.
أما العمل فيدخل فيه أمـران: الأمـر الأول: عمـل القلب، والمقصـود بعمـل القلب هو الاستسلام والخضوع لله سبحانه وتعـالى، والتوكـل عليـه والإنابـة والرغبـة والخـوف والرجـاء والمحبـة ونحـو ذلـك من الأعمـال القلبيـة، فهي داخلـــــــة في الإيمـــــــان؛ بـــــــل هي أســـــــاس الإيمـــــــان.
الأمر الثاني: عمل الجوارح، ويدخل في عمـل الجـوارح كـل العبـادات الـتي تكون عن طريق الجوارح مثل: الصلاة والصيام والحج والزكـاة والجهـاد في سبيل الله ونحو ذلك من الأعمال الإسلامية التي تكون عن طريق الجـوارح.
فنلاحظ أن الإيمان يشمل الدين كلـه، فكـل العبـادات القوليـة من الإيمـان، وكل العبادات الاعتقاديـة من الإيمـان، وكـل العبـادات العمليـة من الإيمـان، والإيمان كما هو معلوم شعب وأنواع وخصال، وله سنام، ولـه أصـل وفـرع، وله أعلى وأدنى؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الإيمان بضع وستون شعبة -وفي لفظ: بضع وسبعون شعبة-؛ فأعلاهـا قول: لا إله إلا اللـه، وأدناهـا إماطـة الأذى عن الطريـق، والحيـاء شـعبة من الإيمان)، ففي هذا الحديث بيان للإيمان بكل شعبه، وبكـل أنواعـه السـابقة، فقوله: (فأعلاها قول لا إله إلا الله) هذا القول، وقوله: (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) هذا عمل الجوارح، وقولـه: (والحيـاء شـعبة من الإيمـان) هـذا عمل القلب، وتصديق القلب داخل في عمله، ولهذا يقول شيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله: إنه لا إيمان إلا بعمل القلب، فقول اللسان من دون عمــل القلب فإنه يكون مثل فعل المنافقين، وعمل الجـوارح بـدون اعتقـاد القلب فإنه يكون كذلك من أعمـال المنـافقين؛ فـإن المنـافقين يتكلمـون بالإيمـان ويعملـون بأعمـال الإيمـان، لكنهم لا يوجـد عنـدهم اعتقـاد القلب ولا عمـل القلب؛ بـل يقولـون بهـذه الأعمـال وهـذه الأقـوال من أجـل أن يرفعـوا عن أنفســـهم تهمـــة الكفـــر، فيتظـــاهرون بالإســـلام لهـــذا الغـــرض.
وهذا الإمـام ابن منـدة رحمـه اللـه في كتابـه العظيم (الإيمـان) وهـو كتـاب مطبوع في مجلدين، استنبط من حديث أبي سعيد الخدري رضـي اللـه عنـه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكرا فليغـيره بيـده، فإن لم يستطع فبلسانه، فـإن لم يسـتطع فبقلبـه، وذلـك أضـعف الإيمـان)، فأخذ منه أن الإيمان يكون بالقول، ويكون بالعمل، ويكون أيضا بالقلب، وأنه يزيد وينقص، ودلالـة أن الإيمـان يكـون بالعمـل مـأخوذ من قولـه: (فليغـيره بيـده)، ودلالـة كونـه يكـون باللسـان مـأخوذ من قولـه: (فـإن لم يسـتطع فبلسانه)، وهذا يدل على أن اللسان جزء من الإيمان، وعمـل اللسـان جـزء من الإيمان، وقوله: (فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) هذا يـدل على أن اعتقاد القلب من الإيمان، وقوله: (أضـعف) يـدل على أن هنـاك مـا هو أقوى، فكل ما قبل الزيادة قبل النقصـان، وكـل مـا قبـل النقصـان قبـل الزيـــــــــــادة، فالإيمـــــــــــان يزيـــــــــــد وينقص.
ودلالـة زيـادة الإيمـان ونقصـانه أوضـح من أن يسـتدل عليهـا بمثـل هـذا

الاستدلال؛ لأن النصوص الشرعية في التصريح بالزيادة ظاهر في كتاب الله، قال تعالى: {ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم} [الفتح:4]، وغيرها من الآيات الواردة في هذا الباب.
وقد نقل الإجماع على أن الإيمان قول وعمل الإمام أحمد والشافعي وابن عبد البر في التمهيد وابن قدامة المقدسي وغيرهم من أهل العلم.." [1]

"أهمية عمل القلب ومنزلته من الإيمان
أهم عنصر من عناصر تعريف الإيمان هو عمل القلب؛ لأن بقية أجزاء الإيمان تعود إليه، فإن عمل القلب هو المؤثر في بقية عناصر الإيمان ومكوناتها الأخرى، فإذا وجد عمل القلب، فإن عمل القلب يدفع إلى عمل الجوارح وقول اللسان، وإذا وجد عمل القلب، فإن عمل القلب يتضمن تصديق القلب، فإنه لا يتصور أن يكون إنسان عنده خوف من الله وهو غير مصدق به، ولا يتصور أيضا أن يكون إنسان عنده محبة لله ورجاء وتوكل على الله سبحانه وتعالى وهو في نفس الوقت غير مصدق به، فتصديق القلب داخل في عمل القلب، وعمل القلب لا يمكن أن يوجد إلا ومعه تصديق القلب، فلو أن إنسانا توكل على الله سبحانه تعالى، فإنه لابد أن يكون مصدقا بمن توكل عليه، وإلا كيف يمكن أن يتصور الإنسان شخصا يتوكل على من يكذبه، ويعتمد على من يكذبه، هذا غير وارد، وكذلك الحال في المحبة، والخشية، والإنابة، والاستسلام، والانقياد، والرضا، والقبول ونحو ذلك من الأعمال القلبية.
وأما بالنسبة لعلاقة عمل القلب بقول اللسان، فإنه لا يمكن أن يكون هناك عمل قلبي إلا ويوجد له أثر في الظاهر؛ لأن العلاقة بين الباطن والظاهر علاقة تامة؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)، فالقلب إذا وجد فيه عمل من الأعمال؛ إذا وجد فيه الخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والرضا، والاستسلام فإنه لابد أن يكون له أثر في الظاهر، سواء كان هذا الأثر قليلا أو متوسطا أو كثيرا، بحسب العمل القلبي الموجود في الإنسان، فإذا كان عمل الظاهر قليلا فأيضا عمل القلب سيكون قليلا، وإذا كان عمل الظاهر كثيرا فإن عمل القلب كثير، ولا يمكن أن يتخلف الارتباط بين عمل القلب وبين مقتضاه في قول اللسان وعمل الجوارح، إلا في حالتين فقط لا ثالث لهما: الحالة الأولى: حالة النفاق، فإن المنافق يظهر الإسلام ويتكلم بالإسلام ويعمل بالإسلام، مع أنه ليس في قلبه شيء من الإيمان.
الحالة الثانية: حالة المكره، فإن المكره يعمل من الأعمال ما لا يكون مقتنعا به في الداخل؛ لوجود عارض الإكراه.
ففي هاتين الحالتين يمكن أن يظهر من الإنسان شيء مخالف لما في الباطن، وأما في الحالة الطبيعة المعتادة فإنه لا يمكن أن يكون الإنسان

[1] () أصول العقيدة - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي 7/4

محبا لله معظما لله سبحانه وتعالى متوكلا على الله سبحانه وتعالى ثم يسب الله، أو يسب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو يسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أو يحارب الدين، أو يحارب الإيمان والإسلام، أو يدعو إلى النصرانية، أو يعظم النصارى ويساعدهم على المسلمين مساعدة تامة، أو يعبد غير الله سبحانه وتعالى، أو يدوس المصحف، أو يلبس الصليب مثلا، أو يعمل من الأعمال التي تنقض الإيمان وتبطله، فينبغي إدراك هذه القاعدة، فهي من أهم القواعد الشرعية في باب الإيمان.

فإن الإيمان مكون ومركب من أمرين: القول، والعمل، وكل واحد من هذين المركبين ينقسم إلى قسمين: فالقول قول القلب، وقول اللسان. والعمل عمل القلب، وعمل الجوارح.

وإذا أردنا أن نقسم الإيمان على أعضاء الإنسان فسنجد أنه ينقسم على أعضائه الثلاثة: القلب، واللسان، وبقية الجوارح، هذه هي الأعضاء التي يتحرك بها الإنسان، ومحرك اللسان ومحرك الجوارح الأساسي هو القلب، وهذا أمر معروف فطرة وخلقة وشرعا أيضا.

فإن الدافع الحقيقي لعمل الإنسان هو القلب كما هو معلوم، ولهذا عبر أبو هريرة رضي الله عنه عن هذا الارتباط بقوله: (القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا صلح الملك صلحت الأعضاء، وإذا فسد الملك فسدت الأعضاء).

وبناء على هذا يكون الموجه الحقيقي هو عمل القلب، وبهذا يبدو لنا أن عمل القلب من أهم أنواع الإيمان، وعمل القلب هو نفسه توحيد الألوهية، فنحن إذا عرفنا توحيد الألوهية كما سبق أن قلنا: إن توحيد الألوهية هو: إفراد الله تعالى بالعبادة، والعبادة تشمل عبادة القلب وتشمل عبادة الجوارح.

وإذا رجعنا إلى شروط لا إله إلا الله نجد أنها أعمال قلبية: الإخلاص، القبول، المحبة، الرضا، وهكذا نجد أنها كلها أعمال قلبية، وهي جزء أساسي من توحيد الألوهية.

وبناء على هذا فإن عمل القلب يعتبر أهم عناصر الإيمان، وهو الدافع الحقيقي لأعمال الجوارح ولنطق اللسان أيضا.." [1]

"كلها من شُعَب الإيمان، ولا يسوّى بينهما في الأسماء والأحكام. وفرق بين من أشرك بالله أو استهان بالمصحف وبين من يسرق ويزني، أو يشرب الخمر، فمن سوّى بين شُعَب الكفر في ذلك فهو مخالف للكتاب والسنة، خارج عن سبيل سلف الأمة، داخل في عموم أهل البدع والأهواء.

3 - إن الإيمان مُركَّب من قولٍ **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، هذه أربعة أمور جامعة لأمور الإسلام:

الأول: قول القلب: وهو تصديقه وإيقانه واعتقاده.

[1] () أصول العقيدة - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي 7/6

الثـانـي: قـول اللسـان: وهـو النطـق بالشـهادتين، والإقـرار بلوازمهمـا.
الثالث: عمل القلب: وهو النيـة والإخلاص والمحبـة والانقيـاد، والإقبـال على اللـه - عـز وجـل -، والتوكـل عليـه، ولـوازم ذلـك وتوابعـه.
الرابع: عمـل اللسـان والجـوارح: فعمـل اللسـان مـا لا يُـؤَدَّى إلا بـه: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار والدعاء والاستغفار وغير ذلك، وعمـل الجـوارح مـا لا يُؤَدَّى إلا بها مثل: القيـام، والركـوع، والسـجود، والمشـي في مرضـاة اللـه، كنقل الخطى إلى المسـاجد، وإلى الحج والجهـاد في سـبيل اللـه تعـالى ... وغـيـر ذلـك (1).
فـإذا زال تصـديق القلب ورضـاه ومحبتـه للـه زال الإيمـان.

(1) انظر: أصول وضوابط في التكفير، ص34، ومعارج القبول بشرح سـلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي رحمه الله، 2/ 588 - 591.." [1]

"على وجـه يـبين أن الهـدى كلـه مـأخوذ من كلامالله ورسـوله بإقامـة الدلائل الدالة، لا بذكر الأقوال التي تقبـل بلا دليـل وتـرد بلا دليـل، أو يكـون المقصود بها نصر غير الله والرسول، فإن الواجب أن يقصد معرفة مـا جـاء بـه الرسـول واتباعـه بالأدلـة الدالـة على مـا بينـه اللـه ورسـوله.
ومن هذا الباب أقـوال السـلف وأئمـة السـنة في [تفسـير الإيمـان] ، فتـارة يقولون: هو قول وعمل. وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية. وتـارة يقولـون قول وعمل ونية واتباع السنة. وتارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح. فإذا قالوا: قـول وعمـل؛ فإنـه يـدخل في **القول قول القلب واللسان** جميعا، وهذا هو المفهوم من لفـظ القـول والكلام، ونحـو ذلـك إذا أطلـق.
والناس لهم في مسمى الكلام و [القول] عند الإطلاق أربعة أقـوال، فالـذي عليه السلف والفقهـاء والجمهـور أنـه يتنـاول اللفـظ والمعـنى جميعـا، كمـا يتناول لفظ الإنسـان للـروح والبـدن جميعـا. وقيـل: بـل مسـماه هواللفـظ، المعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه، وهذا قـول كثـير من أهـل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسـبين إلى السـنة، وهـو قـول النحاة؛ لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ. وقيل: بل مسماه هو المعـنى وإطلاق الكلام على اللفـظ مجـاز لأنـه دال عليـه، وهـذا قـول ابن كلاب ومن اتبعـه، وقيل: بل هو مشترك بين اللفظ والمعـنى، وهـو قـول بعض المتـأخرين من الكلابيـة، ولهم قـول ثـالث يـروى عن أبي الحسـن أنـه مجـاز في كلام اللـه حقيقة في كلام الآدميين؛ لأن حـروف الآدمـيين تقـوم بهم، فلا يكـون الكلام قائما بغير المتكلم، بخلاف الكلام القرآني، فإنه لا يقوم عنـده باللـه، فيمتنـع أن يكـون كلامـه، ولبسـط هـذا موضـع آخـر.
والمقصود هنـا أن من قـال من السـلف: الإيمـان قـول وعمـل، **أراد قول**

[1] () قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/29

القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأي أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول." [1]

"وهكذا أسماء دينه، الذي أمر الله به ورسوله يسمى إيمانا، وبرا، وتقوى، وخيرا، ودينا، وعملا صالحا، وصراطا مستقيما، ونحو ذلك، وهو في نفسه واحد، لكن كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة التي يدل عليها الآخر، وتكون تلك الصفة هي الأصل في اللفظ، والباقي كان تابعا لها لازما لها، ثم صارت دالة عليه بالتضمن، فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين: تصديق بالقلب، وإقراره ومعرفته. ويقال لهذا: قول القلب، قال الجنيد بن محمد: التوحيد: قول القلب. والتوكل: عمل القلب، فلابد فيه من قول القلب، وعمله، ثم قول البدن وعمله، ولابد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان.

ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، إلا وهي القلب "

وقال أبو هريرة: القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده، وقول أبي هريرة تقريب، وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحسن بيانا، فإن الملك وإن كان صالحا فالجند لهم اختيار، قد يعصون به ملكهم وبالعكس، فيكون فيهم صلاح مع فساده، أو فساد مع صلاحه، بخلاف القلب؛ فإن الجسد تابع له لا يخرج عن إرادته قط، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد "

فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علما وعملا قلبيا، لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أهل الحديث:." [2]

"وحقيقة الفرق: أن الإسلام دين. والدين مصدر دان يدين دينا: إذا خضع وذل، و [دين الإسلام] الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده، وعبد معه إلها آخر، لم يكن مسلما، ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، والإسلام هو الاستسلام لله، وهو

---

[1] () الإيمان لابن تيمية ابن تيمية ص/137
[2] () الإيمان لابن تيمية ابن تيمية ص/149

الخضوع له، والعبودية له، هكذا قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم، فالإسلام في الأصل من باب العمل، عمل القلب والجوارح.
وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب، والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له؛ فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بإيمان القلب وبخضوعه، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وفسر الإسلام باستسلام مخصوص، هو المباني الخمس. وهكذا في سائر كلامه صلى الله عليه وسلم يفسر الإيمان بذلك النوع ويفسر الإسلام بهذا، وذلك النوع أعلى؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " الإسلام علانية، والإيمان في القلب " فإن الأعمال الظاهرة يراها الناس، وأما ما في القلب من تصديق ومعرفة وحب وخشية ورجاء فهذا باطن، لكن له لوازم قد تدل عليه، واللازم لا يدل إلا إذا كان ملزوما؛ فلهذا كان من لوازمه ما يفعله المؤمن والمنافق، فلا يدل. . [بياض بالأصل] ففي حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة جميعا أن النبي صلىالله عليه وسلم قال: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم "، ففسر المسلم بأمر ظاهر وهو سلامة الناس منه؛ وفسر المؤمن بأمر باطن، وهو أن يأمنوه على دمائهم وأموالهم وهذه الصفة أعلى من تلك، فإن من كان مأمونا سلم الناس منه، وليس كل من سلموا منه يكون مأمونا. فقد يترك أذاهم وهم لا يأمنون إليه، خوفا أن يكون ترك أذاهم لرغبة ورهبة؛ لا لإيمان في قلبه.." [1]
"لابد من تصديق باطن، ويحتمل أن يكون لفظ التصديق عنده يتضمن القول والعمل جميعا، كما قد ذكرنا شواهده أنه يقال: صدق بالقول والعمل. فيكون تصديق القلب عنده يتضمن أنه مع معرفة قلبه أنه رسول الله قد خضع له وانقاد، فصدقه بقول قلبه وعمل قلبه محبة وتعظيما، وإلا فمجرد معرفة قلبه أنه رسول الله مع الإعراض عن الانقياد له ولما جاء به إما حسدا وإما كبرا، وإما لمحبة دينه الذي يخالفه وإما لغير ذلك، فلا يكون إيمانا، ولابد في الإيمان من علم القلب وعمله، فأراد أحمد بالتصديق أنه مع المعرفة به صار القلب مصدقا له، تابعا له، محبا له، معظما له، فإن هذا لابد منه، ومن دفع هذا عن أن يكون من الإيمان، فهو من جنس من دفع المعرفة من أن تكون من الإيمان، وهذا أشبه بأنيحمل عليه كلام أحمد؛ لأن وجوب انقياد القلب مع معرفته ظاهر ثابت بدلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل ذلك معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، ومن نازع من الجهمية في أن انقياد القلب من الإيمان فهو كمن نازع من الكرامية في أن معرفة القلب من الإيمان فكان حمل كلام أحمد على هذا هو المناسب لكلامه في هذا المقام.
وأيضا، فإن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الانقياد الذي **يجعل قول القلب أمر** دقيق، وأكثر العقلاء ينكرونه،

[1] () الإيمان لابن تيمية ابن تيمية ص/207

وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما، وأكثر الناس لايتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه، ويقولون: إن ما قاله ابن كلاب، والأشعري من الفرق، كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق، وعمدتهم من الحجة إنما هو خبر الكاذب، قالوا: ففي قلبه خبر بخلاف علمه، فدل على الفرق. فقال لهم الناس: ذاك بتقدير خبر وعلم ليس هو علما حقيقيا ولا خبرا حقيقيا، ولما أثبتوه **من قول القلب المخالف** للعلم والإرادة، إنما يعود إلى تقدير علوم وإرادات لا إلى جنس آخر يخالفها.
ولهذا قالوا: إن الإنسان لا يمكنه أن يقوم بقلبه خبر بخلاف علمه، وإنما يمكنه أن يقول ذلك بلسانه، وأما أنه يقوم بقلبه خبر بخلاف ما يعلمه، فهذا." [1]

"الفصل الثاني
الإيمان
35 - وإيماننا قول وفعل ونية ... فقول كمن يقرا وفعل كمن يقري (1)

---

(1) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (7/ـ 170 -ـ 171): [ومن هذا الباب أقوال السلف، وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح ... والمقصود هنا أن من قال من السلف الإيمان: قول وعمل، **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك، ومن زاد إتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا بإتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبدالله التسترى عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة].
وقد بسط الشيخ العثيمين - رحمه الله - الكلام في تعريف الإيمان، ومثل له فقال في شرح الواسطية (ص/417): [وأما في الشرع، فقال المؤلف - رحمه الله -: " قول وعمل ".
وهذا تعريف مجمل فصله المؤلف - رحمه الله - بقوله: " **قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح ". فجعل المؤلف - رحمه الله

---

[1] () الإيمان لابن تيمية ابن تيمية ص/311

- للقلب قـــــــولا وعملا، وجعـــــــــل للســـــــــان قـــــــولا وعملا.
أما قول اللسـان؛ فـالأمر فيـه واضـح، وهـو النطـق، وأمـا عملـه؛ فحركاتـه، وليست هي النطق، بل النطـق ناشـئ عنهـا إن سـلمت من الخـرس. وأمـا قـول القلب؛ فهـو اعترافـه وتصـديقه. وأمـا عملـه فهـو عبـارة عن تحركـه وإرادته؛ مثل الإخلاص في العمل، فهذا عمل القلب، وكذلك التوكل والرجاء والخـوف؛ فالعمـل ليس مجـرد الطمأنينـة في القلب، بـل هنـاك حركـة في القلب. وأما عمل الجوارح؛ فواضح ركوع، وسـجود، وقيـام، وقعـود، فيكـون عمل الجوارح إيمانا شرعا؛ لأن الحامل لهذا العمل هـو الإيمـان ... هـذا هـو مذهب أهل السنة والجماعة. وشموله لهـذه الأشـياء الأربعـة لا يعـني أنـه لا يتم إلا بها، بل قد يكون الإنسان مؤمنا مع تخلف بعض الأعمال، لكنـه ينقص إيمانــــــــــه بقــــــــــدر مـــــــــا نقص من عملـــــــــــه.
وخالف أهل السنة في هـذا طائفتـان بـدعيتان متطرفتـان: الطائفـة الأولى: المرجئة، يقولون: إن الإيمان هو الإقـرار بـالقلب، ومـا عـدا ذلـك فليس من الإيمان!!. ولهذا كـان الإيمـان لا يزيـد ولا ينقص عنـدهم؛ لأنـه إقـرار القلب، والناس فيه سواء، فالإنسان الذي يعبد الله آناء الليل والنهار كالـذي يعصـي الله آناء الليل والنهار عنـدهم، مـا دامت معصـيته لا تخرجـه من الـدين!! ... الطائفة الثانية: الخوارج والمعتزلـة؛ قـالوا: إن الأعمـال داخلـة في مسـمى الإيمـان، وأنهـا شـرط في بقائـه، فمن فعـل معصـيته من كبـائر خـرج من الإيمان. لكن الخوارج يقولون: إنه كافر، والمعتزلة يقولـون: هـو في منزلـة بين منزلتين، فلا نقول: مؤمن، ولا نقول: كافر، بل نقول: خـرج من الإيمـان ولم يدخل في الكفر، وصار في منزلة بين منزلتين. هـذه أقـوال النـاس في الإيمان.]." [1]

"وأما الطعن بمخالفة الكتاب، فأين في الكتاب مـا يـدل على خلافـه؟ ! وإنما فيـه مـا يـدل على وفاقـه، وإنمـا هـذا الطعن من ثمـرة شـؤم التقليـد والتعصــب.
وقالوا أيضا: وهنا أصل آخر، وهو: أن القول **قسمان: قــول القلب وهو** الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسـلام. والعمـل قسـمان: عمـل القلب، وهـو نيتـه وإخلاصـه، وعمـل الجـوارح. فـإذا زالت هـذه الأربعـة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم ينفع بقيـة الأجـزاء، فـإن تصـديق القلب شــرط في اعتبارهــا وكونهــا نافعــة، وإذا بقي تصــديق القلب وزال البـــــــــاقي فهـــــــــذا موضـــــــــع المعركـــــــــة! !
ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجـوارح عـدم طاعـة القلب، إذ لـو أطـاع القلب وانقـاد، لأطـاعت الجـوارح وانقـادت، ويلـزم من عـدم طاعـة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة. قال صلى الله عليـه وسـلم: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسـدت فسـد لهـا سائر الجسد، ألا وهي القلب» . فمن صلح قلبه صلح جسـده قطعـا، بخلاف

[1] () نهج الرشاد في نظم الاعتقاد السرمري، جمال الدين ص/33

العكس. وأما كونه يلزم من زوال جزئه زوال كله، فإن أريد أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت، فمسلم، ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، فيزول عنه الكمال فقط.." [1]

"وفي الصحيحين من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - «أنه قال لوفد عبد القيس: " آمركم بأربع: الإيمان بالله وهل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم الخمس» " وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " «الإيمان بضع وسبعون -، أو بضع وستون - شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» " ولفظه لمسلم، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - في كتاب الإيمان والإسلام: قال أبو القاسم الأنصاري شيخ الشهرستاني في شرح الإرشاد لأبي المعالي، بعد أن ذكر قول أصحابه الأشاعرة من أنه مجرد التصديق: وذهب أهل الأثر إلى أن الإيمان جميع الطاعات فرضها ونفلها، وعبروا عنه بأنه إتيان ما أمر الله فرضا ونفلا، والانتهاء عما نهى عنه تحريما وأدبا.
قال: وبهذا كان يقول أبو علي الثقفي من متقدمي أصحابنا وأبو العباس القلانسي، وقد مال إلى هذا المذهب أبو عبد الله بن مجاهد، وهذا قول مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ومعظم أئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين، فكانوا يقولون الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان. وبعض السلف من أهل السنة زاد: وإتباع السنة ; لأن ذلك لا يكون محبوبا لله - تعالى - إلا باتباع السنة.
ومنهم من اقتصر على أنه قول وعمل، **وأراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح، ومن زاد الاعتقاد أي المعرفة والتصديق رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال منهم: إنه قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا تفهم منه النية فزاد ذلك، ومن قال منهم: إنه قول وعمل لم يرد كل قول وعمل، وإنما أراد ما كان مشروعا من الأقوال، والأعمال.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة." [2]

"لأن الإيمان إن كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة. ثم قال شيخ الإسلام

[1] () شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز 2/478
[2] () لوامع الأنوار البهية السفاريني 1/406

ابن تيمية - روح الله روحه -: الإيمان الذي أصله في القلب لا بد فيه من شيئين: تصديق القلب، وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا قول القلب، قال الجنيد بن محمد - رحمه الله تعالى -: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب. فلا بد فيه من عمل القلب، وقوله: ثم قول البدن وعمله لا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله وخشية الله، ويحب ما يحبه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان.
ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب ; ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث: " «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» " وقال أبو هريرة - رضي الله عنه -: القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده - قال شيخ الإسلام - قدس الله روحه -: قول أبي هريرة تقريب، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - أحسن بيانا، فإن الملك وإن كان صالحا فإن الجند لهم اختيار قد يعصون به ملكهم، وبالعكس فقد يكون فيهم صلاح مع فساده، أو فساد مع صلاحه بخلاف القلب، فإن الجسد تابع له لا يخرج عن إرادته قط، قال: فلا بد في إيمان القلب من حب الله ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، قال - تعالى -: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله} [البقرة: 165] أي من المشركين وفي الآية قولان قيل يحبونهم كحب المؤمنين لله، والذين آمنوا أشد حبا منهم لأوثانهم، وقيل يحبونهم كما يحبون الله، والذين آمنوا أشد حبا لله منهم وهذا هو الصواب فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين لله، والمحبة تستلزم إرادة، والإرادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل، فيمتنع أن يكون الإنسان محبا لله ورسوله مريدا لما يحبه الله ورسوله إرادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو." [1]

"يعني سلبهم اسم الإيمان جميعه - قوله ولا قول أحد من أئمة السنة، بل كلهم متفقون على أن الفساق الذين ليسوا منافقين معهم شيء من الإيمان يخرجون به من النار هو الفارق بينهم وبين الكفار، والمنافقين، لكن إذا كان معه بعض الإيمان لم يلزم أن يدخل في الإسلام المطلق الممدوح وصاحب الشرع قد نفى الاسم عن هؤلاء فقال: " «لا يزني الزاني وهو مؤمن» "، والمعتزلة ينفون عنه اسم الإيمان والإسلام بالكلية، ويقولون: يخلد في النار لا يخرج منه لا بشفاعة لا بغيرها، وهذا هو الذي أنكر عليهم وكان أهل السنة متفقة أنه قد سلب كمال الإيمان الواجب فزال بعض إيمانه الواجب، وإنما ينازع في ذلك من يقول الإيمان لا يتبعض كالجهمية والمرجئة، فيقولون عن مثل هذا: إنه كامل الإيمان لكنه من أهل الوعيد.

[1] () لوامع الأنوار البهية السفاريني 1/407

قال شيخ الإسلام: وحقيقة الفرق بين الإسلام والإيمان والدين أن الإسلام الذي ارتضاه الله، وبعث به رسوله هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب وهو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له، والعبودية له. هكذا قال - رحمه الله - وعزاه لأهل اللغة، فالإسلام في الأصل من باب العمل عمل القلب، والجوارح، وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب، والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له ; فلهذا فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - الإيمان بإيمان مخصوص وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وفسر الإسلام بإسلام مخصوص وهو المباني الخمس، وهكذا في سائر كلامه - صلى الله عليه وسلم -.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه -: ومما يسأل عنه: أنه إذا كان مما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة - أكثر من هذه الخمس، فلماذا قال الإسلام هذه الخمس؟ وقد أجاب بعض الناس بأن هذه أظهر شرائع الإسلام وأعظمها وبقيامه بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده، قال: والتحقيق أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكر الدين الذي هو استسلام." [1]

"الاقتتال وبغي بعضهم على بعض وقال تعالى في بيان الكفارة: {فتحرير رقبة مؤمنة} ولو أعتق مذنبا أجزأه عتقه بإجماع العلماء ولهذا يقول العلماء السلف في المقدمات الاعتقادية لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا يخرجه من الإسلام بعمل، وقد ثبت الزنا والسرقة وشرب الخمر على أناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحكم فيهم حكم من كفر ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين بل جلد هذا وقطع هذا ورجم هذا وهو في ذلك يستغفر لهم ويقول: " لا تكونوا أعوان الشياطين على أخيكم" وأحكام الإسلام كلها مرتبة على هذا الأصل.

(الطرف الثاني) قول من يقول إيمانهم باق كما كان لم ينقص، بناء على ان الإيمان هو مجرد التصديق والاعتقاد الجازم وهو لم يتغير وإنما نقصت شرائع الإسلام، وهذا قول المرجئة والجهمية ومن سلك سبيلهم، وهو أيضا قول مخالف للكتاب والسنة وإجماع السابقين والتابعين لهم بإحسان قال الله تعالى: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون} والآيات في ذلك والأحاديث كثيرة جدا كما تقدمت وقد تقدم أيضا إجماع السلف على ان (الإيمان قول وعمل يزيد وينقص) ومدين ذلك **أنه قول القلب وعمله**، وثم قول اللسان وعمل الجوارح، **فأما قول القلب فهو** التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر، ويدخل في ذلك

[1] لوامع الأنوار البهية السفاريني 1/428

الإيمان بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه في معنى الإيمان برسالته (ثم الناس) في هذا على أقسام:
منهم من صدق به جلة ولم يعرف التفصيل.
ومنهم من صدق به إجمالا وتفصيلا.
ثم منهم من يدوم استحضاره فيه بما قذف الله في قلبه من النور والآيات.
ومنهم من جزم به لدليل قد تعترضه منه شبهة أو لتقليد جازم، وهذا التصديق يتبعه عمل القلب وهو حب الله ورسله وتعظيم الله ورسله وتعزير الرسول وتوقيره وخشية الله والإنابة إليه والإخلاص له والتوكل عليه، إلى غير ذلك من الأحوال.
فهذه الأعمال القلبية كلها من الآيات، وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد إيجاب العلة للمعلول ويتبع الاعتقاد قول اللسان ويتبع عمل القلب عمل الجوارح من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك، وعند هذا فالقول الوسط الذي هو قول." [1]

"كامل الإيمان إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل أفلا يستحي من هذا قوله، من إنكاره تكفير من شهد بتكفير الكتاب والسنة واتفاق الصحابة.
(الثاني) : أنه جعل في كتابه في الصلاة شعب الإيمان قسمين قولية وفعلية وكذلك شعب الكفر نوعين قولية وفعلية فكما ان من شعب الإيمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان كالصلاة، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية فكما يكفر بكلمة الكفر اختيارا وهي شعبة من شعب الكفر، كذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف والصلاة وقتل الأنبياء فإنه كفر عملي.
(الثالث) : أنه جعل حقيقة الإيمان مركبة (من قول) وقسمه إلى **قسمين: قول القلب وهو** الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام (ومن عمل) وقسمه إلى قسمين أيضا، عمل القلب وهو نيته وإخلاصه ومحبته وانقياده، وعمل الجوارح، ورتب زوال الإيمان بكماله على زوال هذه الأربعة، فإن زال بعضها، فإن كان التصديق، لم ينفع باقي ما أتى به، وان كان غيره، فإن كان عمل القلب فقط أو مع الجوارح فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وانه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده للأوامر وان عملت الجوارح ظاهرا ومع انتفاء عملها اللازم منه انتفاء عمل القلب وعبارته ما نصها: ومنها أصل آخر وهو ان حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول **قسمان: قول القلب وهو** اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله وإذا زال تصديق القلب لم تنفعه بقية الأشياء فإن تصديق القلب شرط في اعتبارها لكونها نافعة صحيحة، وإذا زال عمل القلب فقط

[1] () التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/129

مع وجود إعتقاد الصدق أو زال عمل الجوارح أيضا فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع مجرد التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده للأوامر سواء عملت الجوارح ظاهرا أو لم تعمل ووجد التصديق، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به وإذا." [1]

"عليهما اسم الكفر حقيقة مع انتفاء نص على بقائهما مؤمنين فان مراد ابن القيم رحمه الله بالكفر العملي هنا زوال شعبة فعلية موجب زوالها زوال الإيمان وثبوت شعبة فعلية من شعب الكفر موجب ثبوتها ثبوت الكفر، فالعملي هنا أعم من عمل القلب والجوارح في الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة وغيرهما وان **بقي قول القلب وهو** اعتقاده وتصديقه لانتفاء عمله وهو محبته وانقياده لفعل الأوامر، وفائدة قوله العملي المحض أي مع بقاء تصديق القلب من غير انقياد، وهو لا يستلزم الإيمان الموجب للإسلام.

(الخامس) : تصريحه بأن ترك الصلاة عمدا والحكم بغير ما أنزل الله حيث كان فيه رد لنص حكم الله عيانا عمدا كفر حقيقة مضاد للإيمان.

(السادس) : تفصيله وتفرقته بين كفر تارك الصلاة والحاكم بغير ما أنزل الله بشرطه، وبين كفر السارق والزاني وشارب الخمر ومن لم يأمن جاره بوائقه، فجعل كفر هؤلاء من جهة أعمالهم الظاهرة في قوله، وقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم اسم الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر وعمن لم يأمن جاره بوائقه، وإذا نفى عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العمل الظاهر منه منتف عنه كفر عمل القلب لبقاء محبته وانقياده حكما، فحكم الإسلام جار عليه كما تقدم، لكن ليس بمؤمن حقا، وإلى ذلك أشار بقوله وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد إذ عمل القلب هنا باق لم يفقد زيادة على قوله الذي هو التصديق وكذا قوله صلى الله عليه وسلم: "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض" فهذا كفر عملي ظاهر في الجوارح فقط، وعمل القلب على حاله كما تقدم في الذي قبله، وكذا يقال في قوله صلى الله عليه وسلم: "من أتى كاهنا فصدقه أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد " وقوله: "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما" وأمثاله هذا كما تقدم الكلام فيه موضحا.

(السابع) : جعله الإيمان العملي يضاده الكفر العملي فيما إذا اتصف شخص بذاك تارة وبهذا أخرى كالذين ثبت إيمانهم بما عملوا به من الميثاق المأخوذ عليهم في الكتاب {لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم} ثم ثبت." [2]

1() التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/134

2() التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/136

"السختياني، وأبو داود الطيالسي، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو خيثمة زهير بن حرب، قال يحيى بن معين قيل لعبد الله بن المبارك أن أناسا يقولون من لم يصم ولم يصل بعد أن يقر بهما فهو مسلم مؤمن فقال عبد الله لا نقول نحن كما يقول هؤلاء بل من ترك الصلاة متعمدا من غير علة حتى دخل وقت في وقت فهو كافر يحل قتاله وقال ابن أبي شيبة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من ترك الصلاة فقد كفر" فيقال له ارجع عن الكفر فإن فعل وإلا قتل بعد" وفي مسند الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله". وعن أبي الدرداء قال أوصاني أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: " أن لا أترك صلاة متعمدا فمن ترك صلاة متعمدا فقد برئت منه الذمة". رواه ابن أبي حاتم في سننه قال أحمد ابن سمار سمعت صدقة بن الفضل يسئل عن تارك الصلاة فقال هو كافر، فقال له السائل أتبين منه امرأته فقال صدقة وأين الكفر من الطلاق لو أن رجلا كفر ولم يطلق خرجت امرأته من عصمته لأنه أعظم، لكن قال أكثر العلماء ينتظر بها انقضاء عدتها ان كانت مدخولا بها لحديث صفوان بن أمية وامرأته بنت الوليد بن المغيرة ان صفوان أسلم بعدها بشهر فإنها أسلمت يوم الفتح وهو بقي علي كفره حتى شهد حنينا والطائف وهو كافر ثم أسلم بعد فلم يفرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما بل استقرت عنده امرأته بذلك النكاح، وقال أبو عبد الله محمد بن نصر سمعت اسحق ابن يسار يقول صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأى أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر. وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى ومحمد بن شهاب الزهري وداود بن علي المزني يحبس تارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب، والرواية التي عن الشافعي في قتله تارك الصلاة حدا إنما هي في الرجل الممتنع منها على حدته، والصحيحة عنه كفره، كما نقلها عنه عبد الحق الاشبيلي، وتارك الصلاة رأسا وان وجد منه التصديق والإقرار بها فإنه معدوم ما هو معتبر به ومتوقف صحته والعصمة به على وجوده وهو عمل القلب نيته وإخلاصه ومحبته وانقياده لفعل الأوامر إذا وجد فعله انقادت له الأعضاء وإلا بان لم يوجد منه إلا التصديق خاصة، **فذلك قول القلب مجردا** من فعله وهو لا ينفع كما لم ينفع إبليس وفرعون والذين عرفوا النبي." [1]

"قوله: " من شهد أن لا إله إلا الله " أي من تكلم بها عارفا لمعناها، عاملا بمقتضاها، باطنا وظاهرا، فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها; كما قال الله تعالى: {فاعلم أنه لا إله إلا الله} 1، وقوله: {إلا من شهد بالحق وهم يعلمون} 2. أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه: من البراءة من الشرك، وإخلاص القول

1() التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/262

والعمـل: قـول القلب واللسـان، وعمـل القلب والجـوارح فغـير نـافع بالإجمـــاع3.

1 ســــــــــــــــورة محمـــــــــــــــــد آيـــــــــــــــــة: 19.
2 ســــــــــــــــورة الزخـــــــــــــــرف آيـــــــــــــــة: 86.
3 قال في قرة العيون: وقد تضمنت هذه الكلمة العظيمة نفيا وإثباتا, فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله بقولك: (لا إله) ، وأثبتت الإلهية لله بقولـك: (إلا الله) قال تعالى: 3:ـ 18 (شهد الله أنه لا إلـه إلا هـو والملائكـة وأولـو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) , فكم ضل بسبب الجهل بمعناهـا من ضل وهم الأكثرون, فقلبوا حقيقـة المعـنى فـأثبتوا الإلهيـة المنفيـة لمن نفيت عنه من المخلـوقين أربـاب القبـور والمشـاهد والطـواغيت والأشـجار والأحجار والجن وغير ذلـك, واتخـذوا ذلـك دينـا وشـبهوا وزخرفـوا, واتخـذوا التوحيد بدعة وأنكروه على من دعاهم إليه; فلم يعرفوا منها ما عـرف أهـل الجاهلية من كفار قريش ونحوهم. (*) فإنهم عرفوا معناها وأنكروا مـا دلت عليه من الإخلاص كما قال تعـالى: 37:ـ 36,35 (إنهم كـانوا إذا قيـل لهم لا إلــه إلا اللــه يسـتكبرون ويقولــون أئنــا لتــاركو آلهتنــا لشــاعر مجنــون) ، والمشركون من أواخر هذه الأمة أنكـروا مـا أنكـره أولئـك على من دعـاهم إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله من الموتى والقبور والمشاهد والطواغيت ونحوها، فأولئك عرفوا هذا المعنى وأنكروه، وهـؤلاء جهلـوا هـذا المعنى وأنكروه، فلهذا تجده يقول: لا إله إلا الله, وهو يدعو مع اللـه غـيره. سبب ذلك أن عرب الجاهلية هم أهل لغة القرآن الفصحاء، فلا يجهلون شيئا من معنى التوحيد الـذي قـرره. وأمـا هـؤلاء الـذين فشـا فيهم اليـوم شـرك العبادة فليسوا من أهل ملكة هذه اللغة، وإنمـا يـدينون بالاصـطلاحات الـتي تلقاها بعضهم من بعض من كلامية وعامية. وإذا كان مثل الفخر الـرازي من أكبر أئمة متكلميهم وأصولييهم أخطأ في فهم معنى الإلـه في تفسـير قولـه تعالى: (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كمـا لهم آلهـة) , فمـا الظن بمن دونـه من علمائهم، دع عامتهم ودهماءهم؟ هل يستغرب منهم الجهل بأن من دعا ميتا أو صالحا حيا فيما لا يدعى فيه إلا الله, أو طاف بقـبره ونـذر لـه يكـون عابدا له ومتخذا له إلها؟!!.." [1]

"وفيه: أمر الإمام عماله بالرفق من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة; كمـا يشير إليه قوله: " ثم ادعهم الى الإسلام "1 أي الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول اللـه، وإن شـئت قلت الإسـلام: شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبـده ورسـوله، ومـا اقتضـته الشـهادتان من إخلاص العبادة لله وحده، وإخلاص الطاعة لرسوله صلي الله عليه وسلم. ومن هنـا طابق الحديث الترجمة كما قال تعالى لنبيه ورسوله: {قـل يـا أهـل الكتـاب تعالوا إلى كلمة سـواء بيننـا وبينكم ألا نعبـد إلا اللـه ولا نشـرك بـه شـيئا ولا

1 () فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/35

يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون} 2.
قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له والعبودية له. كذا قال أهل اللغة.
وقال - رحمه الله تعالى -: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله: هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب. والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وفي الأصل: هو من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب. انتهى.
فتبين أن أصل الإسلام هو التوحيد ونفي الشرك في العبادة وهو دعوة جميع المرسلين، وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به على ألسن رسله; كما قال تعالى عن نوح أول رسول أرسله {أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون} 3.
وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، وفيه: مشروعية الدعوة قبل القتال، لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء؛ لأن النبي صلي الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون4. وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة

---

1 في قرة العيون: هذا هو شاهد الترجمة, وهكذا ينبغي لأهل الإسلام أن يكون قصدهم بجهادهم هداية الخلق إلى الإسلام والدخول فيه, وينبغي لولاة الأمر أن يكون هذا هو معتمدهم ومرادهم ونيتهم.
2 سورة آل عمران آية: 64.
3 سورة نوح آية: 3.
4 الغار: الغافل. وقال البخاري: غزوة بني المصطلق من خزاعة. وهي المريسيع. قال ابن إسحاق: وذلك سنة ست. وقال موسى بن عقبة: سنة أربع. وقال النعمان بن راشد عن الزهري: "أن النبي صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون, وأنعامهم تسقى على الماء, فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم. وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث ". وبنو المصطلق بطن شهير من خزاعة. وسبب غزوهم: أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن الحارث بن ضرار سيدهم أبا جويرية يجمع الناس ويستعد لقتاله. ففاجأهم رسول الله وهم غافلون, وأسر منهم أكثرهم وأسلم الحارث بن ضرار.." [1]
"ومن تأمل كلام الشيخ وسياقه عرف مقصوده، وأن الكلام فيمن كفر العصاة وأهل الكبائر، وذكر نزاع الناس في ذلك ثم قال: وأما السلف والأئمة فاتفقوا على أن الإيمان قول وعمل، فيدخل في **القول: قول**

---

[1] () فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/92

القلب واللسان، وفي العمل: عمل القلب والأركان.
قال: وقال المنتصرون لمذهبهم: إن للإيمان أصولا وفروعا، وهو مشتمل على أركان وواجبات ومستحبات، بمنزلة اسم الحج والصلاة؛ فإن اسم الحج يتناول كل ما يشرع فيه من فعل وترك، مثل الإحرام وترك محظوراته، والوقوف بعرفة ومزدلفة ومنى، والطواف والسعي. ثم الحج مع هذا مشتمل على أركان، متى تركت لم يصح الحج، كالوقوف بعرفة، وعلى ترك محظور متى فعله فسد حجه، وهو الوطء. ومشتمل على واجبات، من فعل وترك، يأثم بتركها عمدا، ويجب لتركها لعذر أوغيره الجبران بدم، كالإحرام من المواقيت، والجمع بين الليل والنهار بعرفة، وكرمي الجمار ونحو ذلك. ومشتمل على مستحبات من فعل وترك يكمل الحج بها، ولا يأثم بتركها، ولا توجب دما، مثل رفع الصوت بالإهلال والإكثار منه، وسوق الهدى، وذكر الله في تلك المواضع، وقلة الكلام إلا في أمر ونهي. فمن فعل ذلك الواجب، وترك المحظور، فقد تم حجه وعمرته، وهو مقتصد من أصحاب اليمين في هذا العمل.
لكن من أتى بالمستحب فهو أكمل وأتم حجا وعملا، وهو سابق مقرب، ومن ترك المأمور، وفعل المحظور، لكنه أتى بأركانه، وترك مفسداته فحجه ناقص، يثاب على ما فعله من الحج، ويعاقب على ما تركه، وقد سقط عنه أصل الفرض. ـ إلى أن قال ـ: فمسألة تكفير أهل والأهواء والبدع متفرعة على هذا الأصل. ـ ثم ذكر مذاهب الأئمة في ذلك وذكر تكفير الإمام أحمد للجهمية، وذكر كلام السلف في تكفيرهم وإخراجهم من الثلاث والسبعين فرقة، وغلظ القول فيهم، وذكر الروايتين في تكفير من لم يكفرهم، وذكر أصول هذه الفرق، هم: الخوارج، والشيعة، والمرجئة، والقدرية ــ ثم أطال الكلام في عدم تكفير هذه الأصناف. واحتج بحديث أبي هريرة ــ ثم قال: وإذا كان كذلك فالمخطئ في بعض المسائل إما أن يلحق بالكفار من." [1]

"[فصل الإيمان قول وعمل]
فصل (1)ـ **والإيمان قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، مطابقا للكتاب والسنة، والنية لقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (2)ــ .
والإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، قال الله تعالى: {فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا} [التوبة: 124] وقال تعالى:. . {ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم} [الفتح: 4] وقال تعالى:. . {ويزداد الذين آمنوا إيمانا} [المدثر: 31] وفي الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» (3) . فجعل القول والعمل جميعا من الإيمان، ومع ذلك لا يكفر أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما قالت الخوارج (4) بل الأخوة الإيمانية باقية مع المعاصي، كما قال تعالى في آية القصاص:. . {فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان}

1 () منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس عبد اللطيف آل الشيخ ص/216

(1) قـــارن هـــذا الفصـــل بالعقيـــدة الواســـطية (ص 16 - 17) .
(2) متفق عليه من حديث عمر: البخاري (1 / 9 فتح) ومسلم (1907) .
(3) رواه مسلم (35) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ورواه البخاري (1 / 51 فتح) ولكن فيـه " الإيمـان بضـع وسـتون ". ولقـد رجح الـبيهقي روايـة البخاري. وابن الصلاح - لكون الأقل مـتيقن - وأيـده ابن حجـر، ورجح روايـة مسلم الحليمي ثم عياض وأيدهما الألبـاني وأجـاب عن اعتراضـات الحافـظ ببحث نفيس انظره في السلسلة الصحيحة (1976) وانظـر " فتح البـاري " (1 / 51 - 52) .
(4) انظـــــر التعليـــــق رقم (3) بحاشـــــية ص 66.
قال الطحاوي - رحمـه اللـه - في عقيدتـه (ص 355 شـرحها) : " ولا نكفـر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مـع الإيمـان ذنب لمن عمله ". وراجع شرحها فإنه مهم وفيه رد على خـوارج العصـر الحاضـر ومرجئته.." [1]

"يبتغي بذلك وجه اللـه" 1. وقولـه: " لا يـدخل النـار من قـال لا إلـه إلا الله" وما جاء من هـذا الضـرب من الأحـاديث الـتي أشـكلت على كثـير من الناس حتى ظن بعضـهم أنهـا منسـوخة، وظنهـا بعضـهم قبـل ورود الأوامـر والنواهي واستقرار الشرع، وحملهـا بعضـهم على نـار المشـركين والكفـار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، وقال: المعنى لا يدخلها خالدا ونحـو ذلـك من التأويلات المستكرهة، والشارع صـلوات اللـه وسـلامه عليـه لم يجعـل ذلـك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط وأن هذا الخلاف معلوم بالاضطرار عن دين الإسلام فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الجاحد لهـا في الـدرك من النـار، فلابد **من قول القلب واللسان**، وقول القلب يتضمن معرفتها والتصديق بها ومعرفة حقيقة مـا تضـمنت من النفي والإثبـات ومعرفـة حقيقـة الإلهيـة المنفية عن غير الله المختصة بـه الـتي يسـتحيل ثبوتهـا لغـيره، وقيـام هـذا المعنى بالقلب علما ومعرفة ويقينا وحالا ما يوجب تحـريم قائلهـا من النـار، وكل قول رتب الشارع، عليه من الثواب فإنها هو كقـول "من قـال سـبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحـر" 2. وليس هذا مرتبا على مجرد قول اللسان، وليس من قالها بلسانه غـافلا عن معناها معرضا عن تدبرها ولم يواطئ قلبه لسانه ولا عرف قدرها وحقيقتهـا راجيا مع ذلك ثوابها حطت خطاياه بل على حسب ما في قلبه فإن الأعمـال لا تتفاضل بصـورها وعـددها وإنمـا تتفاضـل بتفاضـل مـا في القلب، فتكـون صــورة العملين واحــدة بينهمــا من التفاضــل كمــا بين الســماء والأرض، والـــــرجلان يكـــــون مقامهمـــــا في الصـــــف واحـــــدا وبين

[1] () قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر صديق حسن خان ص/84

1 تقــــــــــــــــــــــــــــــــدم تخريجــــــــــــــــــــــــــــــــه.
2 رواه الترمـذي (3466) من حـديث أبي هريـرة مرفوعـا بنحـوه. وقـال: "حسن صحيح". وفي الباب عن أنس أخرجه مسلم (2692) .." [1]
"يزيـد **وينقص، قـول القلب واللسـان**، وعمـل القلب واللسـان والجـــوارح.
قالوا: إذا قيل: إن هذا من أصول الفرقـة الناجيـة خـرج عن الفرقـة الناجيـة من لم يقل ذلـك، مثـل أصـحابنا المتكلمين، الـذين يقولـون إن الإيمـان هـو التصـديق، ومن يقـول الإيمـان هـو التصـديق والإقـرار، وإذا لم يكونـوا من النـــــــــاجين لـــــــــزم أن يكونـــــــــوا هـــــــــالكين.
وأما الأسئلة الثلاثة؛ وهي التي كانت عمدتهم فأوردوها على قولنا: وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمـان بمـا أخـبر اللـه في كتابـه، وتـواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه سلف الأمة، من أنه سـبحانه فوق سمواته على عرشه علي على خلقه، وهـو معهم أينمـا كـانوا، يعلم مـا هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى: {هو الذي خلـق السـماوات والأرض في ستة أيام ثم اسـتوى على العـرش يعلم مـا يلج في الأرض ومـا يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير} 1 وليس معنى قوله: (وهـو معكم) أنـه مختلـط بـالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمـع عليـه سـلف الأمـة، وخلاف مـا فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاتـه وهـو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان وغير المسافر، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم، إلى غير ذلـك من معاني ربوبيته، وكل هذا الكلام الذي ذكره الله تعالى من أنـه فـوق العـرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتـاج إلى تحريـف، ولكن يصـان عن الظنـون الكاذبــة.
السؤال الثاني: قال بعضهم: نقر باللفـظ الـوارد، مثـل حـديث س العبـاس، حديث الأوعال، والله فوق العرش، ولا نقول فوق السموات، ولا نقول على العرش استوى، ولا نقول مستو. وأعادوا هذا المعنى مرارا أن اللفـظ الـذي ورد يقال اللفظ بعينه، ولا يبدل بلفظ يرادفـه، ولا يفهم لـه معـنى أصـلا، ولا يقـــال إنه

---

1 سورة الحديد: 4.." [2]
"اللــه} [محمــد 19] وقولــه: {إلا من شــهد بــالحق وهم يعلمــون} [الزخرف86] ، أما النطق بها من غـير معرفـة بمعناهـا، ولا يقين، ولا عمـل بمـا تقتضـيه من نفي الشـرك وإخلاص القـول **والعمـل قـول القلب واللســـان**، وعمـــــل القلب والجــــوارح فغــــير نــــافع بالإجمــــاع.

---

[1] () فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد حامد بن محسن ص/128
[2] () غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري 1/417

قال في "المفهم على صحيح مسلم" باب لا يكفي مجرد اللفظ بالشهادتين، بل لا بـد من اسـتيقان القلب، هـذه الترجمـة تنبيـه على فسـاد مـذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفـظ بالشـهادتين كـاف في الإيمـان، وأحـاديث هـذا الباب تدل على فسـاده، بـل هـو مـذهب معلـوم الفسـاد من الشـريعة لمن وقف عليها، ولأنه يلزم من تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح، وهـــــــــــــو باطـــــــــــــل قطعـــــــــــــا انتهى.

ومعنى "لا إله إلا الله" أي لا معبـود حـق إلا اللـه، وهـو في غـير موضـع من القـرآن قـال تعـالى: {وإلهكم إلـه واحـد لا إلـه إلا هـو الـرحمن الـرحيم} [البقرة: 163] وقال تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} [الأنبياء25] وقال: {وإلى عـاد أخـاهم هـودا قـال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره} [هود50] فأجابوا ردا عليه بقـولهم: {أجئتنا لنعبـد اللـه وحـده ونـذر مـا كـان يعبـد آباؤنـا} [الأعـراف70] وقـال تعالى:." [1]

"واللسان جميعا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك – إلى أن قال: والمقصود هنا: أن من قال من السلف: الإيمـان قـول وعمـل، **أراد قول القلب واللسان** وعمـل القلب والجـوارح، ومن أراد أن لفـظ القول لا يفهم منه إلا القـول الظـاهر أو خـاف ذلـك فـزاد الاعتقـاد بـالقلب، ومن قال قول وعمل ونية، قـال القـول يتنـاول ذلـك، ومن زاد اتبـاع السـنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبـا للـه إلا باتبـاع السـنة، وأولئـك لم يريـدوا كـل قول وعمل، وإنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمـال، ولكن كـان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقـالوا بـل هـو قـول وعمل، والذين جعلوه أربعة فسروا مـرادهم كمـا سـئل سـهل بن عبـد اللـه التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسـنة، لأن الإيمـان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفـاق، وإذا كـان قـــــــول وعمــــــــل ونيـــــــة بلا اتبـــــــاع ســـــــنة فهـــــــو بدعـــــــة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الصلاة: وههنا أصـل آخـر وهـو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمـل، والقـول قسـمان: قـول القلب، وهـو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمـل قسـمان: عمـل القلب، وهـو نيـة وإخلاص، وعمـل الجـوارح. فـإذا زالت هـذه الأربعـة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقيـة الأجـزاء، فـإن تصـديق القلب شـرط في اعتقادهـا، وكونهـا نافعـة إلى آخـر كلامـه رحمـه اللـه. إذا المقصود بهذا، التنبيه. فمن أراد الكلام بتمامه فليراجعه هناك.." [2]

"الدين والإيمان قول **وعمل، قـول القلب واللسـان** وعمـل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالعصية. وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبـائر، كمـا يفعلـه الخـوارج، بـل

1() الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية سليمان بن سحمان ص/322

2() تنبيه ذوي الألباب السليمة عن والوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة سليمان بن سحمان ص/70

الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال في آية القصاص: {فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف} [البقرة: 178] وقال: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين - إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم} [الحجرات: 9 ـ 10] ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله: {فتحرير رقبة مؤمنة} [النساء: 92] وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله:." [1]

"الفصل الأول

في حد الإيمان وتفسيره

حدود الأشياء وتفسيرها الذي يوضحها، تتقدم أحكامها؛ فإن الحكم على الأشياء فرع عن تصورها. فمن حكم على أمر من الأمور - قبل أن يحيط علمه بتفسيره، ويتصوره تصورا يميزه عن غيره - أخطأ خطأ فاحشا.

أما حد الإيمان وتفسيره، فهو التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به؛ والانقياد ظاهرا وباطنا. فهو تصديق القلب واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن. وذلك شامل للقيام بالدين كله.

ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون: **الإيمان قول القلب واللسان**، وعمل." [2]

"فصل: ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح. وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر؛ كما يفعله الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي؛ كما قال سبحانه: {فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف} [البقرة: 178] ، وقال: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين} [الحجرات: 9] . {إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم} [الحجرات: 10] .

ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار؛ كما تقول المعتزلة. بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان؛ كما في قوله: {فتحرير رقبة مؤمنة} [النساء: 92] ، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق؛ كما في قوله تعالى: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا} [الأنفال: 2] ، وقوله: - صلى الله عليه وسلم -:

[1] التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة عبد الرحمن السعدي ص/105

[2] التوضيح والبيان لشجرة الإيمان عبد الرحمن السعدي ص/41

(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسـرق وهـو مـؤمن، ولا يشـرب الخمـر حين يشـربها وهـو مـؤمن، ولا ينتهب نهبـة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبهـا وهـو مـؤمن) . ويقولـون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته،." [1]

"عن رءوسـهم, يقولـون: الحمـد للـه الـذي أذهب عنـا الحـزن"1.

واعلم أن النصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها, وفيما ذكرنا كفاية وسنذكر إن شاء الله تعـالى عنـد ذكـر شـروطها مـا تيسـر من نصوص الكتاب والسنة, ويكفيك في فضل لا إله إلا الله إخبـار النـبي -صـلى الله عليه وسلم- أنها أعلى جميع شعب الإيمان, كما في الصحيحين عن أبي هريرة -رضـي اللـه عنـه- قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: "الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون- شعبة, فأفضلها قول: لا إله إلا اللـه وأدناهـا: إماطـة الأذى عن الطريـق" الحـديث2. وهـذا لفـظ مسـلم3. "من قالها" أي: قال هـذه الكلمـة حـال كونـه "معتقـدا" أي: عالمـا ومتيقنـا "معناها" الذي دلت عليه نفيا وإثباتا "وكان" مع ذلك "عاملا بمقتضـاها" على وفق ما علمـه منهـا وتيقنـه, فـإن ثمـرة العلم العمـل بـه "في القـول" **أي: قول القلب واللسـان** "والفعـل" أي: عمـل القلب واللسـان والجـوارح, قال الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مـا لا تفعلـون، كـبر مقتـا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلـون} [الصـف: 2-3] "ومـات مؤمنـا" أي: على ذلك, وهذا شرط لا بد منه فإنما الأعمـال بـالخواتيم, قـال صـلى اللـه عليـه وسلم: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مـات على ذلـك, إلا دخـل الجنـة" الحديث في الصـحيحين عن أبي ذر بطوله3. "يبعث يـوم الحشـر" أي: يـوم الجمع "ناج" من النـار "آمنـا" من فـزع يـوم القيامـة كمـا قـال تعـالى: {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئـك عنهـا مبعـدون، لا يسـمعون حسيسـها وهم في مـا اشـتهت أنفسـهم خالـدون، لا يحـزنهم الفـزع الأكـبر وتتلقـاهم الملائكـــــــــــــــــة هـــــــــــــــذا يـــــــــــــــومكم

---

1 لم أجـده في مسـند أحمـد ولم أر أحـدا عـزاه إليـه غـيره, ورواه ابن أبي حاتم وابن عدي في الكامل "4/ 1582" وفي سنده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف. ورواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ضعيفين "المجمع 10/ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 86".

2 البخاري "1/ 51" في الإيمان، باب أمور الإيمان، ومسلم "1/ 63 ح35" في الإيمـان، بـاب بيـان عـدد شـعب الإيمـان وأفضـلها وأدناهـا.

3 البخاري "10/ 282" في اللباس، باب الثياب البيض وغيرها، ومسلم "1/ 95 ح154" في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شـيئا دخـل الجنـة.." [2]

---

[1] () التعليقات السنية على العقيدة الواسطية فيصل المبارك ص/117

[2] () معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي 2/415

"التزمه واتبعه هو "قول" أي: بالقلب واللسان "وعمل" أي: بالقلب واللسان والجوارح, فهذه أربعة أشياء جامعة لأمور دين الإسلام:
الأول: قول القلب وهو تصديقه وإيقانه, قال الله تعالى: {والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون، لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين} [الزمر: 33، 34] وقال تعالى: {وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين} [الأنعام: 75] وقال تعالى: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا} [الحجرات: 15] صدقوا ثم لم يشكوا. وفي حديث الدرجات العلا: "بلى والذي نفسي بيده, رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين" 1. وقال تعالى: {الذين يؤمنون بالغيب} [البقرة: 3] وقال تعالى: {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم} [البقرة: 136] الآيات, وقال تعالى: {وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب} [الشورى: 15] وغير ذلك من الآيات. وفي حديث الشفاعة: "يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله, وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة" 2 الحديث. وفي الحديث الآخر: "فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان, ثم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان, ثم من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان" 3.

---

1 البخاري "6/ 320" في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم "4/ 2177/ ح2831" في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء.
2 البخاري "13/ 392" في التوحيد، باب قول الله تعالى: {لما خلقت بيدي} ومسلم "1/ 177، 178/ ح191" في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.
3 البخاري "13/ 473، 474" في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء, ومسلم "1/ 182-184/ ح193" في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة.." [1]

"متفرقة, منها ما هو **من قول القلب وعمله**, ومنها ما هو من قول اللسان, ومنها ما هو من عمل الجوارح.
ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح, سماها الله تعالى إيمانا في قول الله عز وجل: {وما كان الله ليضيع إيمانكم} [البقرة: 143] يعني: صلاتكم كما يعلم من سبب نزول الآية, وروى سعيد بن منصور عن عبد الرحمن بن يزيد: كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- وما سبقونا به فقال

1() معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي 2/588

عبد الله: إن أمر محمد -صلى الله عليه وسلم- كان بينا لمن رآه, والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بالغيب, ثم قرأ: {الم ذلك الكتاب} إلى قوله: {المفلحون} [البقرة: 1-5]. 1. والآيات والأحاديث في هذا الباب يطول ذكرها, وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ما وراءه, وبالله التوفيق.

وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم الله تعالى: إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل, وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان. وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم.

وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكارا شديدا, وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا محدثا, ممن سمي لنا: سعيد بن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السختياني والنخعي والزهري وإبراهيم ويحيى بن أبي كثير والثوري والأوزاعي وعمر بن عبد العزيز وغيرهم2. قال الثوري: هو رأي محدث, أدركنا الناس على غيره. وقال الأوزاعي: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: أما بعد, فإن الإيمان فرائض وشرائع, فمن استكملها استكمل الإيمان, ومن لم

---

1 رواه سفيان بن عيينة وسعيد بن منصور وأحمد بن منيع في مسنده وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه عن الحارث بن قيس أنه قال لابن مسعود ... الحديث "الدر المنثور 1/ 65". وأخرجه الحاكم "2/ 260" وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وسنده عند سعيد بن منصور سنده "ابن كثير 1/ 43".

2 انظر الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.." [1]

""والحالة الثانية" أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام, وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه, وكما في قول الله عز وجل: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات} [النساء: 57] في غيرما موضع من كتابه, وكما في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في دعاء الجنازة: "اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام, ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان" 1, وذلك أن الأعمال بالجوارح وإنما يتمكن منها في الحياة, فأما عند الموت فلا يبقى **غير قول القلب وعمله**. وكحديث أنس عند أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الإسلام علانية, والإيمان في القلب" 2.

والحاصل أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ, بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله, وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث الجليل. والمجموع مع الإحسان هو الدين

1() معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي 2/600

كما سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله دينا, وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان, وبذلك جمع بينه وبينها أهل العلم.
قال ابن رجب رحمه الله: وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان وتفريق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان, فإنه يتضح بتقرير أصل, وهو أن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه, فإذا قرن ذلك

---

1 رواه أبو داود "3/ـ 211/ ح3201" في الجنائز، باب الدعاء للميت, والترمذي "3/ـ 343/ ح1024" في الجنائز، باب ما يقول في الصلاة على الميت, وابن ماجه "1/ـ 480/ ح1498" في الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة, وأحمد "2/ 368" و"4/ 170/ و308", وابن حبان "الإحسان 5/ 29" والحاكم "1/ 358" وقال: "صحيح على شرط الشيخين" ووافقه الذهبي، وهو كما قال.
2 رواه أحمد "3/ 135، 136" وأبو يعلى بتمامه "المجمع 1/ 57" والبزار مختصرا "كشف الأستار 1/ـ 19" وابن أبي شيبة في الإيمان "ص5/ ح6" قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح ما خلا علي بن مسعدة, وقد وثقه ابن حبان وأبو داود الطيالسي وأبو حاتم وابن معين وضعفه آخرون "المجمع 1/ 57" وعلي هذا قال الحافظ في التقريب: صدوق له أوهام.." [1]

"معها» (1) . الحديث، وإن كانوا جماعة ولهم شوكة وجب على الإمام قتالهم حتى يؤدوها للآيات والأحاديث السابقة وغيرها، وفعله أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم أجمعين. وأما الصوم فلم يرد فيه شيء ولكن يؤدبه الإمام أو نائبه بما يكون زجرا له ولأمثاله. وأما الحج فكل عمر العبد وقت له لا يفوت إلا بالموت، والواجب فيه المبادرة، وقد جاء الوعيد الأخروي في التهاون فيه، ولم ترد فيه عقوبة خاصة في الدنيا.

[تعريف الإيمان]
س: ما هو الإيمان؟
جـ: الإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان

---

(1) (حسن) رواه أبو داود (1575) ، والنسائي (2292) أ، (2297) أ، وابن الجارود (174) ، والحاكم (1 / 398) ، والبيهقي (4 / 105) ، وأحمد (4 / 2، 4) من طرق عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وقد قال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، وقد حسن الحديث الشيخ الألباني للخلاف المعروف على بهز بن حكيم، وقال الشافعي: ليس بحجة، وهذا الحديث لا

---

1 () معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي 2/603

يثبته أهل العلم بالحديث ولو ثبت لقلنا به، وكان الشافعي قد قال به في مذهبه القديم ثم رجع عن ذلك في الجديد، أما عن شرح مسألة " أخذ نصف ماله معه " فقد تقرر عن كثير من علماء الأمة أن الغلول في الصدقة والغنيمة لا يوجب غرامة في المال. ولذلك فإنهم اتجهوا إلى تأويل هذا الحديث بما يلي:

(1) أن الحديث منسوخ، ورد ذلك بأن دعوى النسخ غير مقبولة إلا مع وجود الدليل على ذلك مع العلم بتاريخ الأسبق، وهذا غير محقق في مسألتنا.

(2) أن الحديث فيه وهم قد وقع في سياق متنه وأن الصحيح " فإنا آخذوها من شطر ماله " أي يجعل ماله شطرين فيتخير عليه المصدق ويأخذ الصدقة من خير الشطرين عقوبة لمنعه الزكاة، فأما ما لا يلزمه فلا.

(3) أن الحديث صحيح ويجب أن يؤخذ به على ظاهره، وأنه قد ثبت عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في شرعية العقوبات المالية لم ثبت نسخها بحجة.

(4) أن الحديث ضعيف باعتبار أن بهزا لا يحتج به، وقد ذهب إلى ذلك بعض العلماء وخالفهم آخرون، والقول الثاني هو الأقرب عندنا، والله تعالى أعلم.." [1]

"فبين صلى الله عليه وسلم أن الإحسان على مرتبتين متفاوتتين، أعلاهما عبادة الله كأنك تراه، وهذا مقام المشاهدة، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان. الثاني: مقام المراقبة وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله تعالى وإرادته بالعمل، ويتفاوت أهل هذين المقامين بحسب نفوذ البصائر.

[ما يضاد الإيمان]

س: ما هو ضد الإيمان؟

جـ: ضد الإيمان الكفر، وهو أصل له شعب، كما أن الإيمان أصل له شعب، وقد عرفت مما تقدم أن أصل الإيمان هو التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد بالطاعة، فالكفر أصله الجحود والعناد المستلزم للاستكبار والعصيان، فالطاعات كلها من شعب الإيمان وقد سمى في النصوص كثير منها إيمانا كما قدمنا، والمعاصي كلها من شعب الكفر وقد سمى في النصوص كثير منها كفرا كما سيأتي، فإذا عرفت هذا عرفت أن الكفر كفران، كفر أكبر يخرج من الإيمان بالكلية وهو الكفر الاعتقادي المنافي

[1] () أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة = 200 سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية حافظ بن أحمد حكمي ص/16

لقول القلب وعمله أو لأحدهما، وكفر أصغر ينافي كمال الإيمان ولا ينافي مطلقه وهو الكفر العملي، الذي لا **يناقض قول القلب ولا** عمله ولا يستلزم ذلك.

[كيفية منافاة الكفر الاعتقادي للإيمان بالكلية]

س: بين كيفية منافاة الكفر الاعتقادي للإيمان بالكلية وفصل لي ما أجملته في إزالته إياه؟ .." [1]

"جـ: قد قدمنا لك أن الإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، فقول القلب هو: التصديق، وقول اللسان هو: التكلم بكلمة الإسلام، وعمل القلب هو: النية والإخلاص، وعمل الجوارح هو الانقياد بجميع الطاعات، فإذا زالت جميع هذه **الأربعة قول القلب وعمله** وقول اللسان وعمل الجوارح زال الإيمان بالكلية، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع البقية، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وذلك كمن كذب بأسماء الله وصفاته أو بأي شيء مما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه، وإنزال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان كله بزواله وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون: ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به.

[أقسام الكفر الأكبر المخرج من الملة]

س: كم أقسام الكفر الأكبر المخرج من الملة؟

جـ: علم مما قدمناه أنه أربعة أقسام: كفر الجهل والتكذيب، وكفر جحود، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق.

[كفر الجهل والتكذيب]

س: ما هو كفر الجهل والتكذيب؟

جـ: هو ما كان ظاهرا وباطنا كغالب الكفار من قريش ومن قبلهم من الأمم الذين قال الله تعالى فيهم: {الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون} [غافر: 70] وقال تعالى: {وأعرض عن الجاهلين} [الأعراف: 199] وقال تعالى: {ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون - حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون} [النمل: 83 - 84] الآيات." [2]

"بالعملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم **يناقض قول القلب ولا** عمله.

[1] () أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة = 200 سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية حافظ بن أحمد حكمي ص/96

[2] () أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة = 200 سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية حافظ بن أحمد حكمي ص/97

[أقسام الظلم والفسوق والنفاق]

س: إلى كم ينقسم كل من الظلم والفسوق والنفاق؟

جـ: ينقسم كل منهما إلى قسمين: أكبر هو الكفر، وأصغر دون ذلك.

[مثال كل من الظلم الأكبر والأصغر]

س: ما مثال كل من الظلم الأكبر والأصغر؟

جـ: مثال الظلم الأكبر ما ذكره الله تعالى في قوله: {ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين} [يونس: 106] وقوله تعالى: {إن الشرك لظلم عظيم} [لقمان: 13] وقوله تعالى: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار} [المائدة: 72] ومثال الظلم الذي دون ذلك ما ذكر الله تعالى بقوله في الطلاق: {واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه} [الطلاق: 1] وقوله تعالى: {ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه} [البقرة: 231]

[مثال الفسوق الأكبر والأصغر]

س: ما مثال كل من الفسوق الأكبر والأصغر؟

جـ: مثال الفسوق ما ذكره الله تعالى بقوله: {إن المنافقين هم الفاسقون} [التوبة: 67] وقوله تعالى: {إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه} [الكهف: 50] وقوله تعالى: {ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين} [الأنبياء: 74] ومثال الفسوق الذي دون ذلك قوله تعالى في القذفة: {ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون} [النور: 4] وقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين} [الحجرات: 6] روي أنها." [1]

" . . . .

[الحجرات: من الآية14] ، فإن من حكمت له النصوص أنه مؤمن فإنه مسلم على كل حال، فإن الإيمان وصف أعلى من وصف الإسلام، لأنه مشتق من الأمن فهو من الأمور الباطنة الذي يؤتمن عليه, ويكون خفية, والإسلام من الأمور المدركة المحسوسة في الظاهر, مشتق من التسليم أو المسالمة كما تقدم, فإذا أطلق الإيمان في النصوص دخل فيه الإسلام, وإذا أطلق الإسلام لم يدخل فيه الإيمان, ومن أثبت له الإيمان في النصوص, فإنه ثابت له الإسلام, والمسلم لابد أن يكون معه إيمان يصحح إسلامه, وإلا

[1] () أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة = 200 سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية حافظ بن أحمد حكمي ص/101

كان منافقا, ولكن لا يستحق أن يمدح به ويثنى عليه, بل إيمانه ناقص, ويأتي تمثيله, والإيمان الرعي: **وعمل, قول القلب واللسان**, وعمل القلب واللسان والجوارح, ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية, فدخل فيه جميع المأمورات, سواء كان من بالواجبات أو المستحبات, ودخل فيه ترك جميع المنهيات, سواء." [1]

"وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي - صلى الله عليه وسلم -: مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات، حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها.

فصل: ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح. وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر؛ كما يفعله الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي؛ كما قال سبحانه: {فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف} ، وقال: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين - إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم} .." [2]

"ـ[(فصل: ومن أصول [أهل السنة والجماعة] (1) أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب** (2) واللسان (3) ، وعمل القلب (4) واللسان (5) والجوارح (6) . وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية) (7) .]ـ

/ش/ سبق أن ذكرنا في مسألة الأسماء والأحكام أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، وأن هذه الثلاثة داخلة في مسمى الإيمان المطلق.

فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين: ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، فلا يستحق اسم الإيمان المطلق إلا من جمع ذلك كله ولم ينقص منه شيئا.

ولما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان؛ كان الإيمان قابلا للزيادة والنقص، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ كما هو صريح الأدلة من الكتاب والسنة، وكما هو ظاهر مشاهد من تفاوت المؤمنين في عقائدهم وأعمال قلوبهم وأعمال جوارحهم.

---

(1) في المخطوط: [الفرقة الناجية] .

(2) قول القلب: تصديقه وإيقانه.

(3) قول اللسان: النطق بالشهادتين.

---

[1] حاشية ثلاثة الأصول عبد الرحمن بن قاسم ص/99

[2] شرح العقيدة الواسطية للهراس محمد خليل هراس ص/

(4) عمـــــــل القلب: النيـــــــة، والإخلاص، والمحبـــــــة والانقيـــــــاد
(5) عمــل اللســان: مــا لا يــؤدى إلا بــه؛ كتلاوة القــرآن وســائر الأذكــار.
(6) عمل الجوارح: مـا لا يـؤدى إلا بهـا؛ مثـل: القيـام، والركـوع، والسـجود.
انظـــــره ومـــــا قبلـــــه في: ((معـــــارج القبـــــول)) (2/17-20)ـــ .
(7) اعلم أن من قال بإحدى هذه العبـارات فقـد وقـع في الإرجـاء أو دخلت عليـــــــــــــــــــــــــه شـــــــــــــــــــــــبهته:
1- الإيمـــــــان تصـــــــديق بـــــــالقلب فقـــــــط. (جهميـــــــة)
2- الإيمـــــــان نطـــــــق باللســـــــان فقـــــــط. (كراميـــــــة)
3- الإيمـــان تصـــديق بـــالقلب ونطـــق باللســـان (مرجئـــة الفقهـــاء)
4- الإيمان تصديق بـالقلب، وقـول باللسـان، وعمـل بـالقلب دون الجـوارح.
5- الإيمـــــان لا يزيـــــد ولا ينقص والنـــــاس في أصـــــله ســـــواء.
6- الكفـــــــــــر تكـــــــــــذيب فقـــــــــــط (جهميـــــــــــة)
7- الكفر لا يكـون إلا بالاعتقـاد أوالجحـود والاسـتحلال، ويستشـهدون بقـول الطحاوي رحمه اللـه في عقيدتـه: ((ولا نكفـر أحـدا من أهـل القبلـة بـذنب، مـــــــــــــــــــــــــــالم يســـــــــــــــــــــــــــتحله)) .
(والصواب أن يقال: الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ولا نكفر أحـدا من أهل القبلة بذنب -دون الشرك أو الكفر-، مالم يستحله) .." [1]
"اللغـــــــــــــــــــــــــــة التصـــــــــــــــــــــــــــديق.
ولكن في هـذا نظـر؛ لأن الكلمـة إذا كـانت بمعـنى الكلمـة؛ فإنهـا تتعـدى بتعـديتها، ومعلـوم أن التصـديق يتعـدى بنفسـه، والإيمـان لا يتعـدى بنفسـه؛ فتقول مثلا: صدقته، ولا تقول: آمنته! بل تقـول: آمنت بـه. أو: آمنت لـه. فلا يمكن أن نفسـر فعلا لازمـا لا يتعـدى إلا بحـرف الجـر بفعـل متعـد ينصـب المفعول به بنفسه، ثم إن كلمة (صدقت) لا تعطي معنى كلمة (آمنت)، فإن (آمنت) تـــــدل على طمأنينـــــة بخـــــبره أكـــــثر من (صـــــدقت).
ولهذا؛ لو فسر الإيمان بـالإقرار؛ لكـان أجـود؛ فنقـول: الإيمـان: الإقـرار، ولا إقرار إلا بتصديق؛ فتقول: أقر به؛ كما تقول: آمن به، وأقـر لـه؛ كمـا تقـول: آمن لـــه.
هـــذا في اللغـــة.
* وأمـــــا في الشـــــرع؛ فقـــــال المؤلـــــف: "قـــــول وعمـــــل".
* وهذا تعريف مجمل فصله المؤلف بقوله: "قـول القلب واللسـان، وعمـل القلب واللســـــــــــــــــــــــــــان والجـــــــــــــــــــــــــــوارح".
* فجعـــل المؤلـــف للقلب قـــولا وعملا، وجعـــل للســـان قـــولا وعملا.
- أما قول اللسان؛ فالأمر فيه واضـح، وهـو النطـق، وأمـا عملـه؛ فحركاتـه، وليست هي النطق، بل النطق ناشئ عنها إن سلمت من الخرس.." [2]

---

[1] () شرح العقيدة الواسطية للهراس محمد خليل هراس ص/231
[2] () شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ابن عثيمين 2/230

"- وأما قول القلب؛ فهو اعترافه وتصديقه. وأما عمله؛ فهو عبارة عن تحركه وإرادته؛ مثل الإخلاص في العمل؛ فهذا عمل قلب، وكذلك التوكل والرجاء والخوف؛ فالعمل ليس مجرد الطمأنينة في القلب، بل هناك حركة في القلب.

- وأما عمل الجوارح؛ فواضح؛ ركوع، وسجود، وقيام، وقعود، فيكون عمل الجوارح إيمانا شرعا؛ لأن الحامل لهذا العمل هو الإيمان.

* فإذا قال قائل: أين الدليل على أن الإيمان يشمل هذه الأشياء؟ قلنا: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره" (1)؛ فهذا قول القلب. أما عمل القلب واللسان والجوارح؛ فدليله قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" (2)؛ فهذا قول اللسان وعمله وعمل الجوارح، والحياء عمل قلبي، وهو انكسار يصيب الإنسان ويعتريه عند وجود ما يستلزم الحياء.

فتبين بهذا أن الإيمان يشمل هذه الأشياء كلها شرعا.

---

(1) تقدم تخريجه (1/ 54)، وهو عند مسلم (8).

(2) رواه مسلم (35) من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ، وقد أخرجه البخاري (9) بلفظ: "الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان".." [1]

"الإيمان والدين عند أهل السنة

س185- ما الإيمان والدين عند أهل السنة والجماعة؟

ج- من أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قول القلب

س186- ما **هو قول القلب وما** دليله؟

ج- **أما قول القلب فمعناه** يكون بتصديقه وإيقانه، قال تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) وقوله (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) وقال (إنما المؤمنون الذي آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) وقال (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) الآية.

قول اللسان

---

[1] () شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ابن عثيمين 2/231

س187- ما هو قول اللسان وما دليله؟
ج- هو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والإقرار بلوازمهما، قال الله تعالى (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) وقال (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) وقال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وقال لسفيان بن عبد الله قل آمنت بالله ثم استقم.." [1]
"الفرق بين الإسلام والإيمان
قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله تعالى في بيان اعتقاد أهل السنة في بحثه في مسائل الإيمان: [وقال كثير منهم: إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموما إلى الآخر فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعا. أو مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد بالآخر، وإن ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم.
وكثير منهم قالوا: الإسلام والإيمان واحد، فقال الله عز وجل: {ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه} [آل عمران:85] ، فلو أن الإيمان غيره لم يقبل، وقال: {فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين} [الذاريات:35-36] .
ومنهم من ذهب إلى أن الإسلام مختص بالاستسلام لله والخضوع له والانقياد لحكمه فيما هو مؤمن به، كما قال: {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم} [الحجرات: 14] ، وقال: {يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان} [الحجرات:17] ، وهذا أيضا دليل لمن قال: هما واحد.
ويقولون: إن الله يخرج من النار قوما من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين برحمته، وإن الشفاعة حق، وإن الحوض حق، والميزان حق. والحساب حق، ولا يقطعون على أحد من أهل الملة أنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار؛ لأن علم ذلك مغيب عنهم لا يدرون على ماذا يموت: أعلى الإسلام أم على الكفر؟ ولكن يقولون: إن من مات على الإسلام مجتنبا للكبائر والأهواء والآثام فهو من أهل الجنة؛ لقوله تعالى: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية} [البينة:7] ، ولم يذكر عنهم ذنبا، {جزاؤهم عند ربهم جنات عدن} [البينة:8] .
ومن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بعينه بأنه من أهل الجنة وصح له ذلك عنه فإنهم يشهدون له بذلك اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصديقا لقوله] .
تكلم هنا على الفرق بين الإسلام والإيمان، وقد تقدم قول أهل السنة أن

1 () مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية عبد العزيز السلمان ص/126

الإيمان قول **وعمل، قـول القلب واللسـان**، وعمـل القلب والجـوارح، قول باللسـان، واعتقـاد بالجنـان، وعمـل بالأركـان، وعلى هـذا اتفـق سـلف الأمة، ولما ابتدأ البخاري كتابه بعد المقدمة بالإيمان قال: وهو قـول وفعـل. ويريد بالفعل فعل القلب وفعل الجوارح، جاء بهذه العبارة من نفسه، ونقـل عنه أنه لما ذكر مشايخه الذين ذكرهم في صحيحه قـال: إني خـرجت هـذه الأحاديث عن أكثر من ثلاثمائـة شـيخ كلهم يقولـون: الإيمـان قـول وعمـل. ولكن اختلفــوا هــل الإســلام والإيمــان بمعــنى واحــد أو بينهمــا فــرق. على أقـــوال.

فذهب كثير من العلماء إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، وأن من أطلق عليه مسلم فإنه يصدق عليه أنه مؤمن وبالعكس، ويميل إلى هـذا ابن رجب في شرح الأربعين النووية في شرح حديث جبريل الذي فيه تفسير الإســلام والإيمان، أن أحدهما يفسـر بمـا يفسـر بـه الآخـر، سـواء اجتمعـا أو افترقـا. وذهب آخرون إلى أنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقـا اجتمعـا، ومعـنى ذلـك أنهما إذا ذكرا جميعا فلكل واحد منهما تفسـير، وإذا ذكـر أحـدهما أغـنى عن الآخر، فيفسر الإيمان بأنه الأعمال الباطنة والإسلام بأنه الأعمـال الظـاهرة، وذلك بناء على الأصل، فإن أصل الإيمان هو التصديق بالقلب الذي هو يقينه وتصديقه، وأصل الإسلام هو الإذعان والانقيـاد، يقـال: استسـلم فلان للأمـير وبمعـــــنى: انقـــــاد لـــــه وأذعن ولم يعص ولم يتخلـــــف ولم يتـــــبرم. فلذلك يقال: المسلم هو الذي استسلم لأمر الله وانقـاد لـه، وأذعن وخضـع له وتواضع، وأطاعه طوعا وكرها، أطاع الله تعالى مختارا دون أن يتردد في أمر من أمور الدين، إذا أمر بأمر بادر إليه، وإذا نهي عن شـيء في الإسـلام تركه وابتعد عنه، يعتقد أن ما أمر الله به فإنه عين المصلحة، ومـا نهى عنـه فإنه عين المفسدة، متى سمع بأن لله طاعة في كذا سارع إليها وأتى إليهـا محبا لها مندفعا إليها اندفاعا قويا كأنه يقاد باختيـاره دون أن يكـون مكرهـا، فمثل هـذا يسـمى مسـلما، ويقـال مثلا في الإبـل: استسـلم البعـير لقائـده. أي: أذعن وانقـــاد لـــــــــــــــــــــــــــــه.

فمثلا: إذا رأيت اثنـان يقـودان جملين، أحـد الجملين مطـاوع لمن يقـوده، عندما يقوده يتبع قائده ولا يتردد ولا يستعصي ولا يعاند، بل هو مذعن منقـاد لا يلتوي ولا يمتنع، فيسمى هذا مستسـلما، بينمـا الجمـل الثـاني دائمـا ينفـر ممن يقوده ويستعصي عليه ويجر رأسه إذا قاده بخطامـه، وربمـا تفلت من الــذي يقـوده وشـرد وهـرب منـه، فيقـال: هـذا الجمـل غـير مستسـلم. وورد في ذلك حديث ولو كان ضعيفا لكنه يستشهد به: (مثل المـؤمن كمثـل الجمل الأنف إن قيد انقاد، وإن أنيخ ولو على صـخرة اسـتناخ) ، هكـذا مثـل المسلم بأنه كالجمل الأنف، أي: الجمل المذلل الذي يكـون بيـد من يقـوده، إن قـاده إلى مرتفـع، وإن قـاده إلى منخفض، وإن قـاده إلى مكـان مظلم، وإن قـاده إلى مكـان فيـه حجـارة أو نحـو ذلـك فإنـه ينقـاد مـع من يقـوده ويستسلم ولا يستعصي أبدا، هذا حقا هو الذي يصـير مثـل المـؤمن، إن قيـد

انقاد، وإن أنيخ ولو على صخرة ولو على رأس جبل استناخ، هذا تعريف الإسلام.
وفسره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بأنه الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله. فالاستسلام هو ما ذكرنا، يقول الله تعالى: {وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها} [آل عمران:83] يعني: له أسلموا واستسلموا، وأنابوا وأذعنوا، فجميع المخلوقات مستسلمة له تحت تصرفه وتقديره. فهذه حقيقة الإسلام، فعرفنا أن كلا من الإسلام والإيمان له معنى في اللغة وله معنى في الشرع، ولكن يظهر أن الشرع يستعمل الإسلام فيما يستعمل فيه الإيمان، ففي حديث جبريل المشهور فرق بينهما، قال: (فأخبرني عن الإيمان.
قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) ، ففسر الإيمان بالأعمال الباطنة، وذلك دليل على أنه هو في الأصل اليقين أو عمل القلب، وفي تعريف الإسلام (وقال: أخبرني عن الإسلام.
قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا) ، ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، فالشهادتان ولو كانتا قولا لكنها ظاهرتان، فيظهر أثرهما بأن يعبد الله وحده ويطيعه، والصلاة أمر ظاهر مشاهد، والصوم كذلك أيضا أمر ظاهر مشاهد، والزكاة إيتاؤها أيضا أمر ظاهر، والحج أمر ظاهر، فهذه هي الأعمال الظاهرة، لكن جاء في حديث ابن عباس في وفد عبد القيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (آمركم بأربع: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.
قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتؤدوا الخمس من المغنم) ، فجعل هذا هو الإيمان، فذكر فيه الشهادتين والصلاة والزكاة، فدل على أنه قد يفسر الإسلام بما يفسر به الإيمان، وبالعكس فإن كلا منهما يدخل في الآخر، فإذا ذكرا جميعا فالإسلام هو الأعمال الظاهرة والإيمان هو أعمال القلب، وإذا اقتصر على الإسلام فإنه يستلزم دخول أعمال القلب فيه، وإن اقتصر على الإيمان كذلك دخلت فيه الأعمال الظاهرة لأنها من تعريفه، وقد كتب فيه شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية رحمه الله، وهو أوسع من كتب فيه، فكتب فيه كتاب الإيمان الكبير، وكتاب الإيمان الأوسط، وكتاب الإيمان الصغير، ولكن كتاب الإيمان الصغير يظهر أنه ليس من كتابته، وإنما هو من كتابة بعض أصحابه اختصره من كتبه، وإذا تأملنا كتاب الإيمان الكبير ظهر لنا أنه رحمه الله كأنه لا يوافق على أن الإسلام يدخل فيه الإيمان، بل يرى أن الإسلام يختص بالأعمال الظاهرة، وأن من وصف بأنه مسلم لا يوصف بالإيمان، فهذا هو

الذي يميل إليه، وقد سبقه إلى الكتابة في الإيمـان علمـاء كـثر، فمنهم: ابن أبي شيبة صاحب المصنف له رسالة في الإيمان مطبوعـة، ومنهم أبـو عبيـد القاسم بن سلام، وإن كان من علماء اللغة لكنه أيضا من علماء الشرع، لـه رسالة أيضا مطبوعة في الإيمان، ومنهم الإمام ابن منده واسمه: محمـد بن إسحاق، عالم مشهور، له كتاب مطبوع في ثلاثة أجزاء اسمه أيضا (الإيمان) ، مما يدل على أن السلف رحمهم الله اهتموا بهـذه المسـألة، فكتبـوا فيهـا وتوسعوا، فالحاصل أن الإسلام يفسر عند الإطلاق بالأعمال الظـاهرة، وهي الشهادتان، والصلاة، والزكـاة، والصـوم، والحج، وتـدخل فيـه بقيـة الأعمـال الظاهرة، وتكون الأركان الخمسة بمنزلة الدعائم التي يقوم عليها ولا يتم إلا بها، كما إذا فرضنا مثلا أن بيتا قائما على أربعة أركان فإننا نسـمي كـل ركن دعيمة، وجمعها دعائم، أي: أسس يقوم عليها ولا يتم إلا بها، فلو انهد جـانب من جوانبـه أصـبح مفتوحـا تدخلـه السـباع والـدواب، ويدخلـه اللصـوص، ولا يصلح أن يسكن، سواء انهد الجانب الأيمن أو الأيسـر أو الأمـامي أو الخلفي فلا يصلح للسكنى، فيقولون: كذلك الإسلام إذا ترك ركن من أركانـه فإنـه لا يتم ولا ينتفـع بـه صـاحبه، وجعلـوا الـركن الأساسـي عمديتـه اللـتين يعتمـد عليهما، فقـالوا: الشـهادتان بمنزلـة الأسـاس أو بمنزلـة الأرض الـتي يعتمـد عليها والسقف الذي يظله، فإذا عدمت الشهادتان أو إحداهما فإنـه لا ينتفـع به، ولا يمكن أن يكون، فالإنسان لا يبني بيتا في الهواء، لابد أن يكون الـبيت على قرار، ثم لو بناه ولم يسقفه بل تركه مفتوح السقف لم ينتفع به، فلابد أن يكون له أساس وهو الأرض وسقف وهو أعلاه، فجعل الشهادتين بمنزلـة الأساس والسقف، وجعلت." [1]

"الإيمـان قـول وعمـل يزيـد وينقص

قال المصنف رحمه الله تعالى: [والإيمـان قـول وعمـل، يزيـد وينقص، كمـا جاء في الخبر: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا) (من ترك الصـلاة فقـد كفر)، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة، من تركهـا فهـو كـافر، وقـد أحـل اللـه قتلـه].

مسألة الإيمان من المسائل التي تكلم فيها أهل السنة مع المرجئة وغيرهم. فقال أهل السنة: إن الإيمان قول وعمل، وإنـه تـدخل فيـه العقائـد، وتـدخل فيـه الأقـوال والأعمـال، **فهـو قـول القلب واللسـان** وعمـل القلب والجوارح، فـالأقوال -الأذكـار ونحوهـا- تكـون من الإيمـان، والعقائـد وأذكـار القلب تكون من الإيمان، والأعمال البدنية داخلة في مسمى الإيمان، ودليـل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاهـا قول: لا إله إلا اللـه، وأدناهـا إماطـة الأذى عن الطريـق، والحيـاء شـعبة من الإيمان) فكلمة: (لا إله إلا اللـه) من الإيمـان، وهي قـول باللسـان، وإماطـة الأذى من الطريق من الإيمان، وهي عمل بالبدن، والحياء من الإيمـان، وهـو عمـل قلـبي، وكـذلك بقيـة شـعب الإيمـان.

[1] () اعتقاد أهل السنة ابن جبرين 10/2

كذلك أيضا نقول: إن من الإيمان جميع الأعمال التي هي قربة، والإيمان يزيد بها وينقص بالمعاصي، فالإيمان عند أهل السنة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقد أخبر الله بأنه يزيد في قوله تعالى: {ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم} [الفتح:4]، وقوله جل وعلا: {فزادتهم إيمانا} [التوبة:124]، وقوله سبحانه: {فزادهم إيمانا} [آل عمران:173] ونحو ذلك، وكل شيء قبل الزيادة فهو قابل للنقصان، فالإنسان إذا ذكر الله وحمده وشكره زاد إيمانه وإذا تكلم بسوء أو سباب أو شتم أو معصية نقص إيمانه، وهكذا. ومن الأعمال التي هي من جملة الإيمان: الصلاة؛ فإنها من الإيمان كما قال الله تعالى: {وما كان الله ليضيع إيمانكم} [البقرة:143]، يعني: صلاتهم إلى بيت المقدس قبل أن تحول القبلة ما كان الله ليضيع ذلك، فسماها إيمانا؛ لأنها من ثمرة الإيمان، وهذه الصلاة لا شك في أهميتها وعظم شأنها؛ ولأجل ذلك أكد الله ذكرها في القرآن، وأكثر من ذكرها، وورد أيضا في السنة الاهتمام بها، بل وفي بعض الأحاديث أن تركها كفر، يعني: الإصرار على تركها يعتبر كفرا، وأن تاركها يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وإذا أصر على تركها حتى يقتل قتل مرتدا، يعامل معاملة المرتد؛ وذلك لأنها أعظم شعائر الدين ولا شك أن ما كان بهذه العظمة لا يجوز التهاون به.." [1]

"ودمائهم ومقداساتهم في أي بلد غزوه من بلدان المسلمين، إلا بموالاة المنافقين الجبناء والمرتدين الخبثاء، ونصرتهم لهم على المسلمين الصادقين.

ولكن ينبغي التفريق في هذا المقام بين عبد تبين له كفر طائفة وردتها، ثم والاها ونصرها على المسلمين، فهذا يحكم عليه بالكفر والردة، وإن كان فعل هذا من أجل دنيا فانية أو متاع زائل.

وبين عبد التبس عليه حكم مسلم وقع في ناقض فارتد، إلا أن الأول قال بإسلام المرتد بسبب انتشار وتسيد فكر الإرجاء الخبيث، ثم قام بعد ذلك بموالاته ونصرته بسبب ظنه أنه مازال مسلما، لكن هذا مقيد بأن يواليه على ما عنده من طاعة، دون ما وقع فيه من إحداث وكفر وعصيان، وإلا كان أمره مترددا بين المعصية والكفر، بحسب ما والاه عليه من شعب الكفر والعصيان.

الطائفة الثانية: جفت وفرطت في أحكام التكفير، وهم غلاة المرجئة وأفراخهم في القديم والحديث.

ومن نافلة القول أن نقرر: أن مذهب المرجئة في الإيمان يتمثل في: النطق باللسان بكلمة التوحيد، وهو قول اللسان، وتصديق القلب بمعنى الشهادتين، وهو قول القلب، وأخرجوا أعمال الجوارح من الإيمان، وكذا أعمال القلوب، وإن أدخلها بعضهم في مسمى الإيمان، ولكن نصهم على

[1] () شرح أصول السنة للإمام أحمد ابن جبرين 1/14

إخراج أعمال الجوارح دليل على عدم اعتبارهم لأعمال القلوب، لأن أعمال الظاهر هي لوازم أعمال الباطن.." [1]

"للشرك، وكلمة التقوى» (1).

وقال الشيخ سلمان بن عبد الله -رحمهما الله تعالى- مؤكدا على أن الانخلاع من الشرك شرط في صحة وقبول الإسلام بالإجماع: «فاعلم أن العلماء أجمعوا على أن من صرف شيئا من نوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك، ولو قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام. إذ شرط الإسلام مع التلفظ بالشهادتين: أن لا يعبد إلا الله. فمن أتى بالشهادتين وعبد غير الله فما أتى بهما حقيقة وإن تلفظ بهما، كاليهود الذين يقولون: لا إله إلا الله وهم مشركون. ومجرد التلفظ بالشهادتين لا يكفي في الإسلام بدون العمل معناها واعتقاده إجماعا» (2).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن - رحمهما الله تعالى -: «أما النطق بها - أي بالشهادتين- من غير معرفة لمعناها، ولا يقين، ولا عمل بما تقتضيه، من البراءة من الشرك، وإخلاص القول **والعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع» (3).

---

(1) فتاوى الأئمة النجدية (1/ 90).

(2) فتاوى الأئمة النجدية (1/ 7).

(3) فتح المجيد / 36.." [2]

"وعبادته وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه. فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل، وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة، بل لا بد من أن يعبد الله وحده، ويتخذ إلها دون ما سواه، وهذا هو معنى قول «لا إله إلا الله» (1) انتهى كلام الشيخ.

فتأمل -رحمك الله- هذا الكلام فإنه مثل ما قال الشيخ فيه نافع جدا، ومن أكبر ما فيه من الفوائد أنه يبين حال من أقر بهذا الدين، وشهد أنه الحق، وأن الشرك هو الباطل، وقال بلسانه ما أريد منه، ولكن لا يدين بذلك، إما بغضا له، أو إيثارا للدنيا مثل تجارة، أو غيرها فيدخلون في الإسلام، ثم يخرجون منه كما قال تعالى: {ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا} [المنافقون: 3]، {من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره} [النحل: 106] {ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة} [النحل: 107]_ (ش/24).

(ش/24) ما أشد وقع هذه الآيات على المرجئة وأذنابهم لو كانوا يعلمون فأساطين الإرجاء قرروا قديما وحديثا الكفر بعد الإيمان لا يكون إلا بتغيير الاعتقاد، أي: بالتكذيب والاستحلال والجحود، **ومحله قول القلب فقط** دون

---

[1] () فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد مدحت آل فراج ص/119

[2] () فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد مدحت آل فراج ص/136

(1) مجموع الفتاوى (18/ 57) وما بعدها.." [1]

"كفر، أو إيمان، أو طلاق، أو إعتاق، أو بيع، أو شراء، أو صلح، أو إبراء لم يؤاخذ بشيء من ذلك لأنه لم يلتزم مقتضاه، ولم يقصد إليه، وكذلك إذا نطق بما يدل على هذه المعاني بلفظ أعجمي لا يعرف معناه فإنه لا يؤاخذ بشيء من ذلك لأنه لم يرده. فإن الإرادة لا تتوجه إلا إلى معلوم أو مظنون، وإن قصد العربي بنطق شيء من هذه الكلم، مع معرفته بمعانيها نفذ ذلك منه." (1).

وقال الإمام الطحاوي معلقا على حديث الحبرين اللذين شهدا بنبوة النبي - صلى الله عليه وسلم -، دون الإقرار بفرضية اتباعه. قال رحمه الله: "ففي هذا الحديث أن اليهود قد كانوا أقروا بنبوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع توحيدهم لله، فلم يقاتلهم - أي لامتناعهم عن طاعته بعد الإقرار بصحة رسالته - رسولا لله - صلى الله عليه وسلم - حتى يقروا: بجميع ما يقر به المسلمون.

فدل ذلك أنهم لم يكونوا بذلك القول مسلمين: وثبت أن الإسلام لا يكون إلا بالمعاني التي تدل على الدخول في الإسلام، وترك سائر الملل" (2).

نعم إن المقصود من أعظم وأجل شهادة في الوجود هو: القيام بمعانيها، وإرادة موجباتها، وتحقيق مقتضياتها، مع حتمية النطق بألفاظها، إلا أن القيام بشروطها، وتحقيق أركانها، لا يقل بحال من الأحوال عن النطق بألفاظها.

فالعبد الذي يعلم معانيها، ويدرك مقتضياتها، إلا أنه يأبى مختارا التلفظ بها فليس بمسلم باتفاق، وكذلك الذي ينطق بها، دون معرفة موجباتها، أو عدم القيام بأركانها لا يكون مسلما سواء بسواء. وهذا أمر معلوم بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والميزان.

قال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "أما النطق بها - أي الشهادتين - من غير معرفة لمعناها، ولا يقين، ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك، وإخلاص القول **والعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح فغير

(1) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (2/ 120: 121).

(2) شرح معاني الآثار (3/ 215).." [2]

"المبحث الثاني: اليقين والعمل بمقتضى الشهادة شرط في صحتها:

وقال صاحب فتح المجيد شارحا معنى الشهادة: قوله: "من شهد أن لا إله إلا الله". أي: من تكلم بها عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا. فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها كما قال -تعالى-:

[1] فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد مدحت آل فراج ص/270

[2] آثار حجج التوحيد في مؤاخذة العبيد مدحت آل فراج ص/207

(فاعلم أنه لا إله إلا الله).
وقوله: (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون). أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك وإخلاص القول **والعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، فغير نافع بالإجماع.
قال القرطبي في الفهم على صحيح مسلم: "باب لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين": بل لا بد من استيقان القلب -هذه الترجمة تدل على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين: بأن التلفظ بالشهادتين في الإيمان كاف لمن وقف عليها وأحاديث هذا الباب تدل على فساده، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعا.
وفي هذا الحديث ما يدل على هذا وهو قول: "من شهد" فإن الشهادة لا تصح إلا إذا كانت عن علم ويقين وإخلاص وصدق ... وقال الوزير أبو المظفر في الإفصاح: قوله: (شهادة أن لا إله إلا الله) يقتضي أن يكون: الشاهد عالما بأنه: (لا إله إلا الله) كما قال -تعالى-: (فاعلم أنه لا إله إلا الله). قال: واسم الله مرتفع بعد (إلا) من حيث أنه الواجب له الإلهية فلا يستحقها غيره -سبحانه-. قال: وجملة الفائدة في ذلك: أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبت الإيجاب لله -سبحانه- كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله ... وقال ابن رجب: "الإله" هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالا ومحبة وخوفا ... فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحا في إخلاصه في قول: (لا إله إلا الله) وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك.
وقال البقاعي: "لا إله إلا الله" أي انتفى انتفاء عظيما أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علما إذا كان نافعا وإنما يكون نافعا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه وإلا فهو جهل." [1]
"ترجو الله ولا تخشاه كما تخشى الله، ومن سوى بين المخلوق والخالق في شيء من ذلك فقد عدل بالله، وهو من الذين بربهم يعدلون وقد جعل مع الله إلها آخر وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السموات والأرض ....
والأصل الثاني: أن نعبده بما شرع على ألسن رسله لا نعبده إلا بواجب أو مستحب والمباح إذا قصد به الطاعة دخل في ذلك والدعاء من جملة العبادات فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم -مع أن هذا لم يأمر الله به ولا رسوله أمر إيجاب ولا استحباب- كان مبتدعا في الدين مشركا برب العالمين متبعا غير سبيل المؤمنين (1) اهـ.

[1] () العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي مدحت آل فراج ص/81

وقال: فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر. والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت .... فمن بلغته رسالة محمد، صلى الله عليه وسلم، فلم يقر بما جاء به لم يكن مسلما ولا مؤمنا بل يكون كافرا وإن زعم أنه مسلم أو مؤمن (2) اهـ.

وقال: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو: الإستسلام لله وحده فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما. والإسلام هو الاستسلام لله وحده وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم. فالإسلام في الأصل من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب والأصل فيه التصديق والعمل تابع له (3) اهـ.

---

(1) جـ: 1 ص: 310 لمجموع الفتاوى.
(2) جـ: 3 ص: 91: 93 لمجموع الفتاوى.
(3) جـ: 7 ص: 263 لمجموع الفتاوى.." [1]

"المبحث الثاني: العلم والعمل ركنا الإيمان.

من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن العلم هو: الركن الأول من أركان الإيمان وهو أصل التصديق والاعتقاد واليقين ولا يتصور وجودهم إلا به فهو سابق عليهم ومصحح لهم جميعا وأن الالتزام والانقياد وقبول الأحكام من الله وحده هو: ركن الإيمان الثاني وهو عمل القلب.

قال القاضي أبو بكر بن العربي وأما من قال: إنه (أي الإيمان) الاعتقاد والقول والعمل فقد جمع الأقوال كلها، وركب تحت اللفظ مختلفات كثيرة ولم يبعد من طريق التحقيق في جهة الأصول ولا في جهة اللغة. أما في جهة اللغة فلأن الفعل يصدق القول أو يكذبه قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والنفس تمني وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه" فإذا علم: أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فليتكلم بمقتضي علمه وإذا تكلم بما علم فليعمل بمقتضى علمه فيطرد الفعل والقول والعمل فيقع إيمانا لغويا شرعيا (1). ا. هـ.

وقال ابن القيم وها هنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل: والقول **قسمان: قول القلب وهو**: الاعتقاد، وقول اللسان وهو: التكلم بكلمة الإسلام والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه،

---

[1] () العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي مدحت آل فراج ص/108

وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة. وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون: ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به ...

فإن يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، وهو حقيقة الإيمان. فإن الإيمان ليس مجرد التصديق -كما تقدم بيانه، وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة

(1) أحكام القرآن جـ: 2 ص: 945 لأبي بكر بن العربي.." [1]

"بن عياش وعبد العزيز بن أبي سلمة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد: الإيمان المعرفة والإقرار والعمل (1). ا. هـ.

وقال: قال أحمد: وأما من زعم أن الإيمان الإقرار. فما يقول في المعرفة؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار؟ وهل يحتاج أن يكون مصدقا بما عرف؟ فإن زعم أنه يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار فقد زعم أنه من شيئين وإن زعم أنه يحتاج أن يكون مقرا ومصدقا بما عرف فهو من ثلاثة أشياء وإن جحد وقال لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق فقد قال قولا عظيما ولا أحسب أحدا يدفع المعرفة والتصديق وكذلك العمل مع هذه الأشياء (2) ا. هـ.

وقال: أمرنا الله أن نقول في الصلاة (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين). وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، "اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون". لأن اليهود يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم ولا يتبعونه لما فيهم من الكبر والحسد الذي يوجب بغض الحق ومعاداته والنصارى لهم عبادة وفي قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها، لكن بلا علم فهم ضلال. هؤلاء لهم معرفة بلا قصد صحيح، وهؤلاء لهم قصد في الخبر بلا معرفة له وينضم إلى ذلك الظن، واتباع الهوى فلا يبقى في الحقيقة معرفة نافعة ولا قصد نافع بل يكون كما قال تعالى عن مشركي أهل الكتاب: (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير). وقال تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ..). فالإيمان في القلب لا يكون إيمانا بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك كما أنه لا يكون إيمانا بمجرد ظن وهوى بل لا بد في أصل الإيمان **من قول القلب وعمل** القلب (3) ا. هـ.

[1] العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي مدحت آل فراج ص/133

وقال ابن القيم: قالوا: والقلب عليه واجبان لا يصير مؤمنا إلا بهما جميعا: واجب المعرفة والعلم، وواجب الحب والانقياد والاستسلام. فكما لا يكون مؤمنا إذا لم يأت بواجب العلم والاعتقاد لا يكون مؤمنا إذا لم يأت بواجب الحب والانقياد والاستسلام بل إذا ترك هذا الواجب مع علمه ومعرفته به كان أعظم كفرا وأبعد عن الإيمان من الكافر جهلا (4). ا. هـ.

---

(1) جـ: 7 ص: 239 لمجموع الفتاوى.
(2) جـ: 7 ص: 393 لمجموع الفتاوى.
(3) جـ: 7 ص: 528: 529 لمجموع الفتاوى.
(4) مفتاح دار السعادة جـ: 1 ص: 95.." [1]

"وقال: فإن الإيمان فرض على كل واحد وهو: ماهية مركبة من علم وعمل فلا يتصور وجود الإيمان إلا بالعلم والعمل ... وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه على العباد كلهم إلا بالعلم وهل ينال العلم إلا بطلبه (1). ا. هـ.

قلت: فساعة إقرار العبد بالشهادتين تجري عليه أحكام الإسلام مع افتراض وجود الإيمان في الباطن الذي يصحح له إسلامه -ما لم يلتبس مع إقراره بشرك ظاهر أو دليل على عدم تغير الاعتقاد -فإن عبد غير الله بعد إقراره، أو والى المشركين ونصرهم وأحبهم، أو تحاكم إلى الطاغوت أو استهزأ بشيء من آيات الله، أو سوغ اتباع شريعة غير شريعة الله أو تولى عن طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولم يلتزم طريقه ومنهاجه، أو سوغ طريقا إلى الله غير طريقه. علمنا بهذا الظاهر فساد أصل الإيمان في الباطن. إما بسبب تخلف العلم الذي هو أحد ركني الإيمان **وهو قول القلب أو** تخلف الانقياد والمحبة وهو شقه وركنه الثاني وهو عمل القلب. وبفساد الإيمان الذي هو شرط كما نص العلماء لصحة الإسلام يفسد أيضا الإسلام ويكون العبد بهذا كافرا في الظاهر والباطن وهذا لنقضه الشهادتين اللتين هما أصل الدين خاصة.

قال ابن رجب: من أقر بالشهادتين صار مسلما حكما فإذا دخل في الإسلام بذلك ألزم بالقيام ببقية خصال الإسلام، ومن ترك الشهادتين خرج من الإسلام وفي خروجه من الإسلام بترك الصلاة خلاف معروف مشهور بين العلماء وكذلك في تركه بقية مباني الإسلام الخمس (2). ا. هـ.

وقبل أن أختم هذا الباب بمشيئة الله وعونه سأذكر رؤوس المسائل التي جاءت فيه:

1 - إن الانتقال من الشرك والكفر إلى الإسلام ورفع السيف عن رؤوس المشركين شرطه الانخلاع من الشرك وإفراد الله بالطاعة والتأله له وحده لا شريك له.

2 - العلم بالشهادتين شرط في الانتقال لأنه لا يتم الانخلاع من الشرك إلى

---

[1] () العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي مدحت آل فراج ص/135

التوحيد إلا به.
3 - التزام التوحيد والإسلام في الظاهر متابعة للآباء المتابعة المحضة دون اعتقاده في الباطن لا ينفع صاحبها في الآخرة.

---

(1) المصدر السابق ج: 1 ص: 156.
(2) جامع العلوم والحكم ص: 23.." [1]

"فإذا ظهر من العبد بعد هذا ناقض من نواقض الشهادتين علمنا فساد الإيمان لديه إما بسبب فساد العلم الذي **هو قول القلب وهو** ركن الإيمان الأول، وإما بسبب فساد الانقياد الذي هو عمل القلب وهو ركنه الثاني وعند هذا نقطع بفساد الإيمان والإسلام لدى هذا العبد.
قال ابن تيمية: فالإيمان في القلب لا يكون إيمانا بمجرد تصديق ليس معه عمل وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك، كما أنه لا يكون إيمانا بمجرد ظن وهوى بل لا بد في أصل الإيمان **من قول القلب وعمل** القلب. ا. هـ.
وقال أيضا: وكانوا يقولون الإيمان: معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالإركان. ا. هـ.
وقال: وقوله تعالى: (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) وقوله: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم). الآية.
فجعل هذه الأمور شرطا في ثبوت حكم الإيمان فثبت أن الإيمان المعرفة بشرائط لا يكون معتدا به دونها (1). ا. هـ.
وقال ابن القيم: قالوا: والقلب عليه واجبان لا يكون مؤمنا إلا بهما جميعا واجب المعرفة والعلم وواجب الحب والانقياد والاستسلام فكما لا يكون مؤمنا إذا لم يأت بواجب العلم والاعتقاد لا يكون مؤمنا إذا لم يأت بواجب الحب والانقياد والاستسلام بل إذا ترك الواجب من علمه ومعرفته به كان أعظم كفرا وأبعد عن الإيمان من الكافر جهلا (2). ا. هـ.
وقال أيضا -رحمه الله-: فإن الإيمان فرض على كل أحد وهو ماهية مركبة من علم وعمل فلا يتصور وجود الإيمان إلا بالعلم والعمل (3). ا. هـ.
قلت: ومن هذا يعلم أن العبد إذا فعل الشرك بجهل قطعنا بتخلف العلم لديه الذي هو ركن من أركان الإيمان وبالتالي فساده وفساد الإسلام لدى هذا العبد. وهذه السادسة.
ومن هذه النقاط الست وغيرها الكثير يعلم أن هؤلاء الأئمة لا يعذرون المشرك بجهله ولا يدخلونه في مسمى المسلمين.
وأما فتاوى هؤلاء العلماء في أنهم لا يكفرون أحدا ممن وقع في الشرك والكفر إلا بعد إقامة الحجة وذلك لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة كقول ابن تيمية -رحمه الله-

---

[1] () العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي مدحت آل فراج ص/136

(1) قد مرت هذه النقول من قبل فلتراجع مصادرها.
(2) قد مرت هذه النقول من قبل فلتراجع مصادرها.
(3) قد مرت هذه النقول من قبل فلتراجع مصادرها.." [1]

"المطلب الأول: بيان أصل الإيمان
أصل الإيمان، به يدخل العبد في الإسلام، وبه يكون اعتبار سائر الأعمال، وبصلاح ما في القلب أو فساده يكون صلاح الأعمال أو فسادها، قال صلى الله عليه وسلم:" ... ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب " 1.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فأصل الإيمان في القلب، **وهو قول القلب وعمله**، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد" 2.
فالتصديق: هو قول القلب، وهو المعرفة والإثبات لما دلت عليه الشهادتان.
والحب: عمل القلب نحو المشهود لهما، وهو الله تبارك وتعالى في شهادة أن لا إله إلا الله، ومحمد بن عبد الله في شهادة أن محمدا رسول الله، فيحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ودينه.
والانقياد: عمل القلب أيضا، وهو القبول وعقد العزم على الامتثال لما دلت عليه الشهادتان.

1 رواه البخاري، كتاب الإيمان، ح (52) الصحيح مع الفتح 1/126.
2 مجموع الفتاوى 14/119.." [2]

"ولا بد مع هذا الذي يقوم بالقلب، من النطق بالشهادتين؛ وجمع بينهما الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به " 1.
قال النووي2 -رحمه الله- معقبا على هذا الحديث: "وفيه أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما، واعتقاد جميع ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم " 3.
قوله: الإقرار بالشهادتين: التلفظ بهما.
مع اعتقادهما: **هو قول القلب وعمله** كما تقدم.
واعتقاد ما جاء به الرسول ... اعتقاد أن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما أخبر به، وليس المراد أن من شرط الإيمان أن يعرف كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ويعتقده.

1 رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى ... ص (34) 1/52.
2 الإمام العلامة أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحوراني النووي

[1] العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي مدحت آل فراج ص/275
[2] أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع 1/191

الشافعي، ولد سنة 631هـ، له من التصانيف: شرح صحيح مسلم، والأذكار، ورياض الصالحين، والأربعون النووية، وحلية الأبرار، وغيرها كثير، توفي سنة 676هـ ببلده نوا.
انظر: البداية والنهاية 13/294، وشذرات الذهب 5/354.
3 شرح النووي على صحيح مسلم 1/212.." [1]

"وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فلا يكون مسلما إلا من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وهذه الكلمة بها يدخل الإنسان في الإسلام ... فيكون معه من الإيمان هذا الإقرار، وهذا الإقرار لا يستلزم أن يكون صاحبه معه من اليقين ما لا يقبل الريب ... لكن لا بد من الإقرار بأنه رسول الله، وأنه صادق في كل ما أخبر عن الله" 1.

وبناء على ما تقدم يتبين أن أصل الإيمان ينعقد بثلاثة أمور:

الأول: النطق بالشهادتين.

الثاني: قول القلب وهو العلم والتصديق بمعناهما، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما أخبر به عن الله.

الثالث: عمل القلب، وهو قبول التوحيد والبراءة من ضده، والمحبة لله ولرسوله ولدينه، والعزم على الانقياد لهما.

فإذا جاء العبد بأصل الإيمان فهو مأمور مكلف بتكميل إيمانه، ليس له أمن في الحياة الدنيا ولا في الآخرة إلا بذلك، فإذا امتثل العبد الطاعات، واجتنب المحرمات، فقد استكمل عرى الإيمان الواجب، وأصبح في مرتبة المقتصد.

---

1 كتاب الإيمان لابن تيمية، المصدر السابق ص231، 232.." [2]

"صفة الكلام

(وقل غير مخلوق كلام مليكنا ... بذلك دان الأتقياء وأفصحوا)

(ولا تك في القرآن بالوقف قائلا ... كما قال أتباع لجهم وأسجحوا)

(ولا تقل القرآن خلق قرأته ... فإن كلام الله باللفظ يوضح)

لعل الناظم بدأ بهذه الصفة قبل غيرها من الصفات؛ لمناسبة السياق، وذلك أنه بدأ في البيتين الأولين بذكر التمسك بالكتاب والسنة، فلما ذكر وجوب التمسك بالقرآن، بدأ بذكر أبيات فيها ذكر عقيدة أهل السنة في القرآن، والرد على الذين خالفوا الحق وباينوه وجانبوا معتقد أهل السنة فيه، فهذه الأبيات فيها بيان موجز لمعتقد أهل السنة في هذه المسألة، ورد على أصناف من أهل البدع، وهم طوائف عديدة، أشار الناظم إلى بعضهم فبدأ رحمه الله بالكلام في هذه المسألة بقولة: (وقل غير مخلوق كلام مليكنا) (قل) الخطاب لصاحب السنة المتمسك بالكتاب والسنة، أي: قل معتقدا مؤمنا بهذا الأمر غير شاك فيه ولا متردد؛ لأن القول إذا أطلق فإنه **يشمل قول القلب وقول** اللسان، ومن ذلك قوله تعالى: {قولوا آمنا بالله

---

[1] () أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع 1/192

[2] () أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع 1/193

(البقرة: من الآية136) أي: قولوا ذلك بقلوبكم إيمانا واعتقادا وبألسنتكم نطقا وتلفظا.

(غير مخلوق كلام مليكنا) وهذا فيه إثبات أمرين يتعلقان بصفة الكلام:." [1]

"والصحابي: هو الذي لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك، فكل من كان بهذه الصفة فهو من الصحابة وقل فيه خير قول، ولما ذكر الله في سورة الحشر المهاجرين والأنصار قال: {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} (الحشر:10) . فذكر الله لمن جاء بعدهم صفتين هما: سلامة الصدر وسلامة اللسان، وهكذا يجب أن يكون صاحب السنة تجاه الصحابة فلا يحمل عليهم في قلبه غلا ويكون سليم اللسان فلا يقدح فيهم ولا يخوض فيما شجر بينهم بل يقول عنهم ما يزيد حبهم في القلوب. والناظم رحمه الله أشار إلى تحقيق هاتين الصفتين بقوله: (وقل خير قول) وقد مر معنا أن القول إذا أطلق **يشمل قول القلب وقول** اللسان، ويكون المعنى قل فيهم خير قول بقلبك بأن يكون سليما من الغل والحقد ولا يحمل تجاههم إلا الخير، وبلسانك بأن يكون سليما من الطعن والقدح ولا تتكلم عنهم إلا بالخير. (ولا تك طعانا تعيب وتجرح) لما أمر ورغب صاحب السنة في أن يقول في الصحابة خير قول، حذره من أن يقع في الطعن والتجريح لأي أحد منهم، (طعانا) أي كثير الطعن، والمقصود النهي عن الطعن في الصحابة، وليس المقصود النهي عن المبالغة في الطعن، فقد يأتي على وزن (فعال) ملا يراد به المبالغة كقوله تعالى: {وما ربك بظلام للعبيد} (فصلت: من الآية 46) . أي: ليس بذي ظلم، وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: "ليس المؤمن بالطعان." [2]

"الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان" 1 فهذا الحديث الجامع دل على دخول ما يكون باللسان والجوارح والقلب في مسمى الإيمان.

أم دلالته على ما يكون باللسان ففي قوله: "أعلاها قول لا إله إلا الله"، والقول **يشمل قول القلب وقول** اللسان عندما يطلق. قال تعالى: {إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون} (فصلت:30) وقال تعالى: {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون} (البقرة: 136) .

فالمراد بقوله: {قولوا} أي بقلوبكم وألسنتكم. ولذلك لا ينصرف القول إلى

1 () التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/18

2 () التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/63

القول باللسان فقط إلا عندما يقيد قال تعالى: {يقولون بـأفواههم مـا ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمـون} (آل عمـران:167) . وهي صـريحة في أن القول يكون بالقلب واللسان ولذلك أهل السنة عندما يقولون في كتبهم الإيمـان قـول فهـو شـامل **لأمـرين قـول القلب وقـول** اللسـان.
وأما دلالته على دخول ما يكـون بـالجوارح في مسـمى الإيمـان ففي قولـه: "وأدناهـا إماطـة الأذى عن الطريـق" وهـذا يـدل على دخـول الأعمـال في مسمى الإيمان. فإماطة الأذى عمل يقوم به الإنسان وهو جـزء من الإيمـان وشـعبة من شـعبه.

1 البخاري برقم (9) ، ومسلم برقم (35) .." [1]

"المبحث الثـاني: أنـواع الكفـر الأكـبر

تمهيـد:

الكفر نوعان: كفر أكـبر، وكفـر أصـغر؛ فـالكفر الأكـبر اعتقـادي، يخـرج من الإيمـان بالكليـة. والكفـر الأصـغر عملي، ينـافي كمـال الإيمـان، ولا ينـافي مطلقـه؛ فهـو لا يخـرج من الإيمـان بالكليـة، بـل ينقص من كماله1.
والحديث في هذا المبحث منصب على الكفر الأكبر، وهـو الاعتقـادي، الـذي ينـافي الإيمـان، ويضـاده من كـل وجـه، ويخـرج صـاحبه عن الـدين والملـة، ويوجب له الخلود في النار، كما قال عز وجـل: {إن الـذين كفـروا من أهـل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية} [البينة: 6].
وغنمـا قلنـا عن هـذا النـوع إنـه اعتقـادي، لأن مقـره القلب.
وقلنا إنه ينافي الإيمان ويضاده؛ لأننا عرفنا الإيمان بأنه قـول وعمـل؛ "قـول القلب وعمله، وقول اللسان، وعمل الجوارح"؛ فإذا زالت هذه الأربعـة، زال الإيمان بالكلية، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع البقية1. والكافر جاحد غـير مصـدق كمـا بينـا ذلـك آنفـا.
والكفر الأكبر أنواع متعددة، من لقي الله بنوع منها، لم يغفر لـه، وقـد ذكـر بعضها العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله: وأما الكفر الأكبر، فخمسة أنـواع: كفر تكذيب، وكفر استكبارا وإباء مع التصديق، وكفر إعـراض، وكفـر شـكن وكفـر نفـاق2.
ومن أنـواع الكفـر الأكـبر أيضـا: كفـر البغض، والكفـر بـدعوى علم الغيب.
وسأقتصـر على ذكـر بعض أنـواع الكفـر الأكـبر -بـإذن اللـه- في المطـالب التاليـة:

1 انظـر أعلام السـنة المنشـورة للشـيخ حافـظ الحكمي ص147.
2 مدارج السالكين لابن القيم 1/ 366.." [2]

[1] () التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/105
[2] () المفيد في مهمات التوحيد عبد القادر عطا صوفي ص/176

"الإيمان:
ـ الإيمان قول، وعمل، يزيد، وينقص، **فهو: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح. فقول القلب: اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان: إقراره. وعمل القلب: تسليمه وإخلاصه، وإذعانه، وحبه وإرادته للأعمال الصالحة.
وعمل الجوارح: فعل المأمورات، وترك المنهيات.
ـ مرتكب الكبيرة (*) لا يخرج من الإيمان، فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، والموحدون كلهم مصيرهم إلى الجنة وإن عذب منهم بالنار من عذب، ولا يخلد أحد منهم فيها قط.
ـ لا يجوز القطع لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه.
ـ الكفر (*) من الألفاظ الشرعية وهو قسمان: أكبر مخرج من الملة، وأصغر غير مخرج من الملة ويسمى أحيانا بالكفر العملي.
ـ التكفير (*) من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل ما لم يدل دليل شرعي على ذلك، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجبه في حق المعين إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع. والتكفير من أخطر الأحكام فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم، ومراجعة العلماء الثقات في ذلك.
? القرآن والكلام:
القرآن كلام الله (حروفه ومعانيه) منزل غير مخلوق؛ منه بدأ؛ وإليه يعود، وهو معجز دال على صدق من جاء به صلى الله عليه وسلم. ومحفوظ إلى يوم القيامة.
? القدر:
من أركان الإيمان، الإيمان بالقدر (*) خيره وشره، من الله تعالى، ويشمل:
ـ الإيمان بكل نصوص القدر ومراتبه؛ (العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق)، وأنه تعالى لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.
ـ هداية العباد وإضلالهم بيد الله، فمنهم من هداه الله فضلا. ومنهم من حقت عليه الضلالة عدلا.
ـ العباد وأفعالهم من مخلوقات الله تعالى، الذي لا خالق سواه، فالله خالق لأفعال العباد، وهم فاعلون لها على الحقيقة.
ـ إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى، وإثبات الأسباب بمشيئة الله تعالى.." [1]

"شيئا من الكمال فهو ناقص، ثم ساق حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله

[1] () الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة مجموعة من المؤلفين 1/40

وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير» (1) . وحكى اتفاق السلف على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية غير واحد من أهل العلم؛ كالشافعي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة [(3 / 886، 887)] ، وأحمد كما في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي [ص (228)] ، والبخاري كما في فتح الباري [(1 / 47)] ، وابن عبد البر في التمهيد [(9 / 238)] ، والبغوي في شرح السنة [1 / 38، 39)] ، وعبد الرزاق الصنعاني كما في شرح مسلم [1 / 146] .

وقوله: (قول) **أي قول القلب واللسان**، فقول القلب هو الاعتقاد، وأما قول اللسان فهو التكلم بكلمتي الإسلام والإيمان.

قوله: (وعمل) العمل قسمان: عمل القلب وهو الإخلاص

---

(1) البخاري (1 / 127) ح44 في الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، من حديث قتادة عن أنس مرفوعا.." [1]

"- ولكن لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - رأي آخر في معنى الإيمان اللغوي، وهو من آرائه السديدة، واختياراته الموفقة؛ حيث اختار معنى (الإقرار) للإيمان.

لأنه رأى أن لفظة (أقر) أصدق في الدلالة والبيان على معنى الإيمان الشرعي من غيرها؛ لأمور وأسباب ذكرها ثم ناقشها بالمعقول، ورد بتحقيق علمي رصين قول من ادعى: أن الإيمان مرادف للتصديق، وذكر فروقا بينهما؛ تمنع دعوى الترادف.

قال رحمه الله: (فكان تفسيره - أي الإيمان - بلفظ الإقرار؛ أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقا) (1) .

وقال أيضا: (ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار **ضمن قول القلب الذي** هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد) (2) .

وقال - رحمه الله - في رده على من ادعى الترادف بين الإيمان والتصديق: (إنه - أي الإيمان - ليس مرادفا للتصديق في المعنى؛ فإن كل مخبر عن مشاهدة، أو غيب، يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال:

---

(1) (مجموع الفتاوى) ج 7، ص 291.

(2) (مجموع الفتاوى) ج 7، ص 638.." [2]

"فمسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة؛ كما أجمع عليه أئمتهم وعلماؤهم، هو: (تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة،

---

[1] () اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/105

[2] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/21

وينقص بالمعصية) .
ومن أصولهم التي اتفقوا عليها في مسمى الإيمان على اختلاف عباراتهم في التعبير - إجمالا وتفصيلا - وذلك خوفا من الاشتباه، أو الالتباس؛ أن الإيمان مركب من:
(قول، وعمل) . أو (قول، وعمل، ونية) . أو (قول، وعمل، ونية، واتباع السنة) .
أي: أن مسمى الإيمان يطلق عند أهل السنة والجماعة على ثلاث خصال مجتمعة، لا يجزيء أحدهما عن الآخر، وهذه الأمور الثلاثة جامعة لدين الإسلام:
(اعتقاد القلب، إقرار اللسان، عمل الجوارح) .
وبعبارة أخرى عندهم:
- قول القلب، وقول اللسان.
- عمل القلب، وعمل الجوارح.
ويمكن توضيح ذلك؛ بالتفصيل التالي:." [1]
"أولا - قول القلب: هو معرفته للحق، واعتقاده، وتصديقه، وإقراره، وإيقانه به؛ وهو ما عقد عليه القلب، وتمسك به، ولم يتردد فيه، قال الله تبارك وتعالى:
{والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون {33} لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين} (1) .
وقال تعالى: {وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين} (2) .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير) (3) .
قول اللسان: إقراره والتزامه.
أي: النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمها.
قال تعالى: {قولوا آمنا بالله ومآ أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي

---

(1) سورة الزمر، الآيتان: 33 - 34.
(2) سورة الأنعام، الآية: 57.
(3) (رواه البخاري) في (كتاب الإيمان) باب: (زيادة الإيمان ونقصانه) .." [2]

"أقوال أئمة أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان
اتفق أئمة أهل السنة والجماعة - سلفا وخلفا - على أن الإيمان: قول

---

[1] الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/26
[2] الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/27

وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح؛ يزيد بالطاعة وكثرة العبادة، وينقص بالمعصية والغفلة، وقد حكى الإجماع على ذلك أكثر أهل العلم - رحمهم الله - بل أصبح هذا القول من مميزات أهل السنة والجماعة، والفارقة بينهم وبين أهل البدع والأهواء. وأقوالهم في هذا الباب كثيرة جدا لا يمكن حصرها في هذه الرسالة، ولكن نذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر:
كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول لأصحابه: (هلموا نزدد إيمانا) فيذكرون الله تعالى (1).
وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

(1) (السنة) الخلال: 5/39 (1122) . و (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) اللالكائي: 5/1012 (1700) . و (الإبانة) ابن بطة: 2/846 (1134) .." [1]

"وقال: (إن الطاعات تسمى إيمانا ودينا، وإذا ثبت هذا علمنا أن من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه، ومن نقص عبادته نقص دينه) (1).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت 728هـ):
(ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) (2).
وقال: (ولهذا كان القول: إن الإيمان قول وعمل - عند أهل السنة - من شعائر السنة، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك) (3).
وقال الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله (ت 751هـ):
(حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه،

(1) (شرح صحيح مسلم) النووي: 2/68.
(2) (مجموع الفتاوى) : 3/151.
(3) (الإيمان) ابن تيمية: 292.." [2]

"وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله (ت 1376هـ) في تفسير الآية {76} من سورة مريم:
(وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه؛ كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى: {ليزداد الذين آمنوا إيمانا} ، {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا} ويدل عليه أيضا الواقع؛ فإن **الإيمان: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور أعظم تفاوت.

[1] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/57
[2] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/76

وقال العلامة حافظ الحكمي رحمه الله (ت 1377هـ) :
(الإيمان: قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويتفاضل أهله فيه) (1) .
وقال الشيخ العلامة المفسر محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله (ت 1393هـ) :
(إن الحق الذي لا شك فيه هو مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان شامل للقول والعمل مع الاعتقاد، وذلك ثابت في أحاديث صحيحة كثيرة) (2) .

(1) (أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) : ص 45 تحقيق أحمد الرشد.
(2) (أضواء البيان) الشنقيطي: 7/201.." [1]

"التلازم الظاهر بالباطن
إن ظاهر العبد - عند أهل السنة والجماعة - هو الوجه الآخر لقلبه وباطنه، وأنه انعكاس مباشر له لا يتخلف عنه ولا يغايره، وإذا كان الباطن صالحا كان الظاهر كذلك، وإذا كان الباطن فاسدا كان الظاهر كذلك فاسدا بحسبه؛ لأن الإيمان أصله في القلب، وهو:
- قول القلب من المعرفة والعلم والتصديق.
- عمل القلب من الإذعان والانقياد والاستسلام.
ولكن من لوازم هذا الإيمان - إذا تحقق في القلب - تحقيقها في الظاهر، فالظاهر لا يتخلف عن الباطن ولا يضاده؛ لأنه ترجمان الباطن، ومرتبط به ارتباطا وثيقا.
فالظاهر والباطن متلازمان لا يكون الظاهر مستقيما إلا باستقامة الباطن، وكذلك العكس.." [2]
"وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:
(فأصل الإيمان في القلب، **وهو قول القلب وعمله**، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب، فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي التصديق لما في القلب، ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له؛ لكن ما في القلب هو الأصل لما على الجوارح؛ كما قال أبو هريرة - رضي الله عنه - إن القلب ملك، والأعضاء جنوده؛ فإن طاب الملك، طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده) (1) .
وقال أيضا: (فهذا الموضع ينبغي تدبره فمن عرف ارتباط الظاهر بالباطن

[1] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/81
[2] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/91

زالت عنه الشبهة في هذا الباب، وعلم أن من قال من الفقهاء إنه إذا أقر بالواجب وامتنع عن الفعل لا يقتل، أو يقتل مع إسلامه؛ فإنه دخلت عليه الشبهة التي دخلت على المرجئة والجهمية، والتي دخلت على من جعل الإرادة الجازمة مع القدرة التامة لا يكون بها شيء من الفعل، ولهذا كان الممتنعون من قتل

(1) (مجموع الفتاوى) ج 7، ص 644.." [1]

"إيمان بالله ورسوله، لم يخرج بذلك من الكفر؛ فإن المشركين، وأهل الكتاب يرون وجوب هذه الأمور، فلا يكون الرجل مؤمنا بالله ورسوله مع عدم شيء من الواجبات التي يختص بإيجابها محمد صلى الله عليه وسلم (1).

وقال - أيضا - رحمه الله: (إذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة؛ كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان؛ فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة، بل يلزم من وجود هذا كاملا، وجود هذا كاملا؛ كما يلزم من نقص هذا، نقص هذا؛ إذ تقدير إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل، كتقدير موجب تام بلا موجبه، وعلة تامة بلا معلولها، وهذا ممتنع (2).

وقال الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله: (وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد. وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه. وعمل الجوارح.

(1) (مجموع الفتاوى) ج 7، ص 621.

(2) (مجموع الفتاوى) ج 7، ص 582.." [2]

"وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: (اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر، إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئا منها؛ فمات قبل التوبة، لا يخلد في النار؛ كما جاء به الحديث؛ بل هو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته) (1).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (من أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وهم مع ذلك: لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي؛ كما قال سبحانه في آية القصاص:

[1] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/96

[2] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/98

{فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف} ..

(1) (شرح السنة) الإمام البغوي: ج1، ص 103.." [1]

"(1) أن الإيمان الكامل يمنع من دخول النار بالكلية كما يمنع صاحبه في الدنيا من فعل المعاصي والإيمان الناقص يمنع الخلود في النار.
(2) أن الإيمان يوجب لصاحبه أن يكون معتبرا عند الخلق أمينا. ويوجب للعبد العفة عن دماء الناس وأموالهم وأعراضهم.
(3) أن قوي الإيمان يجد في قلبه من ذوق حلاوته ولذة طعمه واستحلاء آثاره. والتلذذ بخدمة ربه وأداء حقوقه وحقوق عباده التي هي موجب الإيمان وأثره. فالمؤمن يتقلب في لذات الإيمان وحلاوته المتنوعة.
(4) أن الإيمان هو السبب الوحيد للقيام بذروة سنام الدين، وهو الجهاد البدني والمالي والقولي في سبيل الله.
ثم قال ـ رحمه الله ـ بعد ذكره لهذه الجملة الكبيرة النافعة من ثمرات الإيمان: "وهذا كله من ثمرات الإيمان ومن تمامه وكماله. وبالجملة فخير الدنيا والآخرة كله فرع عن الإيمان ومترتب عليه، والهلاك والنقص إنما يكون بفقد الإيمان أو نقصه"1.
وبعد هذا البيان الموجز لأهمية الإيمان وما يترتب عليه من فوائد وثمار نشرع في تعريف الإيمان وما يتعلق به من مسائل.
تعريف الإيمان:
أن من أصول أهل السنة والجماعة: أن الإيمان قول **وعمل؛ قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح2.
وقد دل على ذلك نصوص كثيرة في الكتاب والسنة:
أما **أدلة قول القلب وهو** تصديقه وإيقانه:
فمنها: قوله تعالى: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا} 3، وقوله تعالى: {والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون. لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين} 4.
وقوله تعالى: {وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين} 5. وغيرها من الآيات.

1 الخلاصة /130-134.
2 العقيدة الواسطية لابن تيمية /152.
3 سورة الحجرات/ الآية 15.
4 سورة الزمر/ الآيتان 33، 34.
5 سورة الأنعام/ الآية 75.." [2]

[1] () الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/218
[2] () الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/298

"من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد الصغار فنسينا كثيرا قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة "ثلاث مرات"1.

فهذه النصوص ظاهرة الدلالة في أن الإيمان يزيد وينقص إذ هي صريحة بذلك.

وقد تناول ابن سعدي هذه المسألة وبين أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بقوة الاعتقاد وكثرته وحسن الأعمال والأقوال وكثرتها وينقص بضد ذلك2.

واستدل على ذلك بأدلة كثيرة أذكر بعضها:

قال عند تفسيره لقوله تعالى: {وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون. أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون} 3.

"....وفي هذه الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتفقد إيمانه ويتعاهده فيجدده وينميه، ليكون دائما في صعود"4.

وقال عند قوله تعالى: {ويزيد الله الذين اهتدوا هدى} 5. ".....وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه كما قاله السلف الصالح ويدل عليه قوله تعالى: {ويزداد الذين آمنوا إيمانا} 6، {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا} 7.

ويدل عليه أيضا الواقع فإن **الإيمان قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان

---

1 مسلم 4/2106.
2 انظر سؤال وجواب /8، والفتاوى السعدية /17، والتفسير 6/35، والخلاصة /131، وتوضيح الكافية الشافية /8، 9، 13. وغيرها.
3 سورة التوبة/ الآيات 124، 125، 126.
4 التفسير 3/317.
5 سورة مريم/ الآية 76.
6 سورة المدثر/ الآية 31.
7 سورة الأنفال/ 2.." [1]

---

1 () الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/304

"أخرجه البخاري زاد مسلم في رواية "فأفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى من الطريق".
قال ابن منده: "فجعل الإيمان شعبا بعضها باللسان وبعضها بالقلب وبعضها بسائر الجوارح"الإيمان (1/332) .
وعقد البخاري باب (زيادة الإيمان ونقصانه وقول الله تعالى: {وزدناهم هدى} [الكهف:13] {ويزداد الذين آمنوا إيمانا} [المدثر:31] وقال: {اليوم أكملت لكم دينكم} [المائدة: 3] فإذا ترك شيئا من الكمال فهو ناقص ثم ساق حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير" 1 وحكى اتفاق السلف على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية غير واحد من أهل العلم.
كالشافعي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (3/886،887) وأحمد كما في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص 228 والبخاري في فتح الباري 1/، 47 وابن عبد البر في التمهيد 9/238 والبغوي في شرح السنة (1/38،ـ 39) وعبد الرزاق الصنعاني كما في شرح مسلم 1/ـ 46 .1
وقوله: **أي قول القلب واللسان** فقول القلب هو الاعتقاد وأما قول اللسان فهو التكلم بكلمتي الإسلام والإيمان.
قوله (وعمل):
العمل قسمان: عمل القلب: وهو الإخلاص والنية وعمل الجوارح وهي الأعضاء.

1 البخاري (1/ـ 127) ح 44 في الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه من حديث قتادة عن أنس مرفوعا.." [1]

"عباراتهم المستعملة في أربع: قول وعمل، وقول وعمل ونية، وقول وعمل واتباع السنة، وقول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح 1.
وقد بين شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ مقصود السلف في عباراتهم هذه بقوله: " والمقصود هنا، أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، **أراد قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب.
ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك. ومن زاد اتباع السنة، فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال، والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد

[1] () اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/287

على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا: بل هـو قـول وعمـل. والـذين جعلوه أربعـة، بينـوا مـرادهم، كمـا سـئل سـهل بن عبـد اللـه التسـتري عن الإيمان ما هو فقال: قول وعمـل ونيـة وسـنة، لأن الإيمـان إذا كـان قـولا بلا عمل، فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذاك كان قولا وعملا ونية لا سنة فهو بدعة " 2. وبهذا البيان الشافي من شيخ الإسلام، يندفع مـا قد يتوهم من خلاف بين عبارات السـلف، لأنهـا جميعهـا تلتقي عنـد مفهـوم واحـد، فجميعهم يقولـون لا بـد من تصـديق القلب وإظهـار هـذا التصـديق بالقول باللسان، ثم التصـديق العملي لـذلك، بالقيـام بعمـل مـا أوجبـه اللـه ورسوله من الأعمال الظاهرة، والباطنة، واجتناب ما نهى الله ورسوله عنـه منها، وفق الكتاب والسنة، كما قال محمد بن الحسين الآجري: " ثم اعلمـوا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب، والتصديق إلا أن يكـون معـه الإيمـان باللسـان نطقا، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان، حتى يكون عمـل بـالجوارح، فـــإذا كملت فيـــه هـــذه الثلاث الخصـــال كـــان مؤمنـــا " 3.

---

1 ابن تيميــة، أحمــد بن عبــد الحليم، كتــاب الإيمــان ص 142 ط المكتب الإســـلامي بدمشـــق.

2 ابن تيميـــة، أحمـــد بن عبـــد الحليم، المصـــدر الســـابق ص 143.

3 الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين،كتاب الشريعة، بتحقيـق محمـد حامـد الفقي، ص119 ط1 بمطبعة السـنة المحمديـة سـنة 1369هـ ـ 1950م.."

[1]

"على أنه التصديق وذلك لأنهم لا يفرقون بين التصـديق والمعرفـة كمـا فرق غيرهم، وكلاهما يرجع إلى القلب وهما شيئ واحد، ومن هؤلاء الباحثين شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حيث ذكـر أن جهمـا قـال بـأن الإيمـان مجـرد تصـديق القلب وعلمـه، ولم يجعـل أعمـال القلـوب من الإيمـان 1. ثم يذكر في موضع آخـر أنـه لا فـرق بين المعرفـة والتصـديق حيث قـال: " الفـرق بين معرفـة القلب وبين مجـرد تصـديق القلب الخـالي عن الانقيـاد، الـذي **يجعل قـول القلب أمـرا** دقيقـا، وأكـثر العقلاء ينكرونـه، وبتقـدير صحته، لا يجب على أحـد أن يـوجب شـيئين لا يتصـور الفـرق بينهمـا، وأكـثر الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصـديقه " 2. ورأي ابن تيميـة هذا في نظري صحيح، ولكن الفرق بين رأي جهم ورأي غيره ممن قال بـأن الإيمـان هـو التصـديق فـرق جـوهري، لأن جهمـا جعلـه تصـديقا مجـردا عن الانقياد القلبي فمن عرف الله بقلبه فهو المؤمن، ولا يشـترط أن يتبـع تلـك المعرفة خضوعا له وانقيادا، فيكون قد صدقه بقول قلبه وعمل قلبـه محبـة وتعظيمـــا.

أما الآخرون الذي قالوا بأن الإيمان مجرد التصديق، فإنهم يقصدون تصــديق القلب وانقياده بإدخال أعمال القلوب فيه بـأن يـؤمن باللـه وملائكتـه وكتبـه

---

1 () الإيمان بين السلف والمتكلمين أحمد بن عطية بن علي الغامدي ص/18

ورسله، ويصدقه في جميع مـا نـزل من الـوحي الإلهي. فيكـون الفـرق بين المذهبين أن جهما جعل الإيمان تصديقا مجردا عن أعمال القلب، بينما غيره أدخل فيه أعمال القلوب. وقد تابع شيخ الإسلام في رأيه هذا الشيـخ محمـد بن أحمــد الســفاريني الحنبلي في كتابــه ((لوامــع الأنــوار البهيــة)) 3.
ورأي جهم في الإيمان الذي تقدم ذكره تكاد تجمع المصادر التي تذكر آراءه على أنـــــه قــــــد قــــــال بـــــه، ودعــــــا إليـــــه.
فالإيمـــان إذن عنـــد جهم لا يتنـــاول إلا البـــاطن، بحيث أن الإنســـان إذا

1 كتـــــــــاب الإيمـــــــــــان لابن تيميـــــــــــة، ص157.
2 ابن تيميـــــــــــة، المصـــــــــــدر الســـــــــــابق ص340.
3 ج1 ص363، ط1 بمطبعة مجلة المنار، مصر، سنة 1324هـ.." [1]

"الإيمـــــان عنـــــد أهـــــل الســـــنة وإثبـــــات الأصـــــبع لله
قـال: (ونقـول إن الإسـلام أوسـع من الإيمـان) وليس كـل إسـلام إيمانـا، فالإسـلام يشـمل الإيمـان، وليس كـل إسـلام إيمانـا؛ لأن الإيمـان أخص من الإسلام، (وندين بأن الله يقلب القلوب بين إصبعيه) وهـذا فيـه إثبـات صـفة الأصـــبع لـــه ســـبحانه وتعـــالى، وهي صـــفة ذاتيـــة خبريـــة.
(وأنه عز وجل يضع السماوات على إصبع كما جـاءت الروايـة الصـحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) إلى أن قـال: (وأن الإيمـان قـول وعمـل يزيـد وينقص) وهـذا من المسـائل الـتي وقـع فيهـا الخلاف بين أهـل السـنة وغيرهم، وهي مسألة الإيمان، وقد اختلفوا فيها في عدة أمور: منهـا تعريـف الإيمان، فاختلف أهل السنة مع غـيرهم في تعريـف الإيمـان، والصـواب: أن الإيمان قول **وعمل، قـول القلب واللسـان**، وعمـل القلب والجـوارح، واختلفوا أيضا في زيادتـه ونقصـه على أقـوال، والصـحيح: أن الإيمـان يزيـد وينقص، وأن زيادته بالطاعة، وأن نقصانه بالزلل.." [2]

"الإيمـــــــــان بين أهـــــــــل الســـــــــنة والمرجئة
يقول المصنف رحمـه اللـه: [ومن أصـول أهـل السـنة والجماعـة أن الـدين والإيمان قـول **وعمل، قـول القلب واللسـان**، وعمـل القلب واللسـان والجوارح، وأن الإيمـان يزيـد بالطاعـة، وينقص بالمعصـية، وهم مـع ذلـك لا يكفرون أهل القبلـة بمطلـق المعاصـي والكبـائر؛ كمـا يفعلـه الخـوارج، بـل الأخوة الإيمانيـة ثابتـة مـع المعاصـي، كمـا قـال سـبحانه في آيـة القصـاص: {فمن عفي له من أخيه شـيء فاتبـاع بـالمعروف} [البقـرة:178] ، وقـال: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحــداهما على الأخرى فقـاتلوا الـتي تبغي حـتى تفيء إلى أمـر اللـه فـإن فـاءت فأصـلحوا

[1] () الإيمان بين السلف والمتكلمين أحمد بن عطية بن علي الغامدي ص/109
[2] () شرح الفتوى الحموية خالد المصلح 24/8

بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم} [الحجرات:9-10] .." [1]

"تعريف الإيمان عند أهل السنة

أهل السنة لا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة؛ بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله: {فتحرير رقبة مؤمنة} [النساء:92] ، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا} [الأنفال:2] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) .

ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم] .

ينتقل المصنف رحمه الله إلى مسألة الإيمان، فيقول: (ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل) .

قوله: (أن الدين والإيمان) : المعروف أن العطف يقتضي المغايرة، فالإيمان يكون غير الدين، فالدين المقصود به الشيء الذي يدان به، أي: أمر الله ونهيه، وأمر الله ونهيه يجوز أن يفعل ويجوز أن يترك، أما الإيمان فهو الذي يتعلق بالمخلوق، والذي يوجد من المؤمن، هذا هو الفرق.

والدين أمر ونهي وعقيدة (نية) وكذلك الإيمان، وقد قالوا: إن الإيمان في اللغة التصديق، ونازع في هذا بعض العلماء، وقالوا: إنه تصديق خاص.

وأما في الشرع: فهو قول وعمل وعقيدة، وهذا تعريفه عند أهل السنة، والقول يشمل قول القلب، وقول اللسان؛ ولهذا اقتصر بعض أهل السنة على أنه قول وعمل فقط.

وبعضهم جعله مركبا من ثلاثة أشياء، ولا خلاف في هذا؛ لأن الذي اقتصر على شيئين، فقال: قول وعمل، يقصد **بالقول قول القلب وقول** اللسان، والعمل: عمل الجوارح، وعمل القلب هو الخشية والخوف والرجاء، والإنابة وما أشبه ذلك.

ومعلوم أن الإيمان يتكون من أعمال القلب، ومن أعمال الجوارح.

وقول اللسان ظاهر، وهو النطق بالشهادتين، والذكر والتلاوة، وجميع الأعمال التي تؤدى باللسان، وكذلك عمل الجوارح ظاهر كالصلاة والحج والجهاد وإماطة الأذى عن الطريق وما أشبه ذلك من الأعمال التي يأمر الله جل وعلا بها، فهي كلها داخلة في الإيمان.

إذا: الإيمان عند أهل السنة مركب من ثلاثة أشياء: **من قول القلب**

---
[1] () شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان 26/2

وعمل الجوارح، وقول اللسان، وقول اللسان داخل في عمل الجوارح؛ لأنه جارحة.." [1]

"الإيمان قول وعمل

Q من المعلوم أن الإيمان قول وعمل. **أي: قول القلب وعمل** القلب، وقول اللسان وعمل اللسان والجوارح، فهل إذا انتفت إحدى هذه الأركان كان الإنسان كافرا؟

A نعم؛ لأن الإيمان مركب من هذه الأجزاء الثلاثة، فلا بد من اجتماعها عند أهل السنة، فإذا فقد واحد منها يكون الإيمان غير صحيح، وعلى هذا كفر كثير من العلماء المرجئة الذين أخرجوا الأعمال من الإيمان وقالوا إن حقيقة الإيمان العلم أو التصديق، كما هو عند الجهمية، ولهذا قالوا: إنهم أجهل الناس بالله؛ حيث وصفوه بما تعالى وتقدس عنه. ومعلوم أن ترك الصلاة كفر، والرسول صلى الله عليه وسلم رتب دخول الجنة على أمور خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله -وهذه في ضمنها التصديق- وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج، وهذه كلها أعمال، فإذا قالوا: إن الإيمان مجرد التصديق فمعناه أنهم يرون أن الإنسان إذا ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج أنه غير معرض لعقاب ولا أنه خارج عن الدين الإسلامي، بل يرون أنه مؤمن كامل الإيمان.." [2]

"حقيقة الإيمان والخلاف فيه بين طوائف المسلمين

يقول المصنف رحمه الله: [ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوار، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر؛ كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصاص: {فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف} [البقرة:178] ، قال: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين} [الحجرات:9] ، {إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم} [الحجرات:10] ، ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة؛ بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله: {فتحرير رقبة مؤمنة} [النساء:92] ، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا} [الأنفال:2] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني

---

[1] () شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان 26/3

[2] () شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان 26/14

الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) ، ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم]. سبق أن الإيمان عند أهل السنة مركب من ثلاثة أشياء: القول، والعقيدة، والعمل، وتعريفه كما يعرفه أهل السنة في كتبهم هو: قول وعمل واعتقاد، وبعضهم يزيد في هذا التعريف ويقول: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.." [1]

"الأسئلة

يقول المصنف رحمه الله: [ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر؛ كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصاص: {فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف} [البقرة:178] ، قال: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين} [الحجرات:9] ، {إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم} [الحجرات:10] ، ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة؛ بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله: {فتحرير رقبة مؤمنة} [النساء:92] ، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا} [الأنفال:2] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) ، ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم]. سبق أن الإيمان عند أهل السنة مركب من ثلاثة أشياء: القول، والعقيدة، والعمل، وتعريفه كما يعرفه أهل السنة في كتبهم هو: قول وعمل واعتقاد، وبعضهم يزيد في هذا التعريف ويقول: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.." [2]

---

1 () شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان 27/2

2 () شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان 27/7

"مذهب السلف في الإيمان
قول السلف الذي حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة أن الإيمان قول وعمل، وألفاظ السلف في هذا المقام مختلفة، ولكن اختلافها من باب اختلاف الألفاظ، فالذي عبر به الجماهير من أئمة السنة والحديث هو أن الإيمان قول وعمل، وعبر طائفة منهم بأن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وعبر طائفة منهم البخاري في صحيحه بأن الإيمان: (قول وفعل)، وعبر بعضهم بأن الإيمان: (قول وعمل ونية واتباع للسنة)، إلى أمثال ذلك من الجمل المأثورة عن بعض أعيان السلف.
وهذه الجمل ليس بينها اختلاف عند التحقيق، بل هي جمل متفقة من حيث المعنى، وإن كان المأثور عن جماهير من السلف هو أجود التعبيرات، وهو قولهم: الإيمان قول وعمل، ومرادهم بالقول **هنا: قول القلب وقول** اللسان، ومرادهم بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح، فأما قول اللسان فبين، وأما عمل الجوارح فبين، وهي الشرائع الظاهرة كالصلاة والصوم والحج وأمثال ذلك، **وأما قول القلب** -وهو أصل الإيمان عند السلف ومبناه- فمرادهم به: تصديق القلب.
وأما عمل القلب فهو: حركته بهذا التصديق في أعماله المناسبة له، كالمحبة والرضا والخوف والاستعانة إلى غير ذلك من أعمال القلوب، وعليه فأصول الإيمان على هذا الاعتبار تكون أربعة: تصديق القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح.
وأما ذكره الشافعي وأمثاله -وهو الشائع في كلام أكثر المتأخرين من أهل السنة- من أنه قول وعمل واعتقاد، فإنهم يريدون بالقول: قول اللسان، ويريدون بالعمل: الأعمال الظاهرة والباطنة، ويريدون بالاعتقاد: التصديق.
فالقصد أن هذه الجمل المأثورة عن السلف لا خلاف بينها في نفس الأمر.
وعلى هذا المعنى أجمع السلف رحمهم الله، وأجمعوا على أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وزيادته ونقصانه متعلقة بأصوله الأربعة، فليست مختصة بالعمل وحده، بل يزيد وينقص من جهة الأعمال الظاهرة، ومن جهة الأقوال إذا ما فسر قول اللسان بغير الشهادتين، ويزيد وينقص في أعمال القلوب، بل حتى التصديقات متفاضلة.." [1]
"إثبات صفة الكلام لله عز وجل
قال المؤلف رحمه الله: [وقوله صلى الله عليه وسلم: (يقول تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار) متفق عليه.
وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان)] .
هذان الحديثان من جملة ما مثل به المؤلف رحمه الله لأحاديث الصفات الواردة في سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهما يفيدان إثبات

[1] () شرح الطحاوية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص 19/4

صفة الكلام للرب جل وعلا، وصفة الكلام صفة ذاتية فعلية كما تقدم، وهي: صفة يثبتها أهل السنة والجماعة بالكتاب والسنة والإجماع والعقل، وهي: صفة ثابتة لله عز وجل في جميع الشرائع؛ ولذلك التحريف فيها وإنكارها مما يقدح في الإيمان بالرسل؛ لأن جميع الأنبياء أخبروا بذلك، وهم مجمعون على أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بحرف وصوت، كما سيأتي بيانه.

والحديث الأول: فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى) والقول يدل على اتصافه سبحانه وتعالى بالكلام، وهذا النوع من الأحاديث يسمى بـ (الحديث القدسي) ، وهذا التعبير هو المشهور، وهو الاصطلاح المعروف عند كثير من أهل العلم، فالأحاديث المصدرة بقوله: قال الله تعالى، أو التي فيها: قال الله تعالى هي أحاديث قدسية، وشيخ الإسلام رحمه الله يسميها (الأحاديث الإلهية) ، والفرق بين الحديث الإلهي والحديث النبوي أن الحديث الإلهي فيه خبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ربه، فهو خبر عن الله.

وقد قال جمهور المحدثين: إن الحديث الإلهي -الحديث القدسي- لفظه من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومعناه من الله، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الحديث الإلهي لفظه ومعناه من الله، وهذا القول قوي، وهو الذي يستفاد من ظواهر الأحاديث، فإن نسبة القول إلى الله هي نسبة لفظ ومعنى، ولكن يفارق الحديث الإلهي -الحديث القدسي- القرآن أن لفظه ليس بمعجز، وأنه لا يتعبد بقراءته، فليس كل حرف فيه بعشر حسنات كما ورد ذلك في القرآن، وأنه لا يشترط في مسه الطهارة لا الصغرى ولا الكبرى، فلو أن كتابا تضمن الأحاديث الإلهية -الأحاديث القدسية- فلا يشترط للمسه ومطالعته أن يكون الإنسان على طهارة، هذا هو الصحيح، وبهذا يتميز الحديث الإلهي -الحديث القدسي- عن القرآن فيقال: إن لفظه ومعناه من الله جل وعلا هذا الأصل، وأن ما يثبت للمصحف من أحكام فهو غير ثابت للحديث الإلهي.

فقول النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى) هذا فيه إثبات أن الله جل وعلا يتكلم؛ لأن القول الأصل فيه لا يكون إلا على ما ظهر وتبين من اللفظ، وأما ما يدور في الخاطر فإنه قد يصح أن يقال: إنه قول، لكن لابد من تقييده.

فلا يرد القول مطلقا ويراد به حديث النفس، وإنما إذا أريد بالقول ما يدور في الخاطر وما يجول في الضمير والقلب فلابد من تقييده، **فيقال: قول القلب أو** قول النفس أو قالت نفسي، أما إذا ورد القول مطلقا فإنه لا ينصرف إلا على القول الذي يتبين ويظهر بحرف وصوت.

قوله: (يقول الله تعالى: يا آدم!) هذا فيه خطاب لأبي البشر آدم عليه السلام، وآدم إنما يعقل كلاما بحرف وصوت، وليس المراد كلاما معنويا كما تقول الأشاعرة ومثبتة الصفات.

(فيقول -أي: آدم عليه السلام-: لبيك وسعديك) .

(لبيك وسعديك) هذان مصدران لا مفرد لهما من لفظيهما، ومعنى (لبيك) أي: أقمت على طاعتك وإجابتك، إقامة بعد إقامة، وإجابة بعد إجابة، والتثنية للتكثيف، كقوله تعالى: {ثم ارجع البصر كرتين} [الملك:4] ، فإن التثنية في كلام العرب ترد ويراد بها مطلق التكثيف لا العدد نفسه.

وكذلك (سعديك) معناها: إسعاد بعد إسعاد، يعني: إعانة بعد إعانة، فهو يطلب من الله عز وجل العون والإسعاد على ما هو بصدده.

(فينادي -والمنادي هو الله جل وعلا- بصوت) ، وهذا لفظ نبوي فيه إثبات النداء بصوت، وقوله: (بصوت) هذا تأكيد للنداء، وإلا فإن أهل اللغة مجمعون على أنه لا يكون نداء إلا بصوت رفيع؛ ولذلك لا حاجة إلى أن نقول: الذي يدل على إثبات الصوت هو قوله: (بصوت) ولا شك أنه إثبات ومستند، ولكن نقول: لو لم يرد إلا النداء مستقلا لأفاد إثبات الصوت لكلامه سبحانه وتعالى، وقد ورد النداء في القرآن في أكثر من عشرين موضعا كما تقدم في الآيات.

(فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار) قد يقول قائل: إن المنادي هنا غير الله بقرينة قوله: (إن الله يأمرك) ولكن هذا مصروف ومردود بأن يقال: إن ذكر لفظ الجلالة وذكر اسم الله سبحانه وتعالى في الأمر يكون لتأكيد الأمر ولزومه وإثباته.

(فينادي -الفعل مضاف إلى الله عز وجل لأنه لم يذكر غيره في السياق- بصوت: إن الله يأمرك) تأكيدا للأمر، فذكر لفظ الجلالة -اسم الله سبحانه وتعالى- في ثنايا الأمر تأكيدا له وإلزاما به.

(إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار) -نعوذ بالله منها- وهذا يثبت هذه الصفة لله عز وجل في موضعين: الأول: في قوله: (يقول الله تعالى) .

والثاني: في قوله: (فينادي بصوت) .

قال: (وقوله: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه)) .

(ما) نافية تفيد العموم، والكاف في قوله: (منكم) كاف الخطاب، فمن المخاطب؟ قيل: المخاطب هم أهل الإسلام؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب الصحابة.

وقيل: إن المخاطب هو جنس الإنسان، فكل سيكلمه الله سبحانه وتعالى من كافر ومسلم: (ما منكم من أحد) وأكد العموم بـ (من) التي هي نص في العموم: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه) ، والكلام إنما يفهم ويعرف باللفظ، فليس الكلام هنا كلاما معنويا كما تقول الأشاعرة، إنما هو كلام بحرف وصوت، وهذا الكلام قد وقت بظرف وهو يوم البعث، فدل ذلك على أنه كلام متعلق بمشيئته وإرادته.

وهذا يدل على أن صفة الكلام صفة ذاتية فعلية، فهي ذاتية باعتبار أصل اتصاف الله عز وجل بهذه الصفة، فإنه لم يزل ولا يزال متصفا بهذه الصفة، وفعلية باعتبار أفراد ما يتكلم به جل وعلا، فتكليمه للعباد يوم البعث متعلق

بمشيئته، وهذا دليل على أن الكلام صفة فعلية، كما أنه صفة ذاتية له سبحانه وتعالى.
قوله: (سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان) الترجمان هو: المفسر، أي: ليس بينه وبين الله عز وجل مفسر يبين الكلام ويوضحه، وهذا النفي فائدته تحقق التكليف، وأنه من الله مباشرة، ليس هناك بينه وبينه وسيط، هذا فائدة التأكيد في قوله: (ليس بينه وبينه ترجمان) ، وهذا فيه إثبات صفة الكلام لله عز وجل، وسيأتي مزيد بحث في هذه الصفة في كلام المصنف رحمه الله.." [1]

"الإيمان قول وعمل

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: قال المصنف رحمه الله: [ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح] .
هذا الأصل من الأصول المهمة التي يجب على المؤمن أن يعلم الحق فيها لكثرة الاشتباه والاضطراب.
قال رحمه الله: ومن أصول أهل الفرقة الناجية -جعلنا الله وإياكم منهم- أن الدين والإيمان، الدين: عام، والإيمان: خاص، فهذا من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الدين يشمل الإيمان، ويشمل الإسلام، ويشمل الإحسان كما تقدم في أول هذا الكتاب المبارك.
(أن الدين والإيمان قول وعمل) وعلى هذا أجمع أهل السنة والجماعة متقدموهم ومتأخروهم، والعبرة بإجماع السلف، والسلف مجمعون على هذا، حتى إنه لكثرة كلامهم وظهوره في هذا الباب، مما يؤدي إلى هذا المعنى: أن الإيمان قول وعمل؛ أصبحت هذه الكلمة من علامات السنة، ومن شعائرهم، ومن شعاراتهم، فمن شعارات أهل السنة وأعلامهم: أن الإيمان اعتقاد، وأن الإيمان قول وعمل.
وقد تنوعت عبارات أهل السنة والجماعة في بيان الإيمان: فبعضهم قال: الإيمان قول وعمل كما هو كلام الشيخ رحمه الله، ومنهم من قال: الإيمان قول وعمل ونية، ومنهم من قال: الإيمان قول وعمل ونية واتباع سنة، ومنهم من قال: الإيمان قول اللسان، واعتقاد الجنان، وعمل الجوارح.
واعلم أن هذه المنقولات عن السلف لا اضطراب فيها ولا اختلاف، بل هي من تنوع العبارة، فالعبارة متنوعة لكن المضمون واحد، والعقد فيها متفق، فلا اختلاف، وكلها ترجع إلى أمر واحد، والخلاف هو باعتبار تقسيم المعرف للإيمان، أما من حيث المضمون وما تؤديه هذه العبارات المختلفة فهو واحد.
فمن قال: إن الإيمان قول وعمل **فمراده: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح.

[1] () شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح خالد المصلح 12/4

ومن قال: إن الإيمان قول وعمل ونية فمراده: أن عمل القلب لا يدخل في القول؛ لأن القول ظهور من اللفظ، والقلب لا يظهر منه شيء فاحتاج إلى زيادة نية.
ومنهم من زاد: (اتباع السنة) ؛ لأن العمل إذا لم يكن متبعا فيه السنة فإنه مردود على صاحبه، فهذه العبارات المختلفة تؤدي إلى معنى واحد كما بين ذلك شيخ الإسلام رحمه الله، وقال: إن هذا من اختلاف التنوع، والمضمون في كلامهم واحد لا خلاف فيه.
يقول رحمه الله: (قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح) .
فأضاف القول إلى القلب، لو قال قائل: كيف تضيفون القول إلى القلب والقول لا يكون في الأصل إلا في اللسان؟ نقول: إن القول يضاف إلى اللسان وإلى القلب، فهو عند الإطلاق قول اللسان، لكن إذا قيد بإضافة إلى القلب فإنه يصح إثباته للقلب، فما **هو قول القلب في** كلام المؤلف رحمه الله؟ هو إقراره واعتقاده ونيته، وقال **بعضهم: قول القلب هو** إخلاصه.
فقول المؤلف رحمه الله: (قول القلب) يعني: اعتقاده ونيته وإقراره، (وقول اللسان) هو ما ظهر من اللسان من الإقرار بالشهادتين، ولا يمكن أن يكون الإنسان مؤمنا إلا بهذين الأمرين، فإذا صدر منه قول اللسان دون إقرار القلب هل ينفعه هذا الشيء؟ لا، فمن تكلم بالشهادتين لكن قلبه خال منهما فهو منافق، هذه هي حال المنافقين: {يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم} [الفتح:11] .
ولو قر في قلبه تعظيم هذا الدين ومحبته والتصديق به لكنه لم يتلفظ بلسانه، فلم يقل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، وهو قادر على التلفظ، هل يكون مسلما؟ الجواب: لا، بإجماع أهل الإسلام؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا) والشهادة إنما تكون بالإعلام والبيان، وفي رواية: (حتى يقولوا) والأكثر: (حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله) ، فعلم بهذا أنه لا تستقر قدم أحد على دين الإسلام إلا بهذين الأمرين، قول القلب: وهو إقراره واعتقاده ونيته، وقول اللسان: وهو تلفظه بالشهادتين.
وقوله: (عمل القلب) هل القلب له عمل؟ نعم، القلب له عمل عظيم، وهو أصل عمل الجوارح، المحبة أين هي؟ هل تتحرك اليدان بالمحبة؟ المحبة أمر قلبي، الخوف أين يكون؟ في القلب، وهكذا الخشية الرجاء التوكل الإنابة الإخبات، فأعمال القلوب كثيرة، وهي حركاته في الطاعات وهي من الإيمان، ويدل لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (والحياء شعبة من الإيمان) ، والحياء أمر قلبي، وأصله في القلب، وإن كانت تظهر علاماته على الجوارح، لكن أصل الحياء إنما يكون في قلب الإنسان.
قال: (وعمل اللسان) .
الشهادتان مضت في قول اللسان، فما هو عمل اللسان؟ اشتغاله بذكر الله

عز وجل: التسبيح التحميد التكبير قـراءة القـرآن تعليم العلم تعلم العلم إذا كان بقراءة، كل هذا من عمـل اللسـان فهـو من الإيمـان، دليـل ذلـك قـول النبي صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شـعبة: أعلاهـا قـول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحيـاء شـعبة من الإيمـان) ، الشاهد في قوله: (قول لا إله إلا اللـه) ، وكـذلك الأحـاديث الكثـيرة الـتي لا حصر لها في فضائل الأقوال، وترتيب الأجور على ما يكون من الإنسـان من الأقوال، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان آخر كلامـه من الـدنيا: لا إله إلا الله؛ دخل الجنـة) ، والجنـة إنمـا تكـون لأهـل الإيمـان، فجعـل هـذا القول سببا لدخول الجنة، وهي لا تكون إلا لأهل الإيمان؛ فدل ذلـك على أن القول من الإيمان.

قال: (والجوارح) أي: عمل البدن، فعمل البدن كله من الإيمان؛ ولذلك قـال النبي صلى الله عليه وسلم في بيان شـعب الإيمـان: (وأدناهـا إماطـة الأذى عن الطريق) ، فبهذا نعلم أن الإيمان لا يكون مجرد اعتقاد في القلب، بل لا بد من اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح، فالـذي يقـول: الإيمـان في قلبي، ولا يصلي ولا يتلفظ بالشهادتين هـل يكـون مسـلما؟ الجـواب: لا؛ لعدم تلفظه بالشـهادتين، وكـذلك الـذي يـترك جنس العمـل فلا يعمـل عملا صالحا بالكلية هذا أيضا انتفى عنه ركن الإيمان وهو العمل؛ لأن الإيمان قول وعمل.." [1]

"الأسئلة:

س: ما رأيكم في كتاب قوت القلوب لأبى طالب المكي؟

ج: ما قرأته ولا أحكم عليه بشيء.

س: ما رأيكم في كتاب شرح العقيدة الطحاوية لمؤلف يـدعى عبـد الغـني الغنيمي الميداني الحنفي الدمشقي المتوفى سـنة ثمـان وتسـعين ومـائتين وألف، علما بأنه يباع في الرياض؟.

ج: ما قرأته. لكن علي بن أبي العز شارح الطحاوية هذه ذكـر أن الطحاويـة شرحت بشروح متعددة، وأن شراحها شرحوها على مـا يتمشـى مـع معتقـد أهل الكلام وأهل البدع، فأراد أن يشرحها على معتقد أهل السنة والجماعة. فأنسب الشروح هو هذا الشرح "شـرح الطحاويـة" لابن أبي العـز المنتشـر بين أيدي طلبة العلم، هذا الذي أنصـح بقراءتـه ومـا عـداه فلا ينبغي؛ فلعلـه من الشـروح الـتي ذكـر الشـارح أنهـا تتمشـى مـع معتقـد أهـل البـدع. وأما ما قرأت هذا الشرح الذي ذكرت. نعم.

س: باب الأفعال أوسـع من بـاب الصـفات، فهـل معـنى هـذا أن نقـف على ورود اللفظ في النص إن كان فعلا فنطلقه فعلا دون الوصفية؟ .

ج: نعم. الأفعال لها صفة الأفعال يطلـق على لفـظ الفعـل الخلـق مثلا يثبت لله على ما ورد الخلق والتصوير والقبض والبسط والخفض والرفع كل هـذه

---

[1] () شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح خالد المصلح 23/2

صـفات أفعـال على مـا وردت. {ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (54) } ما يشتق منها الماكر بل يقال: يمكر الله المكر اللائق به. يخادعون الله وهو خادعهم يقال: إن الله يخدع من خدعه، وهو خادع من خدعه جاء على لفظ الفعل، وعلى لفظ اسم الفاعل بالإضافة لكن ما يشتق منه اسم الخادع. وكذلك {إنهم يكيدون كيدا (15) وأكيد كيدا (16) } وإن الله يكيد من كاد، ولا يشتق منها اسم فيقال: من أسماء الله الكائد إن فعل يأتي على لفظ الفعل. نعم.

س: بعض أهل العلم يجعل شروط لا إله الله شرطين فقط هما: العلم والإخلاص ويقول: مرد الشروط السبعة إلى هذين الشرطين.

ج: نعم هذا من باب الاختصاص؛ لأن الصدق المانع من النفاق من الإخلاص؛ ولأن اليقين كذلك ولكن عند التفصيل تفصيلها أولى. نعم.

س: يقرر بعض أهل العلم أن شروط لا إله الله ثمانية، فما هو الشرط الثامن؟ .

ج: الكفران -كما قالوا-: الكفر بما يعبد من دون الله، وهو معروف، مأخوذ من الشروط الأخرى. نعم.

س: كيف الإجابة عن هذه الشبهة، وهى قول بعضهم: أنتم تقولون: الإيمان قول وعمل واعتقاد، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في الأصول الثلاثة يقول في العلم: هو معرفة الله، فاكتفى بالمعرفة وهذا مذهب باطل، وجزاكم الله خيرا؟.

ج: هذا تفسير العلم ما قال الإيمان، تفسير العلم والمعرفة. الإيمان قول وعمل واعتقاد، هذا قول أهل السنة قاطبة، وبعضهم يقول: قول وعمل، **فالقول: قول القلب وهو** الإقرار والتصديق، وقول اللسان، والعمل عمل القلب والجوارح، أما تفسير العلم فهذا غير تفسير العلم والمعرفة، والشيخ محمد فسر العلم بالمعرفة، فتفسير العلم ما فيه تفسير الإيمان، فالعلم غير الإيمان، نعم.

السؤال في غير محله، ما فيه وجه مقارنة. نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول السائل: إن من القواعد في الصفات أن باب الأخبار أوسع من باب الصفات يعنى ذلك أنه يجوز الإخبار عن الله بشيء لم يرد في الكتاب والسنة، لكن قيده بعضهم بقوله مما ورد جنسه في الكتاب والسنة، فهل هذا القيد صحيح، وإن كان صحيحا فنرجو إيضاحه، ومن ذكره من أهل العلم؟.

ج: هذا سبق قوله البارحة هذا من باب الخبر أوسع من باب الصفات يخبر عن الله بأنه شيء بأنه ذات وبأنه موجود. هذا من باب الخبر، ولا يقال من أسماء الله الذات، من أسمائه الموجود.

وشيخ الإسلام كذلك في باب الرد على البدع، يخبر شيخ الإسلام علل بأنه الصانع والذات لها أصل

وذلك في ذات الإله وإن يشأ *** ....
والصانع {صنع الله الذي أتقن كل شيء} لها أصل.
والوجود كذلك له أصل. نعم.." [1]
"والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان

هذا قول الطحاوي، يقرر مذهب المرجئة، المرجئة يقولون: الإيمان لا يكون إلا بالتصديق بالجنان، يعني القلب، والإقرار باللسان فقط شيئان، أما أعمال القلوب أعمال الجوارح ما تدخل ليست من الإيمان، هذا هو المشهور عن الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- وأول من قال بالإرجاء شيخ أبي حنيفة حماد بن أبي سليمان من أهل الكوفة، هذا يسمى قول مرجئة الفقهاء.
والرواية الثانية عن الإمام أبي حنيفة أن الإيمان شيء واحد، وهو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان ركن زائد لا يستلزمه مسمى الإيمان، هذا تقرير لمذهب المرجئة، والناس اختلفوا في مسمى الإيمان اختلافا كثيرا، اختلفوا فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافا كثيرا.
وخلاصة الأقوال في هذه المسألة أنه ذهب الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد وجمهور أهل السنة والأوزاعي وإسحاق ابن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين، وهو قول الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء إلى أن الإيمان تصديق بالقلب بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، فالإيمان تصديق بالقلب ونطق باللسان وعمل بالقلب وعمل بالجوارح، أربعة أشياء.
وأحيانا يقولون: الإيمان قول وعمل الإيمان قول وعمل والقول قسمان، والعمل قسمان، الإيمان قول وعمل قول القلب، وهو النطق والإقرار قول اللسان، وهو النطق والإقرار وقول القلب، وهو التصديق قول اللسان، وهو النطق، يشهد أن لا إله إلا الله وقول القلب وهو التصديق والإقرار وعمل القلب، وهو النية والإخلاص وعمل الجوارح، لا بد منهما قول مع عمل، فهو قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ولهذا يقول العلماء: تصديق بالجنان، يعني القلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، يعني الجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، هذا هو الحق الذي تدل عليه النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي أجمع عليه الصحابة والتابعون والأئمة.
المذهب الثاني: مذهب الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- وكثير من أصحابه وحماد ابن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة ذهبوا إلى ما ذكره الطحاوي من أن الإيمان شيئان الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، كما قال المؤلف: يكون الإيمان مكون من شيئين: إقرار باللسان وتصديق بالقلب، وهذه الرواية عليها جمهور أصحاب الإمام أبي حنيفة المذهب.

1() شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/26

الثالث: ذهب بعض أصحاب أبي حنيفة، وهي رواية عن الإمام أبي حنيفة أيضا، وإليها ذهب أبو منصور الماتريدي: أن الإيمان تصديق بالقلب فقط، تصديق بالجنان، والإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلى، بل هو شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا، ولو لم يقر بلسانه، فهو مؤمن عند الله، هكذا يقولون هذا مذهب من؟ رواية عن الإمام أبي حنيفة ومذهب أبي حنيفة ومذهب الماتريدية، يقولون: الإيمان شيء واحد، التصديق بالقلب، والإقرار باللسان هو مطلوب، لكن ليس من الإيمان شرط لإجراء أحكام الإسلام، فإذا لم يقر بلسانه قتل، لكن إذا كان مصدق بقلبه، فهو مؤمن عند الله، ولو قتل؛ لأن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار هذا أيضا من الإيمان مطلوب لإجراء أحكام الإسلام، ولو لم ينطق يعني بالشهادتين، وهذا باطل.

المذهب الثالث أو المذهب الرابع: ذهب الكرامية اتباع محمد بن كرام إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، مذهب الكرامية الإيمان هو النطق باللسان فقط، قالوا ولو لم يصدق بقلبه، فهو مؤمن يكفي أن يقر بلسانه، لكن إذا لم يصدق بقلبه، فإنه يكون منافقا، فالمنافقون عند الكرامية مؤمنون كاملو الإيمان، لكن يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله، فعلى مذهب الكرامية إذا نطق بالشهادتين، وهو مكذب في الباطن يكون مؤمنا، ويخلد في النار، فيكون مخلدا في النار، وهو مؤمن على مذهب الكرامية، وهذا من أبطل الباطل، وهو ظاهر الفساد لأنه يلزم تخليد المؤمن الكامل الإيمان في النار.." [1]

"والراجح والصواب في هذه المسألة أن مسمى الإسلام ومسمى الإيمان يختلف مسماهما عند الأفراد وعند الاقتران، فإذا قرن أحدهما بالآخر، فإنه فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة كما في حديث جبريل، وإذا أطلق أحدهما دخل فيه الآخر كما في حديث وفد عبد القيس إذا أطلق الإيمان وحده دخل فيه الأعمال الظاهرة والباطنة، وإذا أطلق الإسلام وحده شمل الأعمال الظاهرة والباطنة، وإذا اجتمعا فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة، كما حديث جبريل. هذا هو الصواب وهو الراجح، وهذا هو التحقيق في هذه المسألة أن الدلالة تختلف بالتجريد والاقتران، ومن فهم هذا انجلت عنه إشكالات كثيرة في كثير من المواضع التي حاد عنها كثير من الطوائف، فإن الإسلام أصله هو الانقياد والطاعة والإيمان، أصله هو ما في القلب من الاعتقاد وحقيقة الفرق أن الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين دينا، إذا خضع وذل. ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه، والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له، هكذا قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم فالإسلام في الأصل من باب العمل عمل

[1] () شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/236

القلب وعمل الجوارح، وأما الإيمان فأصله التصديق والإقرار، أصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب. والأصل فيه التصديق والعمل تابع له، فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بإيمان القلب وخضوعه وفسر الإسلام بالأعمال. نعم.." [1]

"[المسألة الثامنة] :

عرف الإيمان بقوله إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وقلنا في التعريف اعتقاد بالجنان.

والفرق ما بين التصديق والاعتقاد:

أن التصديق شيء واحد؛ بمعنى أنه أمر واحد، عبادة واحدة.

وأما الاعتقاد فإنه يشمل أشياء كثيرة من أعمال القلوب.

لهذا قالت طائفة من السلف في تعريف الإيمان (الإيمان قول وعمل) وهذا دقيق لأنه **يشمل قول القلب وقول** اللسان.

(قول القلب) هو تصديقه وإخلاصه في الله - عز وجل -.

(وقول اللسان) هو إعلانه الشهادة.

وعمل: يشمل عمل القلب وعمل الجوارح.

(وعمل القلب) من محبة الله - عز وجل - والتوكل عليه والخوف منه - جل جلاله - ورجاؤه والإنابة إليه وخشية الرب - جل جلاله - ونحو ذلك من أعمال القلوب.

فإذا ما يتصل بالقلب من أمور الإيمان ليست شيئا واحدا، ليس هو التصديق فقط، بل ثم أشياء كثيرة في القلب، والتصديق هو أحدها.

ولهذا فإن التفاضل -الزيادة والنقصان- زيادة ونقصان باعتبار العمل الظاهر، وزيادة ونقصان باعتبار عمل القلب الباطن.

فالناس يتفاوتون في الإيمان من جهة:

1 - زيادته ونقصانه في أعمالهم الظاهرة وهي أمور الإسلام: من الصلاة والزكاة والصيام والحج والاستسلام لله - عز وجل - في الأوامر والانقياد ونحو ذلك والانتهاء من المحرمات.

2 - وكذلك أعمال القلوب.

وأعمال القلوب نوعان:

- أعمال واجبة الفعل.

- وأعمال محرمة العمل أو واجبة الترك.

@ أما واجبة الفعل مثل: محبة الله - عز وجل -، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وخشيته، والخوف منه، والطمأنينة له، ونحو ذلك من أعمال القلوب.

@ وما يجب تركه من أعمال القلوب المحرمات، محرمات أعمال القلوب التي هي الكبر والبطر وتزكية النفس وسوء الظن بالله - عز وجل - ونحو ذلك، هذه كلها يجب تركها.

فإذا أعمال القلوب مشتملة على:

---

[1] () شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/248

1 - تصديق.
2 - ومشتملة على أمور واجب أن يعملها القلب، وأمور واجب أن ينتهي عنها القلب.
* وهذه كلها في الحقيقة متصلة؛ فالتصديق متأثر زيادة ونقصانا بأعمال القلوب.
فأعمال القلوب تؤثر على تصديقه، فأعمال القلوب الواجبة إذا زادت محبته لله - عز وجل - زاد تصديقه، إذا زادت إنابته إلى الله وزاد خشوعه وخضوعه بين يدي الله وزاد توكله على الله سبحانه وتعالى زاد تصديقه وزاد يقينه.
وكذلك إذا انتهى عن المحرمات، خضع لله - عز وجل -، لم يكن متكبرا، ذليلا لله - عز وجل -، غير مترفع على الخلق، محبا لسلامته -سلامة قلبه-، مبتعدا عما يفسد القلب، هذه كلها مؤثرة في تصديقه.
فإذا رجع الأمر في زيادة الإيمان وفي نقصانه إلى زيادة الإيمان في أركانه الثلاثة ونقصان الإيمان في أركانه الثلاثة.
فإذا زيادة الإيمان (يزيد بطاعة الرحمن) يعني:
- يزيد التصديق أو الاعتقاد بطاعة الرحمن.
- يزيد الإقرار باللسان بطاعة الرحمن.
- يزيد العمل بالأركان أيضا بطاعة الرحمن.
فزيادة الإيمان راجعة للثلاثة جميعا.
لأن الزيادة: تارة تكون بالعمل الظاهرمثل زيادة صلاة، زيادة صدقة، زيادة بر، زيادة جهاد في سبيل الله، طلب علم ونحو ذلك، فيرجع هذا إلى التصديق وإلى الإقرار بزيادة.
فيكون تصديقه واعتقاده أكثر وأعظم وأمتن وأثبت وكذلك إقراره.
وهذا يحسه الإنسان من نفسه فإنه إذا زاد إيمانه زاد لهجه بذكر به - عز وجل - تهليلا وتسبيحا وتحميدا وتكبيرا وتمجيدا.
المسائل كثيرة نرجئ البقية إلى موضع آت إن شاء الله.." [1]
"ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية، مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم، من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم برآء، وهم عندنا ضلال وأردياء وبالله العصمة والتوفيق.

هذه هي الجملة الأخيرة من هذه العقيدة المباركة، عقيدة أبي جعفر الطحاوي رحمه الله حيث بين فيها أصول الاعتقاد في الله - عز وجل - وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبين فيها تفاصيل الكلام على مسائل كثيرة تدخل تحت أركان الإيمان الستة، وذكر فيها كعادة

---

1 () شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/408

من ألف في عقائد السلف ما يتصل بذلك من الكلام في الصحابة وما وقع من الفتن والكلام في من الأحق بالخلافة، والكلام في العشرة المبشرين بالجنة، وما أشبه ذلك من المسائل المتصلة بمسائل الإيمان، وكذلك ذكر عدة مسائل تتعلق بالقول في أهل العلم، وأننا لا نذكر أهل العلم سواء أكانوا من أهل الحديث والأثر أو من أهل الفقه والنظر إلا بالخير ومن ذكرهم بغير الخير فهو على غير السبيل، وما شابه ذلك من المسائل.

وهذه المسائل التي ذكرها حق، ويقرها عامة الأئمة إلا فيما استثني مما وافق فيه أبا حنيفة رحمه الله في بعض مسائل الإيمان ونحوه، مما لاحظنا عليه ولاحظ عليه العلماء من قبل وبعض الألفاظ التي تجنبها أولى، كما مر معنا في مواضعه.

فلما ذكر ذلك كله قال (فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا. ونحن برآء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه) .

ولا شك أن أبواب الاعتقاد متعلقة بالقلب، فالقلب أشد ما يكون في التغير، وأشد ما يكون في التقلب، ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول «يا مقلب القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك» (1) ، «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» (2) ، ونحو ذلك مما ورد في الآثار.

فالقلب يتقلب سريعا وأكثر شيء يتقلب فيه **القلب قول القلب وعمل** القلب واعتقاد القلب؛ لأن هذه مبناها على العلم، والعلم ينفع ويذهب، فكلما ترك شيئا من العلم كلما أثر ذلك على القلب، فإذا ترك مسائل العقيدة أثر ذلك على عقيدة القلب إما أثر بنقص العلم وهذا له أثر في اليقين والاعتقاد الحق، أو أثر بوجود الشبهة مع عدم العلم أو ضعف العلم.

والشيطان أفرح ما يكون من الإنسان أن يتغير قلبه، لأنه إذا تغير قلبه فإن الجوارح تتغير كما قال صلى الله عليه وسلم «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» (3) ، ففساد القلب يكون بالشبهات وبالشهوات، فإذا عرضت الشبهات وتمكنت، وسبب تمكنها نقص العلم فإن القلب يفسد، وأعظم ما تعرض الشبهات في مسائل العقيدة.

لهذا ما زال الأئمة وأهل العلم والنصحة للأمة حق النصيحة لأئمة المسلمين ولعامتهم مازالوا يوصون بالاهتمام بالتوحيد والعقيدة؛ لأنه أقرب ما يكون تغير القلب في العقيدة لأنها تنسى، وقد تبقى المجملات لكن التفصيلات تنسى، ثم تأتي ذنوب القلب شيئا فشيئا وتقع الشبهة وتقع المرية ويقع الريب في القلب، ثم يضر الإنسان بنفسه شيئا فشيئا.

لهذا من أعظم الأدعية التي علمنا إياها ربنا - عز وجل - الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم في الصلاة: {اهدنا الصراط المستقيم} [الفاتحة:5] ، والهداية للصراط طلب بأن يهدى إلى الصراط، والصراط هو الإسلام والقرآن والسنة، والإسلام والإيمان والقرآن والسنة له تفاصيل، تفاصيل مختلفة، الإسلام شيء يتعلق بالقلب وشيء يتعلق بالجوارح والعمل،

والإيمان يتعلق بالقلب، والقرآن ثم أشياء كثيرة فيه آيات التوحيد وفي الغيبيات، هذه كلها عقائد والسنة كذلك.

---

(1) مسلم (6921)
(2) الترمذي (2140)
(3) سبق ذكره (345)." [1]

"قول القلب"

المحل الأول: قول القلب، وهو تصديقه، وهذا هو أشرف مواضع الإيمان، ولهذا وإن كان السلف يقولون: إن الإيمان قول وعمل، إلا أنهم كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وعامة السلف مع هذا القول يذهبون إلا أن أصل الإيمان مبناه على تصديق القلب" ولهذا إذا تعذر التصديق سقط الإيمان كله، بخلاف العمل فإنه قد يدخله التفصيل، فإن التصديق يقابله التكذيب، والأمر يقابله المخالفة، ولهذا كان الوعيد الشديد في قوله تعالى: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم} [النور:63] حتى قال الإمام أحمد: "أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك". وهذا الوعيد ليس في حق من خالف من عصاة المسلمين، أي: من وقع في معصية، وهو على إقرار بكونها معصية واستقامة في جملة أمره على الإسلام وأحكامه، ولا يقال: إنه داخل في الآية؛ لأنه قد خالف بترك واجب أو فعل معصية، لأن المراد بالآية -على الصحيح- الإعراض عن شيء من أمر الله وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم.

وسبب تفسير المخالفة بالإعراض هو أن الفعل (خالف) يتعدى بنفسه من حيث الأصل؛ فتقول: خالف زيد عمرا، لكنه في الآية عدي بالحرف فأعطي حكم الفعل اللازم؛ وذلك لأنه ضمن معنى فعل آخر، وأقرب ما يقاربه الإعراض، وهذا هو المناسب لسياق الآيات في هذه السورة.

والمقصود من هذا: أن **القول قول القلب هو** أشرف مقامات الإيمان، ولهذا لما سمى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان قال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ...) إلخ، فجعل مبناه على التصديق.." [2]

"عمل القلب"

المحل الثالث: عمل القلب كالخوف، والرجاء، والاستعانة إلى غير ذلك.

فإن قيل: فما الفرق **بين قول القلب** -الذي هو تصديقه- وبين عمل القلب؟

قيل: من هدي الصحابة رضي الله عنهم أن ثمة أمورا كثيرة يعلم الفرق بينها ضرورة، تقوم في نفوس العقلاء، وإن كان كثيرا من العقلاء قد لا يحسنون ضبط الحد من جهة الكلام في التفريق بينها، أي: هناك أمور كثيرة

---

[1] شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/744
[2] شرح كتاب الإيمان - يوسف الغفيص يوسف الغفيص 1/17

مستقرة من حيث الفرق أو مستقرة من حيث المعنى، وإذا طلب من الإنسان التعبير عن هذا الفرق قد لا يحسنه، ولربما كان ذكره للفرق مدعاة للشغب عليه من المخالفين، وإلزامه بشيء من اللوازم.

إذا: الفرق بين التصديق وبين عمل القلب مستقر عند عامة المسلمين وسوادهم؛ فإنهم يفرقون بين تصديقاتهم وبين ما يقوم في قلوبهم من التعلق بالله سبحانه وتعالى، ومحبته، والخوف منه، والرجاء إلى غير ذلك، فهذا فرق من حيث المعنى مستقر.

وإنما ينبه هذا التنبيه؛ لأن الحد للأشياء -الذي يسمى التعريف، واسمه في المنطق الحد- والمعاني أمر حادث في العلم، ينبغي لطالب العلم ألا يلتفت إليه كثيرا؛ لأن هذا الحد يقع عنه في كثير من الأحوال جملة من المفاسد، من أخصها:

1 - التضييق للمعاني.

2 - استباق المعاني.

ما معنى استباق المعاني؟

مثلا: مسألة السنة والبدعة، هي قبل أن تكون حدا وتعريفا هي استقراء في فقه الشرع.

فإذا نقدنا مسألة الحد، وقلنا: إن الذين بالغوا في تقريرها هم علماء الكلام، فقيل: فما البديل عنها؟

قلنا: الذي كان عليه السلف -الصحابة والأئمة من بعدهم- هو الاستقراء؛ فيكون تحقيق المعاني باستقراء جميع مواردها.

مثلا: إذا قيل: ما هي البدعة؟

قيل: لقد عرفها الشاطبي -مثلا- في الاعتصام بأنها: "طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه".

وهذا الحد ليس بالضرورة أن يقال: إنه غلط، لكن نقول: أخذ مثل هذه المسائل الكبرى بحد مختصر يقع لفظه في سطر، ويقع شرحه في صفحة أو صفحتين يظن الآخذ له أنه قد فقه وفهم الفرق بين مدلول السنة ومدلول البدعة، ومتى يسمى القول أو الفعل سنة، ومتى يسمى بدعة، ومتى يكون القائل أو الفاعل على السنة، ومتى يكون على البدعة، ومثل هذه الاستطالات عن طريق الحدود .. أمر غير متحقق.

ومن يراجع في كتب المنطق وعلم الكلام يرى أنهم يذكرون الحد ويذكرون الرسم، وقد قال الإمام ابن تيمية: "إن المحققين من النظار يرون تأخر الحد عن جمهور الأشياء، وإنما يستعمل معها الرسم".

ما الفرق بين الحد والرسم؟

الحد: هو الضبط للماهية نفسها.

أما الرسم: فهو التمييز للماهية عن غيرها.

قال الإمام ابن تيمية: "وهذا هو التحقيق" فإن الممكن في جمهور المعاني هو التمييز لها عن غيرها، وأما تعيين ماهيتها فهذا في الغالب أنه يتأخر، ويقع عنه ضيق ..
وما إلى ذلك.
إذا يقال: الفرق بين التصديق وعمل القلب هو فرق مستقر؛ فإن أحسن المسلم التفصيل له بلسانه وإلا فكما قال الإمام ابن تيمية: "وكثير من المسلمين، يقوم في نفوسهم من العلوم الضرورية في باب الإيمان بالله ورسوله والنبوة والشريعة وغير ذلك ما لا يستطيعون التعبير عنه .. ".
فهذه مسألة مما ينبغي أن يتفطن له؛ فإن كثيرا من المسلمين يتأخر عن الإبانة عن فرق مستقر.
ولا يفهم من هذا أننا نقصد إلى أن نقول: إن تعريف البدعة أو استعماله غلط.
لكن لا ينبغي أن يستطال فيه وأن يعظم شأنه.
فإذا ذكر الفرق بين التصديق وعمل القلب قيل التصديق: هو التصورات التي يقر القلب بثبوتها، فهو على باب الإثبات والنفي، ولهذا كان ما يقابل التصديق هو التكذيب.
وأما عمل القلب فهو حركته بهذا التصديق بأعماله المناسبة له كالخوف والمحبة والرجاء.
ومعنى هذا أن التصديق -وهذا من معاني أهل السنة في تقريرهم للإيمان- يوجب بذاته عمل القلب، وهذا هو الفرق بين التصديق الشرعي الإيماني، وبين التصديق المطلق المرادف للمعرفة؛ فإن المعرفة لا تستلزم عمل القلب؛ قال الله تعالى: {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم} [البقرة:146] وقال: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم} [النمل: 14] فمعرفة الكفار هي علم محض، وأما التصديق الشرعي الذي يذكر في الإيمان فهو ما استلزم العمل.
فإذا كان التصديق لا يستلزم عمل القلب فإنه يتأخر عن كونه تصديقا على التمام الشرعي.." [1]
"تعلق الزيادة والنقصان في الإيمان
يستعمل المتأخرون من أهل السنة في كتبهم عبارة: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا التعبير لا بأس به، لكنه ليس فاضلا، فإنه يوحي -ليس عند العامة بل حتى عند بعض طلبة العلم المبتدئين- أن مورد الزيادة والنقصان هو في الأعمال الظاهرة فقط.
وهذه المسألة فيها نزاع، فإن أبا محمد بن حزم رحمه الله يقرر أن الزيادة والنقصان لا يتعلقان بالتصديق.
فهو يقرر أن الزيادة والنقصان تدخل أعمال القلوب لكونها أعمالا، فالمحبة ليست واحدة، والرجاء ليس واحدا.

[1] () شرح كتاب الإيمان - يوسف الغفيص يوسف الغفيص 1/19

وكذلك تدخل أقوال اللسان، فإن الناس متفاوتون في ذكرهم للشريعة وألفاظها وهديها وتوحيد الله وذكره إلى غير ذلك.

وكذلك تدخل أعمال الجوارح.

لكنه تأخر فقال: إنه ليس من طريقة أهل السنة أن الزيادة والنقصان متعلقان بالتصديق.

وعلى هذا يكون التصديق واحدا.

وهذا غلط دخل عليه من المرجئة، فإنه بنى هذا على مسألة أن التصديق يقابله التكذيب، وأنه إذا نقص ذهب، فإما أن يصدق الإنسان وإما أن يكذب ..

فما الوسط بينهما؟ وكيف تحصل الزيادة والنقصان في أمر يدور بين الوجود والعدم؟

هذه هي شبهة المرجئة التي دخلت على ابن حزم رحمه الله، ولا وجه لها ألبتة، لا عقلا ولا شرعا.

فإنه يقال: إن التصديق -لاشك- يقابله التكذيب، لكن التصديق عند عامة العقلاء يتفاوت؛ فإن من صدق بشيء بناء على دليل واحد ليس كمن صدق بهذا الشيء بناء على عشرة أدلة، ومن صدق بشيء بناء على حديث يرى أنه حسن، وهو متردد في ثبوته، ليس كمن صدق بهذا الشيء وقد بناه على حديث متواتر متفق على قبوله.

أي: أن تعدد الأدلة يوجب اختلاف التصديق.

وحتى لو كان الدليل من حيث الثبوت واحدا، كآية من القرآن؛ فإن نظر المخاطبين والمكلفين فيها يتفاوت تصديقه.

مثلا: قول الله تعالى: {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني} [الأعراف:143] هذه الآية من قرأها من المسلمين يصدق بها، لكن لا يلزم أن كل من قرأها من العلماء والعامة يكونون على درجة واحدة في تصديقهم -هم ليس فيهم مكذب، هذه جملة منتهية؛ لأن من كذب كفر- لأنهم في فقههم لمعناها وتأملهم فيها يتفاوتون، ومن هذا الوجه تفاوت إيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم، ومن غيره، كأوجه العمل الظاهر والباطن.

والمقصود من هذا بيان أن التصديق يتفاضل؛ فإن مما لا شك فيه: أن تصديق أبي بكر بالنبوة والقرآن والحديث ليس كتصديق آحاد الفساق، مع أن الفاسق لا يكذب.

ولهذا اعتبر الشارع أن تحقيق التصديق تحقيق لتمام التوحيد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح من حديث عثمان رضي الله عنه: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة).

قد يقول قائل: إن المسلمين يعلمون أنه لا إله إلا الله، إذا أين وعيد أهل الكبائر؟

هـــل نقـــول: إن هـــذا حـــديث مطلـــق قيدتـــه أحـــاديث الكبـــائر؟
الجـواب: لا؛ فـإن الإطلاق والتقييـد لا يسـتعملان في مثـل هـذه النصـوص، والقـول بأنهمـا يسـتعملان فيهـا غلـط، ومـع الأسـف هـذا الغلـط شـائع بين العلماء: المعاصرين والمتقدمين؛ لأنه غلب في تقرير مسائل الفقـه والنظـر في أدلة الشريعة الفقهية مسألة أن المطلق يحمل على مـا يقيـده، والعـام يحمل على ما يخصصه، والعام المخصوص والعام الذي أريد بـه الخصـوص، فصاروا يستعملون هذا في تقرير فقه نصوص الأصول، فصاروا يقولـون: إن هـــذا مطلـــق قيدتـــه أحـــاديث أهـــل الكبـــائر ومـــا يلحقهم من الوعيـــد.
وهــذا الغلــط فــرع عن الغلــط في اســتعمال الطــرق النظريــة والحــدود والضوابط، وما إلى ذلك من الطرق الـتي كـان المقصـود منهـا تنظيم العلم وليس ذكر حقـائق العلم؛ فـإن حقـائق العلم حقـائق تسـتقرأ من كلام اللـه ورسوله، وقد ذم الله على أهل الكتاب أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، والبدع إنما نشأت في الإسلام من أخذ بعض النصوص وترك بعضــها.
فالصواب: أن الحديث على ظاهره، ومعناه: أنـه من مـات وهـو يعلم أنـه لا إله إلا الله دخل الجنة، فإن عدم العلم الذي هـو التصـديق لم يـدخل الجنـة، وإن نقص علمــــــــــــه تــــــــــــأخر دخولــــــــــــه.
فإذا قيل: لماذا لم يدخل أصحاب الكبائر الجنة ابتداء مع أنهم يعلمون أنـه لا إلـــــــــــــــه إلا اللـــــــــــــــه؟
قيـــل: لن نخـــالف الحـــديث، هـــل هم يعلمونهـــا على التمـــام؟
الجـواب: لا؛ لأنهم لـو حققـوا العلم لحققـوا العمـل، لكن لمـا نقص علمهم أمكن تـــأخرهم.
ومما يدل على هذا أن الصحابة لم يستشـكلوا شـيئا عنـدما حـدث الرسـول صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث، مع أن بعض الأعراب أو من أسلم حديثا أحيانا كانوا يسـألون عن بعض المشـكلات، ولا يمكن أن يكـون الصـحابة لم يفقهوا المعنى ومع ذلك يسكتوا، كمـا يعتـذر ويـبرر بعض النـاس هـذا بقـول أنس كما في الصحيح: (نهينا أن نسأل رسول الله عن شيء) فإن الصــحابة لم ينهوا عن السؤال عما يتحقق به إيمانهم، وإنما نهـوا عن الاستفصـال في أمر قد سكت عنه، كما هو في قولـه تعـالى: {لا تسـألوا عن أشـياء إن تبـد لكم تســـــــــــــــــؤكم} [المائـــــــــــــــــدة:101]
وأمـا مـا يتحقـق بـه إيمـانهم وتصـديقهم فلا يجـوز شـرعا ولا عقلا أن ينهى الصحابة أو غيرهم عن السؤال عنه، بل هذا السؤال مما أمر الله تعالى بـه، كما في قوله تعالى: {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمـون} [النحـل:43]
وكذلك لم يستشكلوا عندما حدث النبي صلى الله عليه وسلم الناس بما قد يظهر على أنه مقابل لحديثه هذا، مثل قوله صلى الله عليه وسلم -كمـا في حديث ابن مسعود -: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقـال ذرة من كـبر) إنما استشكل رجل فقال: (يا رسول الله! الرجل يحب أن يكون ثوبه حسـنا ونعلـــــــــــــــــه حســــــــــــــــــنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس) فكان سؤال الرجل عن هذه المسألة اليسيرة يدل على أنه قد فقه المقصود بأصل الحديث، وأنه لا يراد به أن من في قلبه ذرة من كبر يحرم من الجنة على الإطلاق أو أنه يؤبد في النار.
وسبب هذا الفقه أن الصحابة كانوا على قدر من الاستقراء لفقه الإسلام، وهذا هو الذي ينصح طلاب العلم بتتبعه والقصد إليه.
والمقصود من هذا: أن تمام العلم بتمام العمل.
إذا: من المسائل الأصول في مسمى الإيمان: القول في زيادته ونقصانه، والزيادة والنقصان تقع في موارده الأربعة:
1 ـ **في قول القلب الذي** هو تصديقه، وقد خالف في هذا ابن حزم وطائفة من أصحاب أحمد والشافعي، وبعض المنتسبين إلى السنة من المتأخرين، وقولهم مخالف لنص الإمام أحمد وغيره من السلف، بل هو مخالف لظواهر الحقائق الشرعية والعقلية، والتي تدل على أن التصديق يتفاضل.
2 - في أعمال القلوب، وهذا بين؛ فإن محبة المسلمين ورجاءهم لله وخوفهم منه سبحانه وتعالى ليس واحدا.
3 - في أقوال اللسان وفي أعمال الجوارح على قدر مشهور معروف مدرك بالبديهة.
ومن المسائل الأصول: التلازم بين الظاهر والباطن، ومعناه: أنه إذا عدم الإيمان الباطن عدم الإيمان الظاهر، فمن أظهر شرائع الإسلام أو بعض خصال الإيمان كالصلاة وغيرها ولا باطن معه من الدين فهذا هو المنافق.
إذا: إذا عدم الباطن عدم الظاهر حقيقة وليس حالا، ومعنى: ليس حالا: أي قد يظهر حالا كما ظهر من المنافقين الذين يقع لهم صلاة أو زكاة أو حج أو ما إلى ذلك، ومع ذلك قال الله فيهم: {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار} [النساء:145] فهم كفار بالكتاب والسنة والإجماع.
وأما إذا عدم الظاهر فهل يعدم الباطن؟
هذه المسألة فيها تفصيل ليس هذا محله، إلا أن من أسباب الإشكال فيها عند المعاصرين مسألة الحدود، والألفاظ المتأخرة -ككلمة "جنس العمل"- التي بدأت تحاط بها المسائل الكبرى في مسائل أصول الدين.
ويتلخص من هذا أن مسألة مسمى الإيمان تتضمن ثلاثة أصول:
الأصل الأول: أنه قول وعمل.
وهذا ينتج عنه أن الإيمان من حيث المحل أربعة أصول:
1 - قول القلب، وهو تصديقه.
2 - عمل القلب.
3 - قول اللسان.
4 - عمل الجوارح.
الأصل الثاني: أنه يزيد وينقص، وهذه اللفظة أفضل من لفظة: يزيد

بالطاعة وينقص بالمعصية، وإن كان تصديق القلب إذا تحقق سمي طاعة، لكن كلمة الطاعة والمعصية لما تأخر أمر الناس صارت تتبادر إلى الأعمال الظاهرة، ولهذا يقال: يزيد وينقص ظاهرا وباطنا.

الأصل الثالث: التلازم بين الظاهر والباطن.." [1]

"الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، يعقد الشيخ -رحمه الله- هذا الفصل؛ لبيان منهج أهل السنة في ثلاث مسائل في الحقيقة أنه سبقت الإشارة إلى بعضها، عند الكلام في وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة.

المسألة الأولى: ما يتناوله اسم الإيمان يعني مسمى الإيمان ما هو الإيمان؟

.

يقول الشيخ -رحمه الله-: من أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل. قول وعمل خلافا للمرجئة الذين يقولون: إنه التصديق فقط، تصديق القلب هو الإيمان، وأما الأعمال فليست من الإيمان، أو كقول الجهمية: هو المعرفة، والمعنى متقارب.

وخلافا للكرامية الذين يقولون: الإيمان هو التصديق باللسان فمن صدق بلسانه فهو مؤمن يعني: في الدنيا، وإن كان مخلدا في النار يوم القيامة، لكن ليس هو في الحقيقة بمؤمن، بل هو منافق، هذا اسمه الشرعي من صدق بلسانه، وأظهر الإيمان بلسانه فليس بمؤمن في الحقيقة {وما هم بمؤمنين (8)} (1) .

فأهل السنة يقولون: إن الإيمان قول وعمل؛ للأدلة الكثيرة التي دلت على هذا، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - فسر الإيمان في حديث جبريل بأصوله الستة، وهي اعتقادية أن تؤمن بالله ملائكته وكتبه، إلى آخره.

وفسر الإيمان في حديث وفد عبد القيس بأمور عملية قال لهم: " أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا الله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم ".

ففسره بنحو تفسيره للإسلام، ففسرها بأمور عملية، وأبلغ من هذا قوله - صلى الله عليه وسلم - " الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان ".

وقال كثير من الأئمة: الإيمان قول وعمل؛ ردا على المرجئة الذين يقولون الإيمان هو مجرد **قول، قول القلب يعنى**: اعتقاد القلب، وإقرار اللسان.

---

(1) - سورة البقرة آية: 8.." [2]

"المرجئة يسمون مرجئة الفقهاء كالإمام أبى حنيفة، ومن تبعه يقول: الإيمان هو التصديق بالقلب، تصديق القلب وإقرار الإيمان، أهل السنة

---

[1] () شرح كتاب الإيمان - يوسف الغفيص يوسف الغفيص 1/22

[2] () شرح العقيدة الواسطية للبراك عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/234

وأئمة أهل السنة ينكرون هذا القول، وما هو أبعد منه. يقولون: الإيمان قول وعمل؛ فلهذا يقول الشيخ: من أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل، ثم يقسم ذلك **بقوله: قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح، يعني: أن الإيمان يشمل هذه الأمور الخمسة:
الإيمان اسم لهذه الأمور الخمسة، يشمل خمسة **أمور: قول القلب يعني**: اعتقاد القلب يعني: التصديق.
وقول اللسان الذي هو الإقرار، كما يقر الكافر عند إسلامه، يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وعمل القلب كمحبة الله ورسوله وأوليائه ومحبة ما يحب، والخوف من الله والرجاء، والتوكل عليه سبحانه. وعمل اللسان كثير كالذكر بأنواعه، وتلاوة القرآن، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
وعمل الجوارح كالصلاة من الركوع مثل ما في الصلاة من عمل الجوارح، فالصلاة مشتملة على أقوال وأعمال، كالقيام، والركوع والسجود، هذه كلها أعمال جوارح، ومثل الحج والطواف بالبيت وسائر المناسك، هي من أعمال الجوارح، فهذا هو الذكر، فالإيمان يشمل كل ذلك.
" الإيمان بضع وستون شعبة " فالصلاة من الإيمان، والزكاة من الإيمان، والصيام من الإيمان، والحج بأعماله من الإيمان، **كله قول القلب واللسان**، هذا تفصيل لما ذكر قول أهل السنة فصله **بقوله: قول القلب واللسان** يعني: اعتقاده. اعتقاد القلب، واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.
وهذا أتم من قول من يقول: إن الإيمان اعتقاد بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، صحيح أن هذا يرد مذهب الخوارج المرجئة، لكن ما ذكره الشيخ من هذه الأمور الخمسة أتم، يعني: يستوعب كل جوانب الإيمان.." [1]

"العموم والخصوص بين الإسلام والإيمان
هذه المرتبة هي المرتبة الثانية، وقد فرغ الشيخ رحمه الله من المرتبة الأولى وهي مرتبة الإسلام، وتلخص لنا أن الإسلام هو الطاعات الظاهرة، وهذا باعتبار ذكر الإسلام مع الإيمان والإحسان؛ لأن تعريف الإيمان والإسلام والإحسان يختلف فيما إذا اقترن شيء منها بالآخر، وفيما إذا جاء كل منها على انفراد، ففي حال الانفراد يكون معنى الإسلام شاملا كلا من الإيمان والإحسان، وإذا جاء الإيمان منفردا كان الإيمان شاملا للإحسان والإسلام، وكذلك الإحسان إذا جاء منفردا شمل الإسلام والإيمان، وانتبه لهذا التفريق. أما إذا اجتمعت كما هو الحال في حديث جبريل فإن الإسلام يختص بالأعمال الظاهرة قولية أو فعلية، والإيمان يختص بالأعمال الباطنة، والإحسان هو الكمال والغاية في هذين الأمرين أعمال الظاهر، وأعمال

[1] () شرح العقيدة الواسطية للبراك عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/235

الباطن.
فالمؤلف رحمه الله تعالى قال: [المرتبة الثانية الإيمان] ، ثم بين الإيمان وعرفه بقوله: [وهو بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول (لا اله إلا الله) ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان] ، وهذا تعريف للإيمان بنص نبوي، وفي هذا فائدة ولفتة مهمة لطالب العلم، وهي أن الاصطلاحات الشرعية كالإسلام والإيمان والإحسان والبر والتقوى والصلاة والزكاة وغير ذلك من ألفاظ الشريعة إنما يستقى معناها ويستفاد مفهومها من الشريعة لا من لسان العرب، وهذه فائدة تهمك وتفيدك في تعريف الإيمان، فإن أقواما عرفوا الإيمان بأنه مجرد التصديق، وقيل لهم: من أين لكم هذا؟ قالوا: أفادتنا اللغة بهذا.
قلنا لهم: إن الإيمان أمره كبير، وشأنه خطير، به تحصل النجاة من النار والفوز بالجنة، وهل يعقل أن مثل هذا يتركه الله سبحانه وتعالى، ويتركه رسوله صلى الله عليه وسلم دون بيان أو توضيح؟ الجواب: لا يمكن تركه بدون بيان وإيضاح، ولذلك وجب الرجوع في تعريف الإيمان والإسلام والإحسان وفي غيرها من الاصطلاحات الشرعية إلى بيان الشارع، وإلى ألفاظه وبيانه وتوضيحه، فإنه الغاية والمنتهى في بيان حقائق هذه الأمور، فالشيخ رحمه الله سلك هذا المنهج، فبين الإيمان بقول النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أظن أحدا يقرأ هذا الحديث إلا ويتضح له الإيمان غاية الوضوح؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأن الإيمان بضع وسبعون شعبة، ثم ضرب مثلا لكل شعبة من شعبه، فهذه المذكورات في هذا الحديث وهي ثلاثة أمور ترجع إليها بقية الشعب، فأعلاها قول: (لا إله إلا الله) هذا أعلى شعب الإيمان، وهذا يفيد أن الأقوال تدخل في مسمى الإيمان، فالقول من الإيمان، ولذلك جعل أعلى مراتب الإيمان قولا، وهو قول: (لا إله إلا الله) ، ثم قال: [والحياء شعبة من الإيمان] ، والحياء عمل قلبي أصله في القلب، وقد تظهر ثماره في الجوارح والسلوك، لكن أصله في قلب الإنسان، وبهذا نعرف أن جميع الأعمال القلبية تدخل في مسمى الإيمان.
وثالث ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من شعب الإيمان في هذا الحديث (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) ، وإماطته: إزالته عن الطريق المسلوك.
سواء أكان طريق مشاة، أم طريق سيارات، أم طريق دواب، فكل ما استطرقه الناس ومشوا فيه بأرجلهم أو بدوابهم فإنه يدخل في قوله: (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) ، وإماطة الأذى من عمل الجوارح، وبه نعرف أن من مسمى الإيمان عمل الجوارح، وأن من أخرج الأعمال عن مسمى الإيمان فقد خالف ما أجمع عليه السلف، وما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة.
فهمنا من هذا الحديث أن الإيمان يكون في القلب، ويكون في اللسان،

ويكون في الجوارح، واعلم أن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فأعلاها قول لا إله إلا الله) ليس المراد مجرد القول الخالي عن تدبر ما تضمنته هذه الكلمة من العمل، فالحقيقة أن قوله: (فأعلاها قول لا إله إلا الله) يشمل القول وعمل القلب؛ لأن القول **هو قول القلب واللسان**، وقول القلب يكون بتصديقه وإخلاصه، وقول اللسان يكون بنطقه وتلفظه.
إذا فهمنا الآن ما هو الإيمان، وأنه قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، وعلى هذا تواطأت كلمات السلف، فمهما اختلف لفظها وتنوع تعبيرها فإنها ترجع إلى أن الإيمان قول وعمل.
قوله: [والإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول: لا اله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان] هل هذا تعريف الإيمان إذا قرن به الإسلام؟ الجواب: لا؛ لأننا ذكرنا أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة إذا اقترن بالإيمان، وأن الإيمان يكون عمل القلب، والحديث تضمن قول اللسان وعمل الجوارح والقلب.
ففهمنا من هذا أن المؤلف رحمه الله بدأ بيان هذه المرتبة بالبيان العام الذي لا يكون مع الإسلام والإحسان.
أما الإيمان الذي يقصد ويراد عند ذكر الإسلام -أي: عند اقترانه بذكر الإسلام- فهو ما قاله رحمه الله في قوله: [وأركانه ستة، وهي أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره] ، فهذه كلها أعمال قلبية.
ولذلك سماها شيخ الإسلام رحمه الله: (عقود القلب) ، وسماها (حقائق الإيمان) ، فعقود القلب وحقائق الإيمان كلها من الأعمال القلبية، فإذا قيل لك: ما الإيمان؟ فإن أردت أن تعرفه تعريفا عاما دون اقتران بذكر الإسلام فقل: ما ذكره المؤلف رحمه الله أولا: بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: (لا اله إلا الله) ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.
وإذا جاء ذكر الإيمان والإسلام في سياق واحد كقوله تعالى: {إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات} [الأحزاب:35] حيث ذكر الأمرين: الإسلام والإيمان فالمسلمون في قوله: (إن المسلمين والمسلمات) هم الذين أتوا بالأعمال الظاهرة، والمؤمنون في قوله: (والمؤمنين والمؤمنات) هم الذين أتوا بالأعمال الباطنة، وتنبه إلى هذا الفرق.
فقول المؤلف رحمه الله: [وأركانه ستة] هذا باعتباره مع الإسلام، فلو أن شخصا أتاك وقال لك: عرف الإيمان فقلت: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره إذا لم يسبق سؤال عن الإسلام فإنك لا تكون قد أوفيت الإيمان ببيان كاف؛ لأنه بقيت الصلاة، والصيام، والحج لم يأت ذكر لواحد منها، فتنبه لهذا، ولذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس: (آمركم بالإيمان، أتدرون ما الإيمان؟) ، فسره بقوله: (أن تشهدوا ألا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتعطوا الخمس من المغنم) ، فعرف الإيمان

بالإسلام؛ لأنه لم يأت سؤال عن الإسلام هنا، فكان الإسلام هو الإيمان، وهكذا حيث ذكر الإيمان أو الإسلام مستقلا؛ فإنه لابد في البيان أن تبينه كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بيانا عاما يشمل القول والعمل والاعتقاد، أما إذا سئلت عن الإسلام كما هو الحال في حديث جبريل، ثم جاءك السؤال عن الإيمان ففي هذه الحال يكون الإسلام متعلقا بالأعمال الظاهرة، ويكون الإيمان متعلقا بالأعمال الباطنة.." [1]

"مسائل الإيمان

قال المصنف رحمه الله: [فصل: ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح].

قوله: (ومن أصول أهل السنة) إشارة إلى قدر هذا الباب، وأن القول في مسمى الإيمان هو من الأصول المتفق عليها بين أئمة السنة والجماعة، وإذا كان القول من الأصول، فإن القاعدة فيه معروفة من جهة أنه لا يجوز مخالفته، ولا يجوز الاجتهاد بخلافه، حتى ولو كان الاجتهاد عند المجتهد أو الناظر مبنيا على نوع من الدليل الشرعي، ولهذا فلا شك أن قول مرجئة الفقهاء -ولا سيما أئمة هذا القول كـ حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة - لم يكن مبنيا على شيء من الأصول البدعية الكلامية، أما بدع الجهمية والمعتزلة التي خالفوا بها السلف فإنها بنيت على أصول من علم الكلام، بخلاف حماد بن أبي سليمان، فإنه لما قال مقالته -وهو أول من خالف من أئمة السنة في هذه المسألة- فلا شك أنه بناها على شيء من الدليل الشرعي، كالاستدلال بقول الله تعالى في القرآن كثيرا: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات} [البقرة:277]، وظهر له من هذه السياقات أن العمل ليس من الإيمان.

فالمقصود: أن مثل هذا الاجتهاد لا يجوز ولو كان مبنيا على دليل شرعي، وهذا من جهة أن الاجتهاد بعد ثبوت الإجماع يعلم غلطه ولا بد. وإنما كان محرما ومنهيا عنه؛ لأن الإجماع إذا انعقد علم أن الاجتهاد يتعذر أن يحصل به صواب يخالف ما سبق الإجماع عليه.

وهذه قاعدة مطردة: أن الإجماع إذا تحصل امتنع الاجتهاد بخلافه، ولو كان المجتهد يبني اجتهاده على ظاهر دليل، وحتى لو كان ظاهر الدليل في نظره مخالفا للإجماع، فما دام الإجماع محفوظا، فلا يجوز النظر بخلافه؛ لأنه يعلم الغلط فيه ولا بد.." [2]

"الدين والإيمان قول وعمل

قال رحمه الله: (ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل).

المصنف هنا قال: (الدين والإيمان)، والاختلاف عند أهل القبلة إنما هو في

---

[1] () شرح ثلاثة الأصول لخالد المصلح خالد المصلح 5/7

[2] () شرح الواسطية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص 19/2

اسم الإيمان، وأما اسم الدين فقد أجمع المسلمون على أن الدين قول وعمل، فهذا مما لا يختلفون فيه، وليس من موارد الخلاف، وأجمعت الطوائف جميعها على أن الإيمان من الدين، ولكن منهم من يذهب إلى الترادف بين الدين والإيمان، ومنهم من يفرق من وجه.
وكأن من محصل مذهب أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان -أو هذين الاسمين- على مسمى واحد، بخلاف المرجئة، فإنهم باتفاقهم لا يجعلون العمل داخلا في مسمى الإيمان وإن كانوا يجعلونه من الدين.
وحتى الطرف الآخر في المسألة وهم الخوارج والمعتزلة الذين يقولون: إن الإيمان قول وعمل ولكنه لا يزيد ولا ينقص، في ظاهر مذهبهم -وإن كانت هذه المسألة لا يعتنون بتحريرها- أنهم يفرقون بين الدين والإيمان.
لكن هناك فرق بين المعتزلة والخوارج، فالمعتزلة حكي في مذهبهم الخلاف، والخوارج منهم من يحكي الإجماع عندهم ومنهم من يحكي الخلاف.
فالمسألة -كما أسلفت- ليست محررة في كتبهم أو فيما نقل عنهم، لكن النوافل منهم من يجعلها من الإيمان، ومنهم من يقول: إنها من الدين وليست من الإيمان، فيتحصل أن الضبط لاسم الدين واسم الإيمان على هذا المعنى هو من المعاني المستقرة في كلام أهل السنة والجماعة.
فقول المصنف: (أن الدين والإيمان) أما الدين فلا خلاف فيه بين المسلمين أنه قول وعمل، وإنما الخلاف في اسم الإيمان.
فإن قيل: فإذا كان لا خلاف فيه فلم ذكره المصنف؟
فالجواب: أن هذا نوع من التصحيح، وهو نوع من الإلزام، بمعنى: أنه إذا كان مستقرا عند المسلمين أن الدين قول وعمل، فينبغي أن يستقر عند المسلمين أن الإيمان قول وعمل، وإن كان النظار من المرجئة أو غيرهم يفرقون بين الدين والإيمان، فإن المستقر عند عامة المسلمين وحتى علماء المرجئة القاصدين للسنة والجماعة أن الأقرب إلى الأصول الشرعية والفطرية أن الدين والإيمان على معنى واحد، فيكون هذا أدعى للتصحيح عند العامة، وهذا ليس من باب الخطاب بالعاميات؛ لأن المخالفين إنما خالفوا بأصول مبتدعة، والأصول التي عند العامة تلقوها عن منهج الرسالة العام، فيكون الاستعمال لها حسنا من هذا الوجه.
وقوله: (قول وعمل)، أجمع السلف رحمهم الله وأئمة السنة والجماعة على أن الإيمان قول وعمل، وإن كانت عباراتهم قد اختلفت ألفاظها، فالمشهور عن جمهورهم أنهم يقولون: الإيمان قول وعمل ..
هذا هو التعبير الذي نطق به الجمهور من السلف، ومن السلف من قال: الإيمان قول وعمل واعتقاد.
ومنهم من يقول: إنه قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح.
ومنهم من يقول: إنه قول وعمل ونية واتباع للسنة.
كـ سهل بن عبد الله، وهو من النساك، وإن كان عنده قدر من العلم، لكنه

اشتهر بالعبادة والنسك.
وقال البخاري في صحيحه -في إحدى روايات صحيح البخاري -: الإيمان قول وفعل.
وإن كانت هناك رواية أخرى لصحيح البخاري فيها: أن الإيمان قول وعمل.
لكن الموجود في صحيح البخاري الآن: أن الإيمان قول وفعل.
وإن كان من الشراح من تكلم على تعبير البخاري بالفعل.
والأصل في هذا ألا يبالغ في الفرق بين العبارات، وهذا منهج سبق أن نبهت إليه: أن التفقه في المعنى الاصطلاحي يستعمل في مسائل التكليف، سواء كان هذا التفقه من النظر في كلام الله سبحانه وتعالى، أو كلام رسوله، أو حتى في كلام أهل العلم.
أما تعبير السلف في مسائل الأصول، فكلما قصد إلى أن الخلاف لفظي بينهم فإن هذا يكون أجود، فينبغي أن يجعل الخلاف في التعبير عن الأصول من الخلاف اللفظي، وعلى الأقل: ينبغي أن يجعل ذلك من خلاف التنوع، أما كثرة التفريق بأن هذا يشير بقوله كذا وكذا إلى كذا وكذا من المعاني، وقد يكون اللفظ محتملا لذلك، لكن معرفة أن هذا المتكلم قصد ذلك فيه تعذر.
وفي الغالب أنه صدرت هذه الإجابات من الأئمة ليس عن كثير من هذه الإشارات، إنما كانوا يقصدون بها معنى واضحا: أن الإيمان قول وعمل، على ما فصله شيخ الإسلام هنا.
إذا: تعبير السلف هنا مختلف، وإذا قيل: هل هذا التعبير من الخلاف اللفظي، أم من خلاف التنوع، أم من خلاف التضاد؟ فقطعا أنه ليس من خلاف التضاد، ولكن البعض يقول: إنه خلاف تنوع، وهذا أيضا غلط؛ لأنه إذا اختلف هذا التعبير مع التعبير الآخر فلا بد أن يتضمن أحد التعبيرين معنى ليس في التعبير الآخر، فعندها يكون الاختلاف من باب اختلاف التنوع، فيكون في أحد التعبيرين من المعنى ما ليس في الآخر، وإن كان لا ينافيه، فإذا وجد هذا قيل: إن الخلاف هنا خلاف تنوع.
أما اختلاف ألفاظ السلف في التعبير عن الإيمان فهو من باب الخلاف اللفظي، والخلاف اللفظي لا يفهم منه أنه لا ثمرة له كما هو مشهور عن مسائل الخلاف اللفظي عند كثير من أهل الأصول، إنما هنا وإن كان الخلاف لفظيا إلا أن ثمرته هي إظهار أبين العبارات وأصدقها في التعبير عن الحقائق العلمية؛ ولذلك كان التعبير الذي يقول: إن الإيمان قول وعمل -وهو الذي عبر به الجمهور من السلف- هو أصدق هذه التعبيرات، أصدقها من جهة الألفاظ؛ لأنه أحكم لفظا، ووجه كونه أحكم من جهة اللفظ: أن قولهم: الإيمان قول وعمل تضمن المقامات **الأربعة: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، أما قول اللسان فمعروف، **وأما قول القلب فهو** تصديقه بما هو من التصديقات الشرعية، وأما عمل القلب فهو حركته بهذا التصديق بأعماله المناسبة له؛ كالمحبة والخوف والرجاء

ونحـــــــو ذلـــــــك، وأمـــــــا عمـــــــل الجـــــــوارح فهـــــــو بين. فهي أربعـة مقامـات: قـول القلب، وعمـل القلب، وقـول اللسـان، وعمـل الجـــــوارح.
وفي هـــذا بيـــان لفضـــل هـــذه الجمـــل: أن الإيمـــان قـــول وعمـــل. وبالنظر البسيط إلى هذا التعريف: أن الإيمـان قـول وعمـل، قـد يتبـادر إلى ذهن بعض النـاس أن يقـول: أين الاعتقـاد؟ فمن خلال مـا سـبق يتـبين أن الاعتقـــــــــاد هـــــــــو قـــــــــول القلب.
وهناك وجه آخر، وهو وإن لم يكن صريحا لكنه أجود من جهة الإفـادة، وهـو: الإشارة إلى قـدر من التلازم والـتركب، ومعـنى هـذا الكلام: أن الإيمـان في سائر موارده متركب من القول والعمـل، سـواء كـان هـذا الـتركب بطريـق التضمن أو كان هذا التركب بطريق اللزوم؛ أمـا المطابقـة فلا تكـون إلا في شيء واحد، وإذا استعملت التركب فلا بد أن يكون عندك شيء وآخر، فهـذا التركب يكـون بطريـق التضـمن تـارة ويكـون بطريـق اللـزوم تـارة أخـرى.
ومن فقه هذا المعنى من النظر العقلي الشرعي، بـان لـه أن سـائر أقـوال المرجئة ليست خاطئة فحسب؛ بـل هي خاطئـة من جهـة العقـل فضلا عن الشرع، ووجه ذلك: أن سائر المرجئـة -بـل سـائر أهـل القبلـة- يقولـون: إن اعتقاد القلب وتصديق القلب هو الإيمان، وهو عند أهل السـنة من الإيمـان، والمهم أن اعتقاد القلب -الذي هو قول القلب- هو من الإيمان بلا جـدل بين المســـــلمين.
فهنا يقال: إن كل ما هو من الإيمان عند السلف فهو مركب من هذين: قول وعمـــل، وهـــذا الـــتركب إمـــا أن يكـــون تضـــمنا وإمـــا أن يكـــون لزومـــا. والمرجئة لما جاءوا إلى العبادات الظـاهرة كالصـلاة قـالوا: إنهـا ليسـت من الإيمان، مع أنهم اتفقوا على أن التصديق من الإيمان، ومنهم من يخصه بـه؛ فيرد عليهم أن الصـلاة وسـائر الأعمـال الظـاهرة حقيقتهـا أنهـا مركبـة **من قول القلب الذي** هو تصديقه، ومن العمـل، وليس هنـاك صـلاة ولا عمـل ظاهر ينفك عن التصديق؛ فالصلاة حقيقتها أنها مركبة من العمـل الظـاهر - وهي الحركات التي شرعت كالركوع والسـجود ورفـع اليـدين، سـواء كـانت ركنـــــا أم كـــــانت مســـــتحبة- ومركبـــــة من الاعتقـــــاد والتصـــــديق.
والصلاة ليست ماهيتها تصديقا محضا لا عمل معه، ولو قال قائل: إن الصلاة هي تصديق محض لا عمل معه، لأنكر جميع النظار وجميع المسـلمين ذلـك. ولو جاء شخص وقال: أنا أصـلي بقلـبي، أؤدي الصـلاة بقلـبي، وأقـوم بهـذه الأعمال بقلبي وأصدق بها؛ لقيل له: هذه ليست صلاة شـرعية، فكـذلك من زعم أن الصلاة -والصلاة مثال وسـائر الأعمـال الشـرعية على حكم الصـلاة في القاعدة- هي عمل وليست تصديقا، فيقـال للمـرجئ إذا أقـر أن الصـلاة مركبـــة من العمـــل والتصـــديق: ألســـت تجعـــل التصـــديق من الإيمـــان؟ إذا: عرفنا ضـرورة عقليـة وشـرعية أن الصـلاة ماهيـة مركبـة من التصـديق والعمل، **من قول القلب والعمل**، ولك أن تقول: إنها مركبـة من ماهيـة

الإيمـــان كلـــه عنـــد أهـــل الســـنة، وماهيـــة الإيمـــان أربعـــة مقامـــات:
المقام الأول: قول القلب، والصلاة فيها قـول القلب، فمن صـلى وهـو غـير مصدق بأن الصلاة من الإسلام فصلاته باطلة، ومن صلى الظهـر -مثلا- وهـو غير مصدق أن صلاة الظهر شرعها الله ورسوله أربعا، فصلاته غير صحيحة، وكم من التصـــديقات اللازمـــة في الصـــلاة! فهـــذا قـــول القلب.
المقـام الثـاني: عمـل القلب، فمن صـلى وهـو لا يصـلي محبـة للـه وخوفـا ورجاء، فصلاته مثل صلاة عبد الله بن أبي، صلى لكنه ما صلى محبة وخوفـا ورجـــاء، فـــإذا لـــزم بالضـــرورة أن الصـــلاة مضـــمنة بعمـــل القلب.
المقام الثالث: قول اللسان؛ فالصلاة متضمنة لقول اللسان، فـإن المصـلي يقول: الله أكبر، ويقرأ الفاتحة، ويقرأ الشـهادتين في آخـر الصـلاة ومـا إلى ذلـــك.
المقام الرابع: عمل الجوارح، فالصلاة متضـمنة لعمـل الجـوارح، فإنـه يركـع ويســـــــــــــــجد ومـــــــــــــــــا إلى ذلـــــــــــــــك.
ولو أن مصـليا أسـقط أحـد هـذه المقامـات الأربعـة فصـلاته باطلـة بإجمـاع المســـلمين.
إذا: الصـلاة الشـرعية -والكلام هـو في الأعمـال الشـرعية لا في الأعمـال العادية- مركبة من ماهية الإيمان، فيمتنع هنا أن تقول المرجئة: العمل ليس من الإيمـان، والتصـديق من الإيمـان، فقـولهم هـذا مبـني على فـرض أن الأعمال توجد منفكة عن التصديقات، وليس هناك عمل شرعي واحـد ينفـك عن التصديق، فإنه إذا انفك عن التصديق أصـبح عملا غـير شـرعي، ولـو أن شخصا دخل المسجد هروبـا من لص، أو ممن يريـد قتلـه، أو من شـيء من هذا القبيل، فأراد أن يظهر لمن يركض خلفه أنه منشغل بالصلاة، وأنه ليس هو الشخص الذي هرب، فبدأ يتحرك، فإن هذا لا يحتسب له أنه مصل، ومن قام ليري شخصا كيفية الركوع الصحيحة، فهذا لا يقال:." [1]
"تعريـــــــــــف أهـــــــــــل الســـــــــــنة للإيمـــــــــــان
وقبل أن نخوض في حقيقة الخلاف، وهل هو خلاف لفظي أو خلاف معنوي، نقول: عقد أهل السنة والجماعة الذي اشتهر عنهم واتفقـوا عليـه ولا خلاف بينهم في القرون المفضلة: أن الإيمان قول وعمل، وقـد تـواترت المقـالات والأقوال عن أهل السنة والجماعـة في هـذا؛ فهم يجعلـون **الإيمان قـول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، فأهل السـنة والجماعـة عرفـوا الإيمان بهذا التعريف المفصل الذي يشمل كل خلال الإيمان وشعبه وصفاته وأخلاق أهله، فمنها ما يكون في القلب، ومنها ما يكـون في اللسـان، ومنهـا مـــــــــا يكـــــــــــون في الجـــــــــــوارح.
والمؤلف رحمه الله هنا اقتصر في تعريف الإيمان على ذكر الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، ولم يذكر دخول الأعمال في مسمى الإيمان، ومعلوم أن الإيمان اسم شرعي، والأسماء الشرعية قد جاء الكتاب والسنة ببيانهـا بيانـا

[1] () شرح الواسطية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص 19/3

واضحا، فلا يتلقى تعريف هذه الأسماء، ولا الوقوف على حقيقتها إلا من الكتاب والسنة، وقد دلا على أن الإيمان يكون منه عقد، ويكون منه قول، ويكون منه عمل، وأشمل ما ورد في الاستدلال: حديث خصال الإيمان، وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة: (الإيمان بضع وسبعون شعبة) ، وفي رواية (بضع وستون شعبة، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) ، وإذا تأملت هذه الأعمال وجدت أنها قول في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أعلاها: قول لا إله إلا الله) ، وعمل في قوله: (وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق) ، فجعل إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان، وقال: (والحياء شعبة من الإيمان) ، والحياء عمل قلبي من أعمال القلوب؛ فدل ذلك على أن الإيمان قول وعمل، وأن الأعمال داخلة في الإيمان، ومن طالع نصوص الكتاب والسنة النبوية أيقن إيقانا جازما أن العمل من الإيمان، وأنه يطلق الإيمان في الشرع على الأعمال، وأنها لا تخرج عن مسمى الإيمان، ومن أخرجها فقد خرج عما دلت عليه النصوص.." [1]

"يقول شارح العقيدة الطحاوية الإمام ابن أبي العز "وهنا أصل آخر وهو أن القول **قسمان: قول القلب وهو** الإعتقاد (1) وقول اللسان وهو التكلم بكلم الإسلام: والعمل قسمان عمل القلب وهو نيته وإخلاصه وعمل الجوارح" (2) .

ويقول صاحب "معارج القبول": " (اعلم) يا أخي وفقني الله وإياك والمسلمين (بأن الدين) الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ورضيه لأهل سماواته وأرضه. وأمر أن لا يعبد إلا به ولا يقبل من أحد سواه ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه ولا أحسن دينا ممن التزمه واتبعه هو (قول) أي بالقلب واللسان (وعمل) أي بالقلب واللسان والجوارح" (3) .

ويقول الإمام ابن القيم: "وهاهنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول **قسمان: قول القلب وهو** الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلم الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه وعمل الجوارح" (4) .

(1) وإن الاصطلاح على **تسمية قول القلب هنا** "الاعتقاد" وقصره على ذلك يجب أن يفهم منه شمول الاعتقاد لمعنى الالتزام كما سيأتي بعد، وليس "الاعتقاد" **أو قول القلب هو** مجرد التصديق بمعنى نسبة الصدق إلى الخبر أو المخبر وإنما إن قيل هو التصديق فيعنى به التصديق المخصوص المتضمن للإقرار والالتزام والانقياد، فإنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن من "صدق" بشريعة من شرائع الإسلام دون "الالتزام بها" التزام الطاعة بالقبول – وليس التنفيذ كما سيأتي في التفريق بينهما – كان ولا ينجيه الاعتقاد بمعنى التصديق فقط بهذا إلا تضمن الالتزام بطاعة الله

[1] () شرح الطحاوية لخالد المصلح خالد المصلح 15/3

فيها فيكون مسلما، حتى وإن ترك أعمال الطاعات كسلا أو هوى، وهـذا مـا سنفصـله بعـد في الفصـل الثـالث من هـذا البـاب إن شـاء اللـه تعـالى.
(2) شـرح العقيـدة الطحاويـة ص 245.
(3) معـارج القبـول جـ2ص17.
(4) كتاب الصلاة لابن القيم ص24.." [1]

"وبيـان هـذه الأقسـام (1) هـو أن:
قـول القلب: تصـديقه وانقيـاده (2).
قال تعالى: (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئـك هم المتقـون) (3). وقـال تعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا باللـه ورسـوله ثم لم يرتـابوا) (4). وفي حديث الشفاعة: "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخـير مـا يـزن شـعيرة ... " (5).
قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إلـه إلا اللـه وأن محمـدا رسـول اللـه والإقـرار بلوازمهمـا (6)

(1) راجع في بيان معاني هذه الأقسام إلى كل من شرح الطحاوية ص245 ومعـارج القبـول جـ2ص17 وغيرهـا.
(2) وهو المعنى الـذي نبهنـا عليـه سـابقا من أنـه إذا اعتـبر "الاعتقـاد" **هو قـول القلب لـزم** أن يكـون "قـول القلب" يشـمل التصـديق والانقيـاد.
(3) الزمـر 23.
(4) الحجـرات 15.
(5) رواه البخـاري ومسـلم.
(6) وننبه هنا إلى أمرين: أولهما: أن النطق بالشـهادتين المعتـبر شـرعا هـو المستلزم لمعرفة معناهما وتحقيق لوازمهما مع تـرك مـا يناقضـهما، وليس هو مجرد النطـق اللفظي فقـط كمـا سـنبين في الفصـل الثـاني من البـاب الثالث، وإلا فـإن الجهـل بمعناهمـا يتنـافى كليـة مـع **معنى قـول القلب السابق** لقول اللسان، والذي أجمـع العلمـاء على اعتبـاره ركن الإيمـان، إذ كيف يجتمع الجهل بالشئ مع تصديقه والإقرار به؟! ويرجع في هـذا تفصـيلا لكتابنـا عن عـارض الجهـل في الشـريعة المسـمى "الجـواب المفيـد".

ثانيا: أن المراد بالنطق بالشـهادتين هـو ظهـور دلالـة الإسـلام، فـإن إسـلام الفارسـي الـذي لا يتكلم العربيـة يتحقـق بمجـرد إعلانـه الإستسـلام بلفـظ "ميتراس" أي أسلمت، وأي دلالـة على الإسـلام تكـون معتـبرة طالمـا أنهـا تكفي للتدليل على الإنخلاع من الشرك والتـبري من دين الكفـر، فـإن قـول الشهادة يكـون معتـبرا في بعض الحـالات كحالـة عبـاد الأوثـان فإنـه يكتفي منهم بقـول لا إلـه إلا اللـه لأنهم لم يكونـوا عليهـا قبـل الإسـلام، وأمـا أهـل الكتاب المعتقـدين لرسـالة محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم إلى العـرب فلا

[1] () حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/15

يكتفى بنطقه الشهادتين منهم بل لابد من أن ينضم إليهما قول "إلى العرب العالم كافة" يقول الإمام النووي في شرحه على مسلم: "ذكر القاضي عياض معنى هذا وأوضحه، فقال اختصاص عصمة المال بالنفس بمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان. وأن المراد بهذا مشركو العرب وأهل الأوثان ومن لا يوحد وهم كانوا أول من دعى إلى الإسلام وقوتل عليه فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده، ولذلك جاء في الحديث الآخر وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة"اهـ. كلام القاضي شرح النووي على مسلم جـ1 ص 207.

كما نص على هذا المعنى ابن قدامة المقدسي في المغني، قال: "والثانية أنه إن كان مقرا بالتوحيد كاليهود حكم بإسلامه لأن توحيد الله ثابت في حقه وقد ضم إليه الإقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فكمل إسلامه، وإن كان غير موحد كالنصارى والمجوس والوثنيين لم يحكم بإسلامه حتى يشهد أن لا إله إلا الله وبهذا جاءت أكثر الأخبار وهو الصحيح لأن من جحد شيئين لا يزول جحدهما إلا بإقراره بهما جميعا، وإن قال أشهد أن النبي رسول الله لم يحكم بإسلامه لأنه يحتمل أن يريد غير نبينا ... وعن عمران بن حصين قال: أصاب المسلمون رجلا من بني عقيل فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إني مسلم فقال صلى الله عليه وسلم "لو كنت قلت وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح" رواه مسلم ويحتمل أن هذا في الكافر الأصلي أو من جحد الوحدانية، أما من كفر بجحد نبي أو كتاب أو فريضة ونحوها فلا يصير مسلما بذلك – أي بقوله إني مسلم أو نطقه بالشهادتين – لأنه ربما اعتقد أن الإسلام ماهو عليه، فإن أهل البدع كلهم يعتقدون أنهم هم المسلمون ومنهم من هو كافر"اهـ. المغني جـ8ص143.

ويراجع في نفس المعنى بدائع الصنائع للكاساني جـ9ص4312، فهذا المعنى متواتر في كتب الفقه والعقائد بأجمعها على اختلاف مذاهبها – فابن قدامة حنبلي والنووي شافعي والقاضي عياض مالكي والكاساني حنفي – والشاهد فيه أن نطق الشهادتين باللسان إنما هو معتبر في حالة دلالته على الإسلام، وليس في كل حالة على الإطلاق، والحديث مبسوط في هذا الأمر في كتابنا عن "التوحيد" وغيره فارجع إليه.." [1]

"ثم يفسر بعدها ما أردناه فيقول: "والمقصود هنا أن من قال من السلف الإيمان قول وعمل، **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الإعتقاد بالقلب، ومن قال قول وعمل ونية، قال: "القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك لا يكون محبوبا لله إلا باتباع

[1] () حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/16

السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو، فقال: قول وعمل ونية وسنة، الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة" (1) .

ثم إن الشبهة قد دخلت على من دخلت عليه - قديما وحديثا - في هذا الباب من أمرين رئيسيين:

أولهما: الخطأ في فهم معنى الكفر العملي.

الثاني: الخلط فيما هو لازم لإجراء الحكم في الظاهر وما هو من أحكام الآخرة.

فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أولا: الخطأ في فهم معنى الكفر العملي:

فقد جرى هؤلاء في فهم الكفر العملي على أنه كفر لا يخرج من الملة مطلقا، واعتقدوا أن كل عمل مكفر بالجوارح هو كفر عملي لا يخرج من الملة لوقوعه بالجوارح وعدم دخول الاعتقاد فيه - ولا ندري كيف ظنوا أن ارتكاب أي عمل مكفر لا يلازمه سقوط الاعتقاد؟! فيكون كل كفر عملي عندهم كفرا أصغر لا ينقل عن الملة!!.

والمقصود بالكفر العملي أنه المعاصي التي أطلق عليها الشارع اسم الكفر، ولكن لم يمكن اطلاق الكفر الأكبر عليها لوجود أدلة أخرى من الشريعة تدل على أنها ليست منه.

---

(1) "الإيمان" لابن تيمية ص146 وبعدها.." [1]

"، فلن يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، وإنما أراد بذلك نقص الإيمان ونفي كماله" (1) إلا أن صاحب الكتاب نفسه قد بين بعد ذلك مباشرة أن هناك من أعمال الجوارح ما يوجب الكفر على صاحبه بمجرده إجماعا، كالساجد للصنم، مثلا، رغم أنه كفر بالعمل لا بالاعتقاد يقول:

"س: وإذا قيل لنا هل السجود للصنم والاستهانة بالكتاب وسب الرسول صلى الله عليه وسلم والهزل بالدين ونحو ذلك، هذا كله من الكفر العملي فيما يظهر فلم كان مخرجا من الدين وقد عرفتم الكفر الأصغر بالعملي؟ "

ج: اعلم أن هذه الأربعة وما شاكلها ليس هي من الكفر العملي إلا من جهة كونها واقعة بعمل الجوارح فيما يظهر منها، ولكنها لا تقع إلا مع ذهاب عمل القلب من نيته وإخلاصه ومحبته وانقياده لا يبقى معها شئ من ذلك، فهي وإن كانت عملية في الظاهر فإنها مستلزمة للكفر الاعتقادي ولابد، ولم تكن هذه لتقع إلا من منافق مارق أو معاند مارد. وهل حمل المنافقين في غزوة تبوك على أن (قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم

---

[1] حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/40

ينالوا) إلا ذلك مع قولهم لما سئلوا (إنما كنا نخوض ونلعب) قال الله تعالى: (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) . ونحن لم نعرف الكفر الأصغر بالعملي مطلقا بل بالعملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم **يناقض قول القلب وعمله**" (2)ـ . فتبين من هذا أن هناك ما يثبت كونه كفرا أكبر ناقل عن الملة، وهو من أعمال الجوارح، فلا يصح عندئذ أن يطلق عليه أنه كفر عملي بمعنى أنه كفر أصغر، لمجرد أنه قد أتى بالجوارح، حتى لا يختلط أمره بأفعال المعاصي التي يطلق عليها اسم الكفر - وهي من الكفر الأصغر - فيظن أن هذا من ذاك.

(1) "أعلام السنة المنشورة" المطبوع تحت اسم 200 سؤال وجواب في العقيدة لحافظ حكمي ص75.
(2) "أعلام السنة المنشورة" ص76.." [1]

"والحق في ذلك أن لفظ الاعتقاد إنما هو بمعنى "ما يجب أن يعقد عليه القلب" من معان، فخرج بذلك منه كل الأعمال سواء الأعمال التركية - أي ترك أعمال الشرك - كالسجود لصنم والدعاء لغير الله - دعاء عبادة ومسألة - أو الأعمال الفعلية المشترطة لصحة الإسلام - على اختلاف فيها - وصار هو **بمعني قول القلب وعمله**. فالقدر المنجي من الخلود في النار إذن - حسب ما قررنا قبل ذلك - هو: الاعتقاد: وهو ما يجب أن يعقد عليه القلب من معان خاصة بالربوبية والألوهية، وبرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وما يتضمنها من أوامر ونواهي - عند من بلغته الأوامر والنواهي تفصيلا - معرفة وتصديقا وإقرارا قلبيا (أو التزاما بها) وهذا **معنى قول القلب وعمله** (1)ـ . العمل: وهو ترك أعمال الشرك الأكبر كلها كالسجود للصنم أو دعاء غير الله تعالى وإتيان الأعمال المشروطة لصحة الإسلام كما أوضحنا من قبل - على خلاف فيها - لمن بلغته الشرائع، تحقيقا لإتيان جنس العمل اللازم لصحة الإيمان إجماعا.
ثم إن هؤلاء قد قالوا - من غير دليل معتبر - أن المسلم مهما أتى من عمل من الأعمال لا يكفر بذلك طالما أن اعتقاده صحيح فيه، وطردوا ذلك المعنى في جميع الأعمال فلم يفرقوا بين أعمال الكفر وأعمال المعاصي، وجعلوا فساد الاعتقاد شرطا في كفر من عمل أي عمل من أعمال الجوارح أيا كان هذا العمل، والحق أن هذه المسألة لها تفصيل. فإنه يجب أن نفرق بين الأعمال التي يكفر فاعلها، وبين أعمال المعصية عامة.

(1) والكفر من باب الاعتقاد يكون إما **بسقوط قول القلب أي** تصديقه،

[1] () حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/43

ويكون من المكذب وهو كفر التكذيب، أو بسقوط عمل القلب أي انقياده والتزامه ومحبته كمن أنزل الله تعالى فيهم (لا تعتذروا..) الآية، وجهمية المرجئة قد قصروا الكفر على **سقوط قول القلب فانتبه**.." [1]

"ثم يقول: "واعلم أن الإيمان وإن قيل هو التصديق فالقلب يصدق بالحق والقول يصدق في القول، والعمل يصدق القول (1) والتكذيب بالقول مستلزم للتكذيب بالقلب، ورافع للتصديق الذي كان في القلب، إذ أعمال الجوارح يؤثر في القلب، كما أن أعمال القلب يؤثر في الجوارح، فإنما قام به كفر تعدى حكمه إلى الآخر" (2).

ونخلص من هذا إذن إلى أنه من زعم أنه معتقد اعتقادا صحيحا وهو يعمل عملا من أعمال الكفر الأكبر، فهذا لا يصح أن يعتبر مسلما بأي حال من الأحوال بل هو كافر رغم زعمه صحة الاعتقاد، لأن اعتقاده القلبي يكون قد سقط ولا محالة (3) لإتيانه ما يضاده مضادة كاملة وإن لم يصرح بذلك. ومن قال إنه يعتبر مسلما لصحة اعتقاده فهو من المرجئة الذين يجعلون الإيمان هو مجرد عقد القلب دون الأعمال.

أما عن أعمال المعاصي كلها فالشأن فيها أن لا يكفر فاعلها إلا إن كان مستحلا لها، وفي هذا المقام نقلت أقوال الفقهاء كلهم عن أن مرتكب أي عمل - ويقصدون به من أعمال المعاصي لا الكفر - لا يكفر إلا إن كان مستحلا له فهو إن كان معتقدا للتحريم آتيا للمعصية بدافع الشهوة فهذا هو المسلم العاصي خلافا للخوارج الذين كفروا بالمعصية مطلقا.

---

(1) المراد بالتكذيب بالقول هنا ما يدل على التكذيب، ولا يلزم التصريح بالقول بالتكذيب، فالتكذيب بالقول لا يستلزم القول بالتكذيب كأنه يقول: "أنا مكذب بالرسول مثلا" فهذا كفره من نوع آخر، والشاهد على ذلك هو استشهاده بقصة المستهزئين بقولهم (إنما كنا نخوض ونلعب) وهم لم يقولوا قولا فيه التصريح بالتكذيب بل كفرهم من باب سقوط عمل القلب من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقيره والانقياد لدينه فانتبه لهذا.

(2) "الصارم المسلول" لابن تيمية ص 524.

(3) كما سبق أن ذكرنا أن كفره إما **بسقوط قول القلب أي** تصديقه فيكون كافرا كفر تكذيب، أو سقوط عمل لب بسقوط التزامه التزام الطاعة وانقياده ومحبته وتوقيره.." [2]

"الفصل الأول

مجمل أقوال المرجئة

تدور مفاهيم الأرجاء – قديما وحديثا – حول ثلاث نقاط رئيسية ليس لهم عليها دليل، وإنما هو التناقض في فهم الكتاب والسنة، وانحراف مناهج الاستدلال (1) كما ذكرنا من قبل.

---

[1] () حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/61

[2] () حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/63

وسنورد إن شاء الله تعالى هذه النقاط، ثم نعقبها بالرد ما تيسر لنا ذلك.
النقطة الأولى:
وهي تدور حول مفهوم الإيمان، فقد انقسموا إلى ثلاثة أقوال على الجملة:
أن الإيمان مجرد ما في القلب – **أي قول القلب –** ثم منهم من يدخل فيه أعمال القلب ومنهم من لا يدخلها.

(1) وأما عن مناهج استدلالهم فسيأتي بيانها في مبحثنا التالي إن شاء الله تعالى عن "أصول الفكر والنظر عند أهل السنة والجماعة" وسنعرض فيه بإذن الله تعالى إلى مآخذ كل من المرجئة والخوارج في طرق استدلالهم، وحجياتهم التي يقيمون عليها مذاهبهم في فهم نصوص الكتاب والسنة، ومنها ما أخذه المرجئة من أنه ليس للعموم صيغ بالمرة تدل على الاستغراق، وأن هذه الصيغ – مثل الجمع المعرف بأل، ومن في معرض الشرط والفكرة في سياق النفي، ولفظ كل وجميع وأمثال ذلك من صيغ العموم – لا تدل على الاستغراق لغة وشرعا، وما اتبع ذلك من استدلال على مذهبهم المنقوض.. إلى غير ذلك من طرق استدلالهم سواء في اللغة ودلالاتها أو في القواعد الأصولية اللغوية أو الشرعية أو في اعتبار الدليل الشرعي والدليل العقلي وعلاقة كل منهما بالآخر.." [1]

"يقول ابن القيم: "فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، فلابد **من قول القلب وقول** اللسان. وقول القلب يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب علما ومعرفة ويقينا وحالا ما يوجب تحريم قائلها على النار. وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام" (1)_ .
وهذا المعنى إنما يأتي من أن الألفاظ لا تراد لذواتها وإنما تراد لمعانيها، يقول الإمام ابن القيم مدللا على هذا المعنى في كلام بليغ:
"الألفاظ موضوعة للدلالة على ما في النفس":
إن الله تعالى وضع الألفاظ بين عباده تعريفا ودلالة على ما في نفوسهم، فإذا أراد أحدهم من الآخر شيئا عرفه بمراده وما في نفسه بلفظه، ورتب على تلك الإرادات والمقاصد أحكامها بواسطة الألفاظ، ولم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل أو قول، ولا على مجرد ألفاظ مع العلم بأن المتكلم بها لم يرد معانيه ولم يحط بها علما، بل تجاوز للأمة عما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل به أو تكلم به، وتجاوز لها عما تكلمت به مخطئة، أو ناسية، أو مكرهة، أو غير عالمة به إذا لم تكن مريدة لمعنى ما تكلمت به، أو قاصدة إليه، فإذا اجتمع القصد والدلالة

[1] () حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/78

القوليـــة أو الفعليـــة تـــرتب الحكم. هـــذه قاعـــدة الشـــريعة.. الخ" (2)ـ .

(1) "مـــــــــــــــدارج الســـــــــــــالكين" جـــــــــــــ1 ص 331.
(2) "إعلام الموقعين" جـ3 ص 105.." [1]
"القـول والعمـل **- قـول القلب واللسـان**، وعمـل القلب واللسـان والجــــــــوارح - ومـــــــات على ذلـــــك دخـــــــل الجنـــــــة.

6-شـــروط (لا إلـــه إلا اللـــه) الـــتي لا ينتفـــع قائلهـــا إلا باســـتكمالها:
1-العلم: بمعناهـــا المـــراد منهـــا نفيـــا وإثباتـــا المنـــافي للجهـــل بـــذلك.
قال الله عز وجل: {فاعلم أنه لا إلـه إلا اللـه} (1) ، وقـال تعـالى: {إلا من شـهد بـالحق وهم يعلمـون} (2) أي من شـهد بلا إلـه إلا اللـه وهم يعلمـون بقلــــــوبهم معــــــنى مـــــا نطقــــوا بــــه بألســــــنتهم.
وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم -: (من مـات وهـو يعلم أنـه لا إلـه إلا اللـه دخـل الجنـة) .

2-اليقين: المنـافي للشـك وذلـك بـأن يكـون قائلهـا مسـتيقنا بمـدلول هـذه الكلمـــــــــــــــــــة يقينـــــــــــــــــــا جازمـــــــــــــــــــا.
قال الله عز وجل: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسـوله ثم لم يرتـابوا وجاهـدوا بـأموالهم وأنفسـهم في سـبيل اللـه أولئـك هم الصـادقون} (3) فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كـونهم لم يرتـابوا، أي لم يشـكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين - والعياذ بالله - الذي قال الله تعالى فيهم: {إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتـابت قلـوبهم فهم في ريبهم يـترددون} (4) . وفي الصـحيح عن أبي هريـرة رضـي اللـه عنـه من حديث طويل أن النبي - صـلى اللـه عليـه وسـلم - بعثـه بنعليـه فقـال: (من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبـه فبشـره الجنة..) فاشترط في دخول قائلها الجنـة أن يكـون مسـتيقنا بهـا قلبـه غـير شــــــــــــــــــــــــــاك فيهــــــــــــــــــــــــــا.

(1) محمــــــــــــد - صـــــــــلى اللـــــــــه عليـــــــــه وســــــــلم -: 19.
(2) الزخـــرف: 86.
(3) الحجـــرات: 15.
(4) التوبة: 45.." [2]
"الفصــــــــــــــــــل الثـــــــــــــــــاني: الإيمـــــــــــــــــان
هـــــــذه هي المرتبـــــــة الثانيـــــــة في الحـــــــديث المـــــــذكور.

[1] حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/97
[2] مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/93

*أولا: تعريف الإيمان:
أ-الإيمان لغة وشرعا:
الإيمان لغة: التصديق. قال إخوة يوسف لأبيهم: {وما أنت بمؤمن لنا} (1) أي بمصدق.
وأما في الشريعة: فلإطلاقه حالتان:
الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله، القول والعمل.
والثانية: أن يطلق مقرونا بالإسلام وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل وما في معناه وكقوله تعالى: {الذين آمنوا وعملوا الصالحات} في كثير من الآيات، وكقوله - صلى الله عليه وسلم -: (اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان) (2) وذلك أن الأعمال بالجوارح إنما يتمكن منها في الحياة أما عند الموت فلا يبقى **غير قول القلب وعمله**. أما أمثلة الحالة الأولى (3) فمنها قوله تعالى: {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور} (4) ، وقوله تعالى: {والله ولي المؤمنين} (5) ، وقوله

---

(1) يوسف: 17.
(2) قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: وهو كما قالا، تخريج المشكاة 1675.
(3) لما كان الكلام عنها سيطول بعض الشيء إن شاء الله قدمت عليه الكلام في الحالة الثانية.
(4) البقرة: 257.
(5) آل عمران: 68.." [1]

"مرضاة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما في شعب الإيمان قال تعالى: {إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجار لن تبور} (1) ، وقال تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم * التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين} (2) .

ج- أنواع الكفر:
إذا حققت الأمور الأربعة السابقة تحقيقا بالغا وعرفت ما يراد بها معرفة تامة وفهمت فهما واضحا ثم أمنعت النظر في أضدادها ونواقضها يتبين ذلك

---

[1] () مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/175

أنـــــــــــواع الكفـــــــــــــر لا تخـــــــــــــرج عن أربعـــــــــــة: كفر جهل وتكذيب، وكفر جحود وكتمان أو إنكار، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق. فأحدها يخرج من الملـة بالكليـة، وإن اجتمعت في شـخص فظلمـات بعضها فوق بعض لأنها إما أن تنفي هذه الأمور كلها **- قول القلب وعمله** وقــول اللســان وعمــل الجــوارح - أو ينتفي بعضــها، على النحــو التــالي:

1-فــــإن انتفت كلهــــا اجتمــــع أنـــــواع الكفـــــر على النفـــــاق.

2-وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق، فكفـر الجهـل والتكـذيب، وذلك ككفر مشركي العرب. قال تعالى: {بل كـذبوا بمـا لم يحيطـوا بعلمـه ولمـــــــــــا يــــــــــأتهم تأويلـــــــــــه} (3) ـــــــ .

---

(1) فــاطر: 29.

(2) التوبـــــــــــــــــــــــــــــة: 111،ـــــــــــــــــــــــــــــ 112.

(3) يونس: 39.." [1]

"مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونسـتعينه ونسـتغفره، ونعـوذ باللـه من شـرور أنفسـنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسـوله؛ أمـا بعـد: فإنه من المقطوع به عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان قـول وعمـل (1) يزيـد بالطاعـة وينقص بالمعصـية، وتـارة يقولـون: الإيمـان: قـول باللسـان، وعمل بالأركان (الجوارح) ، واعتقاد بالجنـان (القلب) ،وتـارة يقولـون: قـول وعمل ونية،ولهم عبارات لا تختلف عن هذه في معناها، وقد حكى غير واحد إجمـاع الصـحابة والتـابعين والفقهـاء والمحـدثين على ذلـك، ومن هـؤلاء الشـــــــــــــــــــــــــافعي (2) والبغــــــــــــــــــــــــــوي (3)

(**1) قــــــول القلب واللســــــان**، وعمـــــل القلب والجـــــوارح.

(2) قال ابن تيمية في كتاب "الإيمان" (ص292) : ((قـال الشـافعى رضـى اللـه عنـه في كتـاب الأم فى بـاب النيـة فى الصـلاة ... وكـان الإجمـاع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركنـاهم يقولـون: الإيمـان قـول وعمـل ونية لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر)) قلت:لم يرد هذا النقـل في كتـاب الأم المطبـــــــــــــــوع فليســـــــــــــتدرك من هنـــــــــــــا.

(3) قـال في "شـرح السـنة" (ص38) : ((اتفقت الصـحابة والتـابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان، ... وقالوا: إن الإيمـان قول وعمل وعقيدة ...))." [2]

---

1 () مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/179

2 () التوسط والاقتصاد علوي السقاف ص/11

"وابن عبد البر (1) وغيرهم. بل أصبح هذا مما يميزهم عن أهل البدع.
كما أنه من المقطوع به عندهم أن من الأقوال والأعمال ما هو كفر أكبر يخرج من الملة، وقد حكى غير واحد الإجماع على أن سب الله ورسوله كفر مخرج من الملة، ومن هؤلاء: الإمام إسحاق بن راهوية ومحمد بن سحنون (2) وغيرهما. فظن بعض الناس أن الكفر العملي لا يخرج صاحبه من الإسلام وأن سب الله ورسوله مستثنى من ذلك (3)، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة. بل حكى غير واحد الإجماع على أن الكفر يكون

---

(1) قال في التمهيد (9/28) : ((أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية ...))
(2) انظر النقولات عنهم من هذا الكتاب.
(3) سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في السعودية (2/34) السؤال التالي: ((اعتبارهم تارك الصلاة كافرا كفرا عمليا والكفر العملي لا يخرج صاحبه من الملة إلا ما استثنوه من سب الله تعالى وما شابهه فهل تارك الصلاة مستثنى وما وجه الاستثناء؟
فأجابت: ليس كل كفر عملي لا يخرج من ملة الإسلام، بل بعضه يخرج من ملة الإسلام))
وقال الشيخ عبد العزيز بن باز كما في مجلة الفرقان الكويتية، العدد (94) : ((الذبح لغير الله، والسجود لغير الله،كفر عملي مخرج من الملة، وهكذا لو صلى لغير الله أو سجد لغيره سبحانه، فإنه يكفر كفرا عمليا أكبر- والعياذ بالله - وهكذا إذا سب الدين، أو سب الرسول، أو استهزأ بالله ورسوله، فإن ذلك كفر عملي أكبر عند جميع أهل السنة والجماعة))

لذا قال الشيخ حافظ الحكمي في "أعلام السنة النشورة" (ص182) " ((نحن لم نعرف الكفر الأصغر بالعملي مطلقا، بل بالعملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم **يناقض قول القلب ولا** عمله))." [1]
"للمصحف العزيز في القاذورة ... وسجدة لكوكب وصورة" (1)

37. الحافظ محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. ت:751هـ
قال في "كتاب الصلاة": ((وشعب الإيمان قسمان: قولية، وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية، ومن شعب الإيمان القولية: شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوال الإيمان. وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية، فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختيارا، وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل.

---

[1] () التوسط والاقتصاد علوي السقاف ص/12

وها هنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة. وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن به. وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب، فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح (2) ، ولا سيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره،

---

(1) انظر: "بهجة الحاوي" (ص 191) دار إحياء الكتب العربية. ط1351هـ. وهي قصيدة من خمسة آلاف بيت في الفقه الشافعي، ولها شروح كثيرة أشهرها "الغرر البهية شرح البهجة الوردية" لزكريا الأنصاري.
(2) هذا تقرير ضمني منه رحمه الله، بأن بعض أعمال الجوارح كالصلاة شرط في صحة الإيمان كأعمال القلوب يزول الإيمان بزوالها.." [1]

"نعرف الكفر الأصغر بالعملي مطلقا، بل بالعملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم **يناقض قول القلب ولا** عمله)) (1)ـ .

106. الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. ت:1389هـ

قال في شرحه "لكشف الشبهات":

(((فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة) واحدة (يخرجها من لسانه) دون قلبه)) (2) .

وقال أيضا:

(((إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك

---

(1) "أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة " (ص 181-182) مكتبة السوادي للتوزيع، ط1 - 1408هـ.

تعليق: كلامه هنا رحمه الله صريح في التفريق بين الكفر العملي الذي يخرج من الملة والكفر العملي الذي لا يخرج من الملة فليس كل كفر عملي يعد كفرا أصغر كما يظن البعض، بل هناك من الكفر العملي - أي الوقوع في المكفرات القولية والعملية - ما يعد كفرا مخرجا من الملة كما

[1] التوسط والاقتصاد علوي السقاف ص/60

مثل الشيخ له بالسجود للصنم وسب الرسـول؟ أمـا الكفـر العملي الـذي لا يخـرج من الملـة فهـو مـا سـماه الشـيخ بـالكفر العملي المحض الـذي لم يستلزم الاعتقاد ولم **يناقض قول القلب ولا** عملـه، أي أعمـال وأقـوال غير مكفرة وهي ما عرفه الشيخ (ص 179) بقوله: هي كـل معصـية أطلـق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء اسم الإيمان على عامله. فتأمل! وسـيأتي ما يؤيد ذلك من جواب اللجنة الدائمـة للإفتـاء، والشـيخ عبـد العزيـز بن بـاز وانظـر سادسـا في المقدمـة.

(2) "شـرح كشـف الشـبهات" (ص41) جمـع محمـد بن قاسـم. ط1 - 1419هـ.." [1]

"تعريـف العبـادة

ما دمنا نقول: إفراد الله بالعبادة، فالعبـادة في اللغـة: هي الـذل والخضـوع، يقـال: طريـق معبـد أي: مـذلل وطئتـه الأقـدام.

وتعريفها في الشرع: اسـم جـامع لكـل مـا يحبـه اللـه ويرضـاه من الأقـوال والأفعـال الظـاهرة والباطنـة.

والأقـوال الظـاهرة مثـل: قـراءة القـرآن، الـذكر، التلبيـة.

الأقوال الباطنة مثـل: أول مـا يـرد على القلب من قضـية التصـديق يسـمى قـول القلب.

والأعمـال الظـاهرة، مثـل: الركـوع والسـجود والصـيام والحج، والجهـاد في سـبيل اللـه.

والأعمال الباطنة: مثلما يحدث للإنسان بعد قضية الـورود من التمكن، ومن الأمثلة على ذلك: أنت إذ ترى شخصا معينا، تجد منذ أن تنظر إليه تشعر أن قلبك يميل إليه لخلقه وما عرف شيئا من خلقه، لكنـك وجـدت رابطـة بينـك وبينه، قالوا: هـذا أول وارد يـرد على القلب، والنتيجـة بعـد أن تعـرفت على هذا الشخص، ورأيت أخلاقه وأدبه وتضحيته وتفانيه وعبادته وصـلاحه وطلبـه للعلم، تجـد أن قلبـك يتفاعـل.

ولعل من الأمثلة البسيطة على **قضـية قـول القلب وعمل** القلب: نحن جلوس هنا، وسمعنا صوتا مفزعا، كأن يكـون إطلاق نـار مثلا، ونحن جلـوس ورد على القلب شيء، كل شـخص ينظـر إلى البـاب، هـل يـدخل أحـد أم لا يدخل؟ لكن بعد قليل دخل شخص مسرعا، قال: انتبهوا ورائي الآن شـخص يلاحقني، ماذا تكون النتيجة؟ القلب يصـبح على نفس الكلام الأول أم يـزداد تفاعله؟ يوجد تفاعل كبير جدا، يصـبح القلب يخفـق وكـل واحـد ينظـر بـاب نافذة لكي يفك نفسه مخافـة أن يصـاب بسـوء، قـالوا: فهـذا العمـل وهـذه الحركـة تسـمى عمـل القلب.

ويـدخل في قضـية العبـادة حب اللـه ورسـوله، ورجـاء رحمـة اللـه تعـالى والخوف من عذابه، والتوكل عليه وغير ذلك، تـدخل هـذه كلهـا وتسـمى من الأعمـال الباطنـة، والعبـادة لا شـك أنهـا هي الغايـة المحبوبـة والمحمـودة

[1] () التوسط والاقتصاد علوي السقاف ص/125

والمرضية التي خلق الناس من أجلها: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} [الذاريات:56] لا شك أن العبادة من حيث هي أعم من كونها توحيدا عموما مطلقا، فكل موحد يكون عابدا لله تعالى، وليس كل عابد لله تعالى يكون موحدا؛ لأن المشرك قد يعبد الله ويعبد غيره، يعبد الله فترة ويعبد غيره، لكن الموحد هو العابد لله حق العبادة.." [1]

"عدم قبول الله عز وجل لعذر من ناقض توحيده عن قصد وإرادة ثم قال رحمه الله: (وهذه المسألة مسألة طويلة، تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد، وترى من يعمل به ظاهرا -يعني: بالدين- لا باطنا، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله) ، يعني: هاتين الآيتين من كتاب الله توضح لك صدق ما تقدم من وجوب الإقرار بالتوحيد ظاهرا وباطنا، وأنه لابد فيه **من قول القلب وعمل** القلب، وقول اللسان وعمل الجوارح.

قال رحمه الله: (أولاهما قوله تعالى: {لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} [التوبة:66] فإن الله سبحانه وتعالى لم يقبل منهم عذرا بعد أن وقع منهم ما يناقض التوحيد، فأبطل عذرهم ورده عليهم.

قال الشيخ رحمه الله: (فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها) كان هذا أعظم لأنه تبين له الحق وعرفه وخالفه عن قصد وإرادة جازمة، وأما الذي يمزح فهو هازل فهو دون ذلك الذي قصد المخالفة وعلم بعاقبتها، وهو ما خالف هازلا ولاعبا، وليس كالذي خالف قاصدا عازما جازما، فينبغي للعبد أن يحذر الكفر، وألا يعتذر لنفسه في مواقعة الكفر بأي عذر كان، بل يجب عليه أن يقلع عن الكفر، وقد قال الله سبحانه وتعالى في انتفاء العذر عمن تبين له الحق وعرفه: {بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره} [القيامة:14-15] ، فقد تغش الناس بأعذارك، وقد يعذرك الناس بظاهر حالك أو بحسن بيانك وقولك، ولكن الله الذي يطلع على السرائر، قد قالها في كتابه جل ذكره: {لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} [التوبة:66] ، فالكفر لا تقبل فيه الأعذار؛ ولذلك ينبغي على العبد أن يتقي الله سبحانه وتعالى، وأن يحذر الشرك صغيره وكبيره، فإن الشرك أعظم الظلم كما تقدم بيانه في غير هذا الموضع.." [2]

"وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة

1 () شرح لامية ابن تيمية عمر العيد 9/17

2 () شرح كشف الشبهات لخالد المصلح خالد المصلح 11/4

والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية. ومن شعب الإيمان القولية: شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوال الإيمان. وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية، فكما يكفر الإتيان بكلمة الكفر اختيارا، وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل.

وههنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب،. وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة. وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن به.." [1]

"((وروى مسلم في صحيحه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اثنتان في الناس هما بهم كفر)) .

أي هاتان الخصلتان هم كفر قائم بالناس، ففي الخصلتين كفر، حيث كانتا من أعمال الكفار، وهما قائمتان بالناس، لكن ليس كل من قام من شعبة من شعب الكفر يصير كافرا الكفر المطلق، حتى يقوم به حقيقة الكفر. كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنا، حتى يقوم من أصل الإيمان وفرق بين الكفر المعرف باللام، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ((ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة)) . وبين كفر منكر في الإثبات.

وفرق أيضا بين معنى الاسم المطلق إذا قيل: كافر، أو مؤمن، وبين المعنى المطلق للاسم في جميع موارده، كما في قوله: ((لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض)) .

فقوله: ((يضرب بعضكم رقاب بعض)) تفسير الكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يسمون كفارا تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل: كافر، ومؤمن.

كما أن قوله تعالى: {من مآء دافق} سمى المني ماء تسمية مقيدة، ولم

---
[1] () مسألة الإيمان دراسة تأصيلية علي بن عبد العزيز الشبل ص/47

يـدخل في الاسـم المطلـق حيث قـال: {فلم تجـدوا مـآء فـتيمموا} ..)) .
6-أن أهل السنة والجماعة يعظمون لفظ التكفيـر جـدا، ويجعلونـه حقـا للـه ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقط، فلا يجوز ولا يسوغ عندهم تكفير أحـد إلا من كفـره اللـه أو كفـره رسـوله.
ولذا يقول الطحاوي في عقيدته المشهورة المتداولـة: ((ولا نكفـر أحـدا من أهل القبلـة بـذنب مـا لم يسـتحله. ولا نقـول لا يضـر مـع الإيمـان ذنب لمن عملـه)) .
وكذا قرره ابن تيمية في عقيدته: الواسطية المتلقـاه بـالقبول، حيث يقـول: ((فصل، ومن أصـل أهـل السـنة: أن الـدين والإيمـان قـول **وعمل: قول القلب واللسـان** وعمـل القلب واللسـان والجـوارح، وأن الإيمـان يزيـد بالطاعة، وينقص بالمعصية.." [1]
"أركـان الإيمـان
قال الموفق رحمه الله: [والإيمـان قـول باللسـان، وعمـل بالأركـان، وعقـد بالجنـان].
القول في مسمى الإيمان هو أول أصـل حصـل فيـه نـزاع بين أهـل القبلـة، والمراد بأهل القبلة؛ هم السواد من المسـلمين من أهـل السـنة أو غـيرهم. وهذا الخلاف ظهر في خلافة علي بن أبي طالب، لما أظهر الخـوارج القـول بأن مرتكب الكبـيرة كـافر، وأنـه مخلـد في النـار، وهـذا مبـني على قـولهم الباطـل في مسـمى الإيمـان.
وأئمـة السـلف رحمهم اللـه أجمعـوا على أن الإيمـان قـول وعمـل، وإنمـا اختلفت ألفاظهم وحروفهم، فالجمهور من أئمة السلف قالوا: الإيمـان قـول وعمـل، وبعضـهم قـال: الإيمـان قـول وفعـل، كمـا عـبر بـذلك البخـاري في الروايـة المشـهورة عنـه في صـحيحه ..
ومنهم من عبر بأن الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، كمـا هـو التعبـير الـذي ذكـره المصـنف، وهـو قـول الشـافعي وجماعـة من السـلف، وهـذا التعبـير الثـالث هـو المشـهور في كلام المتـأخرين من أهـل السـنة.
ومن التعابير السلفية أيضا ما ذكره بعض عباد السـلف ونسـاكهم؛ كـ سـهل بن عبد الله التستري أنه قـال: "الإيمـان قـول وعمـل ونيـة واتبـاع للسـنة".
وهذه التعابير السلفية وغيرهـا هـل الخلاف بينهـا لفظي، أم خلاف تنـوع، أم خلاف تضـاد؟
نقول: الاختلاف بينها لفظي والخلاف اللفظي تكـون فيـه المعـاني من جهـة مراد أصحاب الألفاظ معان واحدة لا فـرق بينهـا، ولا اختصـاص لواحـد منهـا عن الآخر، أما خلاف التنـوع فلا تكـون المعـاني يصـدق بعضـها بعضـا، ولكن بينها اختصاص، كأسماء الله سبحانه وتعالى، فهي متعددة: السميع، البصـير، العزيـز، الحكيم

[1] () مسألة الإيمان دراسة تأصيلية علي بن عبد العزيز الشبل ص/50

فتجد أن كل اسم يختص بمعنى لم يذكر في الآخر بنفس الدرجة، وإن كان قد يكون لازما في الاسم الآخر .. وهلم جرا.

إذا ..

تعابير السلف في مسمى الإيمان الاختلاف بينها لفظي محض.

فإذا قيل: أي هذه التعابير أجمع وأحكم من جهة التعبير؟

قيل: أحكمها ما عبر به جمهورهم، وهو قولهم: الإيمان قول وعمل؛ وهذه الجملة أحكم من التعبير الذي ذكره الموفق رحمه الله.

لأن فيها إبانة لتضمن العمل للظاهر والباطن، والقول الظاهر والباطن، كما أن فيها إشارة إلى التلازم بين الظاهر والباطن، فإن العبارة التي ذكرها المصنف هي الصحيحة، لكن حين يقال: الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان.

فإن هذا يفهم منه أن الجنان -الذي هو القلب- ليس فيه إلا الاعتقاد، وأن الأعمال هي أعمال الجوارح، مع أنك تعلم أن الأعمال القلبية في الجملة أجل وأعظم من أعمال الجوارح الظاهرة التي أعمال الأركان.

والمتكلمون من السلف يقصدون دخول أعمال القلب في الإيمان، لكن هذا التعبير فيه اختصار، ولذلك نقول: إن التعبير الذي يقول: الإيمان قول وعمل أتم وأحسن، وهو الذي عبر به جمهور السلف.

لكن قد يقول قائل: إن هذا التعبير ليس فيه ذكر للاعتقاد.

نقول: لما قال السلف: الإيمان قول وعمل.

أرادوا **بالقول: قول القلب وقول** اللسان، وأرادوا بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح.

أما قول القلب: فهو كل تصديق شرعي أخبر الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم به.

وقول اللسان: النطق بالشهادتين وغيرها مما يكون باللسان.

وعمل القلب: هو حركته بهذا التصديق بأعماله المناسبة له، مثل: المحبة، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل وغير ذلك.

وعمل الجوارح: كالصلاة والطواف بالبيت، والحج إلى غير ذلك من الأعمال الظاهرة.

والأعمال القلبية ثبوتها في النفس من جنس ثبوت الأعمال الظاهرة، فإن كل عاقل يدرك ما في قلبه من المحبة أو الخوف أو الرجاء أو التعظيم أو الإنابة أو الاستعانة أو غير ذلك من أعمال القلوب، بل إن ثبوت أعمال القلوب أخص من ثبوت أعمال الجوارح؛ ولذلك ليس هناك في الشريعة عمل واحد من أعمال الجوارح إلا وهو مبني على عمل القلب، فإذا تجرد أي عمل ما من أعمال الجوارح الشرعي عن القلب تصديقا وعملا لا يصير عملا شرعيا، فقد يكون نفاقا كالمنافق إذا أظهر الصلاة وليس في قلبه

التصديق، وقد تكون صورته صورة العمل الشرعي وهو ليس شرعيا، كشخص اغتسل من الجنابة أو لغسل الجمعة أو نحو ذلك مما شرع الغسل له كدخول مكة، فإذا اغتسل على قصد التقرب، قيل: غسله عبادة مشروعة، وإذا اغتسل تبردا أو تنظفا فهذا ليس من العبادات المقصودة لذاتها.

إذا: عمل القلب أثبت من أعمال الجوارح، وذلك لأنه لا يمكن أن يوجد عمل من أعمال الجوارح إلا وهو مبني على عمل القلب وتصديقه، فهذا التعبير الذي عليه الجمهور من السلف هو الصواب من جهة إحكام الألفاظ، وإلا فمعاني السلف كلها متفقة.." [1]

"ونتيجة هذا المبحث، أن الإيمان في اللغة - عند المحققين من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - ليس مرادفا للتصديق، وأنه على فرض الترادف بينهما فليس المقصود بالتصديق مجرد الحكم الذهني بنسبة المحمول للموضوع، كما هو الأمر في اصطلاح أهل المنطق والكلام (1) ، ولكنه التصديق في عرف السلف، الشامل للالتزام العملي الذي يقتضيه تمام الإذعان.

وعليه، فإن أصلح تعريف للإيمان من جهة اللغة هو الإقرار لا التصديق، والإقرار يتضمن أمرين اثنين **هما: قول القلب وهو** التصديق وعمل القلب وهو الانقياد، أي تصديق الرسول فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر (2) . قال شيخ الإسلام عليه رحمة الله:» ... فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقا « (3)

الفصل الثاني: تعريف الإيمان شرعا عند أهل السنة والجماعة:

قلت في النظم:

في الاصطلاح عند من قد سلفا
بالقول والفعل لديهم عرفا
والبعض بالسنة زاد اعتصما
وزاد الاعتقاد بعض العلما
وبعضهم بنية قد عبروا
وأول المعرفات أظهر

الشرح:

(في الاصطلاح) أي في الشرع، متعلق بعرف (عند من قد سلفا) أي عند السلف الصالح، رضوان الله عليهم، والألف لإطلاق القافية (بالقول) **أي: قول القلب وقول** اللسان (والفعل) أي: عمل القلب وعمل الجوارح (لديهم) أي لدى السلف (عرفا) بتشديد الراء والبناء للمجهول، والألف

[1] () شرح لمعة الاعتقاد - يوسف الغفيص يوسف الغفيص 10/3

للإطلاق. والمعنى أن السلف عرفوا الإيمان في الشرع بأنه قول وعمل، وستأتي النقول بذلك عنهم.

(1) - أي أغلبهم، وقد جعل بعضهم التصديق شاملا للإذعان والقبول، مثل السعد في شرح العقائد النسفية: 423 كما في الجامع في طلب العلم الشريف:2/536، والبيجوري في شرح الجوهرة: 67.
(2) -.مجموع الفتاوى: 7/638.
(3) - مجموع الفتاوى: 7/291.." [1]

"أن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها، ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة (1) . وهذا القول الثالث هو الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، واستدل عليه بأدلة متعددة وطويلة (2) . والمسألة تبحث في علم أصول الفقه، فلتنظر تفاصيلها هناك (3) .
وإذا علم هذا، فإن الألفاظ الموجودة في الكتاب أو السنة ينظر في بيان المراد بها إلى مقصود الشارع لا إلى اللغة أو العرف الحادث. ألا ترى أننا إذا قرأنا في الكتاب أو السنة أمرا بإقامة الصلاة فإن أذهاننا تنصرف إلى وجوب إقامة تلك العبادة المخصوصة التي تبدأ بالتكبير وتختم بالتسليم؟ ونفس الشيء يقال بالنسبة لألفاظ أخرى كالزكاة والصوم والحج وغيرها. ولفظ الإيمان - ومثله ألفاظ الإسلام والنفاق والكفر والفسق وغيرها - من هذا النوع، فلا ينبغي أن يؤخذ تعريفها إلا من بيان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. يقول شيخ الإسلام رحمه الله:» فالنبي - صلى الله عليه وسلم - قد بين المراد بهذه الألفاظ بيانا لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله، فإنه شاف كاف « (4) .
وسأذكر- بحول الله عز وجل - أدلة كون الإيمان قولا وعملا من الكتاب والسنة وأقوال السلف، عند تفصيل الكلام على أركان الإيمان فيما سيأتي والله أعلم.

الكلام على قول القلب:

قلت في النظم:
فالقول قول القلب أي تصديقه
بما عن الرسول جا توثيقه
والجزم فيه أعظم المطلوب
فنقضه بالشك والتكذيب

الشرح:

[1] () شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/27

(1) - حاشـــــــية ابن الحــــــاج على شـــــــرح ميــــــــارة: 289.
(2) - مجمــــــــــــــــوع الفتــــــــــــــــــاوى: 7/298.
(3) - إرشــاد الفحــول: 49 وشــرح المحلي على جمــع الجوامــع: 1/302.
(4) - مجموع الفتاوى: 7/287.." [1]

"(فـالقول) الـذي هـو ركن في الإيمـان الشـرعي - كمـا سـبق بيانـه – نوعان، الأول منهما هو (قول القلب أي تصديقه) وإيقانه الجازم (بـ) كل (ما عن الرسـول) محمـد - صـلى اللـه عليـه وسـلم - (جـا) ء، مقصـور للـوزن (توثيقـــه) بنصـــوص الكتـــاب الجليـــة، والأحـــاديث النبويـــة الســـنية. (والجزم)ـ أي: القطع والتيقن بأي طريـق حصـل (فيـه أعظم المطلـوب) أي أول ما يطلب. لذلك (فنقضه) يكون (بالشـك) وهـو الـتردد بين أمـرين دون تـــــرجيح أحـــــدهما (والتكـــــذيب) وهـــــو نقيض التصـــــديق. واعلم بأن هذا الـركن العظيم – أعـني تصـديق القلب – قـد تظـافرت أدلـة الكتاب والسنة على اعتباره وبيـان خطورتـه، كمـا أجمـع النـاس – باسـتثناء الكراميــــــــة – على كونــــــــه ركنــــــــا في الإيمــــــــان. قال تعالى: {والذي جاء بالصـدق وصـدق بـه أولئـك هم المتقـون * لهم مـا يشـاءون عنـد ربهم ذلـك جـزاء المحسـنين} . قـال مجاهـد: {والـذي جـاء بالصدق وصدق به} أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولـون هذا ما أعطيتمونا فعملنـا فيـه بمـا أمرتمونـا. قـال ابن كثـير في تفسـيره:» وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين، فـإن المؤمـنين يقولـون الحـق ويعملون به والرسول - صلى الله عليـه وسـلم - أولى النـاس بالـدخول في هذه الآية على هذا التفسير فإنه جاء بالصـدق وصـدق المرسـلين وآمن بمـا أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبـه ورسـله « (1)ـ .

(1) - تفسير ابن كثير: 4/50.." [2]

"وبالجملة، فإن المتتبع للآثار عن السلف رضوان الله عليهم، يجزم بأن هذه العقيدة كانت مستقرة عندهم، لا يدور حولها خلاف. فمن أراد السـلامة في دينه ودنياه، فلينهج سبيلهم، ولينسـج على منـوالهم، وأمـا من تنكب عن طريقهم، وربأ بفهمـه عن فهـومهم فلا يلـومن إلا نفسـه واللـه تعـالى أعلم.

الفصــــــل الثــــــاني: أوجــــــه الزيــــــادة والنقصــــــان.
قلت في النظم:
تفاضـــــــــــل الإيمــــــــــــان ذو أســــــــــــباب
قــــــــــد ظهــــــــــرت لــــــــــدى أولي الألبــــــــاب
من بينهــــــــــا تفاضــــــــــل التصــــــــــديق

[1] شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/31
[2] شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/32

وذاك ظـــــــــــــــــــــــــــاهر لـــــــــــــــــــــــــــدى التحقيق
ومنــــــــــــــــه مـــــــــــــــــا يكـــــــــــــــون بالأعمـــــــــــــــال
بين مقصــــــــــــــــــــــــــــر وذي كمـــــــــــــــــــــــــــــال

الشــرح:
(تفاضل الإيمان) زيادة ونقصا (ذو أسـباب) كثـيرة سـيأتي ذكـر بعضـها (قـد ظهـرت لـدى أولي الألبـاب) من أهـل العلم، (من بينهـا) أي من بين أوجـه تفاضـل الإيمـان (تفاضـل التصـديق) أي حصـول الزيـادة والنقص في نفس قول القلب، وهذا أمر ممكن وحاصل خلافا لمن أنكره، لذلك قلت: (وذلـك التفاضـل (ظـاهر) لكـثرة أدلتـه العقليـة والنقليـة (لـدى التحقيـق) في هـذه المسألة بعيدا عن التعصب والجمود. (ومنه) أي: أن من التفاضل (ما يكـون بـ) سبب (الأعمـال) الظـاهرة، مـا (بين مقصـر) في الإتيـان بهـذه الأعمـال، فإيمانـه نـاقص تبعـا لتقصـيره، وبين آخـر (ذي كمـال) في التزامـه العملي بالشـريعة، أي في إتيانـه بالطاعـات واجتنابـه للمعاصـي، فإيمانـه زائـد تبعـا لأعمالـــــــــــــــــــــــــــــه الصـــــــــــــــــــــــــــــالحة.
واعلم بأن هذه الوجه الثاني، هو أشهر أوجه زيـادة الإيمـان ونقصـانه، حـتى إن بعض أهل العلم قد يقتصر عليه فلا يعرج على غيره. كما أن الوجه الأول فيه من الخفاء ما جعل العلماء يختلفون حوله فينكـره بعضـهم. ولأجـل هـذا ذكـرت هـذين الـوجهين في النظم ولم أذكـر غيرهمـا، مـع أن أوجـه زيـادة الإيمان ونقصانه أكثر من ذلـك، فقـد حصـرها شـيخ الإسـلام ابن تيميـة في تســــــــــــــــــــعة أوجــــــــــــــــــه (1) :
الوجـــه الأول:

(1) - انظـر مجمـوع الفتـاوى: 7/232-237 و 7/562-574 وكتـاب "زيـادة الإيمان ونقصانه: 136 وما بعدها.." [1]
"- باعتبارها مصدرا يعني التعبد هي: "التذلل لله محبـة وتعظيمـا بفعـل أوامــــــــــره واجتنـــــــــاب نواهيــــــــــه وفــــــــــق شــــــــــريعته".
- وباعتبارها اسما يعني المتعبد به، هي كمـا يقـول شـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمه الله: "اسم جامع لكـل مـا يحبـه اللـه ويرضـاه من الأقـوال والأعمـال الظـــــــــــــــــــــاهرة والباطنـــــــــــــــــــــة" (1) .
فتبين من هذا التعريف أن العبـادة لا تقـوم إلا على أركـان التـذلل والمحبـة والتعظيم، وأنها تجمـع أقـوالا وأعمـالا كثـيرة يمكن تقسـيمها على المـراتب الأربع التي سـبق تفصـيلها في حقيقـة الإيمـان، وأقصـد **بها قـول القلب وقـــــــول** اللســـــــان وعمـــــــل القلب وعمـــــــل الجـــــــوارح.
فهذه الأقوال والأعمال كلها لا يجوز صرفها لغـير اللـه عـز وجـل، لأنهـا حـق خالص له سبحانه وتعالى: يقول ابن القيم رحمه الله: " فالسـجود والعبـادة

[1] () شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/73

والتوكل والإنابة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار، وحلق الرأس خضوعا وتعبدا، والطواف بالبيت، والدعاء، كل ذلك محض حق الله، لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب، ولا نبي مرسل" (2) . ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "توحيد الألوهية هو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد كالدعاء والرجاء والخوف والخشية والاستعانة والاستعاذة والمحبة والإنابة والنذر والذبح والرغبة والرهبة والخشوع والتذلل والتعظيم" (3) .
واعلم أن توحيد الألوهية هو أصل هذا الدين، وركنه الركين، وهو أساس دعوة المرسلين، ولب الكتب المنزلة على النبيئين.

(1) قاعدة جليلة في العبادة (ضمن مجموعة التوحيد) : 267.
(2) الجواب الكافي: 1/93.
(3) الدرر السنية: 2/35.." [1]

"أنكروا قول القدرية من المعتزلة، وغيرهم، وبدعوا الطائفتين"1. "وأشد الطوائف قربا من هؤلاء هو الأشعري ومن وافقه من الفقهاء أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم، وهو مع هذا يثبت للعبد قدرة محدثة، واختيارا، ويقول: إن الفعل كسب للعبد، لكنه يقول: لا تأثير لقدرة العبد على إيجاد المقدور، فلهذا قال من قال: إن هذا الكسب الذي أثبته الأشعري غير معقول"2.
فصل
ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول، وعمل: قول القلب، واللسان، وعمل القلب، واللسان، والجوارح، بيان هذا أن "أهل السنة والجماعة من الصحابة جميعهم، والتابعين، وأئمة أهل السنة، وأهل الحديث"3 متفقون "على أن الإيمان، والدين قول، وعمل، هذا لفظ الصحابة، وغيرهم"4. "فالنقول متواترة عن السلف بأن الإيمان قول، وعمل"5، حتى صار هذا القول "عند أهل السنة من شعائر السنة، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك"6. "ومن قال من السلف: الإيمان قول، وعمل أراد قول القلب، واللسان، وعمل القلب، والجوارح"7.

1 مجموع الفتاوى (8/460) .
2 منهاج السنة النبوية (3/109) .
3 مجموع الفتاوى (12/472) ، وانظر: (7/330) .
4 المصدر السابق، وانظر: التسعينية (2/660 – 661) .
5 المصدر السابق (7/366) .

[1] شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/174

6 المصـــــــــــــدر الســـــــــــــابق (7/308)ـــــــــ .
7 المصدر السابق (7/171) .." [1]
"إلى البـدن بالضـرورة، لا يمكن أن يتخلـف البـدن عمـا يريـده القلب، ولهذا قال النبي صلى الله عليـه وسـلم في الحـديث الصـحيح: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سـائر الجسـد، وإذا فسـدت فسـد لهـا سـائر الجسـد، ألا وهي القلب" 1"2، و "القـرآن يـبين أن إيمـان القلب يسـتلزم العمـل الظـاهر بحسـبه"3. "فالإيمـان اسـم لجميـع الطاعـات الباطنـة، والظــاهرة"4.
وقد تنوعت "أقوال السلف، وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول، وعمل. وتارة يقولون: هو قول، عمل، ونية. وتـارة يقولـون: قـول، وعمل، ونية، واتباع سنة. وتـارة يقولـون: قـول باللسـان، واعتقـاد بـالقلب، وعمل بالجوارح. وكل هذا صحيح، فإذا قالوا: قول، وعمـل، فإنـه يـدخل في القول قول القلب، واللسان جميعا"5، وكل هذه التفاسـير ترجـع إلى معـنى واحد، وإنما هو تنوع عبارة، فمن "قال من السـلف: الإيمـان قـول: وعمـل، أراد قول القلب، واللسان، وعمل القلب والجـوارح. ومن أراد الاعتقـاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلـك، فـزاد الاعتقـاد، وقول اللسان. وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلـك. ومن زاد اتبـاع السنة، فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة، وأولئـك لم يريـدوا كل قول، وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقـوال، والأعمـال. ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلـوه قـولا قـط، فقـالوا: بـل هـو قول، وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال، والأعمال. ولكن كـان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا: بل هـو قـول، وعمل. والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سـهل بن عبـد الله التستري عن الإيمـان مـا هـو؟ فقـال: قـول، وعمـل، ونيـة، وسـنة؛ لأن الإيمــان إذا كــان قــولا بلا عمــل فهــو كفــر، وإذا كــان قــولا، وعملا بلا نية

1 رواه البخـــــــــــاري (52) ، ومســـــــــــلم (1599)ـــــــ .
2 مجمـــــــــــــوع الفتــــــــــــاوى (7/187)ـــــــــ .
3 المصـــــــــــــدر الســـــــــــــابق (7/221)ـــــــــ .
4 المصـــــــــــــدر الســـــــــــــابق (7/522)ـــــــــ .
5 المصدر السابق (7/170) .." [2]
"في الأمن، والإقـــــــــرار دخــــــــــول في القــــــــــرار1.
لهذه الأسباب ولغيرها رأى شيخ الإسلام رحمه الله أن أصلح تعريف للإيمان من جهـــــــــــة اللغـــــــــــة هـــــــــــو الإقـــــــــــرار.
قال رحمه الله: "ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصـديق، والإقـرار

[1] () شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية خالد المصلح ص/165
[2] () شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية خالد المصلح ص/167

ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد) 2.
وقال رحمه الله: " ... فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقا"3.
فالمختار إذا أن لفظة آمن لغة بمعنى أقر، والإيمان لغة هو الإقرار القلبي، وهذا الإقرار مشتمل على أمرين:
1- اعتقاد القلب وهو تصديقه بالأخبار.
2- عمل القلب وهو إذعانه وانقياده للأوامر.
هذا من جهة اللغة.
أما شرعا: فهو عند أهل السنة والجماعة قول وعمل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض بيانه لعقيدة أهل السنة والجماعة وأصولهم التي اتفقوا عليها:
"ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، - وعمل القلب واللسان والجوارح4.

---

1 انظر الفتاوى (7/ 637).
2 الفتاوى (7/ 638).
3 الفتاوى (7/ 291).
4 العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص 161) بشرح الهراس.." [1]
"فهذه خمسة أمور اشتمل عليها مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول القلب، وعمله، وقول اللسان، وعمله، وعمل الجوارح.
والأدلة على دخول هذه الأمور في مسمى الإيمان كثيرة وفيرة وفيما يلي ذكر بعضها:
أولا: قول القلب، وهو تصديقه وإيقانه، قال الله تعالى: {والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين} 1 وقال تعالى: {وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين} 2 وقال تعالى: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا} 3 وقال تعالى في المرتابين الشاكين {يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم} 4.
وفي حديث الشفاعة "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة"5، وغير ذلك من الأدلة.
ثانيا: قول اللسان وهو النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والإقرار بلوازمهما، قال الله تعالى: {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى

---

1 سورة الزمر، الآيتان: 33- 34.

---

[1] () زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/21

2 ســــــــــــــورة الأنعـــــــــــــــــــام، الآيــــــــــــــــة: 75.
3 ســــــــــــــورة الحجـــــــــــــــــرات، الآيـــــــــــــة: 15.
4 ســــــــــــــورة آل عمـــــــــــــــران، الآيــــــــــــة: 167.
5 رواه البخاري (13/ 473) ومسلم (1/ 177) .." [1]

"وهم يستبشرون* وأما الـذين في قلـوبهم مـرض فـزادتهم رجسـا إلى رجسهم} 1، وهذه الزيادة ليس مجرد التصديق بأن اللـه أنزلهـا بـل زادتهم إيمانا بحسب مقتضاها، فإن كانت أمـرا بالجهـاد أو غـيره ازدادوا رغبـة، وإن كانت نهيا عن شيء انتهـوا عنـه فكرهـوه، ولهـذا قـال: {وهم يستبشـرون} والاستبشار غير مجرد التصديق ... وقال تعـالى: {هـو الـذي أنـزل السـكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مـع إيمـانهم} 2، وهـذه نـزلت لمـا رجـع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الحديبيـة فجعـل السـكينة موجبـة لزيادة الإيمان، والسكينة طمأنينة في القلب غير علم القلب وتصـديقه.."3. وقال ابن سعدى عند تفسيره لقوله تعالى: {ويزيد الله الذين اهتدوا هـدى} 4، وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه كما قاله السلف الصـالح ويـدل عليه قوله تعالى: {ويـزداد الـذين آمنـوا إيمانـا} 5، {وإذا تليت عليهم آياتـه زادتهم إيمانـا} 6، ويـدل عليـه أيضـا الواقـع فـإن **الإيمـان قـول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفـاوتون في هـذه الأمــــــــــــــــــــور أعظم تفــــــــــــــــــــــــاوت"7.
وقــال الألوســي عنــد تفســيره لقولــه تعــالى: {زادتهم إيمانــا} ،"وهــذا

1 ســــــــــــــورة التوبـــــــــــــة، الآيتـــــــــــان: 125- ـــــــــــــ 126.
2 ســــــــــــــــــــــــورة الفتح، الآيـــــــــــــــــــــــــــــــــــة: 4.
3 الإيمـــــــــــــــــان (ص 215ـــــــــــــــــــــــــ 216)ــــــــــــ .
4 ســــــــــــــــورة مـــــــــــــــــريم، الآيـــــــــــــــــة: 76.
5 ســـــــــــــــــورة المــــــــــــــــــدثر، الآيــــــــــــــــة: 31.
6 ســـــــــــــــــورة الأنفـــــــــــــــــال، الآيــــــــــــــــة: 2.
7 تفسير ابن سعدي (5/ 33) .." [2]

"فهذه الآثار لا تشـكل على مـا ذكرتـه آنفـا من أن مـذهب السـلف هـو جـــــواز الاســـــتثناء في الإيمـــــان، لأنهـــــا لا تخلـــــو من أحـــــد أمـــــور:
1- إما أن تكون ضعيفة الإسناد غير ثابتـة عن الصـحابي أو التـابعي المرويـة عنـــــــــــــه كمـــــــــــــا في بعض الآثـــــــــــــار المتقدمـــــــــــــة.
2 - أو أن يكون قاله على سبيل التعميم كما في الأثر الأول، وهذا لا إشكال فيـه إذ أهـل القبلـة كلهم مؤمنـون باعتبـار الظـاهر منهم، وبـذلك يتوارثـون ويتنـــــــــــــاكحون ويتعـــــــــــــاملون بـــــــــــــالأخوة الإيمانيـــــــــــــة.
3- أو أن يكـون قصـد بـذلك أصـل الإيمـان لإتمامـه وكمالـه، بـل هـذا هـو

[1] () زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/22
[2] () زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/42

مقصودهم عند إطلاق القول "أنا مؤمن"أو "أنت مؤمن"لأن اسم الإيمان عند السلف على ضربين: مطلق ومقيد.
فإذا استعمل مطلقا شمل جميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الظاهرة والباطنة.
وإذا استعمل مقيدا يكون متناولا لأصل الإيمان وأساسه، وهو الإيمان الباطن بأركانه الستة الواردة في حديث جبريل المشهور.
وللإيمان عندهم أصل وفرع؛ فأصل الإيمان في القلب **وهو قول القلب وعمله**، وفرعه الأعمال الظاهرة بأنواعها1.
وعلى هذا فإن من استثنى من السلف في إيمانه قصد به الإيمان التام الكامل المقبول عند الله، ومن لم يستثن قصد الإيمان الباقي الذي هو أصل الإيمان وأساسه وهذا لا استثناء فيه.
وعلى هذا ينبغي لمن سئل هل هو مؤمن أو، لا؟ أن يستفصل من السائل ماذا يريد بالإيمان؟ هل يريد بذلك الإيمان الكامل التام المقبول

---

1 انظر الفتاوى لابن تيمية (7/ 642 وما بعدها) .." [1]
"[مسائل الإيمان]
[مسمى الإيمان]
مسائل الإيمان مسمى الإيمان: لفظ الإيمان في نصوص القرآن والسنة يذكر مفردا، ويذكر مقرونا بالإسلام، فإذا ذكر مقرونا بالإسلام كما في حديث سؤالات جبريل، أريد بالإسلام ما في الظاهر وهو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده، وأركانه خمسة: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، وأريد بالإيمان ما في الباطن وهو معرفة القلب وتصديقه وإقراره وأركانه ستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» .
وإذا ذكر مفردا كما في قوله تعالى: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون - الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون} [الأنفال: 2 - 3] (الأنفال الآية: 2 - 3) ، وكما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» ، أريد به الدين كله، كما أن الإسلام إذا أفرد دخل فيه أصل الإيمان وهو ما في القلب.
ومن هنا قلنا: الإيمان قول وعمل.
والمراد قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.

1() زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/486

وعمل القلب: وهو النية والإخلاص ونحو ذلك، وعمل الجوارح كالصلاة والزكاة ونحوهما.." [1]

"ويدخل في العبادات المحضة ما يلي:

1- العبادات القلبية. وهي تنقسم إلى قسمين:

أ –"قول القلب"، وتسمى"اعتقادية"، وهي: اعتقاد أنه لا رب إلا الله، وأنه لا أحد يستحق أن يعبد سواه، والإيمان بجميع أسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وغير ذلك.

ب –"عمل القلب"، ومنها: الإخلاص، ومحبة الله تعالى، والرجاء لثوابه، والخوف من عقابه، والتوكل عليه، والصبر على فعل أوامره وعلى اجتناب نواهيه، وغيرها.

2- العبادات القولية.

ومنها النطق بكلمة التوحيد، وقراءة القرآن، وذكر الله تعالى بالتسبيح والتحميد وغيرهما، والدعوة إلى الله تعالى، وتعليم العلم الشرعي، وغير ذلك.

3- العبادات البدنية:

ومنها الصلاة والسجود، والصوم، والحج، والطواف، والجهاد، وطلب العلم الشرعي، وغير ذلك.

4- العبادات المالية:

ومنها الزكاة، والصدقة، والذبح، والنذر بإخراج شيء من المال، وغيرها (1).

---

(1) مدارج السالكين لابن القيم 1/123ـ 133، التجريد للمقريزي الشافعي ص82ـ 83، تطهير الاعتقاد للصنعاني ص19، دلائل التوحيد للقاسمي ص 100،." [2]

"حادثة ويشتد فيها، وإذا سئل عن بعض الأحاديث المهمة في تعريف الإيمان وبيان حده لا يعرفها.

فهناك أحاديث مهمة في تعريف الإيمان وبيان حده، كحديث جبريل"، وحديث وفد عبد القيس، وحديث الشعب وغيرها، ينبغي أن تحفظ وتضبط وتعرف معانيها؛ ليعيش العباد مع نصوص الشريعة، دون زج بهم في مصطلحات حادثة، لا طائل من ورائها ولا ثمرة تقرب إلى الله من تحصيلها إلا زيادة الشقاق وتوسيع الخلاف.

والمصنف ـ رحمه الله ـ عرف الإيمان في هذا المختصر على طريقة السلف وذكر شيئا من دلائله وبراهينه بعيدا عن التكلفات والتعقيدات والمصطلحات المتعبة، وبدأ بذكر تعريفه قبل التفاصيل الأخرى وفقا للقاعدة المشهورة عند العلماء: الحكم على الشيء فرع عن تصوره،

---

[1] () رسالة في أسس العقيدة محمد بن عودة السعوي ص/81

[2] () تسهيل العقيدة الإسلامية عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص/67

فقال:
" والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ونية " أي: ومن أمور الاعتقاد: أن الإيمان قول وعمل ونية، وهذا باتفاق السلف ـ رحمهم الله ـ، ليس بينهم خلاف في ذلك. وإن اختلفت عباراتهم في بعض الأحيان إلا أن المؤدى واحد. فقال بعضهم: الإيمان قول وعمل. وقال بعضهم: قول وعمل واعتقاد. وقال بعضهم: قول وعمل ونية. وقال بعضهم: قول وعمل ونية واتباع.
فمن قال: الإيمان قول وعمل. عنى بالقول قول القلب، وهو الاعتقاد الحق الصحيح المتلقى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وقول اللسان: وهو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله؛ لأن القول إذا أطلق في النصوص **شمل قول القلب الذي** هو الاعتقاد، وقول." [1]
"الرد على من زعم أن كلمة التوحيد لفظ فقط مع بيان المذهب الصحيح في الأحاديث الواردة بخصوصها يقول العلامة ابن القيم رحمه الله:
(ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه: لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) (1) وقوله (لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله) (2) , وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث، التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوخة! وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود وقال: المعنى لا يدخلها خالدا، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة. فإن الشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار.
بل لا بد من قول القلب، وقول اللسان.
وقول القلب: يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته

---

[1] () تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/295

(1) سبق تخريجه.
(2) سبق الكلام عليه في شروط لا إله إلا الله.." [1]

"ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب. وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر. والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر. والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان وتركها من شعب الكفر والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

(وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية. ومن شعب الإيمان القولية شعب يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية. فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختيارا - وهي شعبة من شعب الكفر - فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل)

(وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب: هو الاعتقاد. وقول اللسان: وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله. وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق: فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة فأهل السنة: مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون: ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به.

(وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ولا سيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده، والذي." [2]

"وتوحيد الربوبية من مقتضيات توحيد الألوهية؛ لأن المشركين لم يعبدوا إلها واحدا، وإنما عبدوا آلهة متعددة، وزعموا أنها تقربهم إلى الله زلفى، وهم مع ذلك معترفون بأنها لا تضر ولا تنفع، لذلك لم يجعلهم الله مؤمنين رغم اعترافهم بتوحيد الربوبية؛ بل جعلهم في عداد الكافرين بإشراكهم غيره في العبادة.

---

1 () الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد القحطاني ص/46
2 () الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد القحطاني ص/55

ومن هنا يختلف معتقد السلف- أهل السنة والجماعة- عن غيرهم في الألوهية؛ فلا يعنون كما يعني البعض أن معنى التوحيد أنه لا خالق إلا الله فحسب؛ بل إن توحيد الألوهية عندهم لا يتحقق إلا بوجود أصلين:
الأول: أن تصرف جميع أنواع العبادة له- سبحانه- دون ما سواه، ولا يعطى المخلوق شيئا من حقوق الخالق وخصائصه.
فلا يعبد إلا الله، ولا يصلى لغير الله، ولا يسجد لغير الله، ولا ينذر لغير الله، ولا يتوكل على غير الله، وإن توحيد الألوهية يقتضي إفراد الله وحده بالعبادة.
والعبادة: **إما قول القلب واللسان** وإما عمل القلب والجوارح.
قال تعالى: {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين - لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين} [الأنعام: 162 ـ 163] (1).

---

(1) سورة الأنعام: الآيتان، 162 - 163.." [1]

"ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [الشورى: 11] ... وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) (1).
وقال رحمه الله: (ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر وبنعيمه ... إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين ... وتنصب الموازين، فتوزن فيها أعمال العباد: {فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون} [المؤمنون: 102، 103] ، وتنشر الدواوين - وهي صحائف الأعمال - فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره ... وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء ...) (2).
وقال عن الإيمان: (ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول **وعمل:** **قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية ...) (3).
وعن الصحابة قال رحمه الله: (ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة

---

[1] () الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري 1/53

(1) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية 3/129 - 130) .
(2) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية 3/145 - 148) .
(3) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية 3/151) .." [1]

"يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية: وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح. وكل هذا صحيح فإذا قالوا: قول وعمل؛ فإنه يدخل في **القول قول القلب واللسان** جميعا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام" (1) .

وقال أيضا: "والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل **أراد قول القلب واللسان** وعمل الجوارح والقلب، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية. قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع فلان كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة ".

وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل وإنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال ولكن كان مقصودههم الرد علي المرجئة الذين جعلوه قولا فقط. فقالوا: بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة" (2) .

واستدل أهل السنة على ما يذهبون إليه من دخول العمل في مسمى الإيمان بأحاديث كثيرة منها:

قوله صلى الله عليه وسلم: " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا

(1) مجموع الفتاوى 7/170.
(2) مجموع الفتاوى 7/ 170." [2]

"المطلب الثاني: تعريف الإيمان في الشرع:

لقد اتفق أهل السنة على أن الإيمان: قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان الجوارح. 5

5 انظر: الآجري: الشريعة (ص: 119) ط. الأولى، باكستان، ت: حامد الفقي، واللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (4/ 911) . ط. دار طيبة، الثالثة، ت: أحمد سعد حمدان، وابن منده: الإيمان (1/ 341) ط. المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ت: علي ناصر فقيهي، وابن أبي العز:

[1] دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية - عرض ونقد عبد الله بن صالح الغصن ص/46
[2] فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي 3/1113

شرح الطحاوية (ص: 332) ط. المكتب الإسلامي، التاسعة، ت: الألباني. والسفاريني: لوامع الأنوار (1/246) ط. المنار، الأولى، سنة 1323هـ بمصر. وانظر: أيضا: أبو بكر بن أبي شيبة: الإيمان (ص: 50) ط. المكتب الإسلامي، الثانية،1403هـ، ت: الألباني، وأبو عبيد: الإيمان (ص: 19) ط. المكتب الإسلامي، الثانية، ت: الألباني.." [1]

"المطلب الأول

جهوده في مسائل الإيمان.

1 - تعريف الإيمان:

الإيمان في اللغة:

مصدر آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن (1)، وهو بمعنى الإقرار لا مجرد التصديق؛ فإن الإيمان يتضمن أمرين:

أحدهما: الإخبار.

ثانيهما: الالتزام.

والتصديق إنما يتضمن الأول دون الثاني، بخلاف الإقرار فإنه يتضمنهما جميعا (2).

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: " معلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار **يتضمن قول القلب الذي** هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد" (3).

وأما الإيمان في الشرع:

فهو حقيقة مركبة من اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح. كما عرفة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله -، بقوله: " قول أهل السنة والجماعة: أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وتصديق بالجنان" (4).

---

(1) ينظر: تهذيب اللغة (1/ 209)، معجم مقاييس اللغة (ص 88)، الصحاح (5/ 2071)، لسان العرب (13/ 21)، والقاموس المحيط (ص 1518).
(2) ينظر: مجموع الفتاوى (7/ 530 - 531).
(3) ينظر: مجموع الفتاوى (7/ 638).
(4) فتاوى اللجنة (3/ 248).." [2]

"والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه، فإنه معرض للوعيد، وهكذا من أتى بالإسلام الظاهر مع التصديق بالقلب، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن، فإنه معرض للوعيد، فأما الإحسان وهو أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله، والإيمان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين والمؤمنون

---

[1] () منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة تامر محمد محمود متولي ص/215
[2] () منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين أحمد بن علي الزاملي ص/553

أخص من المسلمين (1).

ثالثا: أصل الإيمان:
أصل الإيمان، به يدخل العبد في الإسلام، وبه يكون اعتبار سائر الأعمال، وبصلاح ما في القلب أو فساده يكون صلاح الأعمال أو فسادها، قال صلى الله عليه وسلم: ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب (2)، فأصل الإيمان في القلب **وهو قول القلب وعمله** وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، فالتصديق هو قول القلب، وهو المعرفة والاثبات لما دلت عليه الشهادتان. والحب: عمل القلب نحو المشهود لهما، وهو الله تبارك وتعالى في شهادة أن لا إله إلا الله ومحمد بن عبد الله في شهادة أن محمدا رسول الله، فيحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ودينه. والانقياد: عمل القلب أيضا، وهو القبول، وعقد العزم على الامتثال لما دلت عليه الشهادتان (3)، وينعقد أصل الإيمان بثلاثة أمور:
1 النطق بالشهادتين.
2ـ قول القلب وهو العلم والتصديق بمعانهما، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما أخبر به عن الله.

(1) المصدر نفسه ص 147.
(2) البخاري رقم 52 ك الإيمان.
(3) أثر الإيمان في تحصين الأمة (1/ 191).." [1]

"السؤال الثاني:
هناك من يقول: (الإيمان قول وعمل واعتقاد لكن العمل شرط كمال فيه) ، ويقول أيضا: (لا كفر إلا باعتقاد) ، فهل هذا القول من أقوال أهل السنة أم لا؟

الجواب:
ليست هذه الأقوال من أقوال أهل السنة، أهل السنة يقولون: الإيمان هو قول باللسان وقول بالقلب وعمل بالجوارح وعمل بالقلب، ومن أقوالهم: الإيمان قول وعمل؛ ومن أقوالهم: الإيمان قول وعمل ونية، فالإيمان لا بد أن يكون بهذه الأمور الأربعة:
1- قول اللسان وهو النطق باللسان.
2- قول القلب وهو الإقرار والتصديق.
3- عمل القلب وهو النية والإخلاص.
4- عمل الجوارح.
فالعمل جزء من أجزاء الإيمان الأربعة، فلا يقال: العمل شرط كمال أو أنه

[1] () الإيمان بالله جل جلاله علي محمد الصلابي ص/173

لازم له فإن هذه أقوال المرجئة، ولا نعلم لأهل السنة قولا بأن العمل شرط كمال.." [1]

"وعذابه، ونعيمه، وعن الإيمان بالميزان، والحساب، والحوض المـورود، والصـراط المنصـوب، والشـفاعة، والجنـة، والنـار، وبالقـدر خـيره وشـره، وبـــاللوح المحفـــــوظ، وبـــأن اللـــــه خلــــق أفعــــال العبــــاد. بعــــــد أن تحــــدث عن الإيمـــــان بـــــذلك كلـــــه قـــــال:

" ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول **وعمل؛ قــول القلب واللسـان**، وعمـل القلب واللسـان والجـوارح، وأن الإيمـان يزيـد بالطاعــــــــــــــــــــــة وينقص بالمعصــــــــــــــــــــــية.

ومـع ذلـك لا يكفـرون أهـل القبلـة بمطلـق المعاصـي والكبـائر، كمـا يفعلـه الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه وتعالى في آيـــــــــــــــــــــــــــــــة القصـــــــــــــــــــــــــــــاص:

{فمن عفي لــه من أخيــه شــيء فاتبــاع بــالمعروف} [البقــرة: 178] وقـال: {وإن طائفتـان من المؤمـنين اقتتلـوا فأصـلحوا بينهمـا فـإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فــاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين - إنمـا المؤمنـون إخوة فأصلحوا بين أخـويكم واتقـوا اللـه لعلكم ترحمـون} [الحجـرات: 9 - 10]

ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه." [2]

"المبحث الثــــــــــــــــــــــاني: العبــــــــــــــــــــــــادة

المطلب الأول: تعريـــــــــف العبـــــــــادة وبيـــــــــان شـــــــــمولها.

...

المبحث الثـــاني

العبـــادة

وفيـــــــــــــــــــــــــــــــــــه مطلبـــــــــــــــــــــــــــــــان:

المطلب الأول: تعريـــــــــف العبـــــــــادة وبيـــــــــان شـــــــــمولها:

عرف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة بقوله: هي اسـم جـامع لكـل مـا يحبـه اللـــــه ويرضــــاه من الأقــــوال والأفعــــال الظــــاهرة والباطنــــة.

وهــــــــذا يــــــــدل على شــــــــمول العبــــــادة، فهي تشــــــمل:

أولا: العبادات المحضة. وهي الأعمال والأقوال الـتي هي عبـادات من أصـل مشروعيتها، والـتي دل الـدليل من النصـوص أو غيرهـا على تحـريم صـرفها لغـــــــــــــــــير اللـــــــــــــــــــه تعــــــــــــــــــالى.

ويـــــــــدخل في العبـــــــــادات المحضـــــــــة مـــــــــا يلي:

1- العبـــــــادات القلبيـــــــة. وهي تنقســـــــم إلى قســـــــمين:

أ - "قول القلب"، وتسمى "اعتقادية"، وهي: اعتقاد أنه لا رب إلا الله، وأنــه

---

[1] () أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر عبد العزيز الراجحي ص/7

[2] () مجمل اعتقاد أئمة السلف عبد الله بن عبد المحسن التركي ص/82

لا أحد يستحق أن يعبد سواه، والإيمان بجميع أسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وغير ذلك.
ب – "عمل القلب"، ومنها: الإخلاص، ومحبة الله تعالى، والرجاء لثوابه، والخوف من عقابه، والتوكل عليه، والصبر على فعل أوامره وعلى اجتناب نواهيه، وغيرها.
2- العبادات القولية.
ومنها النطق بكلمة التوحيد، وقراءة القرآن، وذكر الله تعالى." [1]

[1] () مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص/27